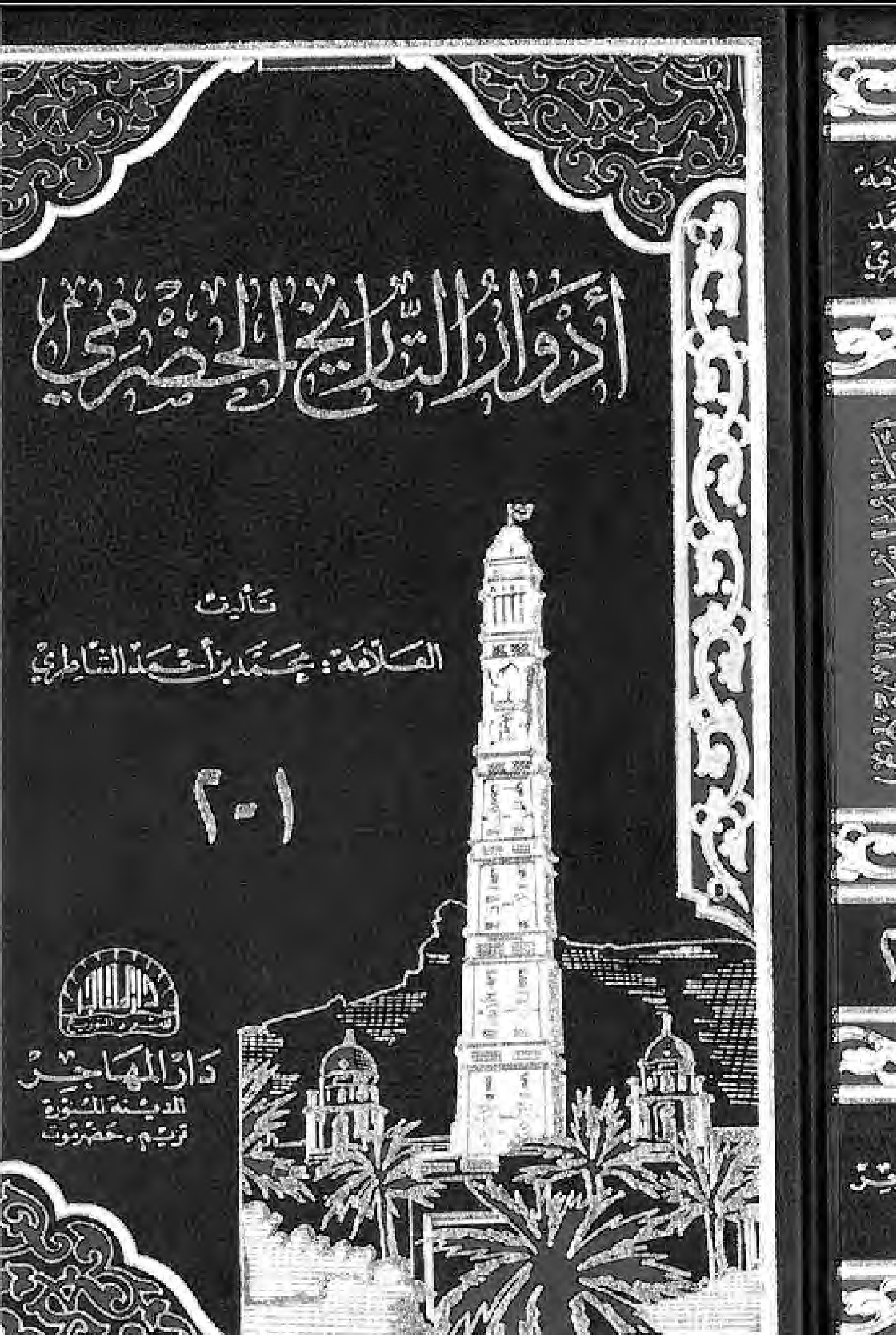

أدوار التاريخ الحضرمي
تأليف
العلامة: محمد بن أحمد الشاطري
١-٢
دار المهاجر
المدينة المنورة
تريم - حضرموت

الطبعة الثالثة
مصححة منقحة

١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م

الطبعة الثانية
مصححة منقحة

١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٣ م

الطبعة الأولى
مصححة منقحة

١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م



المدينة المنورة : ٨٢٥١٤٥٦ فاكس ، تلفون : ٨٢٣٣٥٣٥
ص. ب ٢٠٠٧٤ ـ اليمن هاتف ٧٩١٠٩٧٣ ـ تريم ٥٥٢٢٤٨
توزيع مكتبة تريم الحديثة.

أدوار التاريخ الحضرمي

تأليف

محمد بن أحمد بن عمر الشاطري

الجزء الأول



بسم الله الرحمن الرحيم

التعريف بهذا الكتاب

أدوار التاريخ الحضرمي

لم يكن يهدف هذا الكتاب فيما يهدف اليه نشر تاريخ هذا القطر الاجتماعي فحسب ، وانما يهدف ايضا الى التعريف بواجب المؤرخ العام والى وضع المؤرخ الحاضر في البلاد العربية وفي العالم اجمع في مقدمتي الجزء الاول والجزء الثاني منه كما أتى في الجزء الاول بخلاصة شاملة عن الامة العربية تحت عنوان (أمتنا العربية) التي نحن جزء لا يتجزأ منها واحصاء عام لدولها وبلادها وسكانها وتاريخ استقلالها .

وعن دولها القديمة من قحطانيين ومعينيين وسبأيين وحميريين وفتوحاتها وآثارها ، وعن دور الوحدة العربية في الماضي والمقارنة بين وضع ما قبل الاسلام وما بعده ، وحروب الردة في الجنوب اليمني .

وعن اول ثورة يمنية قامت في الاسلام في اسهاب وتفصيل فيهـ يتخلل ذلك تصوير للنواحي الاجتماعية في تلك العهود ، وعن الخوارج الاباضية ومذهبها والطريقة التي تقوم عليها حياتها الدولية والحربية وحياة شعب المنطقة في جميع مجالاته .

فيه تراجم وتحليل لحياة رجال برزوا في تاريخنا العربي كامرىء القيس بن حجر الكندي وامرىء القيس بن عانس الكندي الصحابي

ووائل بن حجر الحضرمي الصحابي والمقنع الكندي وطرف ـ ببعض الطاء ـ من اشعارهم وانبائهم . ومن نساء برزن ايضا في ميادين الشعر والادب والفروسية كاه الصريخ الشهيرة وغير هؤلاء من شخصيات التاريخ .

كل هذا باسلوب ممتع وتجنب للأخطاء اللغوية الشائعة وملاحظات عليها ، وقد طبع اول مرة ونفدت نسخه بسرعة وسيعاد طبعه ، امـــا الجزء الثاني فيحتوي ـ في ما يحتوي عليه ـ دراسة شاملة عن الدول الاخيرة في هذا القطر حتى عهد الثورة وعن حياة شعوبه الاجتماعيـة باسهاب في عاداتها وتقاليدها وفنونها وعملاتها وهجراتها وألعابهـــا وقصصها وحياة اسرهـا واحصاء مضبوط لأفـراد عشائرهـا وقبائلها وطرق معيشتها والحروب السائدة بينها الى ما قبل ثلث قرن من اليوم ؛ وعن تشريعاتها وعاداتها . الى غير ذلك مما له علاقة بتاريخها الاجتماعي.

وعن الحياة الصوفية العامة ومتى نشأت طرق التصوف . والتنافس بين الطريقتين الشرقية والغربية الصوفيتين .

وعن حروب الاوروبيين البرتغال في سواحل وبحار جنوب الجزيرة العربية والاسطول الذي قاتلهم والجهاد ضدهم في القرن السادس عشر الميلادي .

وعن تحليل لحياة بعض كبار الشعراء والعلماء والصوفيه ودراسات عنهم في النواحي الاجتماعية والعلمية والادبية كالداعية الكبير الشاعـر عبدالله بن علوي الحداد الكفيف الذي ذاعت شهرته في بلاد العـــرب والشرق الاوسط . وكشاعر السن الكبير العلامـة ابن شهاب وخلاصة شاملة عن اخباره واشعاره وطرقه ورحلاته الى البلاد العربية والشرقين الادنى والاقصى ومشاركته في المجالات الاصلاحية . والضجة التي أثيرت في العالم الاسلامي حول معاوية ابن ابي سفيان .

وعن تاريخ الاستعمار في جنوب اليمن ونتائجه ، وعن واقع هـذا القطر ، وعن واقعنا العربي العام بصراحه تامه في حدود الالتزام والاعتدال، واحصائيات مدرسية وزراعية وجداول فيهما وخريطة زراعية تبين رقعـة الزراعة الخضراء . الى غير ذلك مما هو مفيد وممتع لكل قارىء واديب بنفس ذلك الاسلوب الشيق الذي يحكي الوقائع والحوادث كما هـي بامانه واخلاص ويقدم النقد البناء النزيه والدواء الذي يراه ناجعا حول الاخطاء السياسية والامراض الاجتماعية في شفائها ، ويشبه الى حـد كبير في طريقته كتاب حياة الشرق لمحمد لطفي جمعه وتاريخ الامة العربية للمقدادي .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على عطاياه، وصلاتُه وسلامه على سيّدنا محمد اكرم مصلح عرفه التاريخ في جميع نواحي الحياة، وعلى آله الذين زيّنوا العروبة والاسلام بأفعالهم الحميدة وعلى أصحابه الذين ملأُوا صفحات التاريخ بأعمالهم المجيدة وعلى من والاه ووالاهم من أبناء الأمم العديدة.

وبعد فاني اريد ان اتحدث اليك ايها القارىء –كما لو كنت حاضراً عندك– عن تاريخ حضرموت في أدواره المتعاقبة والمشتملة على عصور الدول التي حكمت حضرموت، وما جرى فيها من احداث وأعمال على مسرح الزمن الى عرضٍ لنماذج من أبطال حضرموت في تلك العهود من رجال العلم والاجتماع والسياسة والحكم. ولم اشأ ان اجري في هذا كله على الطريقة التقليدية لبعض المؤرخين من تغليب رجال السلطة والحكم وتدوير محور التاريخ على حياتهم، بل عنيت اكثر بالنواحي الاجتماعية العامة وبتغليب رجال الفضل والعلم والإصلاح [1] الذين يجب أن يكونوا قدوة صالحة للجيل

---

(١) لكثرة ما انجبت حضرموت من الرجال المبرزين في مختلف النواحي الاجتماعية انتقيت منهم اولئك النابغ الذين توفرت لدي المراجع الوثيقة في تواريخهم المشرقة وكأني ببعض القراء يود أن لو اضفت اليهم آخرين او اهملت بعضهم آخرين فأقول، يكفي من القلادة ما احاط بالعنق.

الجديد والذين خدموا مجتمعاتهم بقدر ما جنى عليها المستبدون من رجال السلطة والحكم وبذلت مجهوداً في أن يكون ذلك تاريخاً حضرمياً مركزاً مترابطاً في مراحله وعهوده وطبقات رجاله وملاحظاته وأبحاثه وتعليقاته حسب المستطاع وفي حدود المعلومات التي التقطتها من المصادر التي بين يدي [1] وأسميته ــ أدوار التاريخ الحضرمي ــ

اما أهم الأسباب التي دفعتني لهذا العمل فهو التماس بعض المسؤولين عن التعليم الأهلي بحضرموت [2] ان أضع كتاباً في تاريخ حضرموت يكون مرجعاً للمدرّسين وكبار الطلبة، فوضعت له هذا الكتاب المشار اليه بشكله وروحه .

وارجو ان اكون بهذا قد أديت شيئاً من واجب المشاركة في خدمة وتدوين جزء من تاريخنا العربي الاسلامي العام الذي يجب أن يتوزع بين بنيه، فيتناول أبناء كل قطر تاريخ بلادهم وشعوبهم الخاصة بالبحث والتحقيق، وبروح عربية اسلاميـــة. وحينئذ سيسهل التعـــاون على ابراز عموم تاريخنا من بين تلك التواريخ الخاصة وعلى حصول ما يطلب منه في اطار الوحدة العربية والاسلامية الشاملة، على أن تاريخ حضرموت ليس ميسوراً كغيره من تواريخ الشقيقات العربية. وبالرغم من أن بعض العلماء والكتاب قد كتبوا عنه وفيه فانهم الى الآن ــ لم يظفروا بكل المعلومات الكافية والمصادر الشافية عنه [3]، خصوصاً في تصوير الحياة الاجتماعية في اكثر العهود الغابرة من التاريخ الحضرمي القديم ومن تاريخ ما قبل الاسلام [4]. وفي التاريخ الحضرمي الاسلامي حلقات تكاد تكون مجهولة عبر القرون : الثالث والرابع والخامس الهجرية .

---

(١) لا تخلو بعض المصادر التي يعتمدها المؤرخ الحضرمي من نقاط ضعف لا مساس لها بالتاريخ كركاكة التعبير، وهذا لا يهم ما دمنا ننظر فقط الى قيمتها التاريخية .

(٢) منهم رجال الهيئة الادارية لمدارس جمعية الأخوة بتريم .

(٣) درج المؤرخون الحضارمة من قبلنا على الشكوى من عدم تدوين التاريخ في حضرموت ومنهم الشيخ علي بن ابي بكر العلوي وصاحب المشرع وغيرهما .

(٤) سيأتي مثل هذا عند الكلام على الدور الحضرمي الأول .

ان هذا يتطلب جهوداً علمية جبارة للكشف والتنقيب عما جُهل او غمُض من تاريخنا ، وذلك ما لا يقوم به فرد او أفراد ، وانما هو من واجب الحكومات الحضرمية أو دولة اليمن حضرموت المتحدة المنتظرة . والتبعة (المسئولية)[1] في نقص تاريخنا ملقاة على عاتقها اكثر من سواها[2] ، فعليها تخصيص لجنة من رجال اكفاء ووضع اعتماد كاف تحت تصرفها وتشجيعها بكل الوسائل اللازمة لتحضير التاريخ التام المطلوب . ومن أهم تلك الوسائل الآثار التي يمكن الاهتداء بواسطتها الى ما جهل من المعلومات والتي قد يغني واحد منها في الوصف عن مئات الصفحات من الكتب ، وما ندري هل سيتم ذلك في القريب؟

ومع ما قلنا ، وقبل أن يتم ما ندبنا اليه فان الميسور لا يسقط بالمعسور وما لا يدرك اليوم كله لا يترك كله فكل من كتب عن تاريخ حضرموت بروح تاريخية نزيهة فقد قدم صنعاً يشكر عليه ، كما أن من تعرض لهذه المهمة — مهمة التاريخ — ولم يؤد فيها حق الامانة بالانسياق وراء الأغراض من دعاية[3] سياسية أو خدمة أجنبية او نعرة حزبية او عنصرية أو غير ذلك[4].

ان من تعرض لهذه المهمة ولم يؤد فيها حق الأمانة فقد عكس ما يراد من التاريخ وقد كذب على نفسه قبل أن يكذب على التاريخ الذي لن يصح منه غير الصحيح ، وسيكون نصيب هذا النوع من التواريخ الصفراء الاحتقار

---

(١) كلمة مسئولية مولدة وليست فصيحة ، وإنما استعملت أيام الحكم التركي العثماني على بلاد العرب ولا يزال يستعملها بعض الكتاب الى اليوم ، وذكرنا لدولة حضرموت المتحدة ، إنما هو لما يتوقعه الناس من إبرازها قريباً .

(٢) ومنهم حكومات وشعوب العالم العربي والجامعة العربية ومما يؤسف له أن يجهل كثيرون من إخواننا العرب الشيء الكثير عن الجنوب العربي بالرغم من انتشار الوعي العربي والقومية الصحيحة .

(٣) قال غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : الدعاية شيء والتاريخ شيء آخر .

(٤) من المؤسف حقاً ان نقرأ في الصحف والكتب ونسمع من بعض المحطات كلاماً مأجوراً مفرقاً في شخصيات معروفة بالصورة الخاطئة الثقيلة التي يمجها الذوق السليم وينهى عنها الدين القويم ويبرأ منها الحق والحقيقة فهل لهذا الليل آخر ؟

ثم الاعمال [1]. والذي يريد ان —يزيف التاريخ فيروي احداثه بخلاف الواقع كأنما يريد ان يحور قضاء الله وقدره وذلك مالا يمكن أن يكون .

فليحقّق التاريخ اذاً ، وليقدّم ويؤخذ على أنّ يعطينا العبر والعظات الكافية لمعرفة وسائل التقدم الاجتماعي والفردي ، ولتفهم الأسباب التي أدت الى خراب البلاد وموت العباد ، ومن أهمها التحزبات والمنازعات التي بواسطتها دواماً يشهر الحضرمي سلاحه في وجه أخيه وكلاهما من الضعف والفقر والجهل بمكان ، فيتحطم الاخوان على صخرة هذه الانقسامات الشائنة .

فلماذا اذاً لا نجعل من تاريخنا الماضي — وما اكثر ما يعيد التاريخ نفسه — لماذا لا نجعل منه اداة تطبيقية لأن نكون شعباً متراص البنيان قوي الأركان كغيرنا من الشعوب الحية التي بينها من الفروق في التقاليد والمذاهب — بل والأديان واللغات — مالا يوجد اقل منه بكثير عندنا ؟ واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية .

أفلا يسعنا بعد ماوسعهم ونحن في هذا العصر الذي لا يسود فيه الا من تسلّح بسلاح العلم والاتحاد والخلق المتين ، ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامــــكم .

---

(١) من أمثلة ذلك الكتب التي كانت تكيل المديح جزافاً لفاروق وأفراد أسرته الذين لما قامت الثورة المصرية كشفت ذلك القناع الرقيق من على وجوههم ووجوه المتملقين لهم وظهرت الحقيقة بازغة وكأنها تسخر من حاول اخفاءها دون جدوى ، فهل يا ترى سيعيد التاريخ نفسه مع فواريق آخرين صغاراً وكباراً ؟

مَعلومَات عَنْ جُغرافية حَضرَموت

مَعلومَاتعَن جُغرافية حَضرَموت

الموقع — الحدود

تقع حضرموت في الزاوية الجنوبية الشرقية من بلاد العرب ، وهي : حضرموت الكــبرى — حضرموت الوسطى — ما دونها .

لقد اختلف المؤرخون اختلافاً كبيراً في حدود حضرموت ويرجع ذلك الى الناحية السياسية في الأكثر ، فان اكثر المؤرخين يحددونها تبعاً للدولة او الامارة ، او العمالة التي في زمنه[1] . فأقصى حدود حضرموت — ويمكن ان نسميها حضرموت الكبرى — من عدن غرباً الى عمان شرقاً وما بين البحر الهندي جنوباً ورمال الاحقاف شمالاً . وهذا التحديد يشمل بلاد الفضلي والضالع ويافع والعوالق سفلاهما وعلياهما والعواذل وبيحان وجميع الامارات الغربية التي تدعى بمحمية عدن الغربية ما عدا لحج والحواشب والعقربي وما تاخمها ، وتشمل الواحدي والقعيطي والكثيري ومهرة وظفار .

هكذا كانت حضرموت ولاية كبرى من ولايات اليمن الثلاث وهي الجند ومخاليفها وتدخل فيها لحج وعدن ، وصنعاء ومخاليفها ، وحضرموت ومخاليفها كما حددناها وذلك أيام الخليفة المأمون وغيره ممن تقدمه من الخلفاء اذ كانت البلاد العربية مملكة واحدة .

---

(١) انك إذا تصفحت تاريخ الهمداني صفة جزيرة العرب وصبح الاعشى ، وتقويم البلدان وأمثالها من كتب السابقين تجد فيها اختلافاً كبيراً ولا يمكن ايجاد مبرر لهذا الاختلاف إلا بما ذكرته .

وبمقتضى هذا التحديد الواسع فستكون في الطول بين الدرجة ٤٥ الى ٣٠ : ٥٦ شرقي جرنيتش وفي العرض لا تتجاوز ما بين درجتي ١٣ ــ ١٩ [١].

الحدود المتداولة اليوم

أما بالنسبة لتحديدها المتعارف عليه اليوم والذي يقرر لأبناء المدارس فما بين رمال الأحقاف شمالاً والبحر العربي جنوباً وما بين عين با معبد غرباً وسيحوت شرقاً. وهذا الساحل صخري وليس على خط مستقيم ويقدر طوله تقريباً بأربعة آلاف وخمسمائة كيلومتر ، وتقدر اقصى المسافة التي تخترق ما بين الداخل والساحل بنحو ثمانين كيلومتراً.

أما مساحة حضرموت هذه كلها بالميل المربع فتقدر بمائة وعشرة آلاف أو عشرين الفاً ، وتشمل سلطنات القعيطي والكثيري والواحدي وجزءاً من المهري وتبعد من خط الاستواء بخمسة عشر درجة تقريباً عرضاً شمال خط الاستواء و ٤٩ درجة طولاً شرقي جرنيتش .

وهنالك من حددها بحدود تتقارب مع هذه الحدود بمسافات أقل [٢] لا نطيل بذكرها وأصغرها ما بين العقاد غرباً وشعب هود شرقاً .

الجبال والأودية والمدن

انك حين تشرف من الطائرة على حضرموت وحين تضع خريطتها بين يديك تجدها سلسلة جبال شاهقة ولكنها منبسطة ، ويتخلل هذه الجبال

---

(١) أنظر الخريطة المفصلة بحضرموت الكبرى في صدر هذا الكتاب ومنها ستستدل على جميع الحدود الواسعة وما دونها مما ذكر هنا. وقد اخذها من عدة خرائط مضبوطة اساتذة مدرسة جمعية الأخوة والمعاونة بتريم ومؤلف هذا الكتاب بمساعدة السيد البحاثة عبدالله بن حسن بلفقيه .

(٢) انظر الشامل في موضوع جغرافية حضرموت للعلامة السيد علوي بن طاهر الحداد .

شقوق كثيرة تلك هي الأودية وأعظمها وادي حضرموت الرئيسي الذي تقع على حافتيه أهم مدن الداخل كتريم وسيئون وشبام والقطن .

هنالك على طول الساحل وما يقرب اليه توجد الينابيع (المعايين) بكثرة حيث لا توجد في الداخل الا نادراً وتبدأ الينابيع في الساحل من ميفع حجر غرباً الى ريدة آل عبد الودود شرقاً .

ومن أهم مدن الساحل اليوم المكلا عاصمة السلطنة القعيطية، فالشحر ذات التاريخ المجيد فالديس فالحامي، أما غيل با وزير فتبعد عن الساحل بما يقرب من ساعة ونصف بمسير السيارات .

ويوجد بميفع نهر صغير ينبع من جبالها ويصب في البحر العربي بالقرب من رأس الكلب ، عرضه من خمسة أمتار الى عشرة تقريباً وطوله نحو مائتي كيلومتر وعمقه من خمسة سنتيمترات الى خمسة وعشرين تقريباً .

وتنقسم جبال حضرموت ما بين شمالية وجنوبية وتنحدر أمطار الشمالية جنوباً نحو الوادي وشمالاً نحو الرمال ، وأمطار الجنوبية شمالاً نحو الوادي وجنوباً نحو البحر . وسلاسل الجنوبية اعلى في الجملة من أخواتها الشمالية وأعلى نقطة فيها تبلغ حوالي ستة آلاف قدم ، أما الشمالية فأعلى نقطة فيها تقدر بثلاثة آلاف وخمسماية قدم .

كيف تستغل مياه الامطار بحضرموت

من الطبيعي أن تنحدر الأمطار من الجبال والهضاب الى الأودية والمنبسطات حيث توجد الزراعة والغراس وتخترق المياه بطون الأرض .

وتخطط الأرض بأشكال هندسية وسواقي وسدود على نظام معماري معروف يتوارثه الأبناء عن الآباء .

ويتقدم الفن المعماري ويتأخر تبعاً لتقدم الشعب وتأخره كما سيأتي في أدوار تاريخ حضرموت القادمة .

ولكن الواقع اليوم ان كثيراً من مياه الأمطار والسيول تذهب هدراً. وهي في نفس الوقت ذهب يمكن استغلاله لو أصلحت سدوده وترعه ومجاريه فأطيان حضرموت اطيان جيدة خصوصاً في المناطق المعروفة بخصبها كمنطقة ميفع في الساحل غرب حضرموت، ومنطقة القطن غرب شبام ومتعلقاتها الى الفرط بحضرموت الوسطى، ومنطقة قسم شرقي حضرموت وتمتد الى ما بعد طبوقم[1] . وتمتاز هذه المنطقة بجودة التربة ونقاء الجو وقرب الماء من سطح الأرض ولكنها مع الأسف مهملة .

محاولات غير مجدية في هذين العقدين الأخيرين

وقد حاولت حكومة بريطانيا باسمها وباسم السلطنات المحلية أن تقوم بمشاريع عمرانية لاصلاح السدود وقرض الزراع وتسليفهم واسعافهم بالمكائن والحبوب والنقد، ففشل المشروع وعاد بالخسران على كثير من المزارعين ولم يستطيعوا تسديد ما عليهم من قروض وديون كما أن ملاك النخيل لم يستطيعوا اداء المرجوعيات التي وزعت بشكل ضرائب على رؤوس النخيل .

أسباب الفشل

١ — من أهمها عدم كفاءة المديرين والخبراء الذين عينتهم الحكومة البريطانية فوضعوا تصاميم السدود على غير أساس علمي ناجح فخربتها السيول بشكل مريع[2] .

---

(١) طبوقم مقاطعة بينها وبين شعب نبي الله هود نصف مرحلة تقريبا .

(٢) منها سد النقرة حيث بني بطريقة واضحة الخطأ فقضه الماء وذهبت الأعمال والملايين التي انفقت فيه هباء منثورا، وسد المثور الذي وضع أكثره بشكل اكوام واسوام من التراب فبحثها السيل ودفن آلاف النخيل بها وكسر سدودها وهذا لأن حضرموت ابتليت كأمثالها من البلاد المحمية أو المستعمرة بضباط يجازفون بأعمال فيها على غير مهارة وبدون اختبار لشيء بها كانت نتيجته الخسارة الأدبية والمادية في نواح حيوية كما سيأتي في مواضعه .

٢ ـ أنواع المكائن ـ رفاعات الماء التي جلبت لهم من أنواع رديئة كمكائن بيتر وترنر وكان نصيب الكثير منها التحطيم وعدم الاستمرار .

٣ ـ عدم توفر المهندسين الاكفاء للمكائن الزراعية .

٤ ـ آفات زراعية لم تعالج علمياً تماماً ومنها الجراد ، الى غير ذلك من الأسباب التي ملئت بها عشرات الملفات والعرائض والتقارير في الموضوع لدى الحكومة والأفراد والهيئات الشعبية مما يمكن للباحث المجدّ الاطلاع عليه من مضانه ولا تزال ذيول المشروع باقية .

الطقس

الطقس فيها صحيّ وهو اكثر نقاء وجفافاً في السهول والأودية ، حار في الصيف الى درجة انه بلغ ١١٠ درجات ... سنة ١٩٦١ م . وأشد أيام السنة حرارة الأربعينية وهي أربعون يوماً تبدأ من ٧ الغفر ، ٤ مايو . وأشد من هذه الأربعينية حرارة المثمنات وهي ثمانية أيام : الاربعة الأخيرة من منزلة الشول والأربعة الأولى من النعائم .

والشتاء فيها معتدل البرودة غالباً

تقلبات الطقس (*)

والغريب ان الطقس فيها في هذه السنوات الأخيرة ذو تقلبات مختلفة سريعة ، خصوصاً في فصلي الصيف والربيع ، فبينما تشتد الحرارة في صدر الليل ، بها تنعكس أثناءه أو آخره الى برودة لا تكاد تحتمل . وقد تشتد الحرارة فجأة وتبرد فجأة ثانية والعكس وهكذا دواليك .

(*) انظر كتاب الحريت على اليواقيت شرح الاستاذ ابن هاشم علي ، أرجوزة المصنف المسماة : اليواقيت وفيه ايضاً تقدم قصور لهم بفصل كما سيأتي .

الامطـــار

تكثر الأمطار في دواخل حضرموت في فصلي الصيف والخريف وهي أقل وجوداً في السواحل .

والغريب انهم يتقدمون في فصولهم بفصل فتجري عندهم هكذا :

الربيع الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت صيفاً ،

الصيف الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت خريفاً ،

الخريف الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت شتاء ،

الشتاء الفلكي يسميه زراع اليمن وحضرموت ربيعاً .

والمطر في هذين الفصلين نادر جداً ، وقد يحصل الجفاف أحياناً لأسباب طبيعية منها : ـ أنَّ الرياح الموسمية تصطدم بالجبـال القريبـة مـن البحر فتوقع الأمطار عليها فقط دون أن تصل الى الهضاب الداخلية فيحصل الجفاف في الأودية والأراضي التي تتلقى سيولها منها .

ثروات حضرموت

الثروة الحيوانية :

توجد بحضرموت في كثير من أدوار تاريخها : ثروة هائلة من الأنعام والخيول حتى لقد وصل نصيب احدى زوجات بعض أثريائها الأربع ثمانين رأساً من الخيل[1] . وعند ما تقرأ عن فرسان حضرموت وعن الابل المهرية وبقية الحيوانات في الفصول الآتية في هذا الكتاب سيتبين لك غنى حضرموت بهذه الثروة وتصديرها الى الخارج منها .

أما اليوم فتوجد من هذه الحيونات ما عسى أن تقوم ببعض حاجة السكان

---

(١) أشير بهذا الى الحسين ابن الشيخ ابي بكر بن سالم .

الماسة اليها على أن الخيول بالذات أصبح من النادر أن توجد في أكثر المقاطعات ولا يعرفها الاطفال الا في الرسوم المدرسية .

وفيها الحيوانات الوحشية واكثرها الوعول والغزلان حيث يقصدها الصيادون الى الجبال والوديان وحيث تقام المهرجانات وحفلات الصيد الشعبية بعد اقتناصهـــا .

أما الأسماك فتوجد بكثرة هائلة وتزيد على ٨٠ شكلاً . وقد كانت فيما مضى تفيض جداً عن حاجة السكان ولكنها اليوم لا تكاد تفي بها حيث يزدادون زيادة مطردة [١] .

نعم يصدر الوزيف وهو صغار السمك (العيد) بفتح العين بعد أن يجفف الى الخارج كما يصدر زيته بكميات يسيرة .

ويستعمل في حضرموت سماداً لبعض المزروعات ومن أهمها التبغ .

الثروة النباتية

تنتج حضرموت التمر وأنواعه كثيرة أوصلها بعضهم الى ثلثمائة نوع [٢] في بعض مراحل التاريخ .

وتمر حضرموت من أجود تمور العالم كما ان بُرَّها وقطنها وزيتها كذلك بشهادة بعض الخبراء الأجانب . والحضرمي فيما مضى من تاريخه والى وقت قريب جداً يتخذ التمر قوتاً في بعض وجباته بينما يتخذه الآخرون فاكهة. وكانت تصدر منه الى الخارج كميات وافرة اذ كانت السدود معمورة ومساحات الوديان الحضرمية مشغولة بالنخيل، والغراس قائم على قدم وساق

---

(١) مما يستغرب ما سمعناه عن طمع بعض الشركات الاجنبية في استغلاله ولكن واجب المسئولين ان يحولوا دون ذلك اذا صح هذا ، فهل هم فاعلون ؟

(٢) نظم الشاعر العلامة عبدالرحمن بن محمد بن شهاب قصيدة باللغة الدارجة في انواع التمر وذكر صاحب المشرع الاحصاء الذي اشرنا اليه .

فتعاون الخراب ، والضرائب والمرجوعيات ، وكسل السكان وخور عزائمهم ومضايقة المسئولين لهم ، كل هذه العوامل تظافرت على جدب البلاد من النخيل وقلعت السيول كثيراً مما كان موجوداً [1] ولم يعوض ببديل عنه فكان المحصول ضئيلاً بالنسبة لما مضى . ومع ذلك فالملاك يتبرمون من نخيلهم لأن تكاليفه أضعاف قيمته وواجب المسئولين ازالة الأسباب التي أشرنا اليها ليتم انتاج النخيل بالصورة المرجوة حتى تنتفع منه البلاد اقتصادياً .

ويوجد بها أشجار السدر (العلوب) وتستعمل أخشابها في بناء البيوت وتضم اليها أخشاب أخرى جميلة كخشب العريط حيث ينبت شرقي حضرموت .

أما المزروعات فاكثر الأنواع الشهيرة منها تزرع بقدر الحاجة تقريباً من بر وذرة وكزبرة وخضروات وغيرها وتزرع بعض أشجار الفاكهة في السواحل كالباباز والموز .

وقد أصبح اليوم الاعتماد في أكثر الوجبات على الأرز المنقول من الخارج كبرمه بينما في الامكان الاستغناء عنه بالاعتماد على انتاج البلاد وزرع الأرز فيها ، وقد جرب زرعه في مقاطعة حجر فنجحت التجربة ولكنها لم تستمر لتقصير الحكومة والشعب .

ويزرع التبغ (التنباك) في الساحل وتصدر منه كميات الى عدن فمصر وغيرها ، ولا يزيد صادره سنوياً اذا صلح عن مليوني شلن (٢,٠٠٠,٠٠٠) .

وبالأودية والجبال توجد أشجار ونباتات تستخرج منها العقاقير وتعمل منها الوصفات البلدية والأدوية البدوية وستأتي الاشارة الى شيء منها في الفصول القادمة .

ومن منتجاتها العسل وهو أجود او من أجود أنواع العسل في العالم في طعمه وخواصه ، وتصدر منه كميات يسيرة الى الخارج .

---

(١) في سنة ١٣٧٣ جاء سيل كبير وقلع نخيل وادي دوعن وترك الأرض يبابا وفات على الأهلين ما يقدر قيمته بنحو ثلاثة ملايين شلن وقبلها بسنوات قلعت السيول نخيلا كثيرا في مسيلة عدم وفي وادي بور ، وللأسباب التي ذكرناها دخل فيما جرت من خراب مستمر .

الثروة المعدنية

يوجد بحضرموت معادن كثيرة أوصلها بعض المستشرقين الى خمسين نوعاً منها : النحاس ، والشب ، والحديد ومنها الملح الصخري حيث توجد هضاب منه في الصدارة وشبوة . والواقع ان حضرموت لا تزال بكراً ولم يعلن عن اكتشاف شيء مما يظن وجوده فيها : كالاسمنت ، والكبريت ، والذهب والأورانيوم .

ويقال ان الحكومة البريطانية تحمل من مواقعها في الجبال الشمالية بمنطقة ثمود [1] كميات على السيارات والطائرات .

أما البترول فقد وجد فعلاً في شمال شرقي حضرموت وبمنطقة ثمود وتبادل المسئولون في الحكومتين الخطابات والمحادثات حول استخراجه مع بعض الشركات الأجنبية ، وأخيراً أبرمت بينهم وبين شركة زيت بان امريكان الدولية المنبثقة عن شركة استاندر انديانا الامريكية [2] اتفاقية يقال أنها طبق الاتفاقية المبرمة مع الجمهورية العربية المتحدة . واذا كانت كذلك وأبرمها أولئك المسئولون فهل يفوز الشعب بكل ما يرجوه منها ؟

السكان

وسكان حضرموت عرب جلهم قحطانيون ومنهم عدنانيون وسيأتي ذكر كثير من قبائلهم في مواضعه ، وتغلب عليهم السمرة ما بين خفيفة

---

(١) نشرت جريدة الجنوب العربي في العدد العاشر من السنة الأولى الصادر يوم الجمعة ٧-٤-٧٤ وجود منابع البترول حيث تمتد عيونه من الظهران ثم تمر على ثمود ومنها يتجه الى سيحوت وسلاله ، وهنا فرع يمر ما بين تريم والغرف الى مريمة ثم يتجه الى مسيل دومن ثم شبوة واليمن ، ووجود الأسمنت بتريم والذهب بمنطقة سيون . وقد عثر مراسلها على خريطة سرية بهذا كما نشرت غيرها من الصحف التحميل التي اشرنا اليه .

(٢) هكذا أسميت في صحيفة الرائد عدد (٤٠) السنة الاولى .

وشديدة وقد اختلطت دماء بعضهم بدماء اندونيسية وصينية وملايوية خصوصاً في الداخل وبدماء افريقية خصوصاً في الساحل ، ولهذا يبدو في المختلطين منهم بهذه الأجناس ملامحها وطباعها وأمزجتها . وقد نشأ هذا من هجرة الحضارمة الى البلاد الأخرى العجمية بدون عائلات فيضطرون الى التزاوج معهم ، وبالتالي انجاب أطفال لا يعرفون شيئاً عن عروبتهم ولغتهم الا اذا تعلموا ذلك فيما بعد أو زاروا وطنهم الأصيل . وهؤلاء قليلون اذ اكثرهم مندمجون في شعوب أمهاتهم ويوجد بينهم أفراد من الهنود البانيان ، ومن الموظفين الأوروبيين في مدينتي المكلا وسيئون ، ومماليك السلطنتين الذين هم من أصل افريقـــي .

وبسبب ما ذكرته توجد الفاظ دخيلة — هندية وملايوية وغيرهما — على اللغة الحضرمية الدارجة التي هي أقرب اللغات العربية الدارجة الى الفصحى — مادة ومعنى وأمثالا وأشعارا — ويوجد فيها ألفاظ خاصة بها تتصرف تصرف الألفاظ العربية وتشتق منها مشتقاتها طبق الموازين العربية . ويظهر انها بقية من اللغة الحميرية القديمة ، وقد أفردها بعضهم بقواميس خاصة لا تقل موادها عن ثلثمائة مادة كما ألفت تآليف خاصة بالأمثال الحضرمية الدارجة ، وبالشعر الحضرمي الذي نبغ فيه فحول لهم دواوين كثيرة موجودة .

المذهب والعقيدة والعدد

ومذهبهم كلهم شافعي في الفروع ، وقد يخالفون مذهب الشافعي في بعض الأعمال والأحكام ، كالعهدة والمزارعة ، والمغارسة وغير ذلك مما يضطرون اليه .

وعقيدتهم سنية أشعرية وقد يخالفون الأشعري في نقاط معروفة كالقول بإيمان المقلد الذي لا يقول به .

أما عندهم فيتراوح بين نصف مليون وأربعمائة الف حيث لا يوجد احصاء رسمي لهم ولكن المدن الكبرى حيث يوجد السكان بها اكثر يعتقد انها كما يلي تقريباً [1] :

	نسمة
المكلا	٣٥٠٠٠ [2]
الشحر	١٢٠٠٠
الغيل	٠٥٠٠٠
سيؤن	١٢٠٠٠
تريم	١١٠٠
شبام	٠٥٠٠٠
المجموع ثمانون الفاً	٨٠٠٠٠

وقد أحصي بعض العشائر والقبائل المتسلحة على وجه التقريب فكان مجموعهم وعائلاتهم حوالي خمسين الفاً وذلك منذ اكثر من ثلاثين سنة . ومعنى هذا انهم قد تضاعفوا أضعافاً كثيرة تتقارب مع ما ذكرناه ، وفي التقرير السنوي لحكومة عدن لسنة ١٩٥٨ م ان سكان المحمية الشرقية للسنة نفسها ثلاثمائة الف نسمة ويعتقد انه دون الواقع .

(١) ظهر لنا ان المجالس البلدية الى اليوم لم تستطع القيام باحصاء مضبوط للسكان .
(٢) يقدرهم السيد علوي بن طاهر في الشامل ما بين ٣٥ و ٤٠ الفاً .

أُمّتنا العربيّة التي نحن جُزء لا يتجزّأ منها

أمّتنا العربيّة التي نحن جُزء لا يتجزّأ منها

بما أن حضرموت جزء لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير ، فالحضارمة شعب من صميم الشعوب العربية الكثيرة التي تتكون منها الأمة العربية المنتسبة الى سام بن نوح وموطنهـا بلاد العرب ذات الموقع الاستراتيجي العالمي ، والغنية بثرواتها العظيمة ، وتمتد حدودها من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي .

ولاشك أن الأمة العربية من اذكى وأنبل الأمم واكثرها استعداداً لقيادة العالم ، وتوجيهه الى حياة السعادة والمدنية والعلم والحضارة والنور كما وقع ذلك فعلاً بعدما ظهر سيدنا محمد النبي العربي العظيم يحمل رسالة الاسلام ويبشر به كدين ذي مبادىء انسانية فطرية منقطعة النظير .

وهكذا تلاقت الميزتان : ميزة الإسلام ، وميزة العرب ونتج عن ذلك عهد الخير والسعادة والرفاهية والتقدم البشري مدة قرون عديدة تمسك العرب فيها بالميزتين المشار اليهما . ولما نسوا مبادئهم الاسلامية والقومية ولم يجدوا التوجيه المطلوب انهارت حضارتهم ، وضاعت مثلهم العليا واصبحوا مقسمين الى أن استولى عليهم الأجانب ومزقوهم كل ممزق كما هو معروف في التاريخ . وهم في هذا العصر الحديث قد تنبهوا من غفلتهم وبدأوا يسعون بجد في استعادة مجدهم العربي الاسلامي ولاشك أنهم سيفوزون في النهاية وسيتغلبون على اعداء العروبة والاسلام في الداخل والخارج . وان جندنا هم الغالبون . وقد ذكرت هذه التوطئة لأن التاريخ

الحضرمي في كثير من أدواره وعهوده مندمج في التاريخ العربي العام ، وسنتكلم عن أدوار التاريخ الحضرمي المشار اليه سواء المستقلة لنفسها ، والمندمجة مع التاريخ العام العربي والاسلامي .

فالعرب من حين عرفوا ووجدوا في بلادهم ينقسمون الى ثلاثة أقسام نذكرها باختصار :

العرب البائدة .

العرب العاربة او القحطانية .

العرب المستعربة او العدنانية .

العرب البائـــدة

أما العرب البائدة فهم اقدم قبائل العرب ، ولا يقل قدم الاولى منهم عن أربعة آلاف سنة . وقد بادت تلك القبائل بعدما كان لها شيء من الملك والحضارة بقيت آثاره وهي كما يلي :

القبيلة او الشعب	اشهر مواطنها	تاريخ ظهورها بالتقريب
العمالقة	الحجاز ومصر والعراق	٢٥٠٠ ق. م [١]
عــــاد	الاحقاف بين عمان وحضرموت	٢٠٠٠ ق . م وسيأتي الكلام عنها
ثمود	جنوب الجزيرة وشمالي الحجاز	١٥٠٠ ق. م
طسم جُديس	اليمامة بنجد	٣٠٠ بعد الميلاد
مدين	العقبة بالاردن	١٥٠٠ قبل الميلاد

وعد بعض المؤرخين قبائل اخرى بادت منها أميم وجرهم وحضرموت .

---

(١) وقد لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ مصر ويسمون في الكتب الاجنبية الهكسوس والشابو او الرعاة ولهم في العراق دولة كبيرة منها : الدولة البابلية الاولى — انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان وتاريخ الامة العربية للمقدادي .

واذا صح هذا فلا شك أنهم يعنون حضرموت الاولى لا حضرموت الأخيرة التي سيأتي الكلام عنها وعن بعض رجالها وقد جاء الاسلام وليس للعرب البائدة نسل معروف .

العرب العاربة

هؤلاء هم القحطانيون أو« اليمنيون» نسبة لموطنهم في اليمن . ثم تفرقوا ولهم دول معروفة في اليمن كالمعينيين والسبأيين والحميريين وسيأتي الكلام عنهم فيما بعد . ولهم دول اخرى في مواطن من بلاد العرب غير اليمن اشهرها دولة الغساسنة في الشام وعاصمتهم بصرى ، ودولة اللخميين في العراق وعاصمتهم الحيرة .

وهنالك قبائل يمنية شهيرة نذكر منها : همدان ، والازد ، وحمير ، ومذحج ، وكندة ، وقضاعة [1] ، وطيء ، وحضرموت .

ولكل من الدول القحطانية ملوك لهم قسط من الحضارة كما هو مدون في كتب التاريخ إلا أن تلك الدول متعادية متباعدة ليس لها رابطة تربطها لا جامعة تجمعها وليس لها دين صحيح يرشدها الى طريق السعادة ، ولم تبلغ في حضارتها وتمدنها المبلغ الذي يرفع مستواها الى حياة اجتماعية عالية تؤمن مستقبلها وتحفظها من غوايل الفساد والانحلال والتدهور . جاء الاسلام وهي بحاجة الى ما أشرنا اليه فسد تلك الحاجة بما يحمله من مبادىء اجتماعية سامية وقيم روحية عالية فنظمها كلها تحت لوائه دولة اسلامية عربية شاملة خدمت العالم ووجهته الى ما فيه الخير والفلاح ، ونرجو أن يعيد التاريخ نفسه إذا صمم العرب والمسلمون على استعادة مجدهم ، وإن جندنا لهم الغالبون .

---

(١) على من يقول انها يمانية ، و منهم من عدها عدنانية .

العرب المستعربة

أما العرب المستعربة فهم نسل اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ويقال لهم العدنانيون وهم قبائل كثيرة معروفة فمنهم تميم وغطفان وكنانة ومنها قريش . ومنهم بنو هاشم اسرة الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن قبائل عدنان ربيعة ومنها تغلب وبكر ومنها بنو شيبان . وأنساب العرب شعوباً وقبائل مدونة مفصلة في كتب الأنساب المختصة [1] . والعرب من الأمم التي تعتني بحفظ أنسابها وتعتز بأحسابها وتقتفي آثار أجدادها في الفضائل والمحاسن والمناقب والتقاليد والعادات كما يشهد بذلك واقعها وتاريخها .

الشعوب العربية وبلادها في العهد الحاضر

سيتضح لك من الجدول البياني التالي والخريطة التي تليه عدد اخوانك العرب وبلادهم وشعوبهم وأنهم يمثلون بمجموعهم قوة عالمية هائلة في جميع نواحي الحياة، وأنهم كانوا في أيام عزهم السابق شعباً واحداً وبلاداً واحدة فجاء الاستعمار وشتت شملهم واستولى عليهم واستعان على ذلك بعملائه من ابناء جلدتهم الذين خانوا دينهم ووطنهم وأمتهم . ولكنهم كافحوا وجاهدوا في سبيل الاستقلال وبذلوا دماءهم وأرواحهم حتى ناله اكثرهم والبقية يسعون اليه هم واخوانهم بخطى واسعة سريعة ووثبات بعيدة بما فيهم أهل حضرموت التي نحن بصدد تاريخها .

والشعوب العربيـــة اليوم تعي وتدرك كل شيء يراد لهـــا وتنتظر اليوم الذي تتحد فيه وتكون دولة كبيرة واحدة مؤلفة من ولايات متحدة كالولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفييتي ويرى كل فرد واعٍ

---

(١) انظر جمهرة العرب لابن دريد والعقد الفريد لابن عبد ربه .

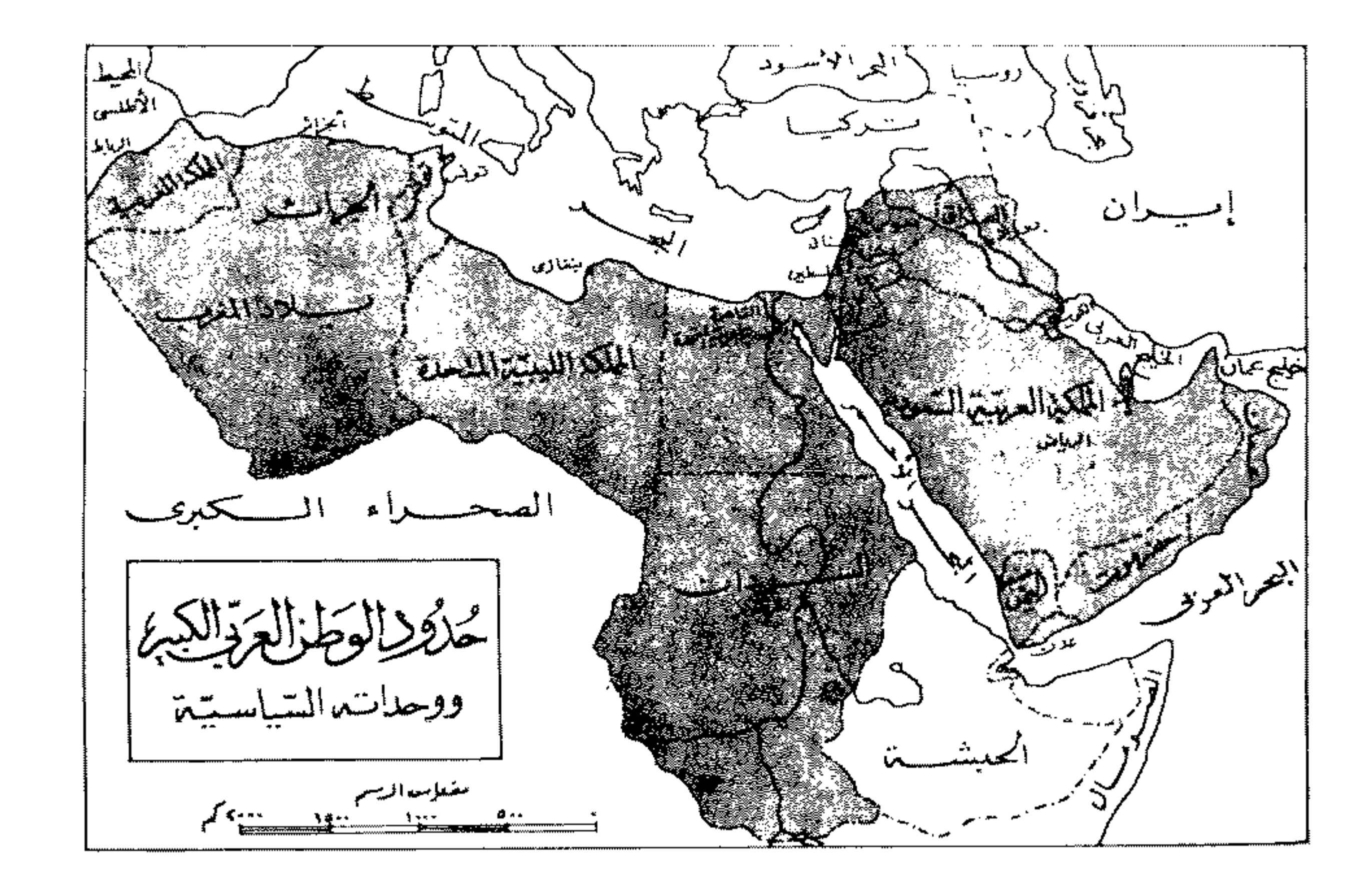
من ابناء العرب أعظم عهد له في ان تتحقق تلك الأمنية . واذا كانت تقف في طريقها بعض العقبات والصعوبات من الداخل او الخارج فمن المحقق أن العرب سيزيحونها في النهاية . ولعل مما يهيء لهم ذلك وجود الجامعة العربية التي يرجو لها كل عربي اداء رسالتها بصورة اقوى واسمى مما هي عليه الآن .

اسم البلاد	تقدير عدد السكان	تاريخ الاستقلال التام
الجمهورية العربية المتحدة	٢٣٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٢ بثورة الجيش ضد فاروق وبريطانيا
الجمهورية العراقية	٥٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٨ بثورة الجيش ضد الملكية وبريطانيا
الجمهورية السورية	٥٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٤٦ بطرد فرنسا
الجمهورية اللبنانية	١٥٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٤٦ بطرد فرنسا
المملكة الأردنية الهاشمية	١٢٥٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٦ بطرد غلوب باشا
المملكة اليمنية	٥٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩١٧ بسقوط الدولة العثمانية
المملكة السعودية	٧٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٣٢ أسسها عبد العزيز آل سعود
المملكة المغربية	١٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٦ بطرد فرنسا
الجمهورية التونسية	٤٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٧ بطرد فرنسا
الجمهورية السودانية	١٠٠٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥٥ بطرد الانجليز
المملكة الليبية	١٥٠٠٠٠٠ نسمة	عام ١٩٥١ بطرد ايطاليا وبريطانيا
دولة الكويت	٢٥٠٠٠٠ نسمة	عام١٩٦١باعلان الاستقلال
المجموع	٧٣٥٠٠٠٠٠ نسمة	

البلاد التي في طريقها الى الاستقلال

الجزائر[1]	١٠٠٠٠٠٠٠ نسمة
إمارات الخليج العربي	٥٠٠٠٠٠ نسمة
سلطنات الجنوب	
العربي وعدن	١٠٠٠٠٠٠ نسمة
فلسطين المحتلة	١٥٠٠٠٠٠ نسمة
مجموع الكل	٨٦٥٠٠٠٠٠ نسمة

(١) نالت استقلالها عام ١٩٥٨ بطرد فرنسا أثناء تأليف هذا الكتاب.



حدود الوطن العربي الكبير
ووحداته السياسية
الصحراء الكبرى
البحر الأسود
روسيا
تركيا
إيران
الحبشة
البحر العربي
خليج عمان
المملكة العربية السعودية
الرياض
المملكة الليبية المتحدة
بلاد المغرب
الجزائر
بنغازي
عدن
المحيط الأطلسي
الرباط
مقياس الرسم
٠
٥٠٠
١٠٠٠
١٥٠٠
٢٠٠٠ كم

[illegible]

روسيا

البحر الأسود

المحيط

الـدّورُ الحضريّ الأولـ
دورُ حَضـرَموت القَـديمَـة

الدّورُ الحضرميّ الأول
دَورُ حضرَموت القديمَة

كانت حضرموت في الازمان السحيقة التي تسبق التاريخ ارضاً بكراً غير مأهولة ، كالكثير من قطاعات الكرة الأرضية إذ ذاك ويحتمل أن يكون[1] قد عرفها الانسان القديم كما عرفها بعده جيل متمدن من البشر .

ومن المعلوم أن لحضرموت كغيرها من البلاد دولاً قديمة جداً منذ آلاف السنين ، ولم يدون عنها إلا التاريخ المجمل لا التاريخ المفصل المسلسل بايامه المحددة ورجاله وجميع دقايقه شأن التواريخ المدونة الموجودة بين أيدينا فيما بعد تدوين التاريخ في العصور الاسلامية عن الدول العربية والاسلامية .

ومع ذلك فإن ما قلنا عنه انه تاريخ مجمل عن دول حضرموت السابقة على الاسلام لموضع اضطراب وخلافات بين المؤرخين ،خصوصاً المستشرقين . الذين كتبوا عن دول حضرموت ومشيخاتها من امارات اليمن ومخاليفها ، حتى بلغ بهم الأمر الى تقديم دولة باكملها على دولة كالدولة المعينية وهي الشهيرة بأنها أقدم دولة بعد عاد في اليمن . فبعضهم يؤخرها عن دولة سبأ ويقدم سبأ عليها . وحتى عاد نفسها فقد بلغ ببعضهم التسرع والجرأة الى حد إنكارها[2] فضلاً عن تأخير زمانها وهم بصدد ذلك نظريات بعيدة شاذة . والغريب أن بعض من كتب عن تاريخ حضرموت نقلاً عنهم يقلدهم تقليداً أعمى

---

(١) المراد بالانسان القديم الانسان الفطري الذي لم يأخذ بأسباب الحضارة فيما بعد التاريخ

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي

الى درجة تحريف كثير من اسماء بلادنا ورجالنا وتذكير المؤنث وتأنيث المذكر .

ويجد القارىء عن هذه الدول خلافات ايضاً في اسماء رجالها وملوكها ومواقعها وحروبها وازمانها مما لا يكاد يجمع على تفصيله في شيء . وهذا هو المعتاد غالباً في مثل هذه الأحوال ، فكلما بعد العهد عن شيء كلما أهمل ونسي وكلما قرب العهد به كلما بقي في الذهن وامكن ضبطه وتقييده ، ولكن علم الآثار قد يدلنا في المستقبل على كثير من المعلومات التي نحن متلهفون على الاطلاع عليها ، خصوصاً عما يتعلق بالنواحي الاجتماعية على اختلافها وسير الرجال الذين برزوا في خدمة المجتمع اقتصادياً او ثقافياً او عسكرياً او خلقياً أو دينياً ليكونوا قدوة لمن بعدهم ، فتعداد الملوك والسلاطين والامراء وقوائم اسمائهم مثلاً لاتهمنا بقدر ما تهمنا التفصيلات الكافية عن أعمالهم الشعبية وتضحياتهم الاجتماعية ومن هو بخلاف ذلك،والى أي حد يستغل المستغل منهم سلطته ومن هو الذي يقيم عرشه ويعنى براحته على حساب شعبه؟ فالميزان عندنا هو بقدر الشعبية ، والعدالة الاجتماعية وحسن السلوك ليستطيع التاريخ أن يحاسب كلاً بما يستحق ويسجل له ما كسبت يداه وهذا هو غايتنا من تأليف هذا الكتاب .

من أجل السبب المتقدم وهو الاضطراب في تاريخ حضرموت القديم اكتفينا بما يمكن ان يطمئن اليه البال مما يعطينا ولو صورة عامة عن النواحي الهامة من تاريخ حضرموت القديم وما يتصل به .

اما فيما بعد تلك العهود القديمة ، قد لا نجد في بعض مراحل التاريخ الحضرمي بعدها ما يشفي فنقنع في الاجمال الذي لا نحبه أو يصاحبه غموض لا نجد ما يكشفه لنا كما في المرحلة التي بين القرنين الثالث والسادس الهجريين [١] ، وقد تبرز لنا اسماء مشيخات أو قبائل او أشخاص لا نعرف عنها الا النزر

---

(١) ومع ذلك فقد استطعنا ان نربطها ونصل حوادثها ورجالها بما قبل وبما بعد .

اليسير من الخير والشر ، وقد يكون حظها في واقع التاريخ اكمل او اقل مما ذكرت به . اننا على أي حال سنراعي دائماً مبدأنا التاريخي الذي أشرنا اليه هنا وفي خطبة الكتاب ، وسنقرب الى الافهام من تاريخ حضرموت ما كان بعيداً عنها ان شاء الله حسب المستطاع .

عـــاد

من ٢٠٠٠ سنة ق . م الى ١٠٠٠ سنة تقريباً ١

لم يذكر المؤرخون شعباً سكن حضرموت قبل عادٍ فشعب عاد هو أول من سكنها بعد الطوفان وهو شعب سامي يعده المؤرخون من العرب البائدة التي تتكون منها الطبقة الأولى من العرب ، ومما لا شك فيه أن له مدنيته وحصونه وقلاعه ومبانيه العظيمة ومزارعه الواسعة وعيون مائه وأنعامه . وأبناء عاد قوم أقوياء البنية عمالقة الأجساد شديدو البطش كما أشار الى ذلك القرآن الكريم ، وكانوا يسكنون الاحقاف ما بين اليمن وعمان وكانوا قبائل متعددة وقد أرسل الله اليهم أخاهم هوداً ليرشدهم الى طريق الهدى ولكنهم أبوا وتمادوا في عبادة الأصنام والظلم والانحلال الخلقي حتى روى بعض المؤرخين انهم أول من اتخذ النساء للاغراء بواسطة الغناء . وأخيراً كان عاقبة أمر العصاة والمنحلين منهم — وهم الأكثر — الهلاك . وسلم الذين اتبعوا تعليمات هود ونصائحه وارشاداته وهم عاد الثانية كما يقول بعض المؤرخين بمعنى انهم الطبقة الثانية من الشعب العادي والتي جرت بينها وبين ثمود حروب من ناحية وبينها وبين يعرب بن قحطان حروب اخرى ، ونسبها بعضهم الى قحطان .

وليس لعمر شعب عاد مدة معلومة بالضبط ولكن بعضهم يقدرها بألف سنة وبعضهم بنحو الفي سنة [1] ويقال سبعمائة سنة .

---

(١) هذا بمراعاة بعض الأقوال كما سيأتي وتقريبي كما قلنا .

قبر هود

وقد مات هود بحضرموت فيما يروي كثير من المؤرخين وخاصة من كتب عن حضرموت ، وأصبح وجود القبر متواتراً بمحله المعروف [1] . وكانت تقام سوق سنوية في الجاهلية في شعبان [2] في المنطقة التي بها قبره بشرق حضرموت قرب بير برهوت الشهيرة ، وهي كما وصفها بعض المستشرقين كهف [3] عظيم عميق مظلم ذو تعاريج وتقاطيع يبلغ طوله ١٢٠ قدماً وعرضه اربعمائة وخمسون ٤٥٠ قدماً وعمقه ٦٠٠ قدم .

وفيما بعد الاسلام يتردد الحضارمة الى الموضع الذي اشتهر بوجود قبر نبي الله هود فيه وأصبح متواتراً وجوده به كلما عن لهم ذلك لزيارته . ثم تأسست لهود زيارة عامة في القرن التاسع الهجري في شهر شعبان كل سنة وأصبحت موسماً من المواسم العامة بحضرموت ، وتحدد موضع القبر هنالك وبنيت مدينة حواليه في سفح الجبل الذي فيه القبر ولكنها لا تسكن سوى عدة أيام في السنة وهي أيام الزيارة [4] أما بقية العام فتبقى بيوتها الكثيرة خاوية

---

(١) يقول بعض آخر من المؤرخين انه قبر ببيت المقدس تبعاً لما اثر ان قبور الأنبياء به ، ولكن هذا التعميم منقوض بوجود قبور أنبياء في اماكن اخرى كثيرة. ان هنالك حججاً قوية ، ومنها التواتر والاستصحاب تعضد وجوده بحضرموت ويعد أثراً من آثارها .

(٢) انظر صفة جزيرة العرب للهمداني

(٣) وأول من دخلها من كتاب الحضارم فيما بلغنا السيد العلامة محمد بن عقيل بن يحيى ولم نظفر حال تدوين هذا لما كتبه عنها في مجلة المقتطف ولكن لخصه صاحب كتاب تاريخ الشعراء الحضرميين في حاشيته عليه ص ٤٨ ج ١ بقوله : بير برهوت مغارة واسعة في ثلث الجبل بها صخور غير ثابتة وفيها مشاقذ أدى بعضها الى متسع به حفر كثيرة ممتلئة رماد كبريت بمسافة خمسين خطوة الى جهة الغرب في تعاريج وزحف على البطن في بعضها سطعت رائحة الكبريت ولأسباب خاصة لم يتقدم سوى ١٥٠ خطوة على الرماد الناعم الكبريتي ولم تزل المغارة متسعة أمامه الى حيث لا يعلم على انه شاهد سقف المغارة المسود يترشح بالمومياء الجبلية السوداء .

(٤) تعقد في يومين من أيام الزيارة مجالس عامة حوالي القبر في القبة وضاحيتها وتحتها في المحل المسمى بالناقة تشتمل على دعوات وتسليمات ومواعظ وقراءة قرآن في الصباح وفي الليل كما =

خالية فهي تشبه مدينة منى بالحجاز من هذه الناحية .

ومما تمتاز به هذه الزيارة عدم الاختلاط الناشيء بين الجنسين مما يقع في كثير من الزيارات العامة بحضرموت وغيرها من البلاد الاسلامية بل تتألف زيارة هود من جموع الرجال الغفيرة المعتنقة مذهب الامام الشافعي .

الحالة الاجتماعية في عهد عاد

غاية ما يمكن أن يقال الآن عن حالة عاد الاجتماعية بمقتضى المعلومات القليلة التي وصلتنا عنهم انها حالة قوة ومنعة ونعمة وزراعة وغنى وبذخ وعناية بالفن المعماري اذذاك، وبيوتهم بيوت حجرية ولهم أصنام يعبدونها . بل زاد بعض المؤرخين ان عاداً أمة ذات مدنية عظيمة امتد ملكها الى بابل وأشور والى مصر والهند ومبدأ ذلك قبل الميلاد بأكثر من اثنين وعشرين قرناً [١] . ولعلهم بالقياس الى حضارات الرومان واليونان اقل مستوى في كثير من أمورهم فلم تعرف لهم كتب ولا تواريخ ولا طب ولا غير ذلك من مقومات المدنية الرومانية واليونانية .

وحين طغت عاد وانحلت أخلاقها ولم تستمع الى نصيحة نبي الله هود وأتباعه كان عاقبة أمرهم الهلاك ، وأما ما يذكر عن شداد بن عاد وكثرة نسائه اللائي تجاوزن الألف وبنيه الذين قدروا بالآلاف وعن أوصاف مدينة إرم ذات العماد التي يقال إنه بناها [٢] وعن طول قامات العاديين مما أطال فيه

تعقد بعد الظهر وبعد الشروق هذه المجالس، ويصدرها جميعاً شيوخ بعض الاسر العلوية وتقام افراح ومهرجانات شعبية لأهل كل مدينة او قرية عند دخولهم شعب هود وعند عودتهم الى أوطانهم وفي أثناء الطريق ويلاحظ أن هذه الأفراح قلت في هذا العصر الحديث .

(١) انظر دائرة المعارف للبستاني .

(٢) وبفرض وجودها فقد اختلفوا في مكانها والاشهر انها في اليمن، وقد بالغوا في تصورها من ذهب وفضة وحيطانها مفصصة بالحجارة الكريمة من در وياقوت وغيرهما وترابها من المسك واجرى فيها الأنهار وخط فيها الطرق وغرس فيها أشجاراً من الذهب وأثمارها من اليواقيت والجواهر وزينها بأحسن أنواع الزينة وجعلها اجمل وأفخم شيء وجد في الدنيا تشبيهاً لها بالجنة الى آخر ما قالوه عنها مما يصعب معه التصديق وممن انكره ابن خلدون .

بعض المفسرين والمؤرخين فليس له الى الآن أصل يمكن ان يعتمد عليه ، وربما يكشف لنا المستقبل بواسطة تقدم علم الحفريات أو محققي المؤرخين الاختصاصيين عن معلومات واسعة يعتمد عليها في تاريخ عاد .

القحطانيّون

ولماذا سميت بلاد حضرموت حضرموت ؟

القحطانيون مدتهم ما بين ١٠ و ١٨ قرناً تقريباً ق . م وهم أول من ملك حضرموت بعد عاد ، وينتسب القحطانيون الى قحطان التي تنتسب اليه العرب القحطانية ، ويذكر المؤرخون نسبة قحطان فيقولون : هو قحطان ابن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح ، واحد أبنائه يسمى حضرموت ولهذا سميت البلاد باسمه.وضبطها بسكون الضاد وفتح الميم ويجوز ضمها، او باسم حضرموت الأدنى ابن حمير الأصغر بن سبأ الأصغر الى آخر النسب المنتهي الى قحطان ، اوباسم القبيلة المنتسبة اليه لنزوله هو ونسله فيها كما تسمى كثير من الأقاليم والبلاد باسم النازل بها من فرد أو قبيلة أو شعب. وقد ذكرت في التوراة بما يتضمن هذا الاسم وهو هادراموت . وذكروا في سبب تسمية حضرموت الأول بحضرموت انه اذا حضر موقعة كثر فيها الموت أي القتل في أعدائه لشجاعته وعد غير هذا من اسباب تسميتها [١] .

ولقحطان بنون آخرون منهم يعرب بن قحطان الشهير في التاريخ والذي ولى اخاه حضرموت على حضرموت المسماة باسمه او باسم من هو ادنى منه وهو حضرموت المعز والي قبيلة سبأ .

وللقحطانيين ملوك قدماء مشهورون في التاريخ [٢] وأسماؤهم عربية

---

(١) أنظر الشامل في تاريخ حضرموت للحداد ويقول فيه انه يجوز ان يكون اسماً مهرياً كديموت وميحوت ومن أسمائها القديمة عبدل بزيادة اللام في عبد .

(٢) أنظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي .

الا انها عرفة قليلاً في لهجتها لأن اول من نطق بالعربية هو يعرب بن قحطان الأخ الأكبر لحضرموت .

ومن المعلوم ان الحضرميين كاخوانهم اليمانيين والسمائيين كانوا منذ ذاك يتكلمون بالعربية على العموم وفي الجملة .

وللعربية لهجات مختلفة باختلاف قبائلها وأماكنها سميت فيما بعد بلغات كما هو الحال اليوم في اللغة العربية الدارجة ، وقد هذبت فيما بعد بفضل الأسواق العامة التي كانت تقام في بلاد العرب ، وبالاختلاط بين اليمانيين اي القحطانيين والعدنانيين ، وبفضل الاسلام والقرآن الكريم فيما بعد .

واستمر ملك القحطانيين بحضرموت قروناً عديدة تبتدي قبل ميلاد عيسى بأكثر من الف سنة . وبعضهم يذكر أن دولتهم قبل الميلاد بثمانية عشر قرناً ، كما أن دولة عاد قبل الميلاد بأكثر من اثنين وعشرين قرناً [١] . وأغلبهم يتفقون على أن دولة القحطانيين تلي دولة عاد ويختلفون في عدد ملوك القحطانيين وترتيبهم وأسَرِهُمْ ومدة بقاء كل منهم على العرش . وسجل بعض المستشرقين قائمة بأسمائهم ، وعد ما يقرب من عشرين ملكاً منهم المستقل بتاج حضرموت وحدها أو مع غيرها من جاراتها ، ومنهم من هو تحت التاج المعيني او السبأي ، لأن هذه الدول الثلاث تبادلت ملك حضرموت حتى انقرضت . وآخرها الدولة السبأية وتلتها الدولة الحميرية ثم الدولة الكندية التي ظلت الى ما بعد ظهور الأسلام . وسجل المؤرخون العرب أيضاً عدداً من ملوكهم [٢] وبين التسجيلين اختلاف ظاهر كما أن كلاً من الفريقين مختلف أيضاً فيما بينه ، ومن حكام حضرموت القدماء — كحكام اليمن — نوع يقال لهم المكربون أي المقربون الى الأصنام .

---

(١) يمكن الجمع بينهم بأن البعض يقصد الظهور وبعضهم يقصد النشوء في دولة دون اخرى فان تعارضتا فالأماكن مختلفة او مع ضعف واحدة وقوة اخرى وهكذا يقال في مثل هذا .

(٢) انظر كلام البستاني في دائرة المعارف .

ولعل من مبالغة بعض المؤرخين العرب ما ذكره عنهم من الفتوحات العظيمة التي دوخت بعض الأمم الشرقية والغربية كما سيأتي .

حضرموت في عهود الاقيال والمعينين والسبأيين

كانت حضرموت كبقية مخاليف اليمن حين نزلتها القبائل العربية القحطانية مقسّمة بينهم وأصبح كل فريق منهم يقيم في منطقة تحت سلطته تسمى اذ ذاك مخلافاً وبلغت عدة المخاليف في اليمن وحضرموت أكثر من ثمانين مخلافاً ويسمى رئيس المخلاف قيلا ويسمى أحياناً أميراً أو عبهلا بالباء الموحدة [1] . قال نشوان الحميري [2] في حاشيته :

وعباهل من حضرموت من بني　　　اجماد والاسباء وآل صباح

المحافــد

ويقسم المخلاف الواحد الى عدة مقاطعات تسمى الواحدة محفداً كما يقسم اللواء اليوم مثلاً الى عدة مناطق أو مديريات، ويشتمل هذا المحفد على قصور وأبنية ومزارع وغيرها من الأراضي التابعة له ، وعلى المحفد شيخ يقال له ذو بمعنى صاحب ويجمع على اذواء ، كما يقال ذو ريدان وذو رعين . وكثيراً ما نسمع هذا اللقب في ملوك اليمن وحضرموت كما نسمع اليوم بدلاً من ذو بكلمة مولى مضافة الى الأرض أو البلاد التي تضاف الى صاحبها كما يقال مولى مطر ومولى عينيد .

واستمر نظام الأذواء عبر التاريخ حتى بدأ يتلاشى أيام الدولة الأموية

---

(١) سيأتي تفسيره ايضاً في ترجمة وائل بن حجر .

(٢) ستأتي تسليقة عنه في موضوع العهد الراشدي .

الى ان اضمحل . وممن اشتهر من ملوك اليمن او أذوائه الملوك المثامنة وقد نظمهم نشوان في حائيته بقوله :

اين المثامنـــة الملوك بملكهم	ذلوا لصرف الدهر بعد جماح
ذو ثعلبان وذو خليل ثم ذو	شجر وذو جـــدن وذو صرواح
او ذو مغار بعد او ذو جرفز	ولقد محـــا ذا هشكلان صاحي

قال شارحها [1] لا يصح الملك لملك من ملوك حمير حتى يقيمه هؤلاء فان اجتمعوا على عزله عزلوه . ومعنى هذا ان اليمن قد عرفت نظام الأباطرة [2] في ذلك العهد وفيهم أنشد علقمة ذوجدن :

كانت لحمير أملاك ثمانية	كانوا ملوكاً وكانوا خير اقوال [3]

أما نشوء هذه التجزئة فهو بدافع العصبية القبلية في السكان ، وللوعورة . وكثرة الجبال الشاهقة والشعاب الواسعة في البلاد ولكنّهم رغم ذلك تكاثروا وتحضروا وانتشروا . وكل من هذه الدول والامارات قد تتسع وقـــد تنكمش وقد تندمج الامارة في غيرها وقد تتعاصر عدة دول كل في ناحية فتتغلب القوية على الضعيفة .

ولهذا نرى في سلسلة ملوك حضرموت من هو نفسه ملك معين . وفي دور الدولة السبأية نرى أيضاً من ملوك سبأ من هم ملوك حضرموت أحياناً من القحطانيين الذين أشرنا اليهم ، وكذلك بالنسبة لملوك حمير كما سيأتي ، ومعنى هذا ان حضرموت في تلك العهود قد تستقل بنفسها وقد تندمج أحياناً في أقوى هذه الدول كما أشرنا الى ذلك . ومرجع جميع هذه الأسر المالكة الى قحطان الأول كما هو معلوم .

---

(١) هو عبيد بن شرية .

(٢) جمع امبراطور .

(٣) كذا في أصل شرح حائية نشوان ولعلها اقيال لانها المستعملة اكثر ومفردها قيل .

الدولة المعينية من سنة ١٥٠٠ الى سنة ٨٥٠ ق.م تقريباً

بهذه الصورة في بادىء الأمر كانت اليمن بما فيها حضرموت مجزأة بين أقيالها وأذوائها وكل منهم مستقل بملكه الى أن ظهر بينهم قيل طموح قوي تغلب على زملائه وجيرانه ، وألف من مخاليفهم الكثيرة أول دولة يمنية كبرى هي الدولة المعينية [١] نسبة الى عاصمتها معين بالجوف [٢] . وكان تأسيسها في حدود القرن الخامس عشر قبل الميلاد [٣] ، واكثر ما اشتهرت به التجارة وقد امتدت سلطتها الى خارج اليمن في الحجاز وما حواليه .

الدولة السبأية من سنة ٨٥٠ الى سنة ١١٥ ق.م تقريباً

ظهرت هذه الدولة في سبأ وعاصمتها مأرب ، وذلك في القرن التاسع قبل الميلاد ، وتغلبت على الدولة المعينية . وهي دولة شهيرة في التاريخ ذات مدنية وحضارة ، واشتهرت ببناء السدود وانعاش التجارة داخل البلاد وخارجها .

وهي التي بنت سد مأرب الشهير ، ولما ضعفت هذه الدولة أهملت السد فانهدم كعادة كل دولة تهمل واجباتها ، وتقصر في حقوق شعبها وبلادها . ونتج عن ذلك خراب المزارع وزيادة هجرة السكان وتفرقهم ايدي سبأ كما ضرب بهم المثل العربي في التشتت والتفرقة فيقال : تفرقوا ايدي سبأ .

وقد أشار القرآن الكريم الى سبأ في سورة سبأ وما جرى لملكتها مع سليمان الى آخر مـــا هناك مما يخرج عن الموضوع وانمـــا ذكرنا هاتين الدولتين بمناسبة جلوس كثيرين من ملوكهما على عرش حضرموت في أيام قوتهما .

---

(١) انظر تاريخ الأمة العربية .

(٢) منطقة بين نجران و حضرموت .

(٣) ينسبهم بعض المؤرخين الى عمالقة العراق و يجعلهم بهذا أقدم عهداً مما ذكرنا ، انظر كتاب العرب قبل الاسلام لزيدان .

وقد عاشت الدولة السبأية الى عام ١١٥ قبل الميلاد حين قامت مقامها الدولة الحميرية كما سيأتي بعد .

بعض المشهورين من ملوك القحطانيين وآثارهم

من أشهر ملوكهم صديق ايل و « إيل » بمعنى الله ولعله مأخوذ من العبرية كجبرائيل ، وبعض ملوك حضرموت تختم أسماؤهم بهذه الكلمة كشراح ايل ، وحي ايل ، ويدع ايل الذي بنى مدينة شبوة وحصنها وجعلها من أزهر واعمر المدن في ذلك العهد[١] .

وصديق ايل ذكره اكثر الكتاب العصريين عن حضرموت وقد حكم قبل الألف السابقة للميلاد وهو ملك معين أيضاً ، وكذلك اليفع ديام تولاهما ولا يعرف هل هو معيني أم حضرمي .

ومهما يكن فهو عربي وهذا هو المهم .

ومنهم شهرعلن بن صديق إيل وابن أخيه معدي كرب بن اليفع تُبّع وملك معين ابن صديق إيل .

بعد معدي كرب هذا اندمجت حضرموت اندماجاً كلياً في مملكة معين مدة من الزمن يقدرها بعضهم بثلاثة قرون تقريباً تنتهي بعام ٦٥٠ ق . م

وهذه الأسرة صاحبة عرش البلدين في ذلك العهد ولها آثار في كليهما .

وهناك ملك حضرمي سجله بعضهم أيضاً وجعله الملك الأول بعد هذه الفترة واسمه السمع ذبيان بن ملك كرب وملك آخر اسمه يدع ال بين بن سمه يفع . وبعده اندمجت مملكة حضرموت في احدى جاراتها وبالتالي أصبحت جزءاً من مملكة سبأ بما يزيد على قرن من السنين ثم استقلت بها اسرة حضرمية مالكة[٢] . وهناك من يقول غير ذلك ويهمنا من هذا أن نعرف

---

(١) وذكر مرة اخرى كملك لسبأ ولعله تولاها .

(٢) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي .

أن بعض ملوك حضرموت هم ملوك معين ومرة اخرى هم ملوك سبأ . ولها ملوك آخرون مختصون بها . والى الآن لم يتم البحث العلمي على تاريخ جاهز منتظم لحضرموت في تلك العهود الغابرة رغم محاولة بعض المستشرقين شيئاً من ذلك .

وممن أشار اليه التاريخ من ملوك حضرموت يدع اب غيلان حليف ملك همدان والعذيلط الأول ابن عم ذخر ، والعذيلط الثاني بن الهان بن العذيلط الأول فهو حفيد الأول .

وقد جرت بين العذيلط الأول وبين علهان نهفان ملك الهمدانيين [١] حرب عظيمة حشد فيها الملك الحضرمي جيشاً مؤلفاً من الجند المرتزقة والقبائل ضد خصومه ، والتقوا بذات غراب [٢] ولكن النصر كان حليف الهمدانيين . وقد كان هذا الملك الهمداني نفسه عقد حلفاً مع ملك حضرموت السابق يدع اب غيلان سلف العذيلط ضد جيرانه من الحميريين وغيرهم فانتصر عليهم بفضل هذا الحلف ولكنه بعد ذلك حارب الحضرميين كما ذكرنا فما عدا مما بدا [٣] .

حالة الجنوب السياسية في ذلك العهد

وكثيراً ما كانت الحالة في ذلك العهد الغابر والى أن جاء الاسلام بين ملوك وقبائل الجنوب العربي من حضرميين وقتبانيين وحميريين وريدانيين وسبائيين انهم لا ينفكون عن الحروب والمناوشات والغارات والاحلاف فيما بين بعضهم ضد البعض الآخر ولا تكاد تستقر الأحوال فيما بين حدودهم استقراراً كاملاً . وقد تندمج احدى هذه الممالك في الأخرى الى حين ثم

---

(١) سمي مرة اخرى كملك السبأ أيضاً ولعله تولاها .

(٢) موضع معروف الى جانب ساحلي قريب من عدن وقد صوره في كتاب العرب قبل الاسلام

(٣) هذا مثل يضرب لعدم الوفاء ولمن يتنكر للجميل والمعروف . قال الشاعر :

مشحوه بالوادي السلام واعرضوا　　　بالجزع عنه فما عدا مما بدا

تنهض مرة أخرى — وتستعيد استقلالها كما هو الشأن في اكثر أطوار تاريخ الجنوب العربي حيث لم تزل تلعب به عوامل التحزبة والتفرقة والنعرات التي ليست في صالحه والتي أوقفت من تقدمه وقوته فالاتحاد قوة والتفرقة ضعف، وبالتالي وفي هذا العصر أصبحت في صالح الأجنبي الذي يغذيها طبقاً لهذا المثل : فرق تسد ، ولا يرضى باتحاد ليست له فيه ناقة ولا جمل .

الحالة الاجتماعية ايام القحطانيين

بلغت حضرموت مبلغاً كبيراً — أيام القحطانيين الذين أشرنا إليهم — في التقدم العمراني والعسكري والاقتصادي، وكانت تصدر العطور والبخور ولهذا يسميها بعض المؤرخين أرض اللبان [1] . وكانت قوافلها تحمل اللبان وغيره من أنواع الطيب والبهارات الى بلاد الشمال حيث لها سوق رابحة هناك وتعود محملة بالذهب والفضة والأطعمة الفاخرة .

وترد اليها أصناف البضائع من الهند والصين في طريقها الى البلاد العربية الأخرى واليونان وبعض شواطىء البحر الأبيض المتوسط فهي عامرة بالتجارة القوية وسوقها مزدهر يصل المناطق الشرقية بالغربية المجاورة لها .

كيف تسير قوافلها براً وبحراً

كان في البلاد العربية طريقان للتجارة بين الشام والمحيط الهندي وكلاهما يبدأ من حضرموت : أحدهما يتجه شمالاً الى البحرين على الخليج الفارسي ثم الى صور ، والثاني يتجه الى الجنوب العربي محاذياً البحر الأحمر متجنباً

---

(١) انظر خريطة الطرق الآتية فيما بعد والبان يحرق في معابد الأصنام بها وبغيرها حيث يشترى بكثرة .

صحراء نجد وهجيرها وهضاب الشاطىء ووعورتها وعلى هذا الطريق مكة [1].

ومن أشهر صناعاتهم تركيب العطورات وصياغة الحلي وصناعة الأدوات المنزلية كما انهم قد برزوا في النسيج وحياكة الأقمشة والملابس والفرش. والى جانب ذلك فهم مهتمون بالزراعة وبناء السدود وغراسة الأشجار المثمرة ومنها أشجار اللبان حيث ينبت في الجنوب العربي بكثرة فيربحون منـــه.

ويستعملون الكتابة بالحرف المسند الشهير الذي يقال انه يتألف من ٢٩ حرفاً تكتب غالباً من اليمين الى الشمال، ولهم نقود خاصة يستعملونها مكتوب على بعضها أسماء بعض ملوكهم.

أما دياناتهم فهي عبادة الأصنام، ومما اشتهر منها أو لعله أشهرها الصنم (سين) معبودهم اذذاك. وقد وضعوه في معبد يقال معبد (سين ذو مذاب) تمييزاً له من غيره من الأصنام والتماثيل الأخرى [2]. ومذاب اسم مدينة عظيمة خربت وعلى أنقاضها أو قريب منها تقع مدينة حريضة المعروفة اليوم، ومع ذلك ففيهم ومن ملوكهم وحكامهم من يؤمن بخالق السموات والأرض [3].

ومن أهم مدنهم العاصمة الأولى ميفعة ولعل في موضعها او قريباً منه ميفعة عاصمة السلطنة الواحدية اليوم. وكانت اذ ذاك وكما تدل الآثار ذات أسوار عالية وقصور ومعابد وهياكل ولا تزال أطلال نقب الهجر ما بين ميفعة وعزان بكتاباتها المسندية تنطق بذلك.

وهناك العاصمة الأخيرة شبوة وتدل الآثار على انها أعظم من العاصمة

---

(١) انظر كتاب العرب ج ١ لعمر ابي النصر.

(٢) مما يلاحظ ان بعض الصحف المحلية نشرت عن قول العامة (ياسين عليك) وقولها (يا حول يا حول) ان القصد بهما صنمان و الواقع انها تقصد سورة يس وتقصد تحن الحول عند المطر بأن يمطر ويخصب الزرع فيه.

(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام.

السابقة والعمران فيها أوسع ولها أسوار عالية وقصور شاهخة . ومقاطعتها تشتمل على سدود ومزارع ، وفيها الحصن الذي يدعى حصن أنود وله شأن في تاريخهم حيث تقام فيه مجتمعاتهم وحفلاتهم ، وحيث الحياة في تلك الناحية تدب اذ ذاك اكثر من النواحي الأخرى . وللحضرميين في ذلك العهد أسر معروفة بينهم بالوجاهة والنبل من أشهرها رشم ومن عشائرهم عشيرة شكيم ولكنا لا ندري كيف تستعمل تلك الاسر والعشائر وجاهتها ونفوذها كما لا ندري لبعد العهد، الى أي حد يبلغ عدل وديمقراطيـــة ملوكها وأمرائها ومكربيها .

وفي الناحية العسكرية تدل الآثار على أن لهم خبرة عظيمة بالقيادة والفروسية وبناء الحصون والاستحكامات ، وصنع الأسلحة من سيوف ودروع وغيرها .

ومن المعلوم أن مدنيتهم هذه تستدعي وجود لوازمها من تشريعات ومواقيت واحتفالات وغيرها ، وإذا نظرنا الى جيرانهم القتبانيين [1] ـــ والسبأيين وما ذكر عنهم من المدنية والنظم فالأقرب ان الحضرميين لا يقلون عنهم في هذه الناحية . ومن المحتمل أن يتوسع علم الحفريات ويعثر على كتابات وآثار تدل على تفصيلات اكثر مما عرف حتى الآن عن مدنية القحطانيين وجيرانهم من ممالك الجنوب العربي في تلك العهود وما ذلك ببعيد .

ويحدثنا بعض المؤرخين أن اليمن كلها بما فيها حضرموت كانت قبل خراب سد مأرب ممتلئة بالسكان متصلة العمران ومواصلاتهم سريعة لانتظام قراهم وتعاونهم على الاصلاح المدني ، وقد ولد لبعض ملوك سبأ ولد فوصلت التهاني به الى حضرموت من سبأ في ليلة واحدة بواسطة النيران التي تشتعل في القرى فتتراءى من واحدة لأخرى وتستفيد منها مثل هذا الخبر والمسافة اذ ذاك ما بين سبأ وحضرموت ثمانية أيام [2] .

---

(١) القتبانيون منسوبون الى قتبان وهي دولة معروفة في الجنوب العربي .

(٢) انظر النور السافر .

حضرموت في عهد الحميريين

نشأت دولتهم باليمن من سنة ١٦٥ ق . م الى سنة ٥٢٥ م تقريباً .

والحميريون بطن من سبأ ويسحب بعض المؤرخين اسم سبأ عليهم ايضاً . ولعل ذلك لأنهم من سلالاتهم وخلفائهم ويلقب ملكهم بتبع [1] كما يلقب ملك الفرس بكسرى وملك الروم قيصر . وقد قامت الدولة الحميرية باليمن على أنقاض الدولة السبأية في أوائل القرن الثاني قبل الميلاد حوالي سنة ١٦٥ ق.م. وعاصمتها ظفار اليمن الشهيرة لا ظفار مهرة . وبعض الكتب تسمي وتضع كلاً من الدولتين باسم وموضع الأخرى حيث تخلط بين أسماء ملوكهما . وعاشت الدولة الحميرية ما بين مد وجزر باليمن الى أواخر القرن الرابع اذ أخضعها الأحباش واستعمروها ثم خرجت من سلطتهم فترة عادوا بعدها فاستولوا سنة ٥٢٥ م عليها أيام الملك الحميري يوسف ذي‌نواس الذي ذكرته كتب السيرة النبوية وانه اعتنق الديانة اليهودية وأجبر الناس عليها واضطهد النصارى ومنهم نصارى نجران وحرقهم في الأخاديد [2] مما أثار البيزنطيين والأحباش الذين أشار عليهم الأولون بالاستيلاء على اليمن ومحاربة الملك ذي‌نواس ورموا بذلك عصفورين بحجر وهما : الاستيلاء على اليمن لتأمين حركتهم التجارية، ولصد هجوم الفرس عليها والانتقام للديانة المسيحية ونشرها ، ولما تغلبوا على جيشه ركب جواده وألقى بنفسه في البحر قائلاً : « الموت في البحر أحسن من الأسر » . ثم طرد الأحباش من اليمن البطل العربي الشهير سيف بن ذي‌يزن الحميري بمساعدة الدولة الفارسية التي استمر نفوذها في اليمن وحضرموت والعراق والبحرين الى ظهور الاسلام [3] .

---

(١) هكذا يطلقه أرباب التواريخ العامة اما بعض التواريخ المختصة بالجنوب فتقول لا يلقب ملك حمير بتبع الا اذا اتسعت رقعة ملكه فشملت حضرموت .

(٢) أنظر ما أشار اليه القرآن في سورة البروج وما قاله المفسرون حول ذلك .

(٣) انظر تاريخ الأمة العربية للبغدادي .

فهل استولى كل من هذه الدول الثلاث في هذه العهود الثلاثة على حضرموت هذا ما سنتكلم عنه فيما يلي : —

حضرموت في هذه العهود الثلاثة

أما الأحباش فقد حصل منهم هجوم على الشواطىء الجنوبية الشرقية لحضرموت (مهره) بعد سقوط الدولة السبأية ووجود الدولة الحميرية في القرن الأول قبل الميلاد وهدد الداخل الذي لم تصلنا معلومات عن امتداده اليه ولم يدم طويلاً . ومرة أخرى لم تخل حضرموت من نفوذهم لهجومهم العام على اليمن كلها واستيلائهم عليها في القرن الرابع الميلادي ولا يبعد أن يكونوا قد سيطروا عليها فعلاً بدليل وجودهم في سبأ ونجران وأبين [١] .

وذكر بعض مؤرخي العرب السابقين ان الحبش تغلبوا على اليمن في عهد الملك الحضرمي ساجن بن نمر بن يشرح بن جذيمة بن منعم بن ذي الملك ولم يحدد بالضبط [٢] .

وأما الدولة الحميرية فاستيلاؤها عليها لم يكن الا في أواخر القرن الثالث الميلادي ، وفيما قبل ذلك يظهر أنه كان استقلالها الكامل أو نوع منه بملك أو حاكم او مكرب كما يستقل غيرها من المقاطعات اليمنية أحياناً اذ ذاك ويبقى بينهما ما تمليه المصالح من تعاون وحسن جوار في وقت السلم . وقد تشتبك فيما بينهما ، وتتصادم بحسب الظروف ، وهكذا كان الحال فيما بين الحميريين والحضرميين قبل أن تنضم حضرموت الى حكم الحميريين نهائياً كما قدمنا . وقال بعض المستشرقين ان الوضع بحضرموت فيما بين سنة ١٢٥ م وسنة ٢٩٠ م غامض .

---

(١) انظر سيرة ابن هشام و تاريخ العرب قبل الاسلام .

(٢) انظر دائرة معارف البستاني .

بعض الذين اشتهروا من ملوك حمير

نظراً لأنه لا يمكن ايجاد قائمة مرتبة ومضبوطة يُطمأن اليها لملوك واسر الحميريين فقد اكتفينا بذكر بعض الشهيرين منهم وبوصفهم ملوك حضرموت أيضـــاً .

فأشهر ملك حميري استولى على حضرموت فيما استولى عليه هو شمر يرعش حتى انه لقب فيما بعد بملك سبأ وذي ريدان وحضرموت [1] . ومن أشهرهم شرحبيل يعفر بن أبي كرب اسعد ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنات أي اليمن واعرابها في الجبال والسواحل، وهو باني السد في منتصف القرن الخامس الميلادي .

هل امتد ملك الحميريين الى اجزاء من الصين شرقاً والى القسطنطينية غرباً ؟

هكذا يسجل بعض من كتب في هذا العصر عن التاريخ الحضرمي السياسي نقلاً عن بعض الأقاصيص القديمة التي تقول ان أسعد ابي كرب قد استولى على هذه الرقعة الممتدة من أثناء الصين الى القسطنطينية بما فيها فارس وأذربيجان وغيرها من بلاد الترك والروم ، وان هناك جالية حميرية بقيت بالصين واندمجت في أهله ، كما أن ملكاً آخر اسمه ــ شمر ابوكرب ــ قد استولى على شمال الجزيرة العربية والعراق وفارس واحتل مدينة الصغد وراء نهر جيحون وهناك بنى مدينة سمرقند [2] ، ونحن وإن كنا نعتز بأمجاد آباءنا العرب

---

(١) العرب قبل الاسلام .

(٢) من قلدهم البكري في تاريخ حضرموت السياسي

وفتوحاتهم الا أن التحقيق العلمي يوجب علينا أن لا نجزم الا بكل ما نطمئن الى صحته وبعض المؤرخين نفى هذه الفتوحات [1] بدليل علمي.

الفرس

وأما الفرس فقد وقعت حضرموت تحت نفوذهم وسيطرتهم بعد أن طرد الأحباش عن اليمن سيف ذو يزن سنة ٥٧٣ ميلادية تقريباً.

وكان نزولهم بساحل حضرموت [2] ولعل راس المرزبان قرب المكلا سمي باسم أحد قادتهم.

وبلغ جباة فارس في الجنوب العربي أو مع شبه الجزيرة العربية بضعة عشر جابياً، وكانوا يظهرون في الأسواق الحولية [3].

صورة عامة عن حالة حضرموت الاجتماعية في عهد الحميريين

التف جميع اليمنيين ومنهم الحضارمة حول الدولة الحميرية في شبابها فازدهرت البلاد بالصناعة والعمارة والتجارة والزراعة، وتدل على ذلك الآثار التي لا تزال موجودة الى اليوم، وكان النسيج الحضرمي مشهوراً ويضرب به المثل في الجودة. قال جرير: —

وطوى الطراد بطونها بظهورها   طي التجار بحضرموت بـــرودا

والبرد اليماني والسيف اليماني هما أجود ما عرفه العرب في ذلك العهد في نوعـــه.

---

(١) انظر تاريخ الأمة العربية المقدادي

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام

(٣) الشامل وتاريخ العرب قبل الاسلام

وكانوا يقومون بأعمال التجارة في البلاد المجاورة واحتكوا بشعوبها من فرس ورومان وغيرهم وتأثر كل منهم بالآخر، بل ذهب بعض المؤرخين الى أبعد من هذا فقال انهم قاموا بفتوحات واسعة حتى استولوا على بلاد العجم ووصلوا حدود الصين كما مر. وللحميريين لغتهم الخاصة المنتشرة في اليمن وحضرموت [١] ومهرة فخلفتها اللغة المضرية بفضل اختلاط القبائل العربية مع بعضها خصوصاً كندة.

تقدم الخط المسند في عهدهم

ولهم كتاباتهم بالخط المسند الذي انتشر في عهدهم انتشاراً أكثر وأدخلوا عليه تحسينات تنسب اليهم رغماً عن أنه قديم حتى قيل انه من عهد عاد [٢]. وعلل مؤرخو العرب والاسلام تسميته بالمسند لأن حروفه ترسم بشكل خطوط تستند الى أعمدة، وقد كان فيهم من يحسنها ويستخرج منها الحوادث، كالهمداني صاحب الاكليل ولكن مع الأسف ضاع عليهم هذا الفن وأصبح المستشرقون مهتمين به، وفيهم من نبغ فيه. والمسند يعني في العربية الجنوبية القديمة الكتابة أو الخط [٣].

وقد فاقوا أسلافهم السبأيين في صنع الحلي والأثاث وضرب النقود الرسمية، ومواقيتهم بالأهلة والنجوم يرصدون طلوعها وغروبها وسيرها ولهم تقويم حكومي للضرائب وتقويم آخر شمسي مضبوط يبنون عليه مواسمهم الزراعية ومواعيد الغرس والزرع والحصاد والجني وغير ذلك من متطلبات الزراعة وضبط الحوادث. وللعرب قبل الاسلام أسماء أخر للأيام والشهور، وقد

---

(١) قد مر عند ذكر جغرافية حضرموت الكلام عن ألفاظ لا تزال تستعمل وتنسب الى تلك اللغة.
(٢) دائرة معارف البستاني.
(٣) انظر تاريخ العرب قبل الاسلام.

سميت بها لمناسبات كما سميت فيما بعد بهذه الأسماء المستعملة اليوم . لمناسبات أخر .

آثارهم القـــديمة

ولهم بنايات موجودة في اليمن وحضرموت على بعضها كتابات حميرية بالخط المسند ومن تلك قصر غمدان الشهير بصنعاء .

ومن أطلال بناياتهم الأطلال الموجودة اليوم بقرية امعادية [٢] ببلاد العواذل في الظاهر قرب مكيراس .

ومنها حصن العر ، بعين ورأء مهملتين ، في شرق حضرموت قرب قرية السوم التي تبتعد عن شعب هود بنحو مرحلة .

ومنها حصن [٣] الرناد بتريم الذي بني على أنقاضه قصر سلطاني وفيه اليوم ادارة نائب لواء تريم للحكومة الحالية . وفي بعض سفوح دوعن ايضاً توجد بنايات عليها كتابات بالمسند .

ومنذ خمس وثلاثين سنة عثر على مقبرة في شعاب الهادي في الجانب الشمالي من تريم ، وآثار حميرية قديمة منها مباخر رخامية قديمة . كما عثر في قرية السويري على آثار مباني ولبن منوع الأشكال من الرخام ، وفي قرية الريضه اكتشفت مقبرة نبشها السيل وبها بعض الأموات ومنهم من

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام وصبح الأعشى وغيره من كتب المحاضرات ومروج الذهب للمسعودي وبلوغ الأرب .

(٢) ام عادية بمعنى العادية بابدال اللام ميماً بلغة حمير ومعناها القديمة نسبة الى عاد والعرب تسمي ما هو قديم عادياً وليست من آثار عاد كما شاهدتها بنفسي .

(٣) ويقال انهم عثروا فيه على رأس حيوان من الرخام الأبيض الجميل ويوجد عليه بعض الكتابات المسندية .

وجد كاملاً بوفرته وجسده وأثوابه كالهيكل الصلب .

وهذا نورده كنموذج للآثار التي لا تزال ماثلة ببلادنا وفيها ما هو أقدم وأدق فهناك ديار عاد قرب قرية العرسمة بوادي ليسر التي يقال انها من أطلال عاد وحفائر ريبون أمام قرية المشهد بالجبل الغربي . وأحجارها مليئة بالخط المسند ووادي فرعون قرب وادي عقرون بسيبان وغير ذلك مما هو كثير . واكثر مظانها تريم والردود ودوعن وشبوة وثمود .

فبلادنا غنية بمآثرها العظيمة وآثارها القديمة ولكن مع الأسف لم نجد من الأهالي حكومة وشعباً من يقوم بأحصائها ويعتني بحفظها والبحث عنها والاستفادة منها ، وبذلك سيسهل على المؤرخ بواسطتها اداء مهمته على أحسن وجه ممكن بينما نرى الغزو الأجنبي ابتدأ يتجه نحوها ويريد أن يستفيد منها قبل من هم أحق [1] بها وأهلها ، وقد بلغ التقصي بالأوروبيين الى أن بعضاً منهم تخصصوا في لغة حمير وألفوا فيها قواميس، ولمعرفتهم بها وبالخط المسند استطاعوا أن يفسروا الكتابات على الآثار العربية القديمة التي تعد بالآلاف وواجبنا أن نعتمد على أنفسنا ونقوم بذلك فنحن . أحق بها وأهلها ، حتى لقد جاء الى جامعة القاهرة مستشرق ايطالي للمحاضرة عنها [2] قبل نصف قرن .

وتطورت الحضارة في عهد الحميريين عن الحضارات الموروثة عن العاديين والسبأيين الى درجة أعلى الى ان امحت هذه الدولة ، ولم يبق الا آثارها ومآثرها .

تلك آثارهم تـــدل عليهم   فانظروا بعدهم الى الآثـــار

---

(١) انظر رحلة امورد جلاذر ، ورحلة فلبي الى حضرموت سنة ١٩٣٥ وسنة ١٩٣٦ ، وليعثة الجامعة المصرية العلمية الى حضرموت سنة ١٩٣٦ م فوائد جمة لنا وللعالم العربي من آثار حضرموت .

(٢) لغة حمير .

وسيأتي اليوم الذي تستخرج فيه تلك الآثار فتفصح عما كان لأهلها من مدنية غابرة ومجد تليد .

والحاصل ان العرب بحضرموت واليمن كانوا أصحاب دول قوية ومنظمة لها ملوك وقواد وحكام يتمتعون بالسلطة ويجمعون الرجال لتشييد المدن والقصور وانشاء السدود، ولهم أيضاً نقودهم الرسمية المزينة بالكتابة والصور وحكوماتهم في يد ملوكهم، وهم مطلقو السلطة وملكهم وراثي والشعب في تلك العهود طبقات منهم الجنود والصناع والزراع والتجار والكهنة . ومع ذلك ففيهم ومن ملوكهم وزعمائهم موحدون يؤمنون بوجود خالق السموات والأرضين [1]، وقد افسحت لهم المجال امكانيات البلاد فقام كل من هذه الطبقات بعمله وأجاد وعاش الشعب في مدنية ورخاء . ولا تزال ثرواتها المعدنية مدفونة فيها تنتظر اليوم السعيد الذي يقوم الأهالي باكتشافها والاستفادة منها فيه .

وما كتبه بعض المعاصرين نقلاً عن بعض القصاص الأجانب عن دول وشعوب الجنوب التي مر ذكرها بما يشبه الأساطير ، عن ثرواتهم الذهبية الكثيرة وأحجارهم الكريمة الى درجة صنع اسطواناتهم وأبوابهم وبيوتهم بالذهب ، وعن وجود انهار كثيرة بها ، وعن الخصب الهائل والمياه الكثيرة التي لا تتفق وطبيعة حضرموت [2] — كل هذا لا يستطيع المؤرخ المحقق الا أن يضعه موضع الشك لا أقل ولا أكثر .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ومن الغريب ان يقول البكري في تاريخ حضرموت السياسي : لم يثبت لنا التاريخ ان الحضارم عبدوا الأصنام قبل الاسلام الخ مع أن من البديهيات عند من له المام بتاريخ حضرموت انهم عبدوها كما جاء هنا وكما سيأتي.

(٢) لعل منهم الاستاذ صلاح البكري في كتابه تاريخ حضرموت السياسي جزء واحد حين اثبت ما لاحظناه .

اتصال الحضرميين بالأمم الاخرى

لقد كان للحضرميين كغيرهم من أبناء الجنوب العربي وبقية العرب اتصالات وعلاقات تجارية وغيرها بالأمم الأخرى من يونان ورومان وفرس وصين وهنود وكانت بحضرموت مدن بمنزلة محطات للقوافل ومراكز للتجار ولها موانىء للمراكب القادمة من الهند والصين وقد شحنت بأصناف البضائع المثمنة التي تصدرها تلك البلاد فتفرغ شحنها بحضرموت حيث تحملها القوافل الى سبأ والشام والعراق —كما تحمل أيضاً البخور الذي هو أعظم مصدر لثروة حضرموت . ولعل الشحر (الأسعاء) [1] هي أشهر مدينة لهذين الغرضين فتستلم وتسلم وهناك مدن أخرى كمحطات للقوافل مثل شبام وشبوة [2] .

فالشحر وشبام كان لهما الحظ في عالم التجارة العربية أكبر مما هو الآن بكثير ، بل لا مناسبة بين حالهما اليوم وحالهما اذذاك ولكن من يدري فقد يعيد التاريخ نفسه [3] وبعض المؤرخين ينفي اتصال عرب الجنوب بالأمم الغربية في ذلك العهد اتصالاً مباشراً .

(١) كان الشحر يطلق على الساحل الممتد من موقع الشحر الآن الى مهرة اما مدينة الشحر الآن فكانت تسمى بالاسعاء .

(٢) انظر الشامل .

(٣) تجد من يسارك فيما يلي خريطة مترجمة ومكبرة عن كتاب فريا ستارك باللغة الانكليزية المسمى — الأبواب الجنوبية لبلاد العرب — اثبتناها للتعرف على طرق القوافل التي سلكت قديماً في حضرموت وبجاراتها و يلاحظ أن بعضها لم يعد مسلوكاً فيما بعد .

الـدّور الجـاهلي

مَشيخَات وَدُويلات حَضرَموت

وَكِندَة بحَضرَموت

من سنة ٥٢٥م الى سنة ٦٣٠م تقريباً

تنتهي سنة ١٠ هجرية

او امارات القبيلتين : حضرموت وكندة .

الــدّور الجــاهلي (١)

مَشيخَات وَدُويْلات حَضرَموت
وَكِندَة (٢) بحَضرَموت
وتنتهي سنة ١٠ هجرية
— او —
امارات القبيلتين حضرموت وكندة

بعد ضعف الدولة الحميرية واستيلاء الأحباش على اليمن وفي الفترة التي تسبق الاسلام مباشرة كان حكم اقليم حضرموت الذاتي في يد قبيلتي حضرموت وكندة ، وإن كان للفرس نفوذهم في اليمن وحضرموت حتى ان فارس كانت تجبي من حضرموت بعض الضرائب . ولكل من القبيلتين ملوك وأمراء، والواقع أن تسميتهم بملوك انما هو تجوز لأنهم مشائخ عشائر واقطاعيون نعتوا أنفسهم بملوك وكثيراً ما سمّت العرب مشائخها الأقوياء بالملوك ويقال لمالك القرية مثلاً ملكها ، وقبيلة كندة يقال لها كندة الملوك ، لولعها بالملك وقد جاء الاسلام وبحضرموت ملوك عديدون من كندة وحضرموت ومنهم الملوك الأربعة ، جمدا ، ومشرحا ، ومخوصا وأبضعة وأختهم الملكة العمردة .

---

(١) سميته الدور الجاهلي على الاصطلاح الذي يسمى فترة ما قبل الاسلام مباشرة جاهلية .
(٢) انظر تاريخ الامة العربية للقدادي .

وانما سموا ملوكاً لأن كل واحد منهم يملك وادياً بأكمله وهؤلاء ملوك بني عمرو بن معاوية بن كندة والاشعث بن قيس امير بني الحارث بن معاوية من كندة بعد أبيه الملك قيس بن معديكرب، ووائل بن حجر الحضرمي من قبيلة حضرموت الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما وفد عليه بقية أبناء الملوك سيد الاقيال (جمع قيل) أي الملوك وقالوا: انه اجتمع بهينن سبعة عشر متوجاً من كندة أي أميراً من هذا النوع والتتويج اما بعمامة ممتازة أو بما يشبه العقال كما تصنع بعض العشائر اليوم ومنها الحموم فانه اذا مات مقدمهم أي رئيسهم ألبسوا من يخلفه عمامة التتويج بدلاً عنه .

منازلهم او مخافدهم

وتنتمي كندة الى قحطان، وقد جاءت في الاصل من عمان [1] الى حضرموت واستوطنتها، ووجدت فيها قبيلة حضرموت القحطانية التي لها ذووها وأمراؤها اذذاك كشراحيل بن مرة وسلامة بن حجر وغيرهما ممن كانوا قد تملكوا بعض المدن الحضرمية كتريم فاشتبكت معها بحرب سجال وكانت الغلبة في الأكثر لكندة وقد تتحدان معاً ضد الغزو الخارجي .

وقسمت اكثر حضرموت الى قطاعات أو مناطق تسمى اذذاك مخافداً يختص بالمنطقة بطن أو بطون منها كشبام وجردان ودوعن وشبوة . ومن بطون كندة السكون وينزلون حضرموت الوسطى والسكاسك وينزلون غرب حضرموت، وتجيب ومنازلهم في عندل وهدون وقشاقش ودمون الهجرين وريدة الدين وغيرها [2]. أما قبيلة حضرموت [3] فلها بعض القطاعات الساحلية وتشترك مع كندة في بعض القطاعات كقطاع

---

(١) انظر دائرة معارف البستاني او من البحرين والمشقر انظر العرب قبل الاسلام .
(٢) ومن بطون كندة الصدف بن سهل وينتسب اليهم الصيعر .
(٣) من قبيلة حضرموت الحموم المعروفون .

الكسر (١) وشبوة .

وأما الجعفيون[٢] فمنازلهم جردان . وتوجد قبائل اخرى ببلاد حضرموت غير هاتين القبيلتين من أشهرها قبيلة حمير[٣] ولكن قد مضى عهد ملكها أو نفوذها وكانت الدولة في هذا العهد للقبيلتين المشار اليهما . وهناك في الزاوية الجنوبية الشرقية قبيلة مهرة واسمها كاسم هذا المحل ولها لغة خاصة يظهر انها فرع من فروع اللغة الحميرية القديمة ويكثر اللبان فيها والابل المهرية الشـــهيرة .

كندة في شمال الجزيرة العربية

بين الحميريين في اليمن والكنديين روابط المصاهرة والجوار وكان الحميريون في أواخر عهدهم يستعينون بالكنديين في أعمالهم .

وبسبب هذه الروابط انه لما اتفقت بعض قبائل معد بن عدنان في نجد والحجاز ومنهم بكر بن وائل على أن يولوا عليهم ملكاً من قبيلة أخرى . اذ بلغ التنافس والشحناء فيما بينهم حداً جعلهم لا يطيعون الا رجلاً من غير قبيلتهم ، وقصد عقلاؤهم بعض ملوك حمير لهذا الغرض لما اتفقوا ولي

---

(١) الكسر يطلق على المحلات بين الهجرين والقطن تقريباً وتنزل الآن في أوساطه قبيلة نهد .

(٢) الجعفيون قبيلة شهيرة من مذحج .

(٣) اما نهد فجاءت بعد واما بنو هلال فالتحقيق انهم ليسوا من قبائل حضرموت وان روى بعضهم انهم هاجروا منها الى برقة وطرابلس يقدمهم الفارس الشهير ابوزيد الهلالي الذي تروى الروايات والحكايات عن بطولته ويقال انه لما اعتزم على الهجرة من حضرموت بجدبها قال لقومه انتظروا حتى تخصب فمار علينا أن نغادرها وهي جدباء فلما أخصبت ارتحل هو وقومه ومر على مزرعة كبيرة له اي جرب كما يسميه اهل حضرموت وكان مخصبا بالزرع فاخترقه بحصانه فعلق برجل الحصان مجن من قصب الذرة فتوقف الحصان فساقه ابوزيه قائلا مر غيري يا تهول ثم استمر في هجرته فضربها مثلا لمن أراد ان يغر غيره بالتظاهر بغير عادته وكان يسمى ذلك الجرب بذلك الاسم .

عليهم الملك الحميري حجر بن عمرو آكل المرار الكندي ، وانما سمي آكل المرار تشبيهاً له بالجمل الهائج الثائر الذي أكل مرارا حين اسرت امرأته هند في بعض غزواته فجاءها هائجاً ثائراً يقود حملة لانقاذها والأخذ بالثأر ممن أسرها . وقال بعض المؤرخين أن سبب نزوح كندة عن حضرموت وقوع حروب بينها وبين الحميريين [١] ولعله أراد بعض قبائل كندة اذ لا يستقيم كلامه الا بهذا لعدم خلو حضرموت من الكنديين منذ نزولهم بها .

استطاع حجر الأول أن يؤلف بين القبائل المعدية التي ولي عليها وأن يجمع شتاتها ويسوسها وكان ذلك أثناء القرن الخامس للميلاد . وتوارث الملك بعده عقبه ، ومنهم الحارث بن عمرو جد الشاعر الشهير امرىءالقيس ابن حجر بن الحارث ولم تنفصم العلائق بين هؤلاء وبين بني عمهم الكنديين بحضرموت واستمروا في التردد اليها والاقامة بها أحياناً .

قسم الحارث ملكه بين بنيه الأربعة وأحدهم حجر الثاني والد امرىء القيس الذي ولاه على قبيلة بني أسد [٢] بنجد كما ولى الآخرين على قبائل أخرى من العدنانيين بنجد والحجاز وأطراف العراق . ولم يدم ذلك الملك طويلاً بسبب هذه التجزئة التي لا تؤدي الا الى ضعف الأمم والشعوب وبالتالي الى اضمحلالها .

وحجر لم يحسن السياسية في بني أسد وعاملهم بالشدة ، وبالغ في أخذ الضرائب منهم فقتلوه ، وكثيراً ما تقتل العرب ملوكها المستبدين دفعاً للضيم ، واباء من الظلم ، قال عمرو بن كلثوم التغلبي الشهير في معلقته لما قتل الملك عمرو بن هند [٣] :

---

(١) دائرة معارف البستاني

(٢) وقيل ولي حنظلة على بني أسد . انظر الأغاني ولعل الأصح ان حنظلة انما ولاه أبوه على تغلب كما يفيده الأغاني نفسه .

(٣) هند هذه هي اخت جذيمة الأبرش احد ملوك العرب بالعراق وتنسب اليها عمرو لشهرتها وهو عمرو بن عدي اللخمي .



ولكن لم يبق اليوم إلّا أثر مجراه وماء قليل به[1] . ويذكر بعض المؤرخين أن بحضرموت عيوناً كثيرة سدها معن بن زائدة الشيباني وسنتكلم عن ذلك فيما بعد .

ويوجد بشرق حضرموت أيضاً على بعد نحو ست ساعات من قبر هود آثار السد الذي يقال أن مياه وادي حضرموت كلها سابقاً كانت تتجمع دونه ثم تستعمل في الري ، وقد تخرب فيما بعد مما يدل على أنهم ظلوا يعملون سدوداً كآبائهم واخوانهم من السبأيين لحبس الماء كما يعملون بركاً كبرى في المقاطعات الجبلية ، وتسمى اليوم الكروف جمع كريف لخزنه فيها والاستفادة منه .

ولهم عناية ومهارة في النسيج وحياكة الأقمشة الملونة كالبرود والحبرة وهي أثواب مخططة زاهية تلبسها الطبقة الراقية فيهم ، وقد توارث الحضارمة هذه الصنعة الى أوائل هذا القرن وكانوا قبله ينشئون المعامل للنسيج ويغرسون القطن ويصدرون أنواعاً من الأقمشة الى الخارج ففقدوا هذا المورد اليوم وأصبحوا فيه عالة على الخارج ، كما انهم في زراعتهم اليوم اعتمدوا على الآلات الحديثة من الخارج ، فضاع كثير من ثرواتهم فيها . ولو بقيت زراعتهم على الآلات الوطنية لكان أوفق لنا اقتصادياً ووطنياً ولامكننا المحافظة على استقلالنا حتى تكون لنا آلات حديثة من صنع بلادنا العربية . ولا يتضح هذا الا بالمقارنة الدقيقة بين الحالين[2] ويقومون ببقية الحرف والصناعات الضرورية لمجتمعهم رغما عن انهم كلهم حملة سلاح .

ولم ينسوا أيضاً صناعة البخور التي ورثوها عن آبائهم حيث تزاول في الشحر ويطلقونها على بلاد مهرة وسواحلها حتى الشحر الحالية وأنشد قائلهم :

---

(١) العوام عندنا ينادون هودا بقولهم ياموك النهر يعنون هذا النهير والزوار يغتسلون فيه قبل الزيارة ويركمون على حجر كبير يطل عليه يدعونه حصاة عمر نسبة لعمر المحضار ابن السقاف .

(٢) مما تستفيده تشغيل الأيدي الوطنية العاملة واستعمال الأغذية الوطنية كالتمر والبر والذرة بين طبقة العمال بدلا من الأرز الذي نجلبه من الخارج ونفضله وهو الأدنى على الذي هو خير .

اذهب الى الشحر ودع عمانـــا ان لم تجد تمرا تجد لبانـــا

وطبهم البدوي يزاوله المجربون والحكماء منهم ويعتمدون فيه على بعض الحشائش والأشجار التي تنبت ببلادهم [1] وعلى الكي في غدد وعضلات وعروق ومفاصل معروفة عندهم ، ويقومون باسعافات أولية .

ومن أشهرها الكمودات عندما يصاب أحدهم بجروح أو رضوخ أو أورام. أما موائدهم فتتألف من البر واللحم والمرق واللبن بأنواعه والبيض والفواكه التي توجد عندهم ، وأشهرها الرطب والعنب والبطيخ والخضروات كالفقوس . وفي الساحل يتناولون مع هذه الأسماك الطرية ولهذا نشأوا أشداء أقوياء البنية وفيهم نشاط ومناعة ضد الامراض وجلد .

ثقـــافتهم

ثقافتهم ثقافة عربية تبني على البلاغة والفصاحة والخطابة والشعر قرضاً وإنشاداً وحفظاً وهو أعظم ظاهرة ثقافية بين العرب وتعنى به عناية كبرى، وله فضل كبير في حفظ انسابهم ووقائعهم واحسابهم وذكر مواطنهم وحروبهم وربوعهم وديارهم الى آخر ما هنالك .

وفيهم من يحسنون القراءة والكتابة بالخط النبطي [2] وإن كانو ا قليلين لانتشار الأمية بينهم ، وفيهم بقية تقرأ وتكتب الحميرية ومن علومهم الزجر والكهانة والقيافة وسيأتي الكلام عنها في ترجمة وائل بن حجر الحضرمي .

ولهم مدنهم وقراهم وحصونهم كمدن شبوة وتريم وشبام والاسعاء

---

(١) من تلك الأشجار الشجرة المساة ضرع الكلبة ولها مفعول غريب في برء الجروح والبثور ومنها السناء والكلثي لا سهال البطن ، والفت فيما بعد كتب مختصة بالطب البلدي .

(٢) الخط النبطي هو الذي انتشر في البلاد العربية الشمالية اذ ذاك قالوا: وأول من نشره حرب بن اميـــة .

وهي الشحر الحالية،ومدن دوعن [1] والرابية بوادي العين وعكرمة بريدةالدين وقرى بور ودمون الهجرين والعجلانية وعندل وتنعة على طريق قبر النبي هود ، وكحصون الرناد ، والنجير ، والعر .

هذه هي مراكز مدنيتهم وحضاراتهم وفيها وفي أمثالها وما بينها من صحارى وأودية وسفوح وحقول وجبال كانت تعقد مسامرهم وأنديتهم — وأسواقهم ومشاوراتهم وميادين سباقهم وفروسيتهم وتقام فيها أسواق عامة سنوية هي مواسمهم التجارية والثقافية ترد اليها قبائل العرب من محلات بعيدة أشهرها سوق الاسعاء وهي الشحر ، وسوق الرابية بوادي العين ، ولهم أصنامهم التي يعبدونها كصنم وائل بن حجر الشهير ،ومنهم من هو معتنق النصرانية [2] ، كالمضرب الكندي وبنيه وندر من اعتنق اليهودية .

ومع ما تقدم كله فان حالة البداوة تغلب على اكثريتهم، ويجري دواماً بينهم وبين اخوانهم من قبائل العرب ومع بعضهم بعضاً الاشتباكات والغزوات والنهب والسلب كما أن تناول الخمور معروف بينهم وغيره مما لا يخلو منه كل مجتمع من هذا القبيل حتى جاء الاسلام فهداهم الى الصراط المستقيم ورفع مستواهم .

ومن أخلاقهم النبيلة الصراحة والشجاعة والكرم ، وحماية الجار والوفاء والحرية الا انها قد تجمح بهم الى الخروج على النظام والوحدة الى حد التضحية بكل شيء في سبيل القبيلة فقط وفقط في سبيل القبيلة . وهذه الشنشنة هي التي كثيراً ما أضرت بالعرب في الجنوب العربي وغيره وفي جميع أدوار التاريخ الى الآن،وبالقضاء عليها سيتمكن العرب في كل جزء من بلادهم

---

(١) منها الخربة وان زعم بعض السواح الاجانب انها سميت بهذا الاسم اذ كانت عاصمة الاباضية فخربت. انظر الشامل . ومنها ذو صبح وشزن ولا يعرفان اليوم وهي غير ذي صبح بحضرموت الوسطى المعروفة اليوم .

(٢) في البرد النعيم للخطيب ما يصرح بوجود مسيحيين بتريم قبيل ومع دخول الاسلام الى حضرموت .

من الوحدة فيه ، وبالتالي من الوحدة العربية الكبرى في الوطن العربي الكبير من الخليج الى المحيط .

وتشاركهم في كل ما تقدم نساؤهم ويختلطن بهم مع غلبة الصون والحشمة والعفاف كما سيأتي ذكر نماذج منهم ومنهن .

وبالجملة فهم في طليعة الشعوب العربية في هذا العهد وحالتهم لا تختلف كثيراً عن حالة اخوانهم في المقاطعات اليمنية ومدن الحجاز ونجد وأطراف العراق ومشارف الشام كما ستسمع وتقرأ عنهم وعن نوابغهم المعدودين .

نماذج من نوابغهم

امرؤالقيس بن حجر :

هو امرؤ القيس بن حجر الكندي الشاعر الثائر الشهير وقد مر ذكر أبيه الملك حجر ولم يهمه كونه ابن ملك بل كان ديمقراطي النزعة فلم يلتفت الى ابهة الملك ، وفخفخته وارستقراطيته بل كان التفاته وهوايته الى الأدب وقرض الشعر والقنص والغزل واللهو حتى أفرط في ذلك فسمته العرب الملك الضليل .

من المحتمل أن يكون امرؤ القيس أكبر شخصية أدبية في العالم العربي في هذا العهد،وأدباء العربية مجمعون على أنه هو وزهير بن أبي سلمى والنابغة الذبياني والأعشى هم أشعر شعراء العرب في الجاهلية ، ولكن بعضهم يفضل امرىء القيس على الجميع . وقال آخر أشعرهم زهير اذا رغب والنابغة اذا رهب والاعشى اذا طرب ، وامرىء القيس اذا غضب .

وقد قال شعراً كثيراً في ضروب الشعر من حماس ورثاء وغزل ووصف ومدح وهجاء . وأجود شعره قصيدته المعلقة التي مطلعها :

قفا نبك من ذكـــرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومـــل

وهي احدى المعلقات السبع أو العشر التي علقتها العرب في الكعبة لشدة اعتنائها بالبلاغة والشعر وكثيرون منهم يستظهرونها ، ومن هذه المعلقة في وصف الليل الذي وصف نفسه فيه قوله :

وليل كموج البحر أرخى ســـدوله
علي بأنـــواع الهموم ليبتـــلي
فقلت لــــه لما تمطـــى بصلبه
وأردف اعجـــازا وناء بكلكـــل
الا ايهـــا الليل البهيم الا انجـــلي
بصبح وما الاصباح منك بأمثـــل

مولده بنجد حوالي سنة ٥٢٠ ميلادية تقريباً عند أخواله بني تغلب وأمه فاطمة شقيقة مهلهل وكليب ابني وائل الزعيمين العربيين الشهيرين ، ومن أبطال حرب البسوس التي أفنت جيلاً من شباب العرب بعد ما دامت عشرات السنين . ولكن امرىء القيس عاش كثيراً من أيامه او أكثرها بحضرموت وأقام فيها كمثوى وموطن له ولآبائه وكثيراً ما يذكر أيام عيشه الهني في ربوعها كقولـــه :

كأني لم اســـمر بدمون ليلـــة
ولم أشهد الغـــارات يوماً بعنـــدل

ولما بلغه مقتل أبيه وهو بدمون [1] أنشد :

تطاول الليـــل علينا دمـــون   دمون انـــا معشر يمانون
وانا لقومنا محبون

(١) دمون هي دمون الهجرين كما قدمنا .

اليوم خمر وغداً امر الى آخر كلامه . ومولده بنجد لا يخرجه عن حضرميته كالكثير من مواليد الحضارمة بالمهاجر حين يولدون بها ويعيشون ويتمسكون بوطنهم الاصيل العربي حضرموت ، وبجنسيتهم. ومهما يكن فامرؤ القيس عربي قبل كل شيء .

جهوده للاخـــذ بثأر أبيه

وقد تجلت شجاعته وإقدامه لما قتل أبوه فقرر الأخذ بثأره مهما كلف الأمـــر .

فقاد الجيوش وجمع الجموع وطارد بني أسد قتلة أبيه نتيجة لسوء معاملته لهم ، وقد بذلوا لامرىء القيس مقترحات مقابل دم أبيه ولتسكين الفتنة فرفضها وهاجمهم ليلاً فلم يجدهم في أماكنهم وأوقع نفسه وجيشه في قبيلة أخرى بريئة فتفرق عنه جمعه .

وأخيراً توجه الى القسطنطينية لمقابلة ملك الروم بعد ما أودع دروعه وسلاحه وأهله عند السموأل [1] ،الذي يضرب به المثل في الوفاء لأنه لم يرضَ أن يعطي هذه الأسلحة لغير ورثة امرىء القيس بعد ما مات رغماً عن أن الملك المنذر اسر ابنه ولم يرضَ بتسليمه الا اذا دفع الدروع اليه فذبح المنذر ابنه ضحية وهو ينظر من حصنه ولكنه حفظ حق الامانة فضرب به المثل في الوفاء منذ ذلك اليوم والى الأبد .

وصل امرؤ القيس القسطنطينية ، قالوا دخلها حاملاً علماً احمر شعار ملك ابائه واشارة الى الدم المسفوك ، فقوبل مقابلة حسنة من قبل قيصر الروم ووعده بالمدد ولكنه توفي وهو بانقرة حوالي سنة ٥٦٦ م .

---

(١) السموأل بن عادياء احد العرب القلائل الذين يدينون باليهودية قبل الاسلام وله القصيدة الفخرية الشهيرة في كتب الأدب :

اذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه   فكل رداء يرتديه جميـــل

وكان قد تحمل كثيراً من المشاق في رحلته الى درجة ان صديقه ومستشاره في السفر عمرو الضبعي رثى لحالته فقطرت منه قطرة دمع فأنشد من قصيدة تدل على العزم والتصميم :

بكى صاحبي لمـــا رأى الدرب دونه
وأيقن أنـــا لاحقان بقيصرا
فقلت لـــه لا تبكِ عينك انمـــا [1]
نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

ربما اخطأ امرؤ القيس في عدم قبوله الحلول لتسكين الفتنة التي سببها استبداد أبيه القتيل كما اخطأ أبوه في سوء معاملته لشعبه ففشل كلاهما في هذه الناحية ولكن امرؤ القيس نجح نجاحاً كبيراً في الثقافة العربية كما ذكرنا .

قيس بن معدي كرب بن معاوية الكندي السكسكي

أحد اقيال حضرموت الشهيرين، والنواحي المهمة في حياته هي الفروسية النادرة والكرم والمهارة في القيادة والاصابة في الرأي ، وقد طبقت شهرته بذلك جزيرة العرب وما قاربها فكان يقود الجيوش الجرارة للغزو ويكون له المرباع كعادة العرب في ذلك العهد . والمرباع هو ربع الغنيمة للرئيس القائد الأعلى للقبيلة تجعله من امتيازاته قال شاعرهم :

لك المربـــاع منا والصفـــايا   وحكمك والنشيطة والفضول [2]

(١) لعل الدافع الى استرداد الملك الذي يحاوله هو التمكن من الأخذ بثأر ابيه الذي أصبح شغله الشاغل وقلب حياته الناعمة رأساً على عقب بعد ما كان غير ملتفت اليه في حياة أبيه .

(٢) الصفايا : ما يصطفيه الرئيس لنفسه . النيشطة : ما أصابه من الغنائم قبل جمعها . والفضول : اليسير منها بحيث لا تمكن قسمته .

وقد ولد في العقد الثالث من القرن الخامس الميلادي،وقيل في أوائل القرن السادس الميلادي ، وله غزوات كثيرة انتصر فيها ولكنها — وياللاسف ضد إخوانه من ابناء القبائل العربية ، وترى في وجهه شجة أصابته في موقعة ضد قبيلة مذحج التي استمر بينها وبينه القتال .

اضخم فدية عرفتها العرب

ومرة أسرت[1] ابنه الأشعث بن قيس الشهير والآتي ذكره ففداه بثلاثة آلاف بعير ولم يعرف أن أحداً افتدي بهذا الفداء من العرب حتى ملوكها الذين بلغ منتهى فدية الأسير منهم الف بعير فقط .

اعمـــاله المجيدة

عرف قيس بما عرف به وجهاء العرب وزعماؤها من قرى الضيف واجازة الشعراء وحمي الجار والاصلاح بين أفراد القبيلة وقيادة الجيش وارتجال الخطب وانشاد الشعر .

الملك الحكيم المسالم

هذا هو الملك معدي كرب بن الحارث الكندي عم امرىء القيس الشاعر المتقدم ذكره، وهو من مواليد حضرموت والناشئين بها ، توّج في حياة أبيه ملكاً على قيس بجهة الموصل او الجزيرة فكان هو الوحيد من بين إخوانه في حسن السياسة وادارة دفة الحكم بمهارة ، والعطف على شعبه وتدبير أمور دولته ، وايثار السلم لا الاستسلام ، ولهذا عمرت

---

(١) أي قبيلة مذحج .

البلاد واستراح العباد في مملكته ، بينما كانت سياسة كل من إخوانه الملوك الثلاثة خرقاء،فحجر قتلته بنو أسد كما سبق في ترجمة ابنه امرىء القيس لأنه لم يحسن سياستها وأثقلها بالضرائب حتى ثارت عليه ففتكت به ، وشرحبيل وسلمة تنازعا على ملك ابيهما بعد وفاته يريد كل منهما ضمه الى مملكته ، وجمع كلاهما جموعاً من العشائر العربية ضد الآخر فكانت النتيجة الاصطدام والحرب والفناء بموضع يقال له الكلاب بالعراق وسميت الموقعة موقعة يوم الكلاب[1] .

وقد حمل لنا التاريخ مآسي متكررة من هذا النوع أدت الى القتال بين الأخوة بل بين الابناء والآباء من أجل التغلب على السلطة والملك والجلوس على كراسي الحكم،وسيأتي في تاريخنا الحضرمي ايضاً امثال هذه القصة . ونشير هنا الى حكمة معدي كرب الذي انفرد من بين إخوانه بالصفات النبيلة التي أشرنا اليها ولم يرض أن يعمل أو يشترك فيما عمله أخوته فكان الملك المحبوب عند شعبه الى أن توفي اثناء القرن السادس الميلادي والذي لا يزال يذكر التاريخ له هذا الصنيع الجميل الى اليوم .

ام الصريخ الشاعرة المجيدة

هذه هي امرأة حضرمية من كندة اشتهرت بين العرب بجودة الشعر الى درجة تفوق فيها كثيراً من الشعراء المجيدين كما اشتهرت الخنساء بعدها .

وبين السيدتين تشابه كثير في قوة الشخصية ونبل العاطفة وفي حسن الديباجة وجودة الأسلوب والاكثار من الرثاء في الشعر للتخفيف من آلامهما وكروبهما من فقد الأحبة الاقربين .

ومن الغريب أن يكون لكلتيهما ابناء قتلوا معاً في وقعة واحدة : فالحضرمية

---

(١) أنظر التفصيل في الأغاني وغيره .

الكندية قتل ابناؤها في موقعة جيشان[1] والخنساء السلمية قتل ابناؤها في موقعة القادسية . إلا أن اكثر مراثي الحضرمية في بنيها واكثر مراثي السلمية في أخويها صخر ومعاوية وقالت انها لم ترثِ بنيها الأربعة لأنهم قتلوا شهداء مسلمين فهنيئاً لهم الجنة والشرف .

من شعر أم الصريخ في بنيها قولها :

ابوا أن يفروا والقنا في نحورهم
وان يرتقوا من خشية الموت سلما
فلو أنهم فروا لكانوا أعزة
ولكن رأوا صبراً على الموت اكرما [2]

وإنما قالت لكانوا اعزة مع أن الفرار مذموم لأن عدوهم تضاعف عليهم بحيث أصبح القتال لا يجديهم شيئاً والانسحاب يتحتم عليهم كما تقتضيه الخطط الحربية[3] ولكن رأوا صبراً على الموت اكرما .

خويلة القضاعية

هي سيدة قضاعية حضرمية اشتهرت في الأوساط الحضرمية والعربية بقوة الشخصية والتأثير في النفوس ببلاغتها في النثر والنظم ولها مكانة مرموقة في قومها بني ريام وهم بطن من قضاعة لا يعدو اكثرهم عن كونه من محارمها الاقربين ، وقد استطاعت بمفردها ان تثأر لعشرات منهم

---

(١) موضع معروف في الجزيرة العربية .
(٢) ديوان الحماسة .
(٣) في الحرب العالمية الأخيرة اشتهرت موقعة دنكيرك بفرنسا لما هاجمها الألمان وعلى شواطئها كثير من البواخر الحربية والجيوش والعتاد فانسحب الحلفاء بنظام كما يقولون وعدوا انسحابهم مفخرة .

قتلوا في موقعة حربية بينهم وبين إخوانهم من قبيلتي ناعب وداهن من قضاعة ايضاً، استطاعت ذلك بتأثيرها في قبيلة مهرة بنظمها وشعرها حتى غزت قضاعة بقيادة سيدها مرضاوي بن سعوة وهو ابن اختها وأخذت بثأر من قتلوا[1] .

من شعرها القصصي المزدوج بالرثاء والحماس في هذه القصة قولها :

قسمت رجـــال بني ابيهم بينهـــم
جرع الردى بمخـــارص وقواضب
فابرد غليل خويلة الثكلى التي
رميت بأثقل من صخور الصاقب
وتلافَ قبـــل الفوت ثـــاري انه
علق بثوبي داهن مع نـــاعب

أبعد العرب غارة

بهذا تلقب العرب شراحيل بن الاصهب الجعفي الحضرمي بل بعضهم يلقبه بابعد الناس غارة لأنه شجاع مغوار ذو جلد وإقدام يصل بهما الى أبعد ما يمكن الوصول اليه من البلاد عن موطنه حضرموت فيغير على أهلها بجيشه ويحمل معه الغنائم ويعود بها ظافراً .

وقد بلغ شراحيل الرقم القياسي في هذه الناحية دون بقية غزاة العرب الكثيرين وإن كان التاريخ لم يحدد اقصى ما وصل اليه من المسافات والازمان .

ومن مغامراته انه قطع مئات الأميال من حضرموت الى البلقاء غازياً

---

(١) اقرأ القصة في أمالي القالي بأطول مما هنا وفي تاريخ الشعراء الحضرميين ج ١ .

في مائة فارس من قومه[1] والعرب تهابه هيبة شديدة الى درجة أن الشاعر الشهير النابغة الجعدي عد من أعظم مفاخر قومه انهم قتلوا شراحيل هذا الذي تقترن الرهبة باسمه اذا ذكر فأراحوا بني معد منه، فقال في رائيته الشهيرة :

ارحنا معدا من شراحيل بعدمـــا
أراها مع الصبح الكواكب مظهرا
وعلقمة الحراب أدرك ركضنـــا
بذي الرمث اذ صام النهار وهجّرا

ونحن إذ نسجل اسم هذا المغوار الحضرمي فإنما نعجب لمجرد إقدامه وقوته وجرأته وجلده فقط ونأسف له كبطل عاش في وسط لم يصل الى حياة حضارية منظمة ، ولم تكن بيئته متعلمة فتستغل هذه الصفات التي وجدت فيه وفي كثير من أمثاله فيما يعود على الأمة العربية بخير النتائج واحسن المثل بدلاً من أن تستعمل ضد البعض منها .

(١) انظر العقد الفريد جزء (٢) .

دَورُ الوحْـدَة

حَضرَموت تنضم تحت رَاية الإسلام
وَالتوحيد وَتلحق بالوحَدة العَربية الاسلاميّة



دورُ الوحــدَة

حَضرَموت تنضم تحتَ راية الإسلام
وَالتوحيد وَتلحق بالوحدَة العَربية الاسلاميّة

لقد مر ذلك الدور البغيض (دور الجاهلية [1]) الذي تشتت فيه قبائل العرب وتفرقت كلمتها ، وكانت كما وصفها الصحابي الجليل جعفر بن أبي طالب للملك الحبشة لما هاجر اليها مع جملة من الصحابة والصحابيات فراراً من ظلم قريش واستبدادها حين يقول : « كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي الضعيف حتى بعث الله لنا رسولاً كما بعث الرسل الى من قبلنا وذلك الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا الى الله تعالى لنعبده ونوحده ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الأحجار والأوثان، وأمرنا أن نعبد الله وحده وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام وصدق الحديث واداء الامانة وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدم ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة فصدقناه وآمنا به واتبعناه »

وهو دور كانت العرب فيه بل وأمم العالم اذ ذاك في انحطاط خلقي واجتماعي، وهي بأشد الحاجة الى الاسلام بوصفه الدين الكفيل لها باقامة أسس دستورية

---

(١) للجاهلية اطلاقات منها ما قبل الاسلام الى عهد عيسى عليه السلام .

متينة ومبادىء اصلاحية وقيم روحية فهو الدين المدني الذي يحفظ كرامة الانسان وحقوقه ويكفل له سعادة الدارين والعيش في سلام وطمأنينة ورخاء وتعاون وعزة، ويسعى جهده للوحدة البشرية ولتمكين الانسان من استعمال فكره وطاقته وعقله حتى يصل بها الى أبعد ما يمكن من تقدم ورقي في هذه الحياة من جميع نواحيها وفي جميع أدوارها [1]، ولكن ويا للأسف ان المنتمين إليه لم يطبقوا تعاليمه ولم يقدروه حق قدره .

ثم انه كغيره من الأديان السماوية يغرس في الانسان الايمان بالله تعالى وبالحياة الأخرى التي هي دار الجزاء الأبدي ويوضح له بالبراهين الكافية ان هذه الحياة الدنيوية ليست هي المقصودة وانها لاقصر وأنقص من أن يحياها فقط ثم ينتهي الى غير رجعة والانسان أجل وأعلى من أن يخلق ليعيش عيشة الفناء فقط بل ان حياته الحقيقية انما هي فيما بعد كما ثبت ذلك ليس ديناً وعقيدة فحسب بل وعلمياً [2]، ودواماً ما يثبت العلم الحديث للانسانية صحة ما جاء به الاسلام وكشف عن أسرار ومغيبات [3] .

ذلك مما تضمنه القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الشريعة الاسلامية الغراء .

ولقد كان لبلاغة القرآن الكريم الأثر البالغ في نفوس العرب، ولشخصية سيدنا محمد المزودة من قبل الله بالأخلاق السامية وبالطاقـــة المشحونة بـالتأثير والجاذبية والكمال والمثالية فقلب حياتهم الفردية والجماعية رأساً على عقب وأصبح البدوي الجلف الذي قد لا تأمنه على عقال بعير متديناً

---

(١) اقرأ الكتب المؤلفة في هذا الموضوع وهي كثيرة لا تكاد تحصر مثل الوحي المحمدي للسيد رشيد رضا ، وكتابي رسالة التوحيد والاسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ، وتفاسير شيوخ الأزهر وكتب « الاخوان المسلمون »، ومثل العدالة الاجتماعية للسيد قطب وغيرها من كتبهم المؤلفة في المواضيع الاسلامية العامة
(٢) انظر كتاب العلم يدعو للايمان .
(٣) الكتاب نفسه .

مخلصاً لدينه وأمته وللوحدة الاسلامية في غاية من النزاهة والانسانية والنبل لا يعرف النفعية ولا الأخلاق المنحطة كما كانت تعرف في وسطه قبل اعتناقه الاسلام، واستطاع سيدنا محمد بتطبيق مبادىء الاسلام [1] أن يخلق في بضع سنوات من أمة ضعيفة متفرقة تعبد الأصنام أمة متحدة ذات دستور هو القرآن ودولة مالية منظمة وحياة مدنية ديمقراطية وذلك ما لا يكون الا بمعجزة خارقـــة .

مقارنة بين العرب قبل الاسلام وبعده
واظهار الفرق الهائل بين التاريخين

ان للعرب استعداداً فطرياً وأخلاقاً يمتازون بها عن كثير من الأمم ، كالذكاء والشجاعة والجلد والتضحية في سبيل المبدأ ، ولهم حضارات قديمة مشهورة كما أشرنا اليها ولكن كل ذلك ليس شيئاً يذكر بالنسبة لحضاراتهم الاسلامية . ولم يستطيعوا أن يقيموا حضارة نفعت العالم وقادوا بها الأمم الى الاصلاح والنهوض والحياة الكريمة الا بالمبادىء والتعاليم التي سنهـــا لهم الاسلام ولم تنتشر لغتهم وآدابهم وعلومهم ويبنوا لهم تاريخاً مشرفاً تمجدهم به أمم العالم الا بعـــد اعتناقهم

(١) نحن حين نتكلم عن الاسلام انما نعني به الاسلام الحقيقي بمباديه المثالية السمحة وروحه وتعاليمه العامة الواسعة الصدر التي لا ينقصه الا قيادة حكيمة واعية وجهة قوية تدافع عنه وتمشي بواسطته الى الامام . ومع الاسف ان بعض الكتاب واكثرهم من الغربيين لا يفهمونه بهذا المعنى فيهرفون بما لا يعرفون ويفرقون بين العبادات والاحكام الدنيوية في الاسلام ويحتجون من اعمال بعض رؤساء الحكومات الاسلامية او وزرائها حجة على الاسلام وهم في الواقع ليسوا من الاسلام في شيء فاذا غضب شعب عربي مسلم مثلا على احد من هذا النوع قالوا انه فضل شعبيته على الاسلام فالشعوب العربية والاسلامية اليوم تعرف كيف تستغل باسم الاسلام بما لا يأمر به الاسلام وهل أفسد الدين الا الملوك واحبار سوء ورهبانها .

الاسلام وتطبيقهم مبادئه الصحيحة وبواسطة العقيدة الاسلامية الراسخة في قلوبهم بسطوا سلطانهم على اكثر المعمور في العالم وحين ضعفت عقائدهم وتساهلوا في مباديهم الاسلامية تقلص ظل سلطانهم وبقدر ما يبعدون عن مباديهم الاسلامية الكريمة بقدر ما يعتريهم الذل والهون ، وتسطو الأمم الأجنبية عليهم . ولقد أخطأ حقاً من تجرأ وادعى ان للطبيعة العربية وحدها أكبر الأثر في انتشار الاسلام ومجده ولو كان ذلك حقاً لما اعتز بالاسلام أمم كثيرة اخرى كما اعتز به العرب الا أن العرب هم السابقون الأولون الى المجد الاسلامي وهم القادة والزعماء وهم خير أمة اخرجت للناس . وللطبيعة العربية أثر لا ينكر في تطبيق مبادىء الاسلام ونشره في العالم ، ولذا اختار الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم منهم ونبغ بفضل الاسلام فيهم القادة العظماء والزعماء المثاليون أمثال الخلفاء الأربعة وأبي عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد والمثنى بن حارثة وغيرهم ممن أتيحت له القيادة — أو الامارة او الزعامة . والواقع أن المدرسة العربية الاسلامية التي ليس لها منهج سوى القرآن ، وليس لها مدير سوى سيد المرسلين محمد قد أخصبت بكثرة وافرة من هذا النوع الممتاز ، ولو تقلد كل أفرادها شيئاً مما ذكرناه لقام بالواجب كما قام به أولئك .

وقد أنجبت حضرموت أبطالاً من خيرة الصحابة والقادة المبرزين في الفتوحات الاسلامية أمثال امرىء القيس بن عانس الكندي ، وقيس بن سلمة الجعفي وقبيصة بن كلثوم السكوني .

الوفود الحضرمية الى سيد العرب صلى الله عليه وسلم بالمدينة

وفدت الى الرسول بالمدينة وفود حضرمية جماعية وفردية ، وذلك لما انتشر الاسلام ببلاد العرب وعرف أهلها عن محاسنه الشيء الكثير ، كما سمعوا عن أخلاق نبيه وأصحابه وما يقومون به نحو الانسانية من خدمة

واصلاح وما أتاهم الله من نصر باهر على أعدائهم من أهل الكفر والالحاد .

وكان الغرض من ارسال هذه الوفود التي تمثل المواطنين الحضارمة هو اعلان الانضمام الى حظيرة الاسلام وتقديم فروض الطاعة والولاء وأخذ صورة مباشرة عن سيد المسلمين وأصحابه وتعاليمه وتوجيهاته،ومن الوفود الجماعية وفد كندة .

وفد كنـــدة

ترأس هذا الوفد الاشعث بن قيس الكندي ، وقد مر ذكره أثناء ترجمة أبيه ، وقد كان هذا الوفد مثالاً للروعة وحسن الهيئة ، وقد تألف من بضعة عشر رجلاً ، وعدّه بعض أهل السير نحواً من ثمانين [1] عضواً متأنقاً في لباسه وهيئته ، قدموا الى المدينة في السنة العاشرة للهجرة فقابلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسن مقابلة كما يقابل أمثالهم من وفود القبائل العربية ، ولاحظ عليهم ملاحظتين احداهما :

استعمال الحرير ، والثانية : الافتخار بعظمة جدهم آكل المرار حين قالوا له على سبيل الفخر والاعتزاز الجاهليين : نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار [2] ،فبادروا بترك ما نهاهم عنه فمزقوا الحرير الذي في جيبهم ووبخهم سيدهم الأصغر الأشعث بن قيس عن اعادة القول بما نهاهم عنه سيدهم الأكبر محمد صلى الله عليه وآله وسلم [3] .

---

(١) من جملة ما يترتب على العدد كثرة الصحابة وقلتهم بحضرموت .
(٢) كأنهم يشيرون الى أن له صلة نسب بهم من جهة الأمهات .
(٣) انظر السير النبوية ومنها سيرة ابن هشام .

مصاهرة بين القبيلتين

بمناسبة وجود الوفد الكندي بالمدينة استحسن عقد مصاهرة بين قبيلتي قريش بالمدينة وكندة بحضرموت وذلك كما يقول بعض أهل السير ، زواج الاشعث من ام فروة بنت ابي قحافة اخت الصديق،وسواء تم العقد وقتئذ أم بعده ، فان الرغبة في التقارب والمصاهرة قد حصلت بين القبيلتين ، واذا صح ما يقال ان رسول الله خطب قتيلة بنت قيس اخت الأشعث ، وتوفي قبل أن تقدم عليه من حضرموت فهو يؤكد تلك الرغبة من الجانبين في التقارب بين القبيلتين كما أشرنا . وهكذا كان نصيب كندة بوصفها من أعظم العشائر الحضرمية من نبل الأخلاق النبوية المعروفة عن رسول الله وأصحابه حين يتألفونها كما يتألفون غيرها من قبائل العرب لدعم الصلات والروابط الاسلامية فيما بينهم وبينها ، ولولا قرب عهد هذه القبيلة بالاسلام واصحابه حين توفي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لربما لم يرتد أحد منها ، ومع هذا فان كثيراً من رجالها ، ومن رجال حضرموت الآخرين ثبت على اسلامه كما سيأتي .

وفود حضرمية اخرى

تعددت الوفود الحضرمية في هذه السنة الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالمدينة وقد سطر التاريخ أسماء هؤلاء الأمراء والزعماء وهم : وايل ابن حجر يفد من شبوة يقال انه اول وأشهر وافد حضرمي الى الرسول ، وقد قوبل مقابلة ممتازة من الرسول وأعطاه عدة كتب وأقره على ما ورثه عن آبائه من امارة وستأتي ترجمته مبسوطة .

وفد الجعفيين من جردان

قيس بن سلمة الجعفي :

وفد على الرسول هو ورهط من أصحابه ، وقد أكرمهم الرسول وقدم لهم القلب بصفة خاصة ، وكان الدافع له على هذا هو ما بلغه عن الجعفيين

من عدم أكلهم القلب ولعل ذلك لتوهمهم انه يضر أو لأنهم يعافونه كما يعاف بعض الأعضاء الأخرى كالرئة والأمعاء والكرش. وعلى كل فان الرسول ــ كما هي عادته ــ أراد أن ينزع من قلوبهم عملياً كراهية أكل القلب فقدمه اليهم مشوياً فأكله بعضهم وعادوا بعدُ الى حضرموت مسلمين مخلصين.

ووفد أيضاً: الاسود الكندي من عرمة وجردان بمفرده وكليب البقلي التنمي من وادي تنعة.

وربيعه بن مرحب الحضرمي:

وغير هؤلاء كثيرون من بلاد الجنوب العربي وهم مذكورون في ثنايا كتب السير المطولة.

سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يثني على الحضارمة

لقد أورد العلماء والمحدثون والمؤرخون أحاديث كثيرة في فضل الحضارم تدل على ما يمتازون به من امانة وطاعة ورقة، وقد ذكرت بعض قبائل من كندة: كالسكون وتجيب بالثناء والمديح وقبيلة حضرموت كذلك، وكندة مدحت بأنها في السنام من الجسم العربي، كما أثني على اليمن وشعبه في أحاديث كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: الايمان يمانٍ والحكمة يمانية.

ومن الآيات التي فسرت اذذاك بأهل اليمن، ومنهم الحضارمة طبعاً سورة النصر: « اذا جاء نصرالله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله الله أفواجاً ..» الآية، فسر بعض التابعين كعكرمة الناس بأنهم أهل اليمن ولا يستغرب هذا، فقد أسلم اكثرهم طواعية، ولم تفتح بلادهم عنوة.

والمناقب القرآنية والسنية في فضل الحضارمة خصوصاً وأهل اليمن عموماً كثيرة[1] ومنها القوي ومنها الضعيف كالمناقب التي وردت في غيرهما

---

(١) انظر الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها للحداد في الموضوع.

من البلاد والعباد ، ولكن المهم من هذا هو ما يلي :

ان ندرك اندماج القبائل العربية مع بعضها بعضاً وسرعة المواصلات بواسطة النجب والجياد والحيوية والنشاط في السكان ولم تعد خافية أخلاق كل قبيلة ومناخ كل مقاطعة عربية ، وأن ندرك اطلاع سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أحوال بلاده وأخلاق قومه ومن تلك حضرموت والحضارمة ، واندماجه مع قبائل العرب في مواسم الحج وغيرها ، ومع الوفود العربية الكثيرة التي تفد عليه .

لهذا فهو انما يثني عليهم — بمقتضى الواقع — طبعاً[1] ولتشجيعهم على التمسك بالفضائل والابتعاد عن الرذائل .

ولا شك انه يعطي كل موقفٍ ما يستحقه تماماً كما وان بعض القبائل قد يكون لها موقفان ، احدهما : تشكر عليه والآخر تشكى منه ، فلا تعارض ، واذا ذكرت قبيلة فان المراد بها المجموعة في عمومها وتخاطب بالثناء وعكسه كمجموعة لا كأفراد .

ومن هنا لما وصف الرسول الحضارمة بالأمانة[2] في بعض الأحاديث فانه وصفٌ منطبق على الحضارمة امتازوا به اكثر من غيرهم من اخوانهم العرب واشتهروا به في مهاجرهم منذ عشرات القرون والى اليوم .

ونحن حين نسجل هذا الموضوع في هذا التاريخ فإنما نقصد به ما أشرنا اليه ، وليكون الشعب الحضرمي في الطليعة من بين الشعوب العربية في هذا العصر الحديث كما كان في العصر الإسلامي الاول وفي بعض مراحل التاريخ الاخرى مما سيأتي بعد .

---

(١) لأن رسول الله (ص) معصوم عن الكذب .

(٢) وردفي بعض الأحاديث : « الامانة في الازد وحضرموت فاستعينوا بهم » وهذا الحديث في كتاب انساب العرب لسلمة بن سالم العوتي الصحاري — مسند الى ابي قلابة .

اول عامل اسلامي على حضرموت

كانت نتيجة هذه الوفود الحضرمية بعد أن عادت الى بلادها هو انتشار الاسلام بحضرموت كلها من اقصاها الى أقصاها ساحلها وداخلها وبقية المخاليف اليمنية كذلك.

وكان أول عامل أرسله النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها هو زياد ابن لبيد الأنصاري الخزرجي البياضي احد شجعان الصحابة وفضلائها وذوي الرأي فيها كما يُعلم من أعماله.

أما اختصاصاته — كأمثاله من عمال الأقطار الاسلامية الأخرى فمنها :

(أ) جمع الصدقة (الزكاة) بصفتها أعظم مورد للدولة الاسلامية تأخذه من شعوبها ويمشون في صرفه على نظام مركزي، حيث يصرف على مستحقي القطر الذي يقدم زكاته وما فضل يصرف الى العاصمة (المركز) وفيه بيت المال وإمام المسلمين من الرسول او خليفته.

(ب) إصدار الاحكام الاسلامية وتنفيذها.

(ج) نشر تعاليم الاسلام.

(د) تعيين مساعدين له في مهمته ووظائفه، وقد مكث بحضرموت آخر سني الرسول وخلافة سيدنا ابي بكر، وصدراً من خلافة عمر، واكثر مقامه بتريم وشبام[1] ثم غيرهما من المواقع الرئيسية وتوفي في العقد الخامس من الهجرة اول خلافة معاوية.

اول مرشد اسلامي من الصحابة اشتهر بحضرموت

سيدنا معاذ بن جبل الامام المقرىء والصحابي الجليل قد ورد حضرموت واليمن لتعليم الأهالي الاحكام الاسلامية وللقضاء بينهم ايضاً. وقد اشار

(١) يقول الخطيب في البرد النعيم مخطوط، انه مقيم في تريم.

اليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن يقضي بما في كتاب الله فان لم يجد شيئاً فبما في حديث رسول الله فان لم يجد فليجتهد رأيه[1].

كان نزول معاذ (ض) بحضرموت بين قبيلة السكون الكندية وامتزج بهم وصاهرهم وله طلبة من حضرموت رووا عنه واقتبسوا من علمه وتقاه[2].

وهناك ابوموسى الأشعري ايضاً نزل حضرموت كمعاذ وأرشد أهلها كذلك الى تعاليم الأسلام.

وقد عاد كلا الاثنين منها فيما بعد الى الجهاد، وقد توفي معاذ (ض) بالشام في طاعون عمواس سنة ١٨ وتوفي ابو موسى في خلافة معاوية واختُلف في تاريخ وفاته على أقوال نهايتها سنة ٥٢ هجرية[3].

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في ١٢ ربيع الأول سنة ١١ للهجرة على المشهور حدث اضطراب ووقع ارتباك في أبناء الجزيرة العربية وارتد عن الاسلام بعض من لم يعه حق الوعي ولم يتمكن من فهم مباديه من العرب وبعضهم لم يرتد عن جميع المبادي الاسلامية، وانما امتنع من دفع الزكاة كبني يربوع التميميين الذين قتل بعضهم خطأ وهم أصحاب مالك ابن نويرة الشهير.

وبعضهم ظن أن لا طاعة لخليفة رسول الله بعده وان على كل أن يقوم بواجبه الاسلامي بدون أن يلتزم بالخضوع للسلطة بالمدينة المنورة — كل هذا يعرف بدرس أحوال العصاة المسمّين بالمرتدين.

---

(١) أنظر هذا الحديث الشهير في كتب الحديث.

(٢) يروي بعضهم حديثاً بأن الرسول أمر معاذاً بأن ينزل بين السكاسك والسكون وهما قبيلتان شهيرتان من كندة أنظر الشامل.

(٣) ان كلا من معاذ وابي موسى شهيد وله مواقف معروفة وابو موسى هو أحد الحكمين لفصل النزاع بين الامام علي ومعاوية ولكن أبا موسى مع الأسف خدع. والقضية شهيرة في كتب التاريخ.

والفرقة الرابعة هي التي ثبتت على المبدأ الاسلامي ووعته حق وعيه وانضموا الى صف الخليفة ، وهم كثيرون كما سيأتي .

أما في القطر الحضرمي فقد ظهرت هذه الفرق الأربع ، فالملوك الأربعة واختهم العمردة كانوا ممن ارتدوا وشربوا الخمر وخلعوا ربقة الاسلام عن أعناقهم وقتلهم أصحاب رسول الله كما يأتي :

وهؤلاء اتبعوا واتباعهم الاسود العنسي ، ثم لما مات رسول الله بلغ بهم الأمر الى درجة أن بعض نسائهم أظهرن الشماتة بموته وخضبن ايديهن فوجه بعض المسلمين الكنديين شعراً الى الخليفة يقول فيه :

ابلغ ابابكر اذا ما جئته … ان البغايا رمن اي مرام
أظهرن من موت النبي شماتة … وخضبن ايديهن بالعلاّم [1]
فاقطع هديت اكفهن بصارم … كالبرق اومض من متون غمام

فكتب ابوبكر الى عامله بحضرموت بقطع ايديهن ففعل .

ويتهم الاشعث بن قيس بالردة عن الاسلام بتاتاً بمقتضى كلام بعض المؤرخين [2] ولكن بعضهم يعده من الفريق الثاني الذي منع الزكاة فقط وشح بماله كما يقول هو لسيدنا أبي بكر الصديق لما ارسل اليه فاستنطقه بالمدينة [3] .

وهناك حارثة بن سراقة الكندي الذي يعد من الفريق الثالث[4] . وعلى كل حال فالواجب الاسلامي والاجتماعي هو الذي دفع أبا بكر الى قتال الفرق

---

(١) العلام بضم العين وتشديد اللام هو الحنا او ما يشبهه .
(٢) انظر كتاب قلادة النحر للطيب بامخرمه مخطوط .
(٣) انظر المشرع والبرد النعيم : اما صاحب الاستيعاب فقد قال ان جريراً يعني البجلي و الاشعث أرادا الصلاة على جنازة فقدم الاخير الاول قائلا إني ارتددت ولم ترتد .
(٤) ما رواه أهل السير عنه هذان البيتان الشهيران :

أطعنا رسول الله ما دام بيننا … فيا قوم ما شأني وشأن أبي بكر
ايورثها بكراً إذا كان بعده … فتلك لعمر الله قاصمة الظهر

فهل ترى بلغت به الغفلة الى حد انه لا يعرف انه ليس لابي بكر ابن موجود اسمه بكر ==

الثلاث الاوليات واخضاعها للسلطة الاسلامية العليا، وتأدية جميع الواجبات المادية والأدبية اليها ، فما عتم ان أمر زياداً بقتالها وأرسل اليه النجدات ، حتى تم اخضاع العصاة بواسطة المنضمين الى صف الخليفة من الحضارم في الداخل ، ومن أتى للنجدة من الأقطار المجاورة كصنعاء ومهرة .

كيف بلغ اهل حضرموت موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكيف تمت بيعة ابي بكر بينهم

لما تولى الصدّيق أبوبكر كان من جملة من كتب لهم من العمال زياد ابن لبيد بحضرموت وأرسل له كتاباً يخبره فيه بوفاة الرسول ويقره على عمله ، ولما تناول زياد الكتاب وقرأه خرج متقلداً سيفه وصلى الظهر اماماً بالناس ثم خطب فيهم بعد أن قرأ عليهم كتاب الخليفة ، وأمرهم بالمبايعة له واداء الزكاة فأجابته الأكثرية ومنهم سكان تريم وأشياعهم من المقاطعات الاخرى وبايعوه من بعد صلاة الظهر الى العصر [1] .

العصاة والمرتدون

هؤلاء كما ذكرنا ثلاث فرق ، وقد اعتزل الأشعث بن قيس مع طائفة من كندة ، ولكن زياداً بدأ يناوشهم ويضايقهم بمن معه من الحضارمة كنديين وغير كنديين [2] حتى اصطدموا به وكتب الى الخليفة بالمدينة يخبره

ام هو على سبيل التمثيل ومراعاة القافية وغرضه ان يستقل كل اقليم بامرائه وتسود الانفصالية والفوضى كما كانت في بلاد العرب ويتهدم بناء المركزية والحكومة العامة التي شادها الاسلام بالجزيرة العربية : وبعضهم يروي البيتين لغيره .

(١) أنظر البرد النعيم للخطيب وكتب السير المطولة .

(٢) من معه شرحبيل بن السمط وابنه كما في الأصابة وله كلام بليغ في ذلك الموقف .

بالواقع ويطلب منه المدد [1] .

ناقة شيطان

شيطان هذا احد شباب بني عمرو بن معاوية وهم من أعز قبائل كندة ومنهم الملوك الأربعة وأختهم العمردة المشار اليهم سابقاً ، ويقابلهم بنو الحارث بن معاوية وهم عشيرة الأشعث بن قيس ، وقد صدق أهله حين سموه شيطاناً فهو اسم على مسمى وبسبب عناده وتحيله بدأ الصدام المسلح والقتال بين زياد والعصاة من قبيلة شيطان هذا . وقد أخذ زياد من شيطان ناقة كريمة ووسمها بميسم الصدقة واسمها فيما يقال شذرة فوافقه ولكنه فيما بعد قال لزياد انها لأخي العدا وطلباها وليست على أخيه صدقة ، وطفق النزاع بين الاخوين وبين زياد يشتد فتدخل أحد زعماء القبيلة حارثة بن سراقة ولم يزالوا بشذرة حتى انتزعوها من بين ابل الصدقة فلم يسع زياداً الا أن أمر باعادة الناقة الى ابل الصدقة التي قال انها حق الله وقد دخلت فيها وأمر بتكتيف الثلاثة الكنديين المعاندين له وهم شيطان وأخوه وحارثة وأخذهم جيشه الى حيث يريد ، ثم هاجم القبيلة وقتل ملوكها [2] بمقتضى التفصيل الآتي :

---

(١) اطبق مؤرخو الحضارمة القدامى ومنهم صاحب المشرع والبرد النعيم على أنه لما ورد الكتاب الى الصديق دعا لأهل تريم بثلاث دعوات ان يكثر فيها الصالحون ويبارك في مائها ولا يطفأ لها نار . والغاية من هذه الدعوات ان لا تخرب وأن تبقى مدينة عامرة حية ، قالوا وقد استجيب دعاؤه ولعل رسول زياد تريمي طلب لمدينته الدعاء من الخليفة .

(٢) يقول الطبري في تاريخه وغيره أنه جمل يذبحهم وينشد :

نحن قتلنـــا الملوك الأربعة مخوسا ومشرحا وجمدا وابضعة

والشطر الأخير غير متزن تماماً مع سابقه التي قطعت همزة الملوك منه .

بدء القتال

كان من الطبيعي أن تغضب قبيلة الاسارى وتقرر حرب زياد وكان زياد يخشى أن يتفرق عنه جيشه وتمتد الثورة في البلاد، فباغت القبيلة في محاجرها ليلاً وهي حول نيرانها، ونظم خطة للهجوم عليها فقتل من رجالها مقتلة عظيمة، وأسر من نسائها وصبيانها. ومن القتلى ملوكها الأربعة وأختهم قالوا انه ظفر بهم وهم سكارى بدون حراس من شدة لعب الخمر برؤوسهم.

الاشعث تغلبه الحمية

لما مرت السبايا بالاشعث وهو زعيم عشيرته نادته النسوة والصبيان مستغيثين به ومثيرين عصبيته وحميته ليتقذهم من الأسر فلم يتمالك نفسه وأشعل حرباً ضد زياد وأصحابه فقتل منهم من قتل وانهزم من انهزم. وكانت النتيجة انتزاع الاسرى واطلاقهم.

فعظم هذا على الأمير وجيشه وشق عليهم، وبقي الأمير صابراً ومدارياً حتى قدم عليه مدد أبي بكر [١] وجاء المدد مقسماً في ثلاث حملات حملة يقودها المهاجر بن أبي امية المخزومي القرشي (ض) وهي الكبرى والسابقة، جاءت من اليمن عن طريق نجران حيث كانت تخضع العصاة هناك. ولحقت بها حملة ثانية يقودها الصحابي البطل عكرمة بن أبي جهل المخزومي شهيد اليرموك وقدر بعضهم فرسانها – وكل جيشها فرسان – بخمسمائة وبعضهم بسبعمائة [٢].

ويقال انها وصلت بعد انتهاء حدة القتال [٣].

---

(١) اختلف المؤرخون في طلب المدد فمنهم من قال انه طلبه من بدء الفتنة ومنهم من قال انه طلبه بعد الاصطدام مع الأشعث.

(٢) انظر البرد النعيم مخطوط الخطيب.

(٣) نفس المصدر يقول ان عكرمة جاء بعد انتهاء القتال بأربعة أيام وحصل نزاع بينه وبين المهاجر في الغنائم لأن المهاجر وصحبه لا يريدون لهم شيئاً منها لعدم حضورهم الموقعة

والحملة الثالثة وصلت من الشرق من بلاد مهرة بعد أن وطدت الأمن فيها وكانت مضطربة أثر وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

حصن النجير واين يقع ؟

المشهور عن النجير انه موضع معروف لدينا ويبعد عن تريم الى الشرق بنحو أربعة أميال، وكان بعض الباحثين في تاريخ حضرموت يميل الى انه النجير الذي في غرب حضرموت قرب العبر حيث تكثر كندة وتتضاعف قوتها وشوكتها وانها انما تحصنت هناك ووقع بينها وبين الصحابة الاشتباك فيه .

وعلى كل حال من الحالين ففي المكان المسمى بالنجير حصن عظيم — تحصنت فيه كندة وحاصرها الصحابة فيه بقطع طريق المواصلات اليها .

هذا بالنسبة لمن في الحصن من كندة أما من هم خارجه فقد أرسلت اليهم السرايا من الجيش حتى استسلموا وأسلموا .

كيف سقط حصن النجير في ايدي الصحابة ؟

بعد أن التحم الصحابة مع المرتدين والعصاة من كندة في موضع يقال له محجر الزرقان [1] انهزمت كندة وتجمعت بعد في حصن النجير ، فأحكم الجيش الحصار وضيق على الحصن ومن فيه طبقاً لخطة حربية وضعها قواده وكانت هناك ثلاث طرق تؤدي اليه فسدها الجيش ولم يكن بعد هذا بدّ

ولكن زياداً سالمهم على الخليفة فأمر لأصحاب عكرمة بنصيبهم، وهذا مخالف لما يقوله محققو التاريخ من أن عكرمة حضر قتال النجير - ويمكن حمل السابق على اول القتال - وشاع في الأوساط التريمية أن عكرمة جاء مسرعاً من اليمن ودخل تريم من طريق جبلية بشعب خيلة غرب تريم ، وفي مناخ ابلهم ومرابط خيولهم بني مسجد الرباط الموجود اليوم والمنسوب الى الشيخ سالم بافضل .

(١) نسبة الى رجل اسمه الزرقان يتحدث فيه مع قومه .

لمن في الحصن من القتال أو التسليم ، فتعاقدت كندة وشجع بعضهم بعضاً على أن لا يفروا وباتوا به في حالة استعداد وبات راجزهم يرفع عقيرته قائــلاً :

صباح سوء لبني قتيرة   وللأمــير من بني المغيرة [1]

وخرجت كندة تقاتل ببسالة، ولم يشر المؤرخون الى وجود مفاوضات قبل القتال لايجاد تسوية او توبة من العصاة الكنديين الذين شقوا عصا الطاعة وارتد بعضهم عن الاسلام .

وكادت تدور الدائرة في المعركة الأولى على كندة ولكنها ما لبثت أن دخلت الحصن حاملة قتلاها وجرحاها .

وأخيراً وقد قطع عنها المدد والاقوات وكثر فيها القتل فاوض الأشعث ابن قيس أشهر زعماء هذه الفتنة. ويقول بعض المؤرخين انه نادى عكرمة وطلب منه الأمان فأمنه مبدئياً وأوصله الى المهاجر بعد أن تم الأمر بينه وبينهم على ما يأتي : —

١ — أن يفتح لهم باب الحصن ليستولوا عليه وعلى من فيه .

٢ — عليهم أن يؤمنوا له عشرة نفر .

٣ — يكتب له وثيقة بهذا .

لما كتب الكتاب وبدأ تسجيل الأسماء وكانت كلها أسماء أقاربه، لم يبق الا العاشر وكان هواذا بمعدان، ابن الاسود الكندي يهم بالبطش به وقد أخذ بحقوه وأشهر عليه شفرته ليقتله أو يسجل اسمه في تمام العشرة فسجله وترك نفسه .

---

(١) يعنون بني قتيرة الصحابة ومن معهم. وقتيرة كلمة ذم كقترة وهي اسم حية خبيثة او كنية لابليس او غيرهما ، والامير من بني المغيرة هو المهاجر لا عكرمة وان كان هو مغيريا من بني مخزوم القرشيين .

وهكذا فتح الأشعث باب الحصن للجيش فدخله وقتل من فيه من المقاتلة ضرباً أو صبراً وأسر النساء والأطفال، قالوا وتقدر النساء بألف والاسرى — بهن — ستة آلاف .

ماذا كان مصير الاشعث في هذه الحرب

لقد كان الأشعث بن قيس ذا تقلبات وتلونات فقد عد أصحابه عمله هذا وتسليمه الحصن شريطة حصر الأمان في أقاربه غدراً وخيانة [١]، وسواء صح غدره في هذه الواقعة أم لم يصح فان التاريخ يحفظ له معايب عدة كعزمه على اللحاق بمعاوية وعصيان الامام علي بعد أن كتب له كتاباً وهو عامل للخليفة عثمان على أذربيجان يقره فيه على عمله، فهم بالمخالفة والعصيان لكن بعض العقلاء نصحه باتباع الحق وترك الهوى وطاعة الامام حتى ارعوى [٢]. ومرة أخرى هم بعناد الامام علي وهو يخطب على منبر الكوفة فزجره الامام وأنشد :

أصبحت قناً لراعي الضان يلعب بي
ماذا يريبك مني راعي الضان

وقد اتهم بأنه من الخوارج بل عده بعض المؤرخين منهم [٣] مع أنه احد الذين يريدون الحكمين بين الامام علي ومعاوية [٤] ولكنه فيما بعد لم

---

(١) المؤرخون لم يفصلوا لنا الاسباب الداعية للاشعث بالتسليم على هذه الصورة، ولئن قال قائل أنه مضطر فماذا يعذره في عدم المبادرة بالتوبة واعلان التسليم ؟ وما الذي يعذره في عدم خطاب قومه ودعوتهم قبل المفاوضة وبعدها الى ما ذكرنا ، حتى يسلموا وتسلم عائلاتهم لأن الاسلام لا يأسر الا الكفار ومن بقي على كفره من المرتدين .
(٢) تجد القضية مطولة في بعض كتب التاريخ ومنها : شرح النهج لابن ابي الحديد .
(٣) انظر تاريخ الخميس في الموضوع .
(٤) القضية مفصلة في كتب التاريخ كتاريخ ابن جرير .

يخرج مع الخوارج، فان أسر رأيهم في نفسه فهو أول خارجي كندي .
والى جانب هذا فللأشعث مواقف أخرى مشرقة كاشتراكه في الفتوحات الاسلامية وكهجومه على جيش معاوية بصفين حتى أزاحهم عن موضع الماء الذي استولوا عليه ومنعوا أصحاب الامام من الشرب، ازاحهم عنه واستولى عليه وبقي في قبضة جيش الامام علي الذي اباح الشرب منه لاعدائهم .

أما مصير الأشعث في هذه الحرب فقد هم بقتله المهاجر حين لم يجد اسمه في قائمة المؤمنين ولكن عكرمة طلب منه أن لا يتعجل بقتله وأن يرسله مع السبي الى الخليفة ، وكان عكرمة صهراً للأشعث فقد تزوج قتيلة بنت قيس بعد هذه الموقعة [1] . وبالرغم من ان أمر الأشعث بيّن للمهاجر كما يقول هو بمعنى انه يستحق القتل فانه رأى الأخذ بقول عكرمة القائد الآخر :
وفعلاً أرسله مع السبايا يحرسهم الجيش العائد من حضرموت الى المدينة .

مقابلته للخليفة

تربط الاشعث بالخليفة رابطة المصاهرة فقد تزوج أخت الخليفة ام فروة لما وفد على رسول الله كما تقدم . وهذا لما قابل الخليفة أخبره بأنه لم يرتد وطلب منه زوجته واطلاق سراحه فأجابه الخليفة الى كل هذا .

وهنا يستغرب موقف الاشعث حين يقول انه شح بماله ولم يرتد مع أن القائد الآخر المهاجر استحل دمه ودم أمثاله وقتلهم فعلاً . ولعل الأشعث تقلب وتلون ، ومهما يكن فقد تقدمت الاشارة الى الخلاف في ردته .

وليمة الأشعث بالمدينة

لما عفا عنه الخليفة ورد عليه أهله وحقن دمه خرج الى سوق الابل

---

(١) انظر البرد النعيم للخطيب مخطوط .

بالمدينة وجعل يعرقبها[1] فذهل الناس وصاحوا: ارتد الاشعث، فلم يلتفت اليهم واستمر في عمله حتى عرقب جميع الابل الموجودة، ثم التفت الى الناس قائلاً لهم:

« اني والله لم أرتد ولكن هذه وليمتي. فيا أهل المدينة كلوا ويا أصحاب الابل استلموا أثمانها. ولو كنا في بلادنا لكانت وليمة غير هذه » يريد انها ستكون أفخر وأعظم، وقد صدق فيما يقول.

وعاشت أخت الخليفة مع قرينها الأشعث وولدت له عدة أولاد منهم محمد واسحق.

من شهداء معركة النجير

انك حين تدخل مقبرة تريم وتقصد المنطقة الجنوبية الوسطى منها وتسمى زنبل تجد شرقيها حايطاً صغيراً فيه عدد من القبور، هذه هي قبور بعض الجرحى الذين حضروا موقعة النجير وجيء بهم الى تريم[2] للعلاج فعاجلتهم المنية وكان دفنهم في الموضع الذي أشرنا اليه. وأوصل بعض مؤرخي الحضارم عدة البدريين بتريم الى سبعين وعامة الصحابة الذين دخلوا حضرموت الى ثلثمائة.

وهناك صحابة آخرون فيما يشاع بحضرموت، وهذا لا يستبعد ما دام هناك قتال قد حصل في كثير من انحائها، ومن الصحابة رضي الله عنهم شهداء في المعركة. بل أن من يقول بأن النجير هو النجير الغربي وليس هذا. يحتمل أن يكون شهداء الصحابة بزنبل تريم — اذا وافقناه على قوله — قد نقلوا اليها من معركة أخرى والله أعلم.

---

(١) يعرقبها اي يقطع عراقيها حتى يمكن نحرها بسهولة.

(٢) انظر المشرع وأمثاله.

عباد بن بشر الانصاري

أصبح من المتواتر بين الأوساط الحضرمية وصول الصحابي الجليل عباد بن بشر الاوسي الخزرجي ووفاته شهيداً فيها على يد مانعي الزكاة الذين ضربوه بهراواتهم على رأسه حتى مات في قرية اللسك (القرية) أو قريباً منها ودفن بأعلى الجبل المسمى جبل الغراب. وهناك بحضرموت الشرقية يقام له حفل سنوي (زيارة) تقرأ فيه مناقبه ويهتم بها في الأكثر خطباء تريم الذين ينسبون اليه [1].

وفي الصحابة رضي الله عنهم رجلان جليلان كلاهما يسمى عباد بن بشر وكلاهما انصاري: أحدهما خزرجي قتل باليمامة في الواقعة التاريخية الشهيرة بين الصحابة وأتباعهم وبين مسيلمة وأتباعه، والثاني أوسي وهذا هو شهيد الزكاة بحضرموت ويقال له الأوسي الخزرجي. ولا تعارض في هذا النسب ففي سلسلة نسبه من يسمى من أجداده الخزرج كما أن في سلسلة قبيلة الخزرج من يسمى الأوس وان كانت الغالبية في نسب الانصار الوقوف على آخر من ينتمون اليه من أحد الجدين الاعليين. الأوس او الخزرج.

أما كتابا الاصابة والاستيعاب وغيرهما من كتب السير فليس فيها هذا الايضاح الذي أشرنا اليه. ولكنه هو المعروف والمتواتر بين أوساطنا الحضرمية [2].

---

(١) وهم يقومون الى اليوم منذ ثمانية قرون بالقاء خطب ابن نباته الشهيرة في الجمعة بتريم خطب بليغة مؤثرة جداً لولا أنه مناسب أن تعدل في بعض مواضيعها فتتناول كل النواحي الاجتماعية في هذا العصر الحديث. وقد قال الامام الحداد في تثبيت الفؤاد: لولا الادب مع السلف لابدلت في خطب ابن نباته. ولكلامه هذا تفسير سيأتي.

(٢) صاحب الاستيعاب لم يترجم الا للاوسي وذكر أنه قتل يوم اليمامة شهيداً اما صاحب الاصابة فقد ترجم للاثنين وذكر استشهاد الاوسي بها أيضاً فهل اشتبه عليه بالخزرجي ؟ وعلى كل ففي نسبه الى الاوس والخزرج ما يحل الالتباس. انظر سيرة ابن هشام في نسب بني عبد الاشهل في من حضر بدراً ، وقد خطأ صاحب برد النعيم من قال ان شهيد اليمامة هو الاوسي وحقق الموضوع بأدلة اخرى أوردها فيه فلينظرها من شاء.

الاثر الذي احدثه وجود الصحابة ببلاد حضرموت

سبق ان سقنا مجمل الحوادث التي جرت بين الصحابة والمسلمين من الحضارم ضد العصاة والمرتدين بحضرموت وكلهم أو جلهم من كندة .

والصحابة رضي الله عنهم قد امتازوا بالشجاعة النادرة لأنهم يقاتلون عن ايمان وعقيدة اسلامية واعية راسخة في قلوبهم، وطبعاً فانهم لا يستعملون القوة والشدة الا مع من لا يريد الاحتكام الا الى السيف. وكانت كندة قبل أن تخضع لهم بهذه المثابة حتى أخضعوها [1] .

وهناك طرق سلمية كثيرة استمال بها الصحابة أهل حضرموت فقد صاهروهم ، ومن أبرز من صاهرهم عكرمة بن أبي جهل الذي تزوج قتيلة بنت قيس أخت الاشعث بن قيس [2] التي قيل ان الرسول خطبها كما تقدم . وصاهر أبوبكر الأشعث بن قيس لنفس السبب .

كما أخذ من الحضارمة جمهور عن الصحابة بحضرموت بعض العلوم الاسلامية من تفسير وحديث وأحكام كعمرو بن ميمون الاودي الحضرمي صاحب معاذ بن جبل وتلميذه [3] .

وإلى جانب هذا كله فقد تأثروا بآداب الصحابة وأخلاقهم العالية وشدة ايمانهم ونصيحتهم في سبيل المبدأ وغيرها من أمهات الاخلاق .

---

(١) مما يستغرب أن يذكر البكري في كتابه تاريخ حضرموت السياسي أنه قد كان من المنتظر ان تجمع ملوك كندة للانتقام من زياد وأنهم لو قاتلوا المهاجر لقضوا عليه وعلى جيشه الخ فهذا لا ينسجم مع التاريخ ولا مع الانصاف .

(٢) أنظر البرد النعيم مخطوط .

(٣) انظر الشامل للحداد في موضوع نزول معاذ بن جبل .

حضرموت تتمسك باهداب الطاعة
طيلة قرن كامل وربع قرن تقريباً

بعد أن رسخ في حضرموت الاسلام وتأثر أهلها بالصحابة كما تقدم بقي الحضارمة كأخوانهم من جمهور البلاد العربية والاسلامية هادئين مطيعين لامرائهم وخلفائهم لم يشقوا عصا الطاعة ولم يقوموا بفتنة تذكر، بالرغم من وجود زعماء واذواء بها في هذا الدور كله [1]، ولكنهم مشغولون بما هم فيه من جهاد خارجي واصلاح داخلي. وكان أميرها يصلها اما من مركز الخلافة مباشرة أو بالنيابة عن عامل اليمن بوصفها مقاطعة (مخلافاً) من مقاطعاته (مخاليفه) منذ الحروب المسماة حروب الردة التي تكلمنا عنها، حتى خروج عبدالله بن يحيى الكندي سنة ١٢٩ ﻫ في أواخر خلافة بني أمية التي اضمحلت سنة ١٣٣ ﻫ.

فالدور الماضي الذي تكلمنا عنه (ولعله أشرف الأدوار) يبدأ باندماج حضرموت في البلاد الاسلامية العربية الى ثورة الكندي الاباضي وبثورته يبدأ الدور الاباضي كما سيأتي :

الحياة الاجتماعية بحضرموت بعد دخولها
الاسلام حتى العهد الاباضي

لقد انقلبت حضرموت انقلاباً تقدمياً عظيماً بدخولها الاسلام كما انقلبت جميع البلاد العربية الى حياة اسلامية منظمة فزالت الفوضى الضاربة أطنابها وتوقفت الغارات وحروب النهب وما يترتب عليها من اضرار والاخذ

---

(١) يظهر هذا من ثنايا كتب التاريخ ومنها كتاب العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان والاذواء جمع ذو، وهم اقل شأناً من الاقيال وللاذواء نفوذ داخل مخاجرهم وبين اتباعهم وعشيرتهم.

بالثأر ومقدماته وكسرت الأوثان ومعابد الاصنام ومنعت الخمور وتلاشى الفجور وطبقت التعاليم الاسلامية وصار الناس يجتمعون في مواضع الصلوات والجمع والزينات وانتشر الأمان فازداد العمران واتسعت رقعة الزراعة وتحسنت الصنائع خصوصاً النسيج وكانت النساء يشتغلن خارجاً وفي بيوتهن ويغزلن ويتنافسن في جودة النسيج وقد أهدى احد الحضارمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كسوة من صنع أمه حين قابله بالمدينة وأسلم على يديه وطلب لأمه ولنفسه الدعاء منه[1]. وكان الملوك والأمراء المترفون في ذلك العهد والأغنياء ينتقون البرود والحبر الحضرمية كما ينتقون الأطياب الحضرمية أيضاً ، وتثقفت عقول الحضارمة كغيرهم من أبناء العرب بالتعاليم الاسلامية فكان علماء الصحابة كزياد بن لبيد ومعاذ بن جبل ومن بعدهم يعلمونهم ويلقنونهم إياها في خطبهم ومواعظهم ومجالسهم الخاصة ، ونشطت الحركة الأدبية فارتفع مستوى البلاغة في خطبهم وأشعارهم ، ونظم شعراء الحضارم القصائد الطنانــة وقصدوا العواصم الاسلامية ومنها المدينــة ، ثم دمشق ، لمقابلة الرسول والخليفة ومن أبرزهم امرؤ القيس بن عانس وخيار بن ابي اوفى النهدي .

وعم العدل والرفاهية بتوزيع الزكاة توزيعاً عادلاً على المستحقين وبما يتحصلون عليه من غنائم في غزواتهم حيث غزا الحضارم مع اخوانهم من المسلمين وهم ألوف مؤلفة الى فارس والروم ومصر والجزائر وغيرهما من افريقية ثم يعودون بتلك الغنائم فيوسعون بها على أنفسهم وأهلهم وبنيهم في وطنهم .

وهكذا وحد الاسلام قوى القبائل الحضرمية العربية فوجهها الى الكفاح والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله وحفظ الكيان العربي والاسلامي بدلاً

---

(١) اسمه كليب بن سعد هو معد ود في الصحابة و اسم أمه مهناة وكليب شاعر مدح الرسول بقصيدة أنشدها له وهو مذكور في بعض كتب التاريخ .

عما كانت موجهة ضد بعضها بعضاً .

وظهر فيهم القواد والفاتحون للبلاد كالاشعث بن قيس الكندي المرشح لفتح نهاوند وفاتح أذربيجان وأميرها والثوار ضد الملوك والامراء أمثال التجيبي المشارك في قتل الخليفة عثمان بن عفان ــ وكالتجيبي قاتل ابن الزبير وكمعاوية بن حديج التجيبي المدبر لقتل محمد بن أبي بكر الصديق عامل الامام علي على مصر وفيهم من تولى مناصب رفيعة في دولة الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين كالقضاة وادارة الشرطة وغيرهما [1] .

وبالرغم من أن قوى العرب المسلمين متحدة فقد تأثر الحضارمة بالمذاهب الاسلامية والاهواء السياسية الداخلية والخارجية .

وهكذا حدثنا التاريخ الاسلامي عن مدى تأثر الحضارمة بالمذاهب والنحل الاسلامية ، والأهواء السياسية التي ظهرت بشكل واضح بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان كغيرهم من اخوانهم العرب والمسلمين فنجد فيهم الناصبي والشيعي والخارجي والسني ممن هو أموي النزعة أو عباسيها أو علويها ، بل قد يكونون أبناء عم من أسرة واحدة وهذا ناصبي وذاك شيعي ، مثلاً ، وذاك سني وهذا خارجي اباضي .

لهذا شاركوا فعلاً في جميع الحروب والاصطدامات بين الأطراف والأسر القرشية المتنازعة على الملك من أمويين وعباسيين وعلويين [2] .

وقد كان لهذه التصرفات مع الأسف الشديد الاثر الفعال في تراجع الدول العربية والاسلامية الى الوراء وتقويض بنائها وعدم استمرار الوحدة العربية والاسلامية المنشودة التي نادت بها التعاليم الاسلامية وخاطبنا بها القرآن الكريم حين يقول : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ». وبحكم الاتصال

---

(١) هؤلاء المشار اليهم يعتبرون حضارمة اما بمولدهم ونشأتهم او بقرب عهدهم وصلاتهم بحضرموت . انظر جني الشماريخ لحداد .

(٢) انظر جني الشماريخ للحداد .

بين حضارم المهجر والوطن في هذا العهد فقد سرى من الأولين الى الآخرين جميع هذه المذاهب والنحل والاهواء السياسية فوجدت في البلاد وبين أبناء البلاد . وطبيعي أن يتغلب الأصلح للبقاء والمؤيدون من قبل الأقوياء ، وسيأتي الكلام عن هذا الموضوع الذي يتكرر في الأدوار اللاحقة .

ومنهم من أقام خارج حضرموت واستقل بحارة خاصة ببعض البلاد العربية والاسلامية كحارة كندة في الكوفة [1] وفي الفسطاط وغيرهما كما ذكرته التواريخ الاسلامية وبقي متصلاً ببلاده وشعبه يواصلهم شأن الجاليات التي تهاجر من بلادها الى الخارج وهكذا كانوا حتى طال عليهم المدى واندمجوا في أهل البلاد التي هاجروا اليها .

ونجد كثيراً ممن في البلاد الأخرى ممن هو من أصل حضرمي ذا شهرة في التاريخ كعبد الرحمن بن الأشعث بن قيس من طبقة التابعين في العراق وقد قام سنة ٧٠ هـ بثورته الشهيرة في التاريخ ضد الحجاج بن يوسف عامل عبدالملك بن مروان على العراق ، وقضاة مصر التسعة في الدولة الاموية .

قال الشاعــر :

لقد ولي القضاء بكل أرض	من الغر الحضارمة الكرام
رجال ليس مثلهم رجـال	من الصيد الجحاجحة الضخام

وقـال :

يا حضرموت هنيئاً ما خصصت به	من الحكومة بين العجم والعرب
في الجاهلية والاسلام تعرفه	اهل الرواية والتفتيش والطلب [2]

---

(١) يقال للمتنبي الكندي نسبة الى محلة كندة بالكوفة لا الى قبيلة كندة كما ظن البعض . انظر ابن خلكان وما قيل من انه حضرمي الاصل لعل أصله من الجعفيين الحضارمة كما سيأتي قريباً .

(٢) أنظر المشرع .

ويقال ان من هذه الجاليات المتنبي أحمد بن الحسين الشاعر الحكيم الشهير فهو جعفي حضرمي الاصل ، وقد توفي سنة ٣٥٤ هجرية وابن خلدون عبدالرحمن بن خلدون المؤرخ الفيلسوف الشهير المتوفى سنة ١٤٠٦م وسنة ٨٠٩هـ .

الاحكام والمحاكم

تصدر الأحكام طبق الشرع الاسلامي كبقية الأقطار الاسلامية ويستنبطها العامل أو مساعده من الكتاب (القرآن) والسنة ثم يجتهد فيما لا يجده فيهما ، وينطق الحكم وينفذه اذ في يده السلطة التنفيذية أو القضائية . وللعامل سلطة واسعة وصلاحية لا تكاد تحدد ويرجع فيما يفشل فيه وما لا يهتدي اليه الى الرسول ثم الخليفة في العاصمة كما يرجع اليه في الأمور الخطيرة .

ازيــاؤهم

يستعملون العمائم بأشكالها والجبب والحلل والأزر والبرود والسراويل ومنهم من يكتفي بالبعض منها خصوصاً سكان البوادي ، أما ميسور الحال فقد يجمع بينها كلها . وتفصل غالباً من الأقمشة المتنوعة ، وقد تتخذ في فصل الشتاء من أدم الأنعام المدبوغة دبغاً جيداً باوبارها وأصوافها [١] .

ومما تستعمله النساء الخمرا والبراقع على رؤوسهن كما يستعملن الفساتين على أجسادهن وتختلف شكلاً عن الفساتين العصرية ويستعملن المروط [٢] ويتحلين بالعقود حول أعناقهن والأقراط في آذانهن والدمالج في معاصمهن والمناطق في خصورهن والخلاخل في أرجلهن وكثير منهن لم يزلن سافرات [٣]

---

(١) والى اليوم يأتي بعض أفراد العشائر الحضرمية الى المدن لابسين الجلود .

(٢) المروط جمع مرط وهو ثوب غير مخيط .

(٣) كنساء الطوائف الكادحة ، وفيما قبل هذا الدور هن ما بين سافرات ومتبرجات وقد نزلت فيهن الآية الشريفة : « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » .

المرأة الحضرمية في هذا الدور

والمرأة الحضرمية وفية لزوجها ، ومنهن من يأخذها زوجها في هجرته أو غزوته للجهاد ، ومنهن من تبقى في بلادها ، وتقوم بتربية أولادها وتدبير منزلها ، واعداد الطعام والمشاركة في الزراعة والصناعة مع الرجل وصيانة نفسها ومال زوجها ، وقد تمر عليها السنون العديدة وهي راضية صابرة ، ولكن لم تصل غيبة الأزواج للحد الذي وصلته الآن من انقطاع بعض الأزواج عشرات السنين في الخارج حتى تشيب زوجه ويشب أولاده وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه ، وهذا خطأ اجتماعي كبير يأباه الشرع والعروبة والانسانية .

وقد أمر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بأن لا يغيب الزوج عن زوجه أكثر من أربعة أشهر حسب الممكن وكتب الى قواده بتطبيق هذا الأمر على أفراد الجيش ، وكان الباعث على هذا قضية المرأة التي سمعها تغني وتقول :

تطاول هذا الليل وازورّ جانبــه	وليس الى جنبي خليل ألاعبــه
فوالله لولا الله تخشى عواقبــه	لحرك من هذا السرير جوانبــه
مخافــة ربي والحيــاء يردنــي	واكرام بعلي كي تصان مراتبه [1]

امانة الحضرمي

والحضرمي على العموم معروف اكثر من غيره بالأمانة،ويكفي الحضارمة شاهداً فيها ما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وغيره من اتصافهم بها .

أما نواحي حياتهم الاخرى فلا يكادون يختلفون فيها عن سائر اخوانهم العــرب .

---

(١) وتروى هذه الأبيات في كتب الأدب بألفاظ مختلفة والغاية واحدة .

بعض الشخصيات اللامعة في ذلك العهد

وائل بن حجر الحضرمي

هذه الشخصية الكبيرة لها مكانتها في الجاهلية والاسلام ، فأما في الجاهلية فلأنها سلالة ملوك توارثت الملك وتقاليده عن آبائها بحضرموت ، وقد اخطأ بعض المعاصرين اذ أبدل اسمه باسم ابيه وقال انه ملك تريم[1] .

وقد وفد بمفرده على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة فأسلم ، ويقال أنه أول وافد من حضرموت الى المدينة وقد بشر النبي به اصحابه قائلاً : « يأتيكم بقية ابناء الملوك » قبل مقدمه مما يدل على اهتمام الرسول به ومرة اخرى قال : هذا وائل سيد الاقيال .

ومن المعلوم أن استقباله بالمدينة كان استقبالاً حاراً الى درجة أن الرسول بسط له رداءه حتى لا يجلس على الأرض وأصعده على منبره ودعا له ولنسله بالبركة الى يوم القيامة ، ومنهم المؤرخ الفيلسوف عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي صاحب المقدمة الشهيرة وغيرها من الكتب ، وله آراء صائبة في التاريخ تفرّد بها وقد سبق له ذكر .

كتب الرسول لوائل ثلاثة كتب[2] ومن أشهرها كتابه الطويل المتضمن بعض أصول الأحكام الشرعية الذي يقول فيه الى الاقيال العباهلة[3] ولغته حميرية . ولعل ذلك يرجع الى الرواة الذين يستعملونها فرووا كتاب النبي

---

(١) البعض هو صلاح البكري في كتابه المسمى (في جنوب الجزيرة العربية) ولم ندر من اين مصدره في هذا وأمثاله ما يأتي بعضه عند المناسبة على أن المعروف عن وائل انه ملك بعض القطاعات الساحلية والقطاعات المتصلة بشبوة ، فالخطأ في الاسم وفي المملكة .

(٢) انظر كتب السير وترجمته في الاصابة والاستيعاب .

(٣) جمع عبهل بالباء الموحدة والعباهل طائفة من الأقيال . انظر كتاب العرب قبل الاسلام . وزاد بعضهم بأنهم الملوك الذين أقروا على ملكهم .

بالمعنى ، لأنها تعد غريبة الالفاظ بالقياس الى كتب النبي الاخرى ويمكن أن يكون خاطبه بها لأنه يخاطب كلاً بلغته ولعل الاول اقرب .

وقد أقره الرسول على ما ورثه من ملك تقليدي أو امارة تقليدية عن أهله كما هي عادته صلى الله عليه وآله وسلم ، ان يبقي كل من يسلم من أرباب العروش عليها بادي ذي بدء ما دام يخضع لحكم الاسلام ويلتزم مبادئه .

صنم وائل بن حجر

ويذكر العلامة المؤرخ السيد احمد دحلان في سيرته عن وائل أنه قال : وسبب وفودي على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لي صنم من العقيق[1] فبينما أنا نائم في الظهيرة إذ سمعت صوتاً منكراً من المخدع الذي به الصنم وسجدت بين يديه واذا قائل يقول :

واعجبا لوائل ابن حجر   يخال يدري وهو ليس يدري
ماذا يرجى من نحيت صخر   ليس بذي نفع ولا ذي ضر
لو كان ذا حجر أطــاع امري

قال : فقلت أيها الهاتف الناصح فما تأمرني ، فقال :

ارحل الى يثرب ذات النخل   تدين دين الصائم المصلي
محمد النبي خير الرسل

---

(١) وجدت في ذلك العهد وغيره كثير من أنواع الحجارة الكريمة بحضرموت ومنها العقيق الفاخر أنظر حضارة العرب لغستاف لوبون .

ثم خرّ الصنم لوجهه فاندقّت عنقه فقمت اليه فجعلته رفاتاً ثم سرت مسرعاً حتى اتيت المدينة فدخلت المسجد ... الحديث .

وتستخرج من هذه الرواية مدى تفنن العرب في صنع الأصنام واستيثارهم بها ومن الممكن ان يُتأول هذا الهاتف بأنه احد الأشخاص المؤمنين اختبأ خارج المخدع أو داخله ، وخاطب وائلاً بما خاطبه ليجعل ذلك وسيلة الى اسلامه .

بماذا اشتهر هذا الصحابي رضي الله عنه

أما في الجاهلية فهو كأمثاله من امراء ومشائخ حضرموت والبلاد العربية كثير الاعتزاز بأرستقراطيته وسلطانه وامجاده وله فضائله في جاهليته من قرى الضيف وحماية الجار ورفع شأن القبيلة .

الزجر

ووائل رضي الله عنه زاجر في الجاهلية وقد يستعمل الزجر بعد اسلامه[1] كما اعتاده في جاهليته ، والزجر وبمعناه القيافة من علوم العرب كالكهانة[2] والمراد به زجر الطير او الوحش او إطارته او تجفيله ، وملاحظة الناحية التي يسلكها والهيئة التي عليها ليبني على ذلك تفاؤله او تشاؤمه . قال الكميت ابن زيد في بائيته الشهيرة :

---

(١) روى له صاحب الاستيعاب قصة الزجر مع زياد بن أبيه فانظرها هناك ان شئت .

(٢) الى اليوم لا تزال بعض القبائل البدوية يتكهن أفراد منها بواسطة لون السحب أو خطوط الكف او عظم كتف الشاة بعد أكله فيصدقون في ذلك احياناً .

ولا أنا ممن يزجر الطير همه　　　اطار غراب ام تحرك ثعلب
ولا السانحات البارحات عشية　　　أمرسليم القرن ام مرأعضب

وقد يصدق الزاجر فيما يقول كما قد يصدق الكاهن ولعل ذلك من قبيل الايحاء النفسي او الصدفة ولكن لما جاء الاسلام نهى عن ذلك وابقى بعض علومهم التي لها دخل في الطب والاختبار كالقيافة ، وهي معرفة النسب بالدم والملامح ، وقد اختصت بها بعض قبائل العرب كبني مدلج .

وائل بعد اسلامه

وبعد اعتناقه الإسلام وتمكنه فيه لم يرَ نفسه إلا فرداً كغيره من أفراد المسلمين وأضاف الى عزته في الجاهلية نزاهة وعزة اسلامية وغيرة على الحق وجهاداً في سبيله ، فانتقل من حضرموت غازياً في سبيل نشر العقيدة والعدالة الاسلاميتين ، ونزل الكوفة ، وكان في صف حجر بن عدي الكندي الشهير والشهيد الذي قتله معاوية اول ملك في الاسلام بعد الخلفاء الراشدين . وذلك لان حجراً رضي الله عنه كان يعارض عامل معاوية نائبه على الكوفة في لعن الامام علي بن ابي طالب على المنبر وفي تأخير الصلوات عن وقتها ، واضاعة الوقت من العامل ، والتشفي بلسانه على المنبر من خيار الأموات والحقد عليهم وفي مقدمتهم رحمهم الله الامام علي رضي الله عنه . كما انتقد فساد الحكم اذ ذاك مما ادى الى القاء القبض على حجر المشار اليه ، ومعه بضعة عشر رجلاً من أنصاره ومعتنقي مذهبه ، ومنهم المترجم له ، وأرسلوا الى معاوية بالشام فقتل حجراً رحمه الله وبعض أصحابه ، وضج الرأي العام الإسلامي لقتلهم اذ ذاك ، وأطلق البعض ومنهم وائل المترجم له وتوفي بعد مدة قريبة من هذه الحادثة رحمه الله .

محاورته مع معاوية

كان للمترجم له مع معاوية محاورتان متعاكستان فالمحاورة الاولى وقعت بالمدينة وذلك لما وفد وائل الى المدينة وأعد له منزل خاص ينزل فيه في حرة المدينة وأشار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على معاوية بأن يرشده الى نزله ، وكان حر الرمضاء شديداً والمنزل بعيد في ضاحية المدينة ووائل راكب ناقته ومعاوية راجل حاف فما وسعه الا أن يطلب من وائل ان يعطيه نعليه لتمنع عنه الرمضاء ، فأجابه وائل الذي لا يزال قريب عهد بالجاهلية معجباً بأبهة الامارة الموروثـــة بأنه يخشى أن يبلغ أهل اليمن بأن سوقة ً مثل معاوية في نظره إذ ذاك،لبس نعل أحد أقيالهم يعني نفسه . فخاطبه في أن يردفه فأجابه معتزاً بنفسه بأنه ليس من أرداف الملوك وإنما يكفيه أن يسير بمعيته في ظل ناقته ، وهكذا صبر معاوية على هذا الضيف الكريم وربما كان ثقيلاً في نظره .

أما المحاورة الثانية فقد جرت بدمشق ومعاوية ملك قد تولى الخلافة ، ووائل فرد من أفراد الشعب وقد ذاق حلاوة الاسلام، فسلم على معاوية فاستقبله معاوية احسن استقبال وقدم له جائزة فاعتذر عن قبولها بأن في المسلمين من هو أحق بها وأحوج اليها منه . وهذا إنما يدل على نزاهته وعفته . وتذكر قضية الحرة القديمة وود لو أنه اركب معاوية على ناقته إذ ذاك .

قيسبة بن كلثوم السكوني
فارس الحضرميين في فتوحات مصر

نشأ قيسبة هذا في اسرة نبيلة لها رياستها على قبيلة السكون الكندية والرجل منذ نشأته ذو وازع ديني ويميل الى التحنث والعبادة . وكان في جاهليته متمسكاً بعبادة الأصنام وزيارتها ولكنه فيما بعد انتشار الاسلام بحضرموت

وعاه حق الوعي واعتنقه وصار من كبار الفرسان المجاهدين في سبيله . وكان أحد قادة الحضارم في فتح مصر عام ٢٠ هجرية ، ومما حواه من الغنائم قصر الشمع بمصر القديمة ولكنه لحبه الخير تنازل فيما بعد عنه للمصلحة العامة ، فهدم وبني في موضعه مسجد عمرو بن العاص الشهير .

منزلته بين قومه ومواطنيه

حاز قيسبة ثقة كبيرة بينهم لما فيه من حسن الخلال ومن أهمها الشجاعة والاستقامة وحب الخير ، ويعد من أبرز فرسان وشعراء حضرموت اذ ذاك ، وكثيراً ما تقترن الفروسية بالشعر عند سادة العرب .

ولما توجه في جاهليته الى الحجاز لزيارة الكعبة الشريفة بمفرده تعرضت له قبيلة بني عقيل في واقعة يسوقها لنا ابو الفرج الأصبهاني في الأغاني بأسلوب جميل ، ونستنبط منها فوايد اجتماعية كثيرة عن ذلك العهد فلنتركه يتحدث كما يقول فيما يلي :

خرج قيسبة بن كلثوم السكوني ، وكان ملكاً يريد الحج وكانت العرب تحج في الجاهلية ، فلا يعرض بعضها لبعض فمر ببني عامر بن عقيل فوثبوا عليه فأسروه وأخذوا ماله وما كان معه ، والقوه في القيد فمكث فيه ثلاث سنين ، وشاع باليمن ان الجن استطارته . فبينما هو في يوم شديد البرد في بيت عجوز منهم اذ قال لها اتأذنين لي أن آتي الاكمة فاتشرق عليها فقد اضر بي القر فقالت له نعم ، وكانت عليه جبة له حبرة لم يترك عليه غيرها فتمشى في أغلاله وقيوده حتى صعد الاكمة ثم أقبل يضرب ببصره نحو اليمن وتغشاه عبرة فبكى . ثم رفع طرفه الى السماء وقال اللهم ساكن السماء فرج فيما اصبحت فيه ! فبينما هو كذلك اذ عرض له راكب يسير فأشار اليه أن أقبل فأقبل الراكب فلما وقف عليه قال له ما حاجتك يا هذا ؟ قال

اين تريد، قال اريد اليمن، قال ومن أنت ، قال ابوالطمحان القيني ، فاستعبر باكياً فقال له ابوالطمحان ومن أنت فاني أرى عليك سيما الخير ولباس الملوك وأنت بدار ليس فيها ملك ، قال أنا قيسبة بن كلثوم السكوني ، خرجت عام كذا وكذا أريد الحج فوثب علي هذا الحي فصنعوا بي ما ترى وكشف عن أغلاله وقيوده . واستعبر ابوالطمحان فقال له قيسبة هل لك في مائة ناقة حمراء ، قال ما احوجني الى ذلك ! قال فأنخ ، فاناخ . فقال له أمعك سكين قال نعم . قال ارفع لي عن رحلك فرفع له عن رحله حتى بدت خشبة موٌخره وكتب عليها قيسبة بالمسند وليس يكتب به غير أهل اليمن .

بلغا كـندة الملوك جميعـاً حيث سارت بالاكرمين الرجال

ان ردوا العين بالخميس عجالا واصدروا عنه والروايا ثقال

هزئت جارتي وقالت عجيباً اذ رأتني في جيلي الأغلال

ان تريني عاري العظام اسيرا قد عراني تضعضع واختلال

فلقد اقدم الكتيبة بالسيف على السـلاح والسربـال

وكتب تحت الشعر الى أخيه أن يدفع الى ابي الطمحان مائة ناقة ثم قال له : اقرىء هذا قومي فانهم سيعطونك مائة ناقة حمراء فخرج تسير به ناقته حتى اتى حضرموت فتشاغل بما ورد له ونسي امر قيسبة حتى فرغ من حوائجه ، ثم سمع نسوة من عجائز اليمن يتذاكرن قيسبة ويبكين فذكر أمره فأتى أخاه الجون بن كلثوم وهو أخوه لأبيه وأمه ، فقال له يا هذا اني أدلك على قيسبة وقد جعل لي مائة من الأبل قال له فهي لك فكشف له الرحل فلما قرأه الجون أمر له بمائة ناقة ، ثم اتى قيس بن معد يكرب الكندي أبا الأشعث بن قيس فقال له : يا هذا ان أخي في بني عقيل أسير ، فسر معي بقومك ، فقال له اتسير تحت لوائي حتى اطلب ثارك وانجدك والا فامض راشداً فقال له الجون مس السماء أيسر من ذلك وأهون علي مما خيرته. وضجت السكون ثم فاوٌرا ورجعوا وقالوا له وما عليك من هذا! هو ابن عمك ويطلب لك بثأرك فانعم له بذلك ، وسار قيس وسار الجون بعدُ

تحت لواء كندة، والسكون[1] معه فهو اول يوم اجتمعت فيه السكون وكندة لقيس وبه أدرك الشرف فسار حتى اوقع بعامر بن عقيل فقتل منهم مقتلة عظيمة واستنقذ قيسبة وقال في ذلك سلامة بن صبيح الكندي :

لا تشتمونـــا ان جلبنا لكم   الفي كميت كلها سلهبه[2]
نحن[3] ابلنا الخيل في أرضكم   حتى أسرنا منكم قيسبه
واعترضت من دونهم منحج   فصادفوا من خيلنا مشغبه

توفي في العقد الرابع من الهجرة .

امرؤ القيس بن عانس الصحابي الشاعر المشهور[4]

هو كندي حضرمي ، ويقال أن مسقط رأسه تريم ، وقد اشتهر بمتانة العقيدة الإسلامية لديه وثباته عليها ، ووعيه للاسلام ، وتعاليمه السامية ، ولهذا انكر على الأشعث ردته ، فهو من الأفراد القلائل الذين جمعوا في ذلك العهد بحضرموت بين فقه الاسلام والتضحية في سبيله وبين الأمجاد القومية التي تلائمه ولهذا فهو فارس مقارع ومطواع لما عليه احكام الاسلام وأوامره .

منازعته مع ربيعة بن عيدان الحضرمي

وقد تنازع مع ربيعة بن عيدان[5] في أرض بحضرموت ولعل اسمها

---

(١) من المعلوم ان السكون قبيلة من كندة ولكنها تنفرد بنفسها لكثرة رجالها بالنسبة لقبائل كندة الأخرى .

(٢) اي طويلة .

(٣) لعله مستعار من ابل الابل اذا احسن سياستها .

(٤) عانس بالنون كما في المشرع . ولكنه بالباء الموحدة في مصادر أخرى .

(٥) بالياء المثناه .

المحترقة[1] وقال بعضهم[2] هي بير[3] عند القرية المسماة انف خطم تدعى بحيرة[4] وذلك بالجبل المقابل لجبل الغرفة وهو السرير واختلفت الروايات في أيهما المستولي عليها وأيهما الداخل وأيهما الخارج ، والمشهور أن صاحبنا امرأ القيس هو الداخل اي المدعى عليه. ولما كان الحال بحضرموت قد تبدل من الجاهلية الى الاسلام لم يسع الاثنين بعد أن استعصى التوفيق بينهما بحضرموت إلا أن يذهبا الى المدينة عند الحكم الأخير محمد صلى الله عليه وآله وسلم. فقدم كل ما عنده وصدر الحكم طبق القاعدة القضائية الشهيرة وهي: البينة على المدعي واليمين على من انكر. ولم تكن مع خصيمه بينة بما يدعي فحلف امرؤ القيس وبقيت أرضه تحت يده. وفي رواية صحيحة أنه جرى ما يأتي :

ربيعة يقول للرسول لما حكم على امرىء القيس باليمين — ان حلف ذهب بارضي؟ والرسول يجيبه — من حلف على يمين كاذبة يقتطع بها حق أخيه لقي الله وهو عليه غضبان.

امرؤ القيس : فما على من تركها وهو يعلم أنه محق؟

الرسول : الجنة.

امرؤ القيس : إني اشهدك اني قد تركتها.

وهكذا ضحى امرؤ القيس بأرضه من أجل الجنة من غير أن يطلب منه شيئاً[5].

وعادا وقد تم الفصل بينهما بهذا. وذلك في آخر حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

---

(١) أرض معروفة بحضرموت الوسطى قرب الغرفة.
(٢) أنظر البرد النسيم مخطوط.
(٣) بمعنى البستان او المزرعة.
(٤) بالتصغير.
(٥) هل لنا أن نجمع بين الروايتين بأنه حلف ثم تركها اي الأرض ؟

أما شجاعته فقد عرفت عنه بما ابلى به في حروب الردة مع المسلمين وفي صف جيش الخليفة وقد قاتل عن وعي اسلامي كما قلنا وايمان متين ، ولهذا لم يبال بقتال أقاربه من كندة ومواطنيه ، وكان ضابطاً يوم اليرموك على كردوس[1] من كراديس الجيش .

قضيته مع عمه وتضحيته في سبيل المبدأ

ولما كان عمه في الصف الآخر مع العصاة ضد جيش الخليفة هجم عليه امرؤ القيس ليقتله ، وجرت بينهما محاورة ومصاولة ، فقد قال له عمه اتقتلني وأنا عمك فأجابه بأنه يضحي به وبما عز عليه في سبيل الله . وقد تكررت مثل هذه الواقعة في صدر الإسلام بين أصحاب الرسول واقربائهم . كما جرت بين ابي بكر وابنه عبدالرحمن وبين عمر وأخيه ضرار، وبين ابي عبيدة وأبيه الجراح ، كما يجري بين أصحاب المبادىء وبين أعدائهم من أقاربهم في جميع العهود البشرية الى اليوم .

والتاريخ يثبت لنا ان امرأ القيس قتل عمه مباشرة في سبيل المبدأ .

شعره

وشعره بليغ سلس متداول ومنه ما يحرض به قومه على الإسلام ومن أشهره قوله وكأنه يرثي نفسه :

قف بالديار وقوف حابس وتــأن انك غير آئس

لعبت بهن العاصفــات الرائحــات الى الروامس

---

(١) الكردوس فصيلة من الجيش فيها نحو عشرين مقاتل .

ماذا عليك من الوقوف بهامد الطللين دارس
يا رب باكية علي ومنشد لي في المجالس
أو قائل يا فارساً ماذا رزئت من الفوارس
لا تعجبوا ان تسمعوا هلك امرؤ القيس بن عانس

وقد قلده أبو فراس الحمداني حين يقول :

زين الشباب ابو فراس لم يمتع بالشباب

ومن شعره هذان البيتان اللذان كتبهما لسيدنا ابي بكر في حروب الرده

الا ابلغ ابا بكر رسولاً[1] وبلغها جميع المسلمينا
فليس مجاوراً بيتي بيوتاً بما قال النبي مكذبينا

ومن شعره الغزلي والفخري قوله من قصيدة مطلعها :

تطاول ليلك بالأثمد ونام الخلي ولم ترقد

ثم قال : وباتت وبات له ليلة كليلة ذي العائر الارمد
وذلك من نبأ جاءني وانبئته عن بني الأسود
ولو جاءني نبأ غيره وجرح اللسان كجرح اليد
لقلبت في القول ما لا يزا ل يؤثر عني يد المسند
بأي علاقتنا ترغبو ن أعن دم عمرو على مرثد
فان تدفنوا الداء لم نخفه وان تبعثوا الداء لم نقعد
وأن تقتلونا نقاتلكموا وان تقصدوا لدم نقصد
على عهدنا بطعان الكماة والمجد والحمد والسؤدد
وبني القباب وملء الجفان والنار والحطب الموقد

وتوفي في العقد الثالث من الهجرة .

---

(١) بمعنى رسالة .

المقنع الكندي

هو محمد بن ظفر بن عمير الكندي ، قالوا ولقب بالمقنع لأنه يضع قناعاً على وجهه في المواسم العامة التي تجمع الجنسين من العرب حتى لا تفتتن به النساء ، ولأنه يخشى اذا اسفر عن وجهه وتأمله الناس أن يصاب بالعين لفرط جماله المدهش ، وكان من اسرة كندية حضرمية ذات رئاسة وسؤدد . وكان المقنع أبرزها ولكنه لما اتلف أمواله وجدت الأسرة فيه نقطة ضعف ، فرفض أن يزوجه ابنا عمه لما خطب اختهم رغم ما فيه من الصفات الحميدة الاخرى ، فتألم منهم ولم يتراجع عن سخائه .

والرجل مثال الشهامة والنبل والاريحية العربية الى درجة أنه لا يرد سائلاً عن عطاياه حتى اتلف جميع ماله وركبته الديون فهو من الأجواد القلايل الذين تضرب بهم العرب المثل في الكرم امثال حاتم الطائي الشهير . وهذه الشخصيات لا يخلو عنها عصر من عصور العرب حتى اليوم وهي لا تستطيع أن تتحول عن مألوفها لما جبلت عليه ونشأت من السماحة والجود ، فهي لا تجعل للمال اعتباراً حين توازن بينه وبين حسن السمعة ونباهة الذكر ورجاء الثواب ، وفيها مناعة واحتمال لحالات البؤس والفقر التي تنتابها أحياناً نتيجة هذا الكرم .

من أجل هذا لم يفد في المقنع عتب أقاربه ، ولا انتقاد بعض عظماء زمانه عليه ، وإنما ذهب لطيته يجود بما يحصل معه حتى عير — بكرمه الطبيعي — بخلاء عصره ، فهذا عبدالملك بن مروان يوجه سؤالاً في ندوته قائلاً للحاضرين اي الشعراء أفضل فقال أحدهم معرضاً ببخل عبد الملك أفضلهم المقنع الكندي حيث يقول :

اني احرض أهل البخل كلهم   لو كان ينفع اهل البخل تحريضي
ما قل مالي إلا زادني كرماً   حتى يكون برزق الله تعويضي

والمال يرفع من لولا دراهمه	امسى يقلب فينا طرف مخفوض
لن تخرج البيض عفواً من اكفهم	الا على وجع منهم وتمريض
كأنها من جلود الباخلــين بها	عند النوائب تحذى بالمقاريض

فأجاب عبدالملك بعدما سمع هذا الشعر وعرف ما يراد به الله أصدق من المقنع حيث يقول : «والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا »، ولكن عبد الملك نفسه لم يتحل بهذه الآية التي هي أساس من اسس الاقتصاد فهو يعد من البخلاء كما يروي التاريخ. وصاحبنا المقنع ذو قامة مديدة وتقاطيع جميلة ووجه مشرق وخلق نبيل وكرم فائق كما ذكرنا ولو كانت تقام في أسواق العرب معارض للجمال ولاصحاب الأجسام الرياضية لكان صاحبناالمقنع في المقدمة او الفائز الاول بالجائزة[1] ويعد في طليعة شعراء العهد الأموي وكأنما نشاهده ماثلاً أمامنا حين يصف حالته النفسية ويدلي بحجته في إتلاف ماله، ويوازن بينه وبين بني عمه . وهو يقول هذه الأبيات التي سارت مسير الركبان في ذلك العهد والى اليوم :

وإن الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جداً
فما أحمل الحقد القديم عليهم	وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وليسوا الى نصري سراعاً وان هم	دعوني الى نصر اتيتهم شدا
اذا اكلوا لحمي وفرت لحومهم	وان هدموا مجدي بنيت لهم مجدا
يعاتبني في الدّين قومي وإنما	تدينت في اشياء تكسبهم حمدا

---

(١) قال في الأغاني ان ثلاثة من العرب يقنعون وجوههم في مواسم العرب لئلا تفتتن بهم النساء وهم المقنع الكندي ، ووضاح اليمن ، وأبو زبيد الطائي .

ومما ينسب اليه هذه الأبيات الوعظية :

نزل المشيب فأين تذهب بعده
هلا ارعويت وحـــان منك رحيل

كان الشبابُ خفيفـــة أيـــامه
والشيب محمله عـــلي ثقيل

ليس العطاء من الفضول سماحة
حتى تجود وما لديك قليل

كانت وفاته رحمه الله في اواخر الدولة الأموية وذلك في العقد الثالث من القرن الهجري الثاني .

الدَّورُ الإباضيّ

من سنة ١٢٩ الى سنة ٥٩١هـ

الـدّورُ الاباضيّ

من سنة ١٢٩ الى سنة ٥٩١هـ[1]

وانما نسبنا هذا الدور الى الاباضية مع أن سلطتهم فيه ما بين مد وجزر حتى تكاد تنعدم أحياناً لأن دولتهم عاشت فيه ما بين قوة وضعف اكثر من غيرها ومع وجود سلطات اخرى غيرهم ، وهذا الدور هو الدور الغامض المجهول اكثره من تاريخ حضرموت المفصل ، وذلك لعدم وجود المصادر فيه أو لانها اكثر ندرة من مصادر بقية الأدوار الحضرمية ، وقد أجمع مؤرخو حضرموت على ذلك واختلفوا في سبب انعدامها او ندرتها[2]. ويظهر أن السبب الرئيسي هو عدم اهتمام الحضارمة والاباضية منهم بصورة خاصة بتدوين التاريخ[3] بل الجمود الاباضي السابق يأبى تدوينه في تلك العهود،وهذا يعني انه لو وجد مؤرخون من بينهم اذذاك فان تواريخهم ضاعت ضحيـــة الاهمال والفوضوية الضاربـــة أطنابها في البـــلاد

---

(١) يؤخذ من تاريخ شنبل — في تاريخ ابن هاشم الى سنة ٥٦١هـ ولم نعرف مصدر الاستاذ ابن هاشم وقد يكون اشتبه عليه السعود بالسمين ، ولا يتعارض هذا مع بقاء الحركة الاباضية اثناء القرن السابع فانها حركة مذبوح ويقول ابن خلدون في تاريخه ان دولة الاباضية بقيت جذورها شرقي اليمن الى القرن السابع .

(٢) أنظر رسالة المؤرخ السيد عبدالله بلفقيه المسماة : نحو المدخل الى التاريخ الحضرمي .

(٣) انظر تحفة الأعيان في تاريخ عمان لمؤلفه أبي محمد السالمي .

وعدم الاحتفاظ بالمخاطر العلمية ولكنا مع هذا نفتح باب الأمل في أن يعثر المؤرخ على مصادر لهذا الدور بالبحث والتنقيب في كل منطقة تاريخية علاوة على ما يلتقطه من هنا وهناك

توطئة وتمهيـــد

من هم الأباضية ! ومن هم الخوارج ؟

الاباضية فرقة من الخوارج منسوبة الى عبدالله بن أباض المري اول أئمتها ولها مذهب خاص فيه بعض أصول المذهب الخارجي .

والخوارج هم الطائفة التي خرجت على الامام علي بصفين وشقت عصا الطاعة محتجة عليه بتحكيم الحكمين في النزاع بينه وبين معاوية حسبما هو مشروح ومفصل في كتب التاريخ الاسلامي العام [١]. ولقد قاتلهم الامام علي بالنهروان بعد أن ارسل اليهم ابن عباس رضي الله عنهما فحاجّهم في خروجهم حتى أقنع بعضهم فعاد الى الطاعة وأصر بعضهم على رأيه وهم بضعة آلاف رجل فقاتلهم بالنهروان وان لم يبق منهم الا أفراد هربوا ، ومنهم تفرعت فرق الخوارج. وبقي مذهبهم موجوداً واستمر خروجهم ضد خلفاء المسلمين من أمويين وعباسيين وغيرهم .

والخوارج عشرون فرقة ؛ وأبرزهم الاباضية وهي أربع فرق [٢]. ويغلب على الخوارج الجمود والتزمت والشدة في مذهبهم وفي أعمالهم وفي تنشئاتهم وفي أدبهم وخطاباتهم وقل أن يعرفوا للتسامح طريقاً ، ولهذا فقد تميزوا عن بقية الفرق بأصول أنكرتها عليهم غالبية الامة الاسلامية. ومما قالت به

---

(١) انظر تاريخ ابن جرير وكتاب الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدادي .

(٢) واليزيدية منهم غلاة وكفروا لقولهم بنسخ شريعة الاسلام آخر الزمان. من الفرق بين الفرقة — وليسوا يزيدية العراق المعروفين .

الاباضية وبعض فرق الخوارج ما يأتي :

١ ــ كفر مرتكب الكبيرة من المسلمين ويسمونه كافراً .

٢ ــ الكبيرة لا يغفرها الله بدون توبة وهذا مخالف لنصوص القرآن ولعلهم يؤولونها .

٣ ــ عدم امكان الاستدلال بغير نص الكتاب والسنة دون القياس والاجماع ولكنهم يقولون بالقياس من حيث كونه داخلاً في الرأي الذي يقولون به .

٤ ــ كل من خالفهم من المسلمين ليسوا مؤمنين ولا مشركين وانما هم كفار عندهم .

٥ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم وان لم يكن من أهل السلطة والنفوذ .

٦ ــ عدم لزوم الامامة في قريش مع وجوبها على المسلمين بنصب امام تقي كفوء منهم . ولهم عقائد أخرى منها التحامل على الامام علي وأتباعه وعلى الخليفة عثمان [1] ولكن مذهبهم لم ينتشر ويتسع وتؤلف فيه كتب كثيرة ، كالمذاهب الاسلامية الشهيرة من سنية وشيعية ،ولم ينبغ منهم علماء كثيرون كما نبغوا في تلك الفرق ، ولضيق الافق الذي اعترى عقولهم ومذهبهم ضاقت بهم الممالك والمسالك وأكثروا من شق عصا الطاعة وابوا الدخول فيما دخل فيه عموم المسلمين ، كما يحدثنا التاريخ الاسلامي في خروجهم على الأئمة . ولامتيازهم بالشجاعة الهائلة والتمسك بالعقيدة كان لهم أثر كبير في اضطراب حبل الأمن العام خصوصاً في العراق ، وفي البلاد التي استولوا عليها على غرة من خلفاء الاسلام كحضرموت وعمان اللتين اسسوا لهم بهما دولــة .

---

(١) انظر الفرق بين الفرق وانظر الملل والنحل .

شخصيات معروفة من ائمة وزعماء الاباضية بحضرموت

عبد الله بن يحيى الكندي :

هو أول امام اباضي عرف بحضرموت وهو صاحب الثورة ضد مروان ابن محمد الأموي سنة ١٢٩هـ وقتل سنة ١٣٠هـ وسيأتي الكلام عنه وعنها .

عبد الله بن سعيد الحضرمي

ولما قتل عبدالله بن يحيى تولى الامامة والزعامة بعده على حضرموت فقاد الثورة فيها وجعل مركز قيادته شبام كما سيأتي،ولا ندري هل قتل فيمن قتل من الثور ام نجا ؟ وهل هو عبدالله بن سعيد الذي عزله أهل حضرموت وولوا بدله اماماً آخر يدعى خنبشا [١] أم لا ؟

وهناك زعيمان آخران من أبرز أصحاب عبدالله بن يحيى وهما يحيى ابن كرب الحميري ، وابن السباق الكلاعي وقد حاول كل منهما أن يقوم باستيناف ثورة عبدالله بن يحيى فقضي على حركتهما باليمن، فان لم يكونا حضرميين نشأة فهما وثيقا الصلة بحضرموت ومندمجان مع أباضيتها .

محمد بن عمرو الحضرمي

ويذكر التاريخ شخصية حضرمية اباضية عرفت بالبسالة والزعامة في أواخر القرن الثاني الهجري واسم صاحبها محمد بن عمرو بن عبدالله الحارثي الحضرمي [٢] قاتل معن بن زائدة الشيباني كما تفيده بعض المصادر التاريخية وسيأتي الكلام عنه .

---

(١) أنظر تحفة الأعيان في تاريخ عمان للسالمي .

(٢) نسبة الى بني الحارث بن حضرموت .

ابو اسحاق الهمداني ووالده

وفي أوايل وأواسط القرن الخامس الهجري لمع نجم ابي اسحق ابراهيم ابن قيس بن سليمان الهمداني الحضرمي بحضرموت فتولى امامة الاباضية بها وربما كان سنة ٤٥٤هـ كما يقول في شعره :

بحول الهي لا بحولي وقوتي   وتوفيقه اظهرت بالسيف دعوتي

الى أن قـــال :

بتاريخ شوال وفي عام اربع   وخمسين تقفو أربعا من هنيدة [١]

وكان قبل ذلك تابعاً لأئمة عمان الاباضيين وهو بحضرموت ويدين هو ومن تبعه لهم بالولاء وبينه وبينهم صلات وثيقة وتعاون ضد أعدائهم وأعدائه فهم يمدونه بالمال والرجال والذخائر الحربية الى حضرموت وهو بدوره يبدي استعداده لنصرتهم في عمان اذا أشير عليه بذلك ، وقد قاوم الصليحي لما هاجم حضرموت كما يستدل من شعره . وابو اسحاق قد شهر بالعلم والأدب والبسالة والبلاغة وعد فحلاً من فحول الشعراء ، وله قصائد بليغة طنانة امتازت بالرصانة والجزالة يسجل فيها أسماء شخصيات بارزة ووقائع حربية بحضرموت غير انه من الصعب أن نجد ما يكشف لنا الستار عنها ، ويظهر ان ابا اسحاق كان يحاول أن يدخل حضرموت كلها في الاباضية فلم يتم له ذلك ، وقد أمضى حياته في حروب ومصادمات مع أعدائه من الداخل والخارج الى أن مات .

اما أبوه فهو من زعماء الاباضية ورجال العلم والثروة والنفوذ بينهم بحضرموت وهو الذي عني بتربية ابنه ابي اسحاق وتعليمه وتهذيبه حتى

---

(١) هنيدة بمعنى مائة و العرب تطلق هنيدة على المائة من الابل فقط ولكن ابا اسحاق أطلقها على المائة من السنين ايضاً .

نبغ فيما نبغ فيه وتفوق على أبيه وتاريخ الأب والابن لم يعرف الا من ديوان الأخير ومقدمته[1] فهما المصدر الوحيد لتاريخهما ولم يشر اليهما أي مصدر آخر قبلهما فيما أعلم مما جعل بعض مؤرخي هذا العصر[2] يكاد يتشكك في وجود ابي اسحق .

ومن زعماء الأباضية في القرن السادس آل النعمان من بني الدغار أمراء شبام أو سلاطينها كما يسميهم البعض ، ومن أبرزهم راشد بن أحمد بن النعمان الذي قام بحركات ضد السلطان السني عبد الله بن راشد ثم قتل سنة ٦٠٥هـ . وهم معاصرون لبني عمومتهم من آل راشد كما سيأتي . هذا هو استعراض زعماء الأباضية الذين انتزعنا أسماءهم من بين ثنايا المراجع التي بين أيدينا ولا يبعد الحصول على آخرين بمواصلة البحث والتنقيب .

ثورة طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الاباضي

هذا هو أشهر زعيم سياسي وديني حضرمي في عصره،وقد لقبه أتباعه بهذا اللقب «طالب الحق» الذي اشتهر به والذي أرادوا أن يرمزوا به الى مبدئهم الثوري . وهو من بني شيطان[3] المنتمين الى بني عمرو بن معاوية الكندي نسباً الاباضي عقيدة ومذهبا ، وقد ثار في حضرموت ضد بني أمية سنة ١٢٩هـ وبخروجه يبرز لنا العهد السياسي الأباضي بحضرموت، ووصفته كتب التاريخ بأنه مجتهد عابد شجاع كريم ذو فصاحة ولسن كما تدل على ذلك خطبه .

---

(١) المقدمة للشيخ سليمان الباروني ناشر ديوان أبي اسحاق .

(٢) هو العلامة عبدالله بن حسن بلفقيه في رسالته : استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات .

(٣) من الصدف الغريبة ان يبرز اسم شيطان عند ذكر المتسببين في الفتنتين الكبيرتين بحضرموت فتنة الردة وفتنة الخوارج ولم ينس الشيطان نصيبه فيهما ، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب ان يحضرون .

نوازع نفسية تعتمل في صدره

أول ما عرف عن عزم طالب الحق على الثورة ما كان يتحدث به من ان رجلاً تنبأ له بالملك وبذهاب احدى عينيه قبل ذلك ولهذا يلقب أحياناً فيما بعد بالأعور. وقد روى خطاب ذلك الرجل له فقال: [1] لقيني رجل فأطال النظر إلي وقال ممن أنت فقلت من كندة، فقال من أيهم قلت من بني شيطان، قال والله لتملكن ولتبلغن خيلك وادي القرى وذلك بعد أن تذهب احدى عينيك. فذهبت أتخوف ما قال واستجير الله [2] فرأيت باليمن جوراً ظاهراً وعسفاً شديداً وسيرة في الناس قبيحة.

ان هذا الكلام قوى من معنوية هذا الشاب الذي ظهرت عليه مخائل الاستعداد للقيام بعمل خطير، وهكذا بدأ يخاطب أصحابه بوجوب الخروج وكتب الى اباضية البصرة يشاورهم فيه فشجعوه عليه كتابياً ومما كتبوا له به.

« ان استطعت أن لا تقيم يوماً واحداً فافعل فان المبادرة بالعمل الصالح أفضل ولست تدري متى يأتي عليك أجلك، ولله خيرة من عباده يبعثهم اذا شاء لنصرة دينه ويخص بالشهادة منهم من يشاء. »

اباضية البصرة تفد الى حضرموت

وشخص الى عبدالله بن يحيى نخبة من شجعان أباضية البصرة في مقدمتهم قائده الشهير أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي ومعهم كتب من اخوانهم الاباضية تدعو الى الخروج. وتقول بعض الروايات إنه قد عرف أبا حمزة في مكة أيام الحج اذ كان الأخير يدعو الى خلاف مروان [3] وآل مروان

---

(١) انظر الأغاني.

(٢) بالجيم كما في الأغاني ولكن لو رويت بالخاء الفوقية فلا مانع وهي تفيد معنى ادل على التصميم على الثورة.

(٣) آخر خليفة من بني أمية.

كل سنة بمكة ، ولما التقى به عبدالله بن يحيى آخر سنة قبل الثورة وذلك سنة ١٢٨ هـ قال له: يا رجل اني اسمع كلاماً حسناً وأراك تدعو الى حق فانطلق معي فاني رجل مطاع في قومي. فخرج به حتى ورد حضرموت فبايعه أبو حمزة على الخلافة. ولعله عرج على البصرة ، وقابل زملاءه بها ، ثم خرج مع الوفد الى حضرموت [١] وبايعوا بها عبدالله بن يحيى اماماً للاباضية وبايعه كثيرون من حضرموت، لكن امامته هذه لم تدم سوى عام واحد أو أقل ضحى في سبيلها بعشرات الألوف من القتلى وأكثرهم من الحضارم ، وكانت سبباً فيما بعد لتخريب ومجازر في حضرموت كما سيأتي .

اول خطوة عملية

بعد أن بويع عبدالله بن يحيى استولى على دار الامارة بدمون الهجرين وطرد عامل مروان واسمه ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ولم يقتله ولكنه حبسه ثم أطلقه فهرب الى صنعاء. ووضع عبدالله يده على الأموال، وتم له الاستيلاء على حضرموت بدون اراقة دماء لأنه كان مطاعاً في قومه قبل أن يعلن ثورته. هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد ساعدته ظروف نقمة الأهالي على الجور الذي ابتلوا به من قبل الدولة الأموية ، ولهذا فقد استطاع أن يقوم في مدة وجيزة باصلاحات هامة في البلاد كبسط الأمن ونشر العدل واطعام الفقراء. وقد عزز مركزه بحضرموت وأصبح حاكمها المستقل وانفصلت بذلك عن بقية البلاد الاسلامية .

الخطوة الثانية : الاستيلاء على صنعاء عنوة

توجه طالب الحق من حضرموت قاصداً صنعاء يقود جيشاً قوامه ألفان

(١) هذا للجمع بين الروايتين .

من الشجعان، وكان قد كتب لاصحابه بها بأنه قادم عليهم، ثم مضى واستخلف على حضرموت عبدالله بن سعيد الحضرمي . وقد مر في طريقه على أبين ولحج[1] حيث التقى به فيها من الناحية الأخرى – ناحية صنعاء – العامل الأموي على صنعاء واسمه القاسم بن عمر الثقفي – أخو يوسف بن عمر الثقفي أحد رجال الدولة الأموية المعروفين – في جيش أقوى عدة وأكثر عدداً . وكان قد بلغه توجه الكندي اليه، فالتحم الجيشان واستمر القتال . وانجلت هذه المعركة عن انتصار الكندي وانهزام جيش العامل وكثرة القتلى والجرحى فيه ، وكان عامل صنعاء قد غلط بعض الغلطات الحربية ولم يستمع لنصيحة بعض قواده وأعوانه في اختيار الوقت المناسب لمهاجمة أعدائهم .

وعاد العامل الى صنعاء وحاول مرة ثانية أن يجمع شتات جيشه المهزوم ويستعيد معنويته، ومكث بها يوماً واحداً ثم غادرها واستخلف عليها الضحاك ابن زمل وهو نفسه الذي استخلفه عليها في خرجته الأولى .. غادرها العامل الى مكان قريب هيأ لجيشه فيها استحكامات من الخنادق وعدد عسكره آلاف من المقاتلين . وأقبل الكندي في جيشه القوي المنتصر فعسكر في محل مقابل يقال له جون، وبين المعسكرين ميلان. فوجه العامل احد قواده المسمى يزيد بن الفيض في ثلاثة آلاف من رجال الشام واليمن الى الجيش الكندي . فكانت بينهم اصطدامات خفيفة ثم تحاجزوا[2] ورجع القائد الى العامل يستأذنه في بيات القوم[3] فلم يسمح له بذلك فقال : والله ان لم تبيتهم ليغمنك ، فأصر العامل على رأيه وبقوا يومين لا يتقاتلون. وفي فجر اليوم الثالث صبحهم عبدالله بن يحيى برجاله وهجم على خندقهم واستمر القتال فغلبهم عليه . ثم استمر القتال حتى ارتفع النهار ، ثم انهزم الجيش الأموي هزيمة نكراء كما انهزم في المعمعة الأولى . وأراد ابرهة بن الصباح احد رجال الكندي

---

(١) انظر الأغاني

(٢) بمعنى ارتفعوا القتال موقتاً .

(٣) الهجوم عليهم في مبيتهم ليلا .

اتباعهم حتى لا يتجمعوا مرة أخرى أو يدافعوا عن صنعاء فمنعه عبدالله بن يحيى ودخل صنعاء بعد هذه المعركة دخول الظافر المنتصر ، وألقى القبض على كل من الضحاك بن زمل نائب العامل، وعلى ابراهيم بن جبلة عامل حضرموت الطريد، وجمع الأموال المخزونة فأحرزها وخضعت له بلاد اليمن .

خطبة عبد الله بن يحيى في صنعاء

خطب عبدالله بن يحيى بعد استقراره في صنعاء على منبرها خطبته الشهيرة التي هي أشبه بخطب العروش في هذا العصر ، ومنها يعرف بعض مذهب الأباضية ، ومما ذكر المؤرخون منها بالنص الحرفي قوله[1] بعد أن حمد الله وصلى على الرسول وذكر ووعظ وحذر .

انا ندعوكم الى كتاب الله وسنة نبيه ، واجابة من دعا اليهما، الاسلام ديننا ، ومحمد نبينا ، والكعبة قبلتنا ، والقرآن امامنا رضينا بالحلال حلالاً ما نبغي به بديلا ولا نشتري به ثمناً قليلاً ، وحرمنا الحرام ونبذناه وراء ظهورنا ولا حول ولا قوة الا بالله والى الله . المشتكى وعليه المعول . من زنى فهو كافر ومن سرق فهو كافر ومن شرب الخمر فهو كافر ومن شك في أنه كافر فهو كافر. ندعوكم الى فرايض بينات وآيات محكمات وآثار مقتدى بها وتشهد أن الله صادق فيما وعد، عدل فيما حكم ... الى آخر ما قال .

وقد اشتهرت سيرته بأنها سيرة عدل في اليمن كسيرته في حضرموت .

الخطوة الثالثة : الاستيلاء على الحجاز والشام

قرر عبدالله بن يحيى بعد أن تم استيلاؤه على اليمن وكثر جمعه وأتته

---

(١) انظر الأغاني .

الشراة ويعنون بهم الخوارج الذين شروا أنفسهم لله، من كل جانب – قرر أن يخطو خطوة ثالثة للاستيلاء على الأماكن المقدسة ثم غزو الدولة الأموية في عقر دارها بالشام. فأرسل ثلاثة من فرسانه المبرزين وهم قائده ابوحمزة المختار بن عوف، وبلج بن عقبة، والأبرهة بن الصباح. والأول أمير والآخران قائدان، في جيش قوامه ١١٠٠ رجل [1]. ورسم لهم خططاً ينتهجونها ، ومنها أن يتوجه بلج الى الشام بعد الحج ليقيم له ملكاً على أنقاض الملك الأموي. ولكن هذا لم يتم له بسبب القضاء على ثورته كما سيأتي .

وتوجه ابو حمزة بجيشه الذي يتألف من الشباب [2] ووصل الحجاز في ميقات الحج ودخلوا عرفة وقد جعلوا على رؤوس رماحهم أعلام عمائم سود . فارتاع الحجاج منهم فراسلهم أمير الحجاز الأموي عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك وتمت بينه وبينهم اتفاقية على أن لا يحدثوا شيئاً الا ما بعد اداء النسك . ووقفوا على حدة لأنفسهم .

أما عبد الواحد فقد توجه بعد الحج توا الى المدينة وترك مكة لابي حمزة وجهز جيشاً بأمر مروان لقتال الخوارج، أبي حمزة وأصحابه. وكان عدد الجيش ثمانية آلاف، لكنهم وان كانوا أضعاف جيش ابي حمزة ليس لهم معرفة بأساليب القتال ، وأكثرهم من متمدني المدينة المعظمة وقد لبسوا المصبغات والثياب الناعمة [3]. فالتقى بهم ابو حمزة في قديد [4] قرب المدينة المنورة ودارت فيها رحى معمعة قديـــد المشهورة التي أسفرت عن انتصار الجيش الكندي وهزيمة المدنيين بعد أن قتل اكثر من ربعهم . وتفصلهم بعض المصادر التاريخية هكذا [5] : من قريش ٤٥٠ ومن الأنصار ٨٠ ومن القبائل والموالي ١٧٠٠ .

---

(١) أنظر الأغاني ويقول صاحب المشرع انهم عشرة آلاف مقاتل .

(٢) يدل على هذه نص خطبته الآتية .

(٣) انظر الأغاني .

(٤) بضم القاف وفتح الدال .

(٥) انظر الأغاني .

وتم استيلاء أبي حمزة على المدينة [1] وكان أول ما عمله أن دخل مسجد رسول الله وألقى خطبة طويلة في الناس أوضح لهم فيها أسباب خروجهم وهدد أهل المدينة وتناول أعمال بني أمية. ومن أبلغ ما فيها قوله : « يا أهل المدينة بلغني أنكم تنتقصون أصحابي قلتم هم شباب أحداث واعراب جفاة ويحكم يا أهل المدينة وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا شباباً أحداثاً شباباً والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ثقيلة عن الباطل اقدامهم قد باعوا أنفساً تموت غداً بأنفس لا تموت ، قد خلطوا كلالهم بكلالهم [2] وقيام ليلهم بصيام نهارهم محنية أصلابهم على أجزاء القرآن كلما مروا بآية خوف شهقوا خوفاً من النار واذا مروا بآية شوق شهقوا شوقاً الى الجنة فلما نظروا الى السيوف قد انتضيت والى الرماح قد أشرعت والى السهام قد فوّقت وأرعدت الكتيبة بصواعق الموت استخفوا وعيد الكتيبة عند وعيد الله ولم يستخفوا وعيد الله عند وعيد الكتيبة فطوبى لهم وحسن مآب ، فكم من عين في منقار طائر طالما بكى صاحبها من خشية الله، وكم من يد قد أبينت عن ساعدها طالما اعتمد عليها صاحبها راكعاً وساجداً ... أقول قولي هذا واستغفر الله من تقصيرنا وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه أنيب . »

مصرع ابي حمزة واسترداد الحجاز

لما بلغت هذه الأنباء الخليفة المرواني بدمشق أرسل جيشاً قوامه أربعة آلاف من الفرسان المعدودين وأعطى كل واحد منهم ١٠٠ دينار وضم اليه

---

(١) قالوا ان نائحة اهل المدينة قالت تبكيهم :

ما للزمان وماليه أفنت قديد رجاليه

فلأبكين سريرة ولأبكين علانية الخ

ونسبها صاحب المشرع الى النابغة ولعله خطأ قلمي أو مطبعي .

(٢) الكلال الاعياء و الاجهاد بمعنى انهم دائماً في اعمال شاقة

بغلاً لحمل أثقاله وليتجدوا أهل الحجاز بسرعة . وكان يقودهم عبد الملك ابن عطية السعدي [1] .

ومن ولع العرب بالفأل الحسن ما ذكروا أن غلاماً اسمه العلا بن أفلح مولى أبي الغيث لقيه أثناء الطريق فجرت بينهما هذه المحادثة :

ابن عطية	ما اسمك يا غلام ؟
الغـــلام	العلاء — بالمد
ابن عطية	ابن من ؟
الغـــلام	ابن افلح
ابن عطية	مولى من ؟
الغـــلام	مولى ابي الغيث
ابن عطية	فأين نحن ؟
الغـــلام	بالعلا — بالقصر
ابن عطية	فأين نحن غداً ؟
الغـــلام	بغالب

سر ابن عطية بهذا ووهب الغلام جائزة وكان الغلام قد حاور بعض أصحاب ابن عطية بهذه المحاورة الطريفة [2] .

أما ابو حمزة فأرسل بدوره لما بلغه الخبر حملة بقيادة قائده بلج المرشح من قبل عبدالله بن يحي لغزو الشام ولكن رجال الحملة ستمائة رجل فقط . فالتقى الجمعان بوادي القرى في الاسبوع الأول من جمادى الأولى سنة ١٣٠ هـ .

وقبل أن ينشب القتال بين الفئتين وهما متقابلتان دعاهم قائد الأباضية الى كتاب الله وسنة نبيه ، وذكر بني أمية وظلمهم ، فشتمه وشتم أصحابه أهل الشام قائلين : أنتم أنتم يا أعداء الله أحق بهذا ممن ذكرتم [3] . ثم هجم عليهم

---

(١) سعد هوازن وفي كل حي بنو سعد كما في المثل .
(٢) انظر تاريخ ابن جرير .
(٣) يعنون بني أمية .

بلبج وجيشه فانكشفت طائفة من الشاميين ولكن القائد ثبت في صيانة بقية جيشه والحفاظ عليها من الهزيمة ، وخطب فيهم يحثهم على الصبر والثبات فتحمسوا للقتال حتى انتصروا وقتلوا بلجاً وأكثر أصحابه. وانحازت قطعة منهم تقدر بمائة الى جبل يعصمهم فقاتلهم ابن عطية واستماتوا في قتاله ثلاثة أيام فأفنى منهم سبعين وفر البقية الى أبي حمزة.

بلغ الخبر أبا حمزة فتوجه الى مكة ، واستخلف على المدينة أحد رجاله ولكنها ما أسرع ان انتقضت عليه ودخلت تحت طاعة ابن عطية الذي دخلها بدون قتال ومكث بها شهراً ثم بارحها متوجهاً الى ابي حمزة بمكة .

ومما يستحق الذكر ان أحد اصحاب ابي حمزة واسمه علي بن الحصين العنبري أشار عليه بقتل الاسرى يوم قيدوهم من أهل المدينة حتى لا يثوروا ضده يوماً ما فأبى . وثاروا عليه وقتلوا عامله . وأشار عليه قبل قدوم ابن عطية بأن يقتل أهل مكة قائلاً له انهم كفرة فجرة (كما يعتقد الخوارج) فأبى قائلاً: لا أرى ذلك لأنهم قد دخلوا في الطاعة وأقروا بالحكم ووجب لهم حق الولاية ، قال انهم سيغدرون قال أبو حمزة أبعدهم الله (من نكث فانما ينكث على نفسه) . وقد صدق صاحبه فيما قال فان أهل مكة انضموا الى ابن عطية ضده .

استعد ابن عطية لقتال أبي حمزة وقسم جيشه الى شطرين أحدهما توجه الى الأبطح لقاء ابرهة بن الصباح ورجاله وعددهم ثمانون فارساً ، وبالرغم من قلتهم فقد هزموا أهل الشام حتى أوصلوهم الى عقبة منى فعاد أهل الشام اليهم حتى غلبوهم وقتلوا قائدهم أبرهة .

أما الشطر الثاني فقد واجه به اباحمزة بأسفل مكة وكان ابن عطية نفسه في مقدمتهم ودارت رحى حرب ضروس بين الطرفين انتهت بقتل أبي حمزة والقضاء على جل أصحابه ما بين قتيل وجريح وأسير ، وبعث برأسه الى مروان بالشام وصلبت بقية جثته وجثث بعض أصحابه ولم تنزل الا في خلافة

بني العباس [1] .

ومما يروى عن ابن عطية انه قال للاسرى : ويحكم ما دعاكم للخروج معه ، فقالوا انه ضمن لنا « الكنة » وكانوا يلفظون الجيم كافاً كما يلفظها بعض العرب مشوبة بالشين أو القاف ـ أي الجنة فأعدمهم جميعاً ويقدرون بأربعمائة .

شجاعة نساء الخوارج

قد اشتهرت نساء الخوارج كرجالها بالشجاعة المتناهية ومنهن غزالة زوجة شبيب الشيباني التي كان الحجاج بن يوسف عامل العراق يخاف بطشها حتى عيره عمران بن حطان بقوله :

اسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت علىغزالة في الوغى ... بل كان قلبك في جناحيْ طائر
صدعت غزالة قلبه بمجافـــل ... تركت عساكره كأمس الدابر

وأمه جهيزة كما تحدث عنها التاريخ .

وهذه مريم زوجة ابي حمزة هي الأخرى انزلت باعدائه ضربات شديدة حتى قتلت معه في المعركة ، وكانت ترتجز اثناءها :

أنا الجعيداء وبنت الأعـــلم ... من سال عن إسمي فإسمي مريم
بعت سواري بسيف مخـــذم [2]

وبعدها الفارعة أخت الوليد بن طريف الشيباني التي تولت القيادة بعدُ مَقتل أخيها وقاتلت يزيد بن مزيد الشيباني قائد الرشيد حتى ذكّرها بحق العشيرة

---

(١) يظهر انهم يقومون بعملية تشبه تحنيط الموتى أو تصبيرهم والا فلا يمكن ان تبقى جثثهم سليمة في مثل ذلك الموضع ولو مدة قصيرة .

(٢) الجعيداء تصغير جعداء وهي ذات الشعر المتقبض غير المسترسل والاعلم مشقوق الشفة العلياء وسال بالمد واسمي بالقطع او بالوصول مع تشديد الياء .

لأنه من شيبان فتوقفت عن القتال .

وليست هذه الشجاعة مقصورة على نساء الخوارج وحدهن ففي جميع عهود العروبة والاسلام تقوم نساؤهم بقسط وافر من مشاركة الرجال في الفنون الحربية والشجاعة النادرة وغيرها من جميع نواحي الحياة . والصحابيات بصورة خاصة تتجلى فيهن تلك المشاركة ومنهن من انتظمت في الجندية ومعالجة الجرحى بمهارة وشجاعة كسيدتنا فاطمة بنت الرسول وعائشة زوجته وصفية عمته وخولة بنت الازور وأم عمارة — قاتلة مسيلمة الكذاب... وغيرهن .

مصرع طالب الحق والقضاء على ثورته

وتوجه ابن عطية الى صنعاء قاصداً طالب الحق ليقتلع الفتنة من جذورها كما أمره مروان [1] فلاقاه خصمه بعد ما وصله الخبر بقتل أصحابه ومعه آلاف من الفرسان ، فالتقيا أثناء الطريق . وبعض المصادر تقول [2] ان طالب الحق هو الذي قصد خصمه قبل أن يتوجه اليه .

ومهما يكن فقد التقيا واسم موضع المعركة الفاصلة — كسة — وتقول بعض المصادر ان موضعها تبالة وهي بليدة على طريق اليمن للخارج من مكة [3]. وقد قتل فيها طالب الحق بعد ما أبدى هو وفرسانه ضروباً من أنواع البسالة والاقدام وأرسل ابن عطية برأسه الى مروان بالشام وقد قيلت فيه وفي من قتل من أصحابه مرثية عصماء من نظم عمرو بن الحصين ، وهو الحسن العنبري مولى بني العنبر التميمي مطلعها :

---

(١) انظر ابن جرير .

(٢) انظر الأغاني .

(٣) هكذا يقول صاحب المشرع ومن كلامه ايضاً عن ابن خلكان وهذا المكان كثير الخصب له ذكر في الأخبار ثم قال وهي أول ولاية وليها الحجاج بن يوسف ولكنه تركها استهانة بها فضرب بها المثل — أهون من تبالة على الحجاج ا . هـ . ومعلوم انها غير تبالة الشحر .

هبت قُبيل تبلج الفجــر هند تقول ودمعها يجــري

ومن مقول القول :

اقذىً بعينك ما يفارقهــا ام عابــرا ام مالها تذري
ام ذكر اخوان فجعت بهم سلكوا سبيلهم على خير
فأجبتها بل ذكر مصرعهم لا غيره عبراتها يمــري
يا رب اسلكني سبيلهــم ذا العرش واشدد بالتقى أزري
في فتية صبروا نفوسهم للمشرفيــة والقنــا الســمر
تالله الفى الدهــر مثلهم حتى اكــون رهينة القــبر
اوفى بذمتهم اذا عقــدوا واعف عنــد العسر واليسر
متأهلين[1] لكــل صالحــة ناهون من لاقوا عن النكر

ومنهــا : —

ان لا تُجيبهُم فانهمــوا رجف القلوب بحضرة الذكر
متأوهون كأن جمر غضى للخوف بين ضلوعهم يسري
تلقــاهــم الا كأنهــم لخشوعهم صدروا عن الحشر
فهم كأن بهم جوى مرض أو مسهــم طرف من السحر
لا ليلهم ليل فيلبسهــم فيه غواشي النــوم بالسكر
الا كــذا خلساً وآونــة حذر العقاب وهم على ذعــر
كم من اخ لك قد فجعت به قوام ليلتــه الى الفجر
متــأوه يتلو قوارع مــن آي القُــران مفزع الصدر

الى أن قال :

والمصطلي بالحــرب يسعرها بغبارهــا وبفتيــة سعــر

---

(١) هكذا في الأغاني ولعل الرفع احسن .

يجتاحها بأفــلّ ذي شطب	عضب المضارب قاطع البتر [1]
لا شيء يلقــاه أسر لــه	من طعنة في ثغــرة النحــر
منهــرة منــه تجيش بمــا	كانت عواصي جوفه تجــري
كخليلك المختــار اذلك بــه	من معتد في الله أو مسري
خواض غمرة كــل متلفة	في الله تحت العثــير الكــدر
ترّاك ذي النخوات مختضباً	بنجيعــه بالطعنــة الشزر
وابن الحصين وهل له شبه	في العرف انى كــان والنكر
بشهامة لم تحــن أضلعــه	لذوي اخوته عــلى غمــر
طلق اللســان بكل محكمــة	رآب صدع العظم ذي الوقر

الى آخرهــا .

وهي من غُرَر المراثي في الشعر العربي .

تعقب الثورة الى حيث منبتها

وبعد مصرع طالب الحق فرت فلول جيشه الى صنعاء وتتبعهم ابن عطية وحين قرب اليها هرب عامل طالب الحق منها فدخلهاخصمه ظافراً منتصراً ومنها أرسل قواده لاخضاع المتمردين على الدولة الأموية باليمن من أصحاب طالب الحق ، فوجه ابن أخيه عبدالرحمن بن يزيد بن عطية الى الجند لاخضاع ابن السباق أحد سلالة ذي الكلاع الحميري الذي نجا بنفسه بعد هزيمة عساكره والقضاء عليهم ، وبعث أبا أمية الكندي الى ساحل البحر لتأديب يحيى بن كرب الحميري ومن معه من الاباضية فقتل بعضهم وهرب البعض الآخر الى حضرموت مرتكنين الى عامل طالب الحق عبدالله بن سعيد الحضرمي

---

(١) أفل بالفاء بمعنى سيف مفلول من كثرة الضرب به ، والشطب القطع .

السابق . ولكن بعض المصادر [1] سمته عبدالله بن معبد الجرمي ، ولعلها غلطة مطبعية أو خطية وشجعوه على قتال ابن عطية وتجمهر معه كثير من مختلف القبائل وجعل مركز قيادته شبام .

ووردت الأخبار الى ابن عطية فشخص الى حضرموت مستخلفاً ابن أخيه المشار اليه سابقاً على صنعاء ولقي القوم بـ «الكسر» حيث نشبت بينهم معركة حامية الوطيس ، وفي أثناء الليل وبينما الخوارج مشغولون بالقتال أرسل قطعة من جيشه الى مركز قيادتهم شبام فاقتحموا البلدة عند الفجر واحتلوا حصونها وقتلوا مقاتلتها وأحرزوا المؤونة والذخيرة . وتقول بعض الروايات إن الجيش كله استولى على شبام وقطع عن الخوارج الميرة والمادة وجعل يقتل ويسبي وينهب فيهم ، وأخيراً أتاه كتاب من مروان بتوليته على الحج فصالحهم وسالمهم وولى عليهم من يختارونه [2] وتوجه في عدد يسير من أصحابه قاصداً مكة فقتل أثناء الطريق . والروايات تختلف في الكيفية التي قتل بها وفي تعيين قاتله ولكنها تتفق في أن الاباضية هم الذين قتلوه لأنهم موتورون منه .

تخريب حضرموت والفتك بأهلها

لم يكد يبلغ عبد الرحمن بن عطية قتل الاباضية عمه حتى أرسل اليهم للأخذ بثأره جيشاً من الفرسان الى حضرموت يقوده شعيب البارقي فجعل يقتل الرجال والصبيان ويبقر بطون النساء ويأخذ الأموال ويخرب القرى ويتتبع البريء والنطف ، ولم يبقِ أحداً ممن عرفهم من قتلة ابن عطية أو من الاباضية [3]

---

(١) هو الأغاني ومع ذلك فقد سماه عبدالله بن سعيد عند ذكره لتوجه طالب الحق الى صنعاء وسماه هنا عبدالله بن معبد الجرمي والاسمان متقاربان كتابة ويظهر ان الأخير محرف كما قلنـا .

(٢) لم تذكر المصادر التي بين أيدينا اسمه .

(٣) انظر الأغاني .

ومن البلاد التي أصابها الخراب والسلب والنهب هينن وحورة وقموظة وشبام .

حضرموت تحت التاج العباسي

بعد سقوط الدولة الأموية وفي الفترة اليسيرة التي جرت فيها الحرب بينها وبين بني العباس عادت حضرموت الى الاباضية [1] واستقلت بنفسها وذلك لمدة عقد من السنين تقريباً حكمها فيها من بقي من خلفاء عبدالله ابن يحيى الكندي وأتباعه .

معن بن زائدة يغزو حضرموت

وفي سنة ١٤٠ هـ جهز المنصور العباسي جيشاً بقيادة عامله معن بن زائدة الشيباني الشهير ، وقد ضم ذلك الجيش كثيراً من الشجعان ، والى جانب ذلك فعدد أفراده كثير حتى قال بعضهم انه يقرب من ٤٠ ألف جندي وذلك لاخضاع اليمن وحضرموت ، والقضاء على الخوارج الذين بها ، فأدى مهمته . ويزيد بعض المؤرخين بأنه استباح حضرموت [2] ويستفاد من رواية بعضهم انه انما استباحها ثانياً وذلك حين انتقض أهلها فقتلوا أخاه العامل [3] القاسم بتريم ، فأحرده ذلك عليهم وغزاهم غزوته الشهيرة التي قتل منهم فيها خمسة عشر ألفاً وحاربهم حرباً تكاد تكون حرب ابادة وخرب بلادهم . ومن جملة ما عمله فيهم انه أصدر الأوامر ضدهم بما يأتي : —

---

(١) انظر الشامل ، وفي معالم تاريخ الجزيرة العربية للاستاذ سعيد باوزير ما يخالف هذا ويذكر ابن جرير ان السفاح وجه محمد بن زياد على اليمن سنة ١٣٢ هـ ولم يشر الى حضرموت بشيء .

(٢) أي جعلها مباحة لجيشه . انظر الشامل .

(٣) انظر المشرع .

سد مياه عيونهم [1] .
قطع كثير من أشجارهم .
لبس السواد [2] .

ويشاع أنه أمرهم أيضاً بأن تجعل نساؤهم ذيولاً طويلةً جداً في أثوابها ـ تسحبها في الأرض ولا تزال هذه الأذيال الى اليوم موجودة عند نساء الداخل وفيها بعض الازراء ولكن عادة سحب الأذيال موجودة من قديم عند نساء العرب قال عمر بن أبي ربيعة :

كتب القتل والقتال علينـــا	وعلى الغانيات جر الذيـــول

فلعل ذلك في بعض المناسبات ، ولعل نساء الحضارم استعملنه من قبل أنفسهن اذا لم تصح تلك الاشاعة حتى صار عادة ، وبالشكل المعروف الآن الذي يجب أن يزال لعدم ملاءمته للذوق ولا للاقتصاد ولا للأعمال .

لقد اشتهرت في التاريخ الغزوة التي قام بها معن ضد الحضارم في الأوساط الاسلامية اذذاك واستعظمها كثيرون حتى شكوه الى المنصور العباسي ولكن المنصور تجاهل ذلك لأغراضه السياسية . وقال مروان بن أبي حفصة الشاعر الشهير [3] أثناء قصيدة في معن وصف فيها بعض ما فعله في الحضرميين :

وطئت خدود الحضرميين وطأة	لها هد ركن منهم فتضعضعا
فاقعوا على الأذناب [4] اقعاء معشر	يرون لزوم السلم ابقى واودعا
فلو مدت الأيدي الى الحرب كلها	لكفوا وما مدوا الى الحرب اصبعا

---

(١) هكذا يروى ويمكن ان تكون هناك عيون تشبه الآبار طمرها وسدها وهو عمل شنيع مستنكر .
(٢) هذه الثلاثة مذكورة في بعض كتب التاريخ ومنها المشرع ولعله يشير بلبس السواد الى ان يلبسوا ثياب الحزن قهراً على قتلهم العامل أو لأنه شعار بني العباس كما يقول بعض المؤرخين .
(٣) انظر ترجمته في ابن خلكان اذا شئت .
(٤) أو في رواية الاستاه .

وقال راجز آخر يخاطب معناً بمناسبة ايقاعه في الحضارمة :

يا معن من شيبان انت انتــا علمت أهل حضرموت الموتــا

وبعد أن شفي معن غليله من الحضارمة وأمِنَ جانبهم تماماً استخلف ابنه زائدة على اليمن بما فيها حضرموت وبقي بها ثلاث سنين تواترت بعده عمال العباسيين عليها حتى ثار باليمن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق العلوي في نهاية القرن الثاني الهجري وغيره من العلويين وشيعتهم فتولاها بنو زياد بأمر المأمون كما سيأتي :

وفاة معن بن زائدة

وقتل معن بن زائدة الشيباني سنة ١٥١ هـ على الأصح بسجستان على يد قوم من الخوارج ، وقد يكونون من أباضية حضرموت اندسوا بين عمال يشتغلون في داره . وتذكر بعض المصادر [١] قضية مقتله بصورة مفصلة نلخصها فنقول إن قاتله محمد بن عمرو بن عبدالله من بني الحارث بن حضرموت أو من الأسباء الحضارمة وكان أبوه أميراً فقتله معن بحضرموت فيمن قتل وترك اولاده أيتاماً منهم محمد المشار اليه .فلما أدرك محمد أخذ أخاً له صغيراً ونفقة كثيرة وحج وسأل عن معن فأخبر بمقره فتوجه اليه فلم يقدر أن يصل اليه لتشديد الحراسة عليه . فاشتغل مــع العمال الذين يعملون في قصر بناه معن وهو يترصد لمعن حتى أمكنته الفرصة بزيارة معن للقصر بعد ما تمت عمارته . وقط الرجل بطن معن وهو يقضي حاجته بسكين مسموم كان معه وغمز أخاه فخرجا من باب آخر . وانكشف أمرهما بعد أن وجد معن قتيلاً في موضعه وبعد أن توجها

---

(١) من شرح شرتبة على قصيدة نشوان الحميري .

الى اليمن ، حيث استقبلا هناك ووضع التاج على رأس محمد لأخذه بالثأر من معن ، وقد أشار الى ذلك مروان بن ابي حفصة في احدى مراثيه لمعن حيث يقول :

فلو ان أم الحضرمي تلفعت بثوبين في جنح من الليل دامس
لغالتك ان شاءت كما غالك ابنها وقد يقتل المغرور اضعف لامس

وقال عبدالرحمن بن يونس الاجعدي شعراً :

يا معن أصبحت في بيداء مظلمة من بعد ما كنت بين الناس مختالا
حتى أتاك ابن عمرو في اطـــامره قد جاشم الصبر احوالاً فأحوالا
حتى سقاك بها كأساً معتقـــة من شربة جعلت في الصدر انكالا

والرجل يضرب به المثل في الشجاعة والكرم لولا انه متهور فيما عمله بحضرموت واليمن كقائد لم تجد الرحمة الى قلبه سبيلا ولم يؤنبه ضميره على ما اقترفته يداه ، فقد تجاوز الحد في اداء ما قام به من مهمة حربية ، وسياسية ، بحضرموت . ولئن ربح المعركة سياسياً وحربياً ، فقد خسرها ادبياً . وبعض المؤرخين يصفه بالحلم ولعله الحلم الذي يتفق ومصلحته السياسية او الشخصية ، كأمثاله من الامراء والملوك[1] .

امارة بني زياد

وفي صدر القرن الثالث الهجري (وضبطه بعضهم بسنة ٢٠٢ ه[2]) خاف المأمون العباسي أن تستقل اليمن ويستولي عليها العلويون وشيعتهم ، ويخسرها التاج العباسي . فأرسل اليها محمد بن زياد بن عبدالله بن زياد بن ابيه الذي

---

(١) انظر ترجمته في وفيات الاعيان لابن خلكان .
(٢) انظر المشرع .

استلحقه معاوية بن ابي سفيان اول ملك اموي ، كما هو مشهور في التاريخ . وأمده بألف من مسودة خراسان[1] تقوية له وتثبيتاً لإمارته . وكان غرض المأمون بهذا ان يضرب العلويين وشيعتهم بهذا الأمير المنتمي الى بني امية[2] ، وهكذا توطد ملك بني زياد في حضرموت واليمن ، إلا أنهم تحت التاج العباسي .

فأولهم محمد هذا وملك من سنة٢٠٢ الى سنة ٢٤٥هـ ، ثم ابنه ابراهيم ثم ابنه زياد بن ابراهيم ومدتهما نحو ٤٥ سنة ، ثم ابنه الثاني اسحق بن ابراهيم المكنى بابي الجيش سنة٢٩٠هـ . وكان طويل العمر ولهذا دامت إمارته نحو ثمانين عاماً لم تخل من الاضطرابات والفتن . وتوفي سنة ٣٧١ هجرية . وملك بعده ابن له ثم انقرضوا وقام بالأمر بعدهم مولاهم الشهير .

الحسين بن سلامة النوبي الأصل مولى بني زياد

اما الحسين بن سلامة هذا فهو نوبي الاصل من اتباع ابي الجيش الزيادي وقد قام بالأمر في اليمن وحضرموت ، واستطاع ان يحتفظ بالملك وأن يخلد له ولمواليه بعض المآثر .

بناء الجوامع وتنظيم البريد

من المآثر الدينية والعمرانية التي قام بها هذا النوبي العالي الهمة (بناء الجوامع) ووضع أعلام البرد والفراسخ والاميال في الطرقات بين حضرموت ومكة . ومن مدن حضرموت التي بنى لها جوامع : تريم وشبام ،

---

(١) الجيش المخلص للعباسيين من خراسان ويقال لهم المسودة لبسهم السواد شعار بني العباس .
(٢) وبعضهم يستبعد أن يكونوا امويين وينسبهم الى زياد آخر ويقول لا يعقل ان يثق العباسيون بأحد من الأمويين في هذا الشأن وان كانوا امويين صورة .

ونظم المراحل منهما تقريباً الى مكة وجعل عدد أيامها ستين يوماً يمر المسافر فيها على المدن الشهيرة المعمورة ، وقسم ما بينهما وبين عدن الى عشرين مرحلة في كل مرحلة جامع وبير ومئذنة .

أما المفاوز المتقطعة فقد حفر فيها آباراً اللاستقاء بحيث لا يتقطع من المسافر الماء على طول المسافات التي يجتازها في العمران وفي القفار[1] . وقد توفي سنة ٤٠٢ هـ بعد أن تمتع بالملك نحواً من ثلث قرن ولم يستقم لبني زياد ملك يذكر بعد وفاته .

الحوالي يخرج على الزياديين

والحوالي هو اسعد بن ابي يعفر بن عبدالرحيم الحوالي الحميري الذي يرجع نسبه الى احد الأذواء الحميريين . فقد قام بثورة في اليمن ضد الزياديين وغزا حضرموت واستولى عليها في أوائل وأواسط القرن الثالث الهجري هو وأخوه محمد بن ابي يعفر . ولكن مهرة أخذتها من الحواليين ، ومن زعمائها ابو ثور المهري لمدة وجيزة عادت بعدها الى الزياديين .

وصول الامام المهاجر الى حضرموت

وفي سنة ٣١٨[2] وصل الامام احمد بن عيسى العلوي الى حضرموت مهاجراً من البصرة ، وهو جد العلويين الحضارمة الذين لهم مركز اجتماعي بها ، وستأتي ترجمته .

---

(١) انظر مفيد عمارة في التاريخ كما نقله عنه في الشامل .

(٢) ويمكن ان يكون — سنة ٣١٩ لأنه حج سنة ٣١٨ ويصعب أن يصل الى حضرموت بعد اليمن فيها بذلك العهد .

كيف كان بنو زياد يحكمون حضرموت

اختلفت فترات ولاية الزياديين لحضرموت ما بين ان يحكموها مباشرة وما بين أن يحكموها اسمياً فقط . فمن المحقق أنهم حكموها مباشرة في عهد محمد بن زياد الاول وفي أوائل ولاية ابي الجيش وأواخرها ، وفي عهد الحسين بن سلامة .

الصليحي يجتاح حضرموت ويثيب المعنيين عليها

الصليحي هو الداعية علي بن محمد الصليحي اليمني وكان داعية للفاطميين[1] ملوك مصر وافريقية ويقال لهم « العبيديون » نسبة الى اول ملوكهم عبيدالله المهدي ، وهم أصحاب المذهب الاسماعيلي الشيعي .

وقد جاء الصليحي الاذن من المستنصر العبيدي بالقاهرة بأن يقوم بإظهار دعوته باليمن فاستولى عليها . وكان مما يقال أنه يطوي الارض طياً ، فاستولى على حضرموت سنة ٤٥٥ ﻫ ولم تغن شيئاً مقاومة الحضارمة إياه .

وقد أبقى بني معن[2] الذين سبقوه بالاستيلاء عليها ، ابقاهم عليها وعلى بعض مناطق الجنوب العربي كنواب عنه ، ولكن كل ذلك لم يدم الا بضع سنوات، فقد قُتل الداعي الصليحي سنة ٤٥٩ﻫ واستقل بنو معن بالبلاد التي تحت أيديهم ومنها حضرموت الى حوالي سنة ٤٧٦ ﻫ كما تقول تواريخ اليمن. وبعدها استقل أرباب السلطة من الحضارمة ببلادهم الى اوائل القرن السادس الهجري . كما ان الدولة الصليحية بقيت باليمن الى اثناء القرن السادس، وتبرز من بين شخصيات الدولة الصليحية الملكة أروى

---

(١) نسبة الى سيدتنا فاطمة بنت رسول الله والتحقيق أنهم منسوبون اليها .انظر تاريخ ابن خلكان وغيره ، ومن آثارهم العظيمة الجامع الأزهر ومدينة القاهرة وتاريخ دولتهم مشهور .

(٢) بنو معن هؤلاء ليسوا منسوبين الى معن بن زائدة ولكنهم من العوالق . انظر المشرع و الشامل .

بنت احمد الصليحي التي أدارت المملكة بعد وفاة زوجها ، واشتهرت بالحزم والعقل والتدبير وتلقب ببلقيس الصغرى ولعلها اول ملكة مستقلة في الاسلام .

القرامطة[1]

ولم تسلم حضرموت من هجمات القرامطة واستيلائهم عليها[2] . ويقرب أن يكون ذلك في أواخر القرن الثالث الهجري او أوائل الرابع ولم نظفر بتفصيلات عن تلك الهجمات ولا عن مدة الاستيلاء . ويظهر أن ذلك لم يدم طويلاً وإلا لاهتمت به المراجع وذكرته كما ذكرت الزياديين والاباضيين وغيرهم من المعاصرين لاولئك .

موقف الاباضيين

ان للاباضية في هذه الفترة التي دعوناها بالدور الاباضي موقفين ناشئين عن الظروف السياسية التي تكتنفهم . فتارة يظهرون بمظهر الحزب الذي يحكم البلاد . وذلك حين يأنسون من أنفسهم القوة والقدرة على مقاومة الحكومة المتغلبة بحضرموت، ورئيس دولتهم إمامهم المنتخب على قاعدة مذهبهم من أنهم يختارون التقي القوي الكفوء من بينهم وينفذون أحكامه في المناطق التي يستولون عليها كمنطقة شبام في اثناء القرن الخامس الهجري ، ومنطقة دوعن في اثناء القرن الرابع الهجري . واكثر ما تقيم

(١) القرامطة اتباع أبي سعيد القرمطي نسبة الى قرملة وهي قرية من قرى واسط العراقية، ويتهمون بانحلال العقيدة ويلصقون انفسهم بالاسماعيلية الذين لا يعترفون بأنهم منهم ولهم فظائع وأعمال منكرة مسجلة عليهم في التواريخ .

(٢) انظر جني الشماريخ نقلا عن البشاري .

أئمتهم بها[1]. ويتخذون فيها عاصمة لهم. ويزعم بعض المستشرقين ان موضع الخريبة بالذات كان مقر ائمتهم.

وكثيراً ما يعتصمون في حروبهم برؤوس الجبال ويوغلون في بطون الصحارى والأودية كما هي خطة تقليدية عن اسلافهم السابقين في العراق إذا ضايقتهم جيوش الدول الكبيرة، وتارة يتمسكون بمذهبهم كفرقة اسلامية يطبق أفرادها مذهبهم وينشرون عقايدهم فيما بينهم، وذلك حين يقضى على شوكتهم ولا يكون لهم كيان سياسي، كما حدث فعلاً في أواخر القرن السادس الهجري.

ويظهر أنهم في كل من الموقفين يقبلون الجدل والأخذ والرد حول مذهبهم فيما له وعليه بالطرق السلمية، كما وقع لهم مع الامام المهاجر احمد بن عيسى العلوي في اثناء القرن الرابع الهجري، فانه استعمل معهم طريقة الاقناع والاقتناع، ونشر بواسطتها في حضرموت المذهب السني هو وبنوه وأشياعه وأعقابهم من بعدهم[2]، حتى توارى المذهب الاباضي من حضرموت شيئاً فشيئاً الى أن رحل عنها فعمها المذهب الشافعي في الأعمال والاحكام، والمذهب الاشعري في العقائد. وقد يختارون في أحوال قليلة مسائل من غيرهما كما سبق عند الكلام على جغرافية حضرموت.

ولا يعني ما تقـدم من منـاظرة المهاجر للاباضيـة أنه لم يكن في مناعة من بطشهم وإرهابهم بـل أن له في حضرموت من يؤويه وينصره من شيعته وحشمه. ومع ذلك فلم يقع بينه وبين الاباضيين صدام مسلح كما تفيد

---

(١) انظر الشامل.

(٢) من المشهورين من أولئك الامام محمد بن علي صاحب مرباط المتوفى سنة ٥٥٦ هـ والشيخ سالم ابن فضل با فضل المتوفى سنة ٥٧٤ والشيخ سالم بن بصرى العلوي – المتوفى سنة ٦٠٤. وفسر بعضهم قول صاحب المشرع: ثم تلاه الامام العالم الشيخ سالم بابن بصرى وبعضهم سالم بافضل وكل من السالمين شارك في ازالة المذهب الاباضي من حضرموت فلا مانع من صحة التفسيرين وستأتي تراجمهم.

المراجع التاريخية القديمة التي بين أيدينا [1]. ولا يستطيع المؤرخ الباحث أن يجزم بشيء من ذلك وإن سطره بعض المعاصرين الذين كتبوا في تاريخ حضرموت [2].

ويشير كلام الامام عبدالله بن علوي الحداد في كتاب تثبيت الفؤاد الى أنه يستدل بسكنى الامام المهاجر وابنه عبدالله وحفيده علوي المواقع الحصينة العالية كما توجد بها قبورهم – يستدل بهذا على ما يتشممون اليه من ايجاد قوة يمكنهم بواسطتها اقامة الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بدافع من علمهم وتقاهم. وكلما حلوا بمكان لم يطب لهم المقام، فبقوا في الأطراف إن حصل لهم ما أرادوه بقوا عليه وإلا فلا ينالهم في مكانهم أذى ملوك البلاد.

وتجمل بعض المصادر بما يفيد وجود حزب قوي مع المهاجر ضد الاباضية ولكنها لا تصرح بوقوع اصطدام حربي بين الطرفين [3]. وسواء قاتل الاباضية

---

(١) انظر البرقة واضرابها.

(٢) هو العلامة عبدالله بن محمد السقاف في تعليقاته على رحلة باكثير، فقد صرح فيها بوقوع معارك حربية بينه وبينهم وقال: «ويقال ان معركة فاصلة وقعت ببحران عندما كان المهاجر مقيماً بالهجرين انكسرت فيها شوكة الاباضية وانتقل المهاجر على أثرها من الهجرين الى قارة بني جشير» ولكني اتصلت به وكتبت اليه في الموضوع ليتفضل بذكر المصدر التاريخي بهذا فلم يأت به. وينسب بعضهم رواية هذه المادة الى تعليقات العلامة المرحوم احمد بن حسن العطاس ولم نعلم المصدر الأصيل. وفي تعليقات العلامة محمد بن عقيل ابن يحيى على ديوان ابن شهاب تصريح بأنه هو وأنصاره «ومن بعده الى حدود ٦٠٠ سنة قاتلوا الأباضية ثم تركوا حمل السلاح». ولم أطلع على مصدره ولعله استنتج ذلك من ان العلويين انما حملوا السلاح للقتال والنضال، ولكن لا يمكن اثبات ذلك الا بنص اذ قد يكون حمل السلاح عادة تقليدية أو للدفاع عن النفس.

(٣) هذا هو المشرع وهذه هي عباراته المسجعة حين يقول: «لما وصل السيد الامام احمد بن عيسى تلك الديار قصدته الأخيار وعملت المطي اليه من أقصى القفار. ثم قال: وضحضت الخوارج تحت الطاعة وعلمت الأباضية بأنهم ليس لهم بأهل السنة استطاعة ثم قال: واشهر إمامة الامام الشافعي بنشر مذهبه وأقعد النسب الهاشمي بأعلا رتبة وتاب على يديه خلق كثير ورجع عن البدعة الى السنة جم غفير بعد أن ركبوا الصعب والذلول في تشتيت شمله والله يجمعه واجتهدوا في خفض مناره والله رفعه وضربت على من تمادى غيه الذلة والمسكنة وأبدله الله تعالى مكان السيئة الحسنة» اهـ

المهاجر أو لم يقاتلوه فموقفهم كما ذكرناه وطريقتهم طريقة اخوانهم الاباضية والخوارج الآخرين من حيث انهم لا يتورعون عن استعمال القوة ضد أعدائهم في السياسة أو المذهب كلما وجدوا الى ذلك سبيلا .

صور من الحياة الاجتماعية في العهد الاباضي

لقد أصبحت حضرموت في هذا العهد محوراً تدور عليه رحى الحروب ولم يعرف أهلها الاستقرار منذ فتنة طالب الحق عبدالله بن يحيى الكندي الذي سبق ذكره اذ نكل ابن عطية قائد مروان بالكثير منهم وخرب جزءاً لا يستهان به من بلادهم . وتلتها الحرب الضروس بين معن بن زائدة الشيباني والحضارمة خصوصاً الخوارج الاباضية منهم وقتل منهم ما يقدر بخمسة عشر ألفاً وخرب مداينهم وأفنى مزارعهم وغور مياه عيونهم. واستقرت البلاد بعد ذلك في أيام الزياديين دون أن يدوم ذلك طويلاً . ثم جاء الصليحي فيما بعد واشتبك معهم ولما قاومه الحضارمة ومنهم ابراهيم بن اسحق الهمداني الحضرمي الأباضي على ما يروى في ترجمته... لما قاوموه قتل منهم مقتلة عظيمة أضرت بهم وببلادهم أضراراً بليغة. وجاء الزنجيلي فيما بعد فزاد الطين بلة وكاد يفني البقية منهم كما سيأتي الكلام عن هذا في الدور التالي. وفيما بين هذه الهجمات والحروب الكبرى حروب جزئية يشنها ويقوم بها أرباب الطموح من ملوك اليمن الآخرين .

وهناك في الداخل حروب القبائل المتوطنة والنواقل من البلاد الاخرى فيما بينها والتي هي أشبه بحرب العصابات التي تشنها على الحكومة المحلية الحضرمية الاباضية التي قد تكون في بعض الجهات الحضرمية اسمية فقط ولم تستطع أن تفرض مذهبها ولا سلطتها على بعض المحلات بحضرموت كالهجرين وتريم في أواسط واواخر العهد الاباضي .

هل جنى الاباضية على حضرموت

ان الواقع التاريخي يدفعنا الى الجواب على هذا السؤال بالايجاب فقد

أصيبت حضرموت بالانفصالية عن العالم الاسلامي في غالب أيام شوكة الاباضية بها للصفات التي توجد فيهم مما قدمناه. وقد ارسل اليها الملوك [1] والامراء الحملات تلو الحملات للقضاء عليهم وعلى مآثرهم وآثارهم فالحروب الطاحنة التي أدار رحاها البارقي ثم معن ابن زائدة وغيرهما كما مر كانت نتائج لعناد وتقلب الاباضية وما توحيه اليهم عقيدتهم من الفتك وعدم حرمة مخالفيهم من أهل العقائد الاسلامية الاخرى. فيكون الانتقام او رد الفعل بمقتضى التعبير الحديث من خصومهم الاقوياء أشد وأعظم. والشعب الحضرمي ليس اباضياً كله ولكن الدولة الغالبة في اكثر هذا الدور أباضية ، ولهذا جرت على الشعب النكبات وانهكته بالفتن والحروب من الخارج ومن الداخل ولم يستطع الشعب الحضرمي أن يتصل ويندمج مع اخوانه من أبناء الشعوب العربية والاسلامية الاخرى كما كان يفعل في الأدوار السابقة واللاحقة [2]. ويظهر ان الاباضية الموجودين اليوم بعمان وافريقيا تعدلوا كثيراً ، وليسوا بالصفات التي يذكرها المؤرخون عن أسلافهم القدامى ، وليسوا متعصبين الى الدرجة التي وصل اليها أجدادهم السابقون واعتنق كثير منهم مذهب أهل السنة ولا يزالون كذلك [3] .

الثقافة في ذلك العهد

ومع ما ابتليت به حضرموت من الحروب والفوضى والخراب في هذا

---

(١) كمروان الثاني وأبي جعفر المنصور.

(٢) انظر جنى الشماريخ والشامل للحداد.

(٣) الواقع ان الفرق الاسلامية كلها سادت روح التسامح فيما بينها ونظرت نظرة بعيدة الى الخطر الالحادي والى خطر الاستعمار الذي لا يترك اي فرصة لبث الفتنة والتفرقة بين المسلمين ويمكن ان يضاف سبب آخر سلبي لهذا التسامح والتساهل وهو تيار هذا العصر المادي الذي نزلت فيه قيمة الروحيات وقل فيه التصلب والتشدد من أجلها.

العهد فان في أهلها مناعة وثباتاً مكنا بعض طوائف منهم في فترات من ارتشاف كؤوس المعارف والعلوم الشرعية والأدبية والعقلية . وجمهوره من السنيين ، ولم نسمع عن غيرهم من الشيعة اذا صح وجودهم بها[1] ، وقلّة من الاباضيين. وبعض مؤرخي[2] هذا العصر ينكر وجود علماء في عصر المهاجر بحضرموت غيره وغير الآخذين عنه محتجا بان التاريخ لم يثبت لنا اسم احد منهم[3] ولكن من الصعب أن لا يكون لطايفة الاباضية علماء ولو بمذهبهم على الأقل وقد حاجهم المهاجر فحجهم كما مر فللسنّيّين علماؤهم الكبار وأئمتهم الأحبار ويذكر لنا التاريخ منهم الامام المهاجر الى الله أحمد بن عيسى النقيب الذي جادل الاباضية والنواصب وقارعهم بالحجج القوية حتى أسكتهم واخفض أصواتهم هو وبنوه وشيعته وتلاميذهم ثم من تبعهم من السنيين كالمشائخ آل ابي حاتم ، ويبدو لنا في الطليعة منهم يحيى بن عبد العظيم وكالشيخ المعمر احمد الحاسب العالم الشهير وغيرهم ممن تنسب اليهم بعض الأسر المعروفة بالعلم كآل الخطيب وآل ابي عبيد وآل ابي فضل وغيرها ممن استمر فيها العلم عبر أجيال عدة كما سيأتي .

وللاباضية علماؤهم وزعماؤهم الدينيون وإن لم يحفظ لنا التاريخ كل أفرادهم كما ذكرنا ، ففي مقدمتهم أئمتهم البارزون كعبد الله بن يحيى الذي يعد أول شخصية اباضية بارزة نادت بهذا المذهب في حضرموت بعد ما كانت على العموم من قبل على ما عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم

---

(١) يستفاد وجودهم من رسالة جنى الشماريخ للسيد علوي بن طاهر .

(٢) هو السيد المؤرخ عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة بحث في التاريخ المعاصر وستأتي الاشارة اليها في ترجمة المهاجر .

(٣) يستفاد من تعليقات ابي مخرمة كما نقله عنه الحداد في جنى الشماريخ ولفظه : وقد قيل انه كان بها (الهجرين) في القديم مذهب الشافعي ومذهب الحنفي وقاضيان حنفي وشافعي ومفتيان حنفي وشافعي يستفاد وجودهم بها وان لم نذكر الأسماء .

بإحسان كما تقدم ، وكأبي اسحق ابراهيم بن قيس الهمداني ووالده بمقتضى ما يحدثنا عنه الباروني في صدر ديوانه، ولكن تشكك في وجوده بعض محققي هذا العصر [1] كما تقدم .

النواحي الاقتصادية

تقوم أعمال الزراعة والغرس والتجارة بشكل تعاوني في الأكثر بين السكان فيقوم العمال كأجراء بالسقي وتعهد النخيل ويعطيهم المالكون الأراضي والفسائل ، وقد يجعل للعامل جزء من النخيل ولصاحب الأرض جزء ولصاحب الفسيل جزء ، وقد يقوم الملاك أنفسهم بكل هذا وتجري التجارة برأس مال التاجر نفسه أو بشكل مقارضة مع الغير . وتعتبر الثروات بقدر ما يملك أصحابها من نخيل ومزارع وعقارات وانعام ودواجن ونقود في بلادهم حضرموت ، كما يلتقط كل هذا من المراجع خصوصاً التي قد تفيض في تراجم بعض أعيان الحضارمة فتشير الى مثل هذا عرضاً [2] . وفي مقدمة صناعاتهم الغزل والنسيج اللذان اشتهروا بهما .

ويظهر بمقتضى ما يذكر من وفرة الجيوش والخيول بحضرموت وانها ذات منعة وقوة في فترات من هذه المرحلة - يظهر انها قاومت أعاصير الفتن الهوجاء وصابرت تلك المحن مع استمرار بقية الطوائف من زراع وصناع وعمال في أعمالهم وأشغالهم كما استمر رجال العلم والدين في التمسك بطلب العلوم والمعارف والاستزادة منها [3] وتدريسها كالناحية العمرانية . ومما يستعمل

---

(١) هو السيد المؤرخ عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة استدراكات وتحريات على تاريخ حضرموت في شخصيات .

(٢) أنظر تراجم العلويين السابقين وغيرهم في الكتب المختصة كشرح العينية للامام احمد بن زين الحبشي وكتاب البرد النعيم .

(٣) يعرف هذا من تراجم الفحول المعدودين في أثناء القرن الخامس وأوائل السادس إذ لا تزال سلطة للأباضية فيهما .

عندهم للبناء الجراديم المعروفة وهي آلة توضع على أعجال تجرها الأبقار والبغال وتسمى العرابة [1] ، ويستعملون الآجر والجص ولكن الغالب استعمالهم في البناء اللبن والطين ، الا انه لم يبرز لنا التاريخ أثراً من الآثار التي تلفت النظر وتدل على حياة عمرانية زاهية، ولأن كان ذلك فلا يلام هذا الشعب الذي أضحت بلاده مسرحاً للحروب والقلاقل بل كفاه فخراً أن يحتفظ بحياته ويقيم له كياناً بين أمواج الفتن والحروب المتلاحقة .

وبما أن هذا الدور فيه من مجاهل التاريخ الشيء الكثير ومدته طويلة فما ذكرناه عن النواحي العامة في الحياة لا شك انه كله غير مطرد فيه وانه يختلف باختلاف الظروف الحربية ، فكلما طالت فترة السلم تقدمت البلاد في هذه النواحي والعكس بالعكس .

المرأة

والمرأة تشارك زوجها وتعينه على اداء عمله ، كل طائفة من السكان بحسب أعمالها التي تزاولها كما ينشأن على ذلك وتلاقي ما يلاقيه الرجل من سعادة أو شقاء .

وعلاوة على ما ذكرنا فهناك أعمال منزلية هي من اختصاص المرأة وتقوم بها بالطبع وهكذا حالتها بالنسبة للعهود القادمة ولم تخل بعض العهود من نوابغ فيهن ولبعضهن نصيب من التاريخ هنا [2] .

من اعلام العهد الاباضي

قد مر موضوع بعنوان (أسماء المعروفين من أئمة وزعماء الاباضية بحضرموت) وقد استوفيت فيه من عرف منهم لدينا ، والتاريخ الى اليوم

---

(١) انظر المشرع .

(٢) تقدم ذكر بعضهن و ممن سيأتي زينب ام الفقراء وسلطانة الزبيدية .

لم يحفظ لنا تراجم شخصيات حضرمية في القرنين الثالث والرابع عرفت بالعلم والتقى والزعامة من أي الطوائف ، كما حفظ لنا تراجم الامام المهاجر أحمد ابن عيسى العلوي وابنه عبدالله ، وأحفاده بصري وعلوي وجديد بن عبدالله بل — والحق يقال — لقد تعرفنا على بعض مجاهل التاريخ الحضرمي في تلك الفترة بفضل تاريخ هؤلاء الأئمة وقد اعتنى به من بعدهم لانهم شيوخهم وقادتهم .

الامام المهاجر الى الله احمد بن عيسى

هو الامام احمد ، ابن النقيب عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن الامام علي بن ابي طالب رضي الله عنهم أجمعين .

لماذا لقب بالمهاجر ؟

أما سبب تلقيبه بالمهاجر فلانه هاجر من البصرة الى حضرموت لاسباب اصلاحية اهمها : الاطمئنان على سلامة دينه ودين اتباعه في موضع امن ، ولم تكن الهجرة من هذا الامام بدعاً فهي شيء معتاد عند أئمة الأسرة النبوية منذ بدأ بها الرسول صلى الله عليه وآله حين هاجر من مكة الى المدينة وتلاه الامام علي بن أبي طالب حين هاجر من الحجاز الى العراق . وقد تبعه بنوه وأحفاده من بعده كالامام الحسين بن علي والامام زيد بن علي بن الحسين حفيده ومحمد النفس الزكية بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط واخويه ابراهيم وادريس جد الادارسة بالمغرب وغيرهم كثيرون وفيهم أئمة مثاليون . وهجراتهم هذه في سبيل نشر الاسلام وتنفيذ العدالة ووضع الحق في نصابه ، واكثرهم قاموا في سبيل تحقيق هذه المبادىء بثورات معروفة في التاريخ ضد الملوك الجائرين من امويين وعباسيين وغيرهم من الولاة . وكان البعض من هذه السلالة العلوية مطاردين ايضاً ومرموقين من الملوك المشار

اليهم [1] .

أما الامام المهاجر هذا فقد احاطت به ظروف الحروب والفتن والقلاقل الواقعة في القرن الثالث الهجري في العراق فلا يكاد يستقر الامن ولا يستتب العدل العام ابداً فيها، اذ أصبح العراق مضطرباً والبصرة موطن الامام احمد مهددة بغارات القرامطة أصحاب أبي طاهر الجنابي وغيرهم، واستبد فيها أصحاب القوة من الأمراء والمماليك حتى بلغ الأمر بالناس الى ان يقيم كل على نفسه حارساً أو خفيراً . وبلغ الضعف بالخليفة وعماله حدّ العجز عن ضبط الأمور فانتشرت الفوضى وضرب الفساد أطنابه في العراق . عند ذلك قرر الهجرة وهو يحمل بين جنبيه مباديه وعقائده لينشرها كلما وجد الى ذلك سبيلا ، فهجرته لأسباب عدة وليست لسبب واحد [2] بالرغم من انه عميد الاسرة العريضية بالبصرة وأبوه نقيب العلويين ، وكلاهما الى ذلك من كبار أئمتها وزعمائها وأثريائها . فارتحل عنها سنة ٣١٧ هـ ومعه ابنه عبدالله وحفيده اسماعيل الملقب بصرى بن عبدالله وغيرهما من مواليه وحاشيته الذين يقدرون بنحو السبعين ، وترك بعض العائلة بالبصرة للابقاء على روابط القرابة — والمواطنة وللاشراف والادارة على أمواالهم الضخمة وجاههم العريض . وممن أبقاه بها بنيه محمداً والحسن وعلياً ونساءه حيث يقيم أعمامهم وبنو عمومتهم وفي مقدمتهم الامام محمد بن عيسى اخو المهاجر الذي كان قد أعلن ثورة ضد الخليفة العباسي فأقنعه المهاجر بالعدول عنها حتى اقتنع [3] . وقد أعقب اخوه وبنوه المشار اليهم بالعراق وبقي الاتصال بين الشعبتين الحضرمية والعراقية مستمراً بالمكاتبة وبالزيارة فقد زار جديد بن عبدالله بن احمد بن عيسى العراق باشارة من أخيه علوي وكان من جملة مهام تلك الزيارة قبض أموالهم بالبصرة وتصريفها ، [4]

---

(١) انظر مقاتل الطالبين لأبي الفرج الاصبهاني .

(٢) انظر المبحث في جني الشماريخ بهذا الصدد .

(٣) انظر المشرع .

(٤) انظر المشرع .

ومن جملتها أرض واسعة خصبة تسمى قسم . ومن أجل محبتهم للعراق ومن أجل تذكار العراق سموا فيما بعد مقاطعة قسم الحضرمية المعروفة التي غرسها نخيلاً الامام علي بن علوي خالع قسم، سماها باسم قسم العراقية بعد ان اشتراها بعشرين ألف دينار .

المهاجر يزور المدينة

اتجه المهاجر من العراق الى المدينة المنورة فزار مآثرها وآثارها ومكث بها سنة ولم يتمكن من الحج ودخول مكة لاضطراب حبل الأمن ، وهذا الاضطراب هو الذي يقلقه ولا يعجبه وهو من أسباب هجرته من العراق ، فلم يسعه سوى التريث بالمدينة حتى اذا هدأت الفتنة وكانت فتنة القرامطة الذين هاجموا الحجاج وقتلوا منهم آلافاً مؤلفة من الرجال والنساء ونهبوا الأموال واستباحوا البلاد ، وذلك يجري والمهاجر وأتباعه بالمدينة تصلهم الأخبار المؤسفة عنها — حتى اذا هدأت الفتنة كما قلنا وأمكنته الفرصة فيما بعد قصد مكة حاجاً هو ومن معه فحجوا سنة ٣١٨ هـ . ومنها توجهوا توا الى اليمن فحضرموت وقد درس في رحلته هذه عملياً أحوال اليمن وتنقل في مدنها وقراها الى أن وصل حضرموت وقام في بادىء الأمر بنفس الدور الذي قام به في اليمن . ويقرب أن يكون قد اتصل به بعض اليمانيين الذين سار في قافلتهم كما اتصل به بعض الحضارمة ايضاً فدعوه الى الاقامة بينهم لان مثل الامام المهاجر في مركزه وشهرته ووجاهته انما يكون مخطوباً ومطلوباً — كما انه بدوره يبحث عن الموضع الذي يطيب له ويهدأ فيه ويتمكن له أن ينشر مباديه بين أهليه .

نهاية الرحلة

وانتهى به المطاف الى حضرموت فتنقل في قراها وأول قرية نزل بها قرية الجبيل الشيعية بد وعن فالهجرين ، وكانت حصينة وفيها أيضاً بنو الصدف

من قبائل كنده وهم فيما يقال سنيون . وقد مكث فيها سنوات نظم فيها اقتصادياته ، فملك نخيلاً وعقاراً ولا تزال داره — موجودة بالهجرين كأثر من الآثار التي تزار ، وقد ترك أحد مواليه ويسمى شويه [1] بها قبل أن يغادرها واكرمه بماله فيها من أموال ولم يعرف السبب الحقيقي لمغادرته اياها .

بعد أن غادر الهجرين نزل قارة بني جشير بالتصغير وموقعها معروف عند قرية بور . والقارة هذه كندية هي والمقاطعة التي تقع غربها الى حدود شبام [2] وفي أهلها سنيون فأنزل عائلته فيها واستقروا بها وقد يبارحها لمدة وجيزة الى غيرها كتريم ثم يعود اليها .

لعل المهاجر لم يتخير الاقامة في المواضع التي أشرنا اليها الا لوجود أنصار له بها من شيعة وسنيين ، وكان المذهب السائد في حضرموت اذذاك هو المذهب الاباضي ولأهله السلطة فيها ، ولم تكن سلطة الزياديين أو اليعافرة في تلك الفترة الا اسمية فقط ، حيث كان قدومه أيام « ابي الجيش » المار ذكره ، واليعافرة قاموا بثورة ضد الزياديين في ذلك العهد أيضاً كما سبق أيضاً .

أما موقف المهاجر مع الاباضية فقد اسلفنا الكلام عنه تحت عنوان (موقف الاباضيين) .

ثقافة المهاجر وعلومه وتقاه

نشأ المهاجر بين آبائه وأعمامه من ائمة ونقباء وعلماء في بيئة تزخر بالعلم والنبل والفضل ، وفي بلد تموج بكبار العلماء فدرس العلوم الاسلامية اذذاك من حديث وتفسير وفقه وأدب وتاريخ الى العلوم العقلية على أولئك وتفقه

---

(١) شويه بفتح الشين وكسر الواو وسكون الياء المثناة وله ذرية لا يزال بعضهم موجوداً بحضرموت .

(٢) انظر بحيي الشماريخ .

بثقافة أهل ذلك العصر .

وقد اجمع المؤرخون القدماء [١] والمعاصرون [٢] على تقاه وصلاحه .

مذهب المهاجر

المعروف ان مذهب المهاجر هو المذهب الشافعي السني كما تصرح بذلك المصادر [٣] ولكن من المعلوم ان المهاجر وان كان يعتنق مذهب الشافعي — لا يقلد الشافعي تقليداً أعمى فهو أجل من ذلك .. كيف وأمامه الكتاب والسنة اللذان عليهما أساس مذهب الشافعي. وكذلك عقائده الاسلامية هي عقائد آبائه وأجداده كالباقر وزين العابدين اذ لا تنافي بين عقيدة ائمة أهل البيت القدماء وبين عقيدة أهل السنة كما تصرح بذلك الكتب المختصة [٤] اللهم الا ان كان في مسائل معروفة..بل الشافعي رضي الله عنه نجد في نثره ونظمه تشيعاً معتدلاً لأهل البيت وهذالا يخرجه عن سنيته . وبذلك يتضح ان المهاجر على مذهب الشافعي الذي يراه كمذهب آبائه [٥] وبلغني ان بعض مؤرخي هذا العصر يقول انه امامي المذهب [٦] ولكن المصادر التي أشرنا اليها لا تؤيده ولا تؤيد

---

(١) من كتبهم الجوهر للخطيب و قلادة النحر لبا مخرمة و التحفة النورانية لبا وزير .

(٢) من كتبهم صفحات من التاريخ الحضرمي لبا وزير وكتاب في جنوب الجزيرة العربية للبكري .

(٣) منها المشرع و امهاته .

(٤) منها الفرق بين الفرق للبغدادي .

(٥) قال العلامة ابوبكر بن شهاب

منهبي بمذهب الوصي ابي السبطين فالحق دائر حيث دارا
وبنيه الأئمة العلوي ين الأُلى حولوا الظلام نهارا

ثم قال :

ولنا الشافعي خير إمام إذ وجدنا في النقل عنهم غبارا

(٦) هو العلامة ابن عبيدالله في كتابه نسيم حاجر والسيد صالح بن علي الحامد في تاريخه المخطوط كما بلغني ولم اطلع على مصدر بهما وقد خالفهما السيد علوي بن طاهر الحداد في كتابه أثمد البصائر مخطوط،وذكر فيه ان مذهب الامامية انما أسس بعده ، كما خالفهما السيد عبدالله بلفقيه ايضاً. وإمامي نسبة الى الأئمة الاثني عشر وهم المنتظر والهادي والجواد والعسكري والرضا

ما ينبيه عليه ، ومما ذكرته ايضاً أخذ ابنه عبدالله عن ابي طالب المكي السني وهو نسخة طبق الأصل لأبيه كما سيأتي .

فكيف لا يكون المهاجر شافعي المذهب ؟ وهو الذي قام بنشره او ادخاله الى حضرموت [١] لما ورد اليها وكانت السلطة السياسية والمذهبية بها نهباً مقسماً بين الاباضية والزياديين واليعافرة [٢] وكان مذهب الاباضية هو المذهب السائد فيها ولهم بها نفوذ كثيراً ما يكون نفوذ الآخرين ازاءه اسمياً فقط ، فاستطاع المهاجر بعلمه وقوة عارضته وشجاعته أن ينشر مذهب الشافعي السني بحضرموت حتى حل على المذهب الاباضي تدريجياً طبق سنة التطور المذهبي ، وبفضله وفضل تلاميذه من أهل السنة كما قدمنا انقلب القطر الحضرمي بلداً شافعياً سنياً ولم يتته القرن السابع حتى تلاشى المذهب الاباضي بتاتاً من حضرموت وعمها المذهب السني .

ويرى بعض مؤرخي هذا العصر انه لا يوجد أحد من علماء أهل السنة أو بالأخص من علماء الشافعية بحضرموت قبيل ومنذ قدوم المهاجر اليها ، فهو في نظره ليس أول من نشر مذهب الشافعي بها فحسب بل اليه يرجع الفضل بمقتضى ما يقول في انه أول من أدخله اليها ونشره .

ومما ركز بحثه عليه ان التاريخ لم يذكر لنا اسم احد من العلماء في ذلك العهد سوى المهاجر وبنيه [٣] حتى القرن الخامس [٤] .

والكاظم فأبؤه إلى الامام علي والحسن ومذهب الامامية هو المذهب الرسمي في إيران وينفرد عن المذاهب الاسلامية في بعض الأمور

(١) اذا قلنا برأي من يقول انه أول من أدخل مذهب الشافعي الى حضرموت وسيأتي قريباً .

(٢) تقدم الكلام عنهم .

(٣) هو السيد عبدالله بلفقيه في رسالته المسماة بحث في التاريخ المعاصر للحياة الثقافية والمذهبية بحضرموت قبيل ومنذ قدوم المهاجر وهي مخطوطة يرد بها على ما جاء في كتاب صفحات من التاريخ الحضرمي لأبي وزير من وجود مذهب الشافعي بحضرموت من قبل عصر المهاجر ، وفي جني الشماريخ للحداد ما يؤيد كلام أبي وزير ولكن صاحب الرسالة نقل عن الزبيدي في كتاب أنباء الزمن في أخبار اليمن المطبوع بالمانيا وعن أبي حوتل بواسطة ابن خلدون ما يؤيد رأيه .

(٤) وأول من عرف من بعد المهاجر وبنيه من علماء أهل السنة أبو المكارم الخطيب وهو في القرن

وقد قام بنفس الدور في مهرة حفيده الامام محمد بن علي صاحب مرباط حيث نشر بها مذهب الشافعي بعد قرنين من الزمن تقريباً[1] .

أمواله ومكارمه

للسيد المهاجر أموال كبيرة بالعراق ــ كأمثاله من زعماء أهل البيت ــ وقد أخذ بعضها معه لما رحل مما خف وزنه وغلا ثمنه وقد أنفق النفقات الكثيرة في رحلاته ، واشترى في حضرموت عقاراً ونخيلاً بكميات كبيرة ولكنه كريم جداً ، فيسمح بماله قدر عظيم من المال كآبائه الكرام في الخير وقد تقدم ذكر ما يدل على ذلك .

وفــاته

توفي رضي الله عنه بحضرموت بالحسيسة والصحيح ان وفاته كانت سنة ٣٤٥ ﻫ وقبره معروف في جبلها الجنوبي ويعد من المآثر التي يقف أمامها من يقدر عظماء الرجال ويزور مآثر الأبطال ، فاقامته بحضرموت الى وفاته قد استغرقت ربع قرن تقريباً ، كان له فيه الأثر البالغ في تطورها المذهبي وفي نشر الأخلاق الاسلامية العاليــة .

ابنه الامام عبد الله بن احمد بن عيسى

نشأ هذا الامام بالبصرة وشب فيها في نفس البيئة التي وصفناها في ترجمة أبيه وتلقى تلك العلوم العقلية والشرعية والعربية التي تلقاها ابوه عن أولئك العلماء وتفوق بصورة خاصة في علم الحديث ويعد من كبار حفاظه . ومن شيوخه الامام أبو طالب المكي شيخ أهل السنة المتوفى سنة ٣٨٦ ﻫ ومن البديهي

الخامس ويحيى بن عبدالعظيم الخاتمي ومحمد بن احمد الخاسب وقد تقدم ذكرهما وتوفيا في اوائل القرن السادس .

(١) انظر عقود الالماس وستأتي ترجمة صاحب مرباط .

ان يعد ابوه الامام المهاجر في مقدمة شيوخه وقد تأدب بآدابه وهذا الشبل من ذاك الأسد .

اول صوفي عرف بحضرموت

لم يذكر التاريخ اسم صوفي بها قبله وكما ذكرنا ان من شيوخه ابا طالب المكي فقد تلقى عنه علم التصوف وقرأ عليه كتابه قوت القلوب ، ذلك الكتاب الشهير في فن التصوف وأخذ عنه بقية مؤلفاته ومروياته ، كما ان ابا طالب بدوره اعترف له بطول الباع في العلوم وكل ذلك لما حج سنة ٣٧٧ هـ وقضى مدة بمكـــة .

والتصوف الذي نعنيه هو الذي يبحث عن أدواء القلوب المعنوية وعن كيفية التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل في دائرة التعاليم الاسلامية السمحاء وهو منتشر بين علماء حضرموت الكبار ولكن مع الأسف ان البعض يفهمه بالطريقة العكسية لما يراد منه وربما تكلمنا عنه فيما يأتي عند ذكرنا لانتشار طريقة الفقراء في حضرموت أوائل القرن السابع .

رحـــلاته

له عدة رحلات منها رحلته مع والده لما هاجر من البصرة الى حضرموت ومر في طريقه بالحجاز واليمن .

ومنها رحلته الثانية الى مكة هذه التي أشرنا اليها للاستزادة من العلوم والمعارف والتجارب في الحياة واداء النسكين .

وتذكر بعض المصادر [1] انه تلقى عن العلماء باليمن ويحتمل أن يكون قام برحلة خاصة اليها ، او في اثناء احدى الرحلتين السابقتين او كلتيهما

---

(١) المشرع .

اقتصادياته ونفقاته في سبيل الله

لعله لما كانت نشأته بالبصرة وفيها النخيل الكثير استكثر منه بحضرموت وذكروا انه احب امواله اليه ، والواقع ان النخل يستفاد من كل جزء من أجزائه مما يدلنا على ان هذا الامام من رجال الاقتصاد العملي .

وله أطيان كثيرة واسعة غيرها من الأموال كما كان لوالده أيضاً أما صدقاته ونفقاته فكان اذا أدرك ثمر عام يتصدق بما بقي من محصول العام الذي قبله من تمر وحب ويقول : هذا شكر نعمة هذا . وتذكر المصادر انه كان يقوم بالنفقات على كثيرين من مستحقيها وبلغ من تشجيعه للأدب والشعر انه يجيز رجالهما الذين يتقدمون اليه بقصائدهم جوائز سنية .

ولما انتقل من الحسيسة بعد وفاة والده الى قرية سمل وهب أرض سوح كلها وهي احدى ممتلكاته لمولاه جعفر بن مخدم وسكن سمل واشترى فيها عقارات وألقى بها عصا التسيار حتى توفي بها سنة ٣٨٣ هـ .

اخلاقـــه وتواضعه

عرف الامام عبدالله بالأخلاق العربية والاسلامية العالية من كرم واباء وجد واخلاص ونشاط في الاعمال ، وتتجلى فيه ظاهرة التواضع ونكران الذات الى درجة انه يصغر اسمه فيقول عبيدالله بدلاً من أن يقول عبدالله ويستحسن من أصحابه أن ينادوه به حتى عرف به رضي الله عنه .

تلاميـــذه

ومن المعلوم بالطبع ان له تلاميذ كثيرين في وطنه حضرموت وفي البلاد التي حدث ودرس فيها ، وقد ذكرت المصادر لنا منهم أسماء بنيه العلماء الثلاثة : بصريا وعلويا وجديدا وترجمت لهم تراجم خاصة ، كما للكثيرين من سلالاتهم في كتب التاريخ العديدة ، ، وواجبنا كمؤرخين وكما هو الواقع

ان نعترف بأن اسرة المهاجر هي من أشهر الاسر الحضرمية وأخصبها برجال العلم والفضل والاصلاح [1] ان لم تكن أشهرها وأخصبها بمن ذكروا على الاطلاق ويوجد لهم من المكانة بحضرموت ما يوجد لاخوانهم في بعض الأقطار العربية والاسلامية الاخرى ، كالمراغنة في السودان والأدارسة في المغرب في كل عصر بما يناسبه .

انهم منذ هذا العهد وما بعده بأجيال ومن عرف من العلماء والشيوخ الحضارمة يمشون يداً واحدة على المعالم المذهبية لأهل السنة والجماعة كما تتحدث بذلك التواريخ ، ولا يعرف مستند لمن يرى غير هذا من مؤرخي هذا العصر [2] .

فعلى بنيهم أن يعتبروا أنفسهم خداماً للعروبة والاسلام [3] كما كان يفعل آباؤهم الكرام .

---

(١) انظر كلام الاستاذ باوزير في هذا الموضوع في كتابه : صفحات من التاريخ الحضرمي ، في ترجمة المهاجر ومحاضرة المستشرق روبي سرجنت باللغة البريطانية المسماة : سادة حضرموت ، وغيرهما .

(٢) هو السيد ابن عبيدالله الذي يرى ان تأخر استيطان العلويين بمدائن حضرموت انما هو لاختلاف المذاهب الخ ما يقوله ، ومما يستغرب ان يجعل للقطبانية الصوفية مدخلا في الموضوع اذ انها وما اليها من علوم القوم الصوفية انما هي اشبه برموز واصطلاحات لا يبنى عليها شيء من الأحكام .

(٣) قد قدمنا ما نراه من أن العروبة والاسلام متفقان .



الـــدّورُ الرّاشِـــديّ

من سنة ٤٠٠ ﻫ تقريباً الى سنة ٧٠٠ ﻫ تقريباً

الـدّورُ الرّاشـديّ

من سنة ٤٠٠هـ[1] تقريباً الى سنة ٧٠٠هـ[2] تقريباً

هذا الدور منسوب الى السلطنة الراشدية التي أسسها آل راشد وهم اسرة من بني قحطان احدى القبائل الحميرية[3] فهو المراد حين ينسبون اليه لا قحطان الأول وان كان مرجع نسبهم كعرب قحطانيين اليه . وآل راشد هؤلاء هم أبناء عمومة لبني الدغار الهزيليين سلاطين شبام وأعمالها ويلتقون في النسب عند فهد بن القيل بن يعفر بن مرة بن حضرموت بن سبأ الأصغر . قال نشوان الحميري في قصيدته الخائية الشهيرة[4] :

وبني الهزيل وآل فهد منهـــم من كل هش للندى مرتـــاح

وذروة دورهم هذا تلي ذروة الدور الاباضي وتقدر مدة دورهم كله

---

(١) يوخذ من البرد النعيم ومن جني الشماريخ .

(٢) بمعنى ان دولتهم بقيت ذيولها الى آخر القرن السابع التي في أثنائه ظهرت سلطنة آل يماني كما سيأتي امارات اخرى تقوم وتسقط ولم تدم الا يسيرا . ويقال ان محمد بن عبدالله بن راشد ولي حضرموت ولكن لم تشتهر ولايته كأسلافه .

(٣) ولا يتعارض هذا مع نسبتهم الى سبأ الأصغر لأنه اما أب او ابن لحمير الاصغر او الأدنى على اختلاف المؤرخين. اما سبأ الأكبر فهو جد الكل وخطأ في الشامل من نسبهم الى الانصار وكلامه في محله .

(٤) شرحها عبيد بن شرنبة توفي نشوان سنة ٥٧٣ هـ

بنحو ثلاثة قرون ويليه دور آل يماني ويقدر بنحو ثلاثة قرون أيضاً[٢] ثم الدور الكثيري الأول وتقدر مدته بنحو ثلاثة قرون ونصف[٣] وكل ذلك سيأتي إن شاء الله .

ومعلوم ان دولة كل من هؤلاء الاسر التي توارثت السلطنة على حضرموت لها مد وجزر وانبساط وانكماش وقد يعتريها الضعف حتى يكاد يقضي عليها ثم تنبعث مرة اخرى من جديد ويتجدد شبابها .

كما ان نهاية زمن السابقة يكون بداية زمن اللاحقة وقد يطول هذا الزمن المشترك بينهما يتنازعان فيه البقاء حتى تتغلب القوية على الضعيفة كما يقع هذا كثيراً في التاريخ .

فقد بدأ الدور الراشدي وسلطة الأباضية موجودة الا انها الى ضعف وتلاش وان بقي أثر مذهبها الى ما بعد قضاء السلطنة الراشدية عليها[٤] ووقع نفس الشيء بالنسبة للسلطنة الراشدية مع السلطنة اليمانية ، فقد ظهرت الأخيرة ولسابقتها ذيول وأطراف حتى ورثتها وحلت محلها . كل هذا وقع مع عدم خلو المطاف دوماً بحضرموت من أشخاص وأسر وقبائل اخرى تتجاذب الحبل أيضاً مع هذه السلطنات في عهودها .

سلاطين آل راشد[٥]

تولى السلطنة الراشدية قحطان بن العوم الحميري وكان مركز سلطنته

(١ و ٢) انظر البرد النعيم للشيخ محمد بن عبدالله بن سليمان الخطيب التي انتهى منه ١٠٢٥ مخطوط .

(٣) يوخذ هذا بالضبط لميلادها ونهايتها من تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم ويلاحظ عليه من نفس كتابه ما قاله من انها لعبت دورها في اربعمائة سنة .

(٤) انظر تاريخ الدولة الكثيرية لابن هاشم .

(٥) لقب سلطان اول ما عرف في أثناء العهد العباسي لما ضعف أمر الخلافة واستبد كل قوي بسلطة مقاطعة يحكم فيها بقوته وشوكته وبقي الخليفة العباسي في بغداد خليفة صورياً وملكاً

تريم[1] .

وخلفه ابنه احمد بن قحطان المولود بتريم سنة ٤٣٠ هـ وقد اخرج منها الى دمون سنة ٤٦٧ هـ فتوفي بها . ثم فهد بن احمد المتوفى سنة ٥٢٨ هـ[2] .

ثم ابنه شجعنة ، بن فهد وقد تولى السلطنة سنة٥٢٨ه وقتل بتريم سنة٥٣١هفلم تطل ولايته ، وهو الجد الأول للسلطان العادل عبدالله بن راشد الآتي ذكره وشجعنة هذا هو شجعنة الأول .

ثم فارس بن فهد المتوفي سنة ٥٤٧[3] وتلاه مباشرة ابن اخيه راشد بن شجعنة المولود سنة ٥١٧ه والمتوفى سنة ٥٩٤ه او سنة ٥٩٣ه كما تقول بعض المصادر . وبناء عليه فقد طال عهده اذ تولى السلطنة وهو شاب في الثلاثين من عمره وبقي على كرسيها مدة ٤٧ سنة تقريباً[4] وحدثت في زمنه حروب فيما بينه وبين أمراء وقبائل حضرمية وغزاة من خارج حضرموت ولكن المعروف ان شجعنة بن راشد ابنه تولى سنة ٥٧٧هـ . فالفراغ الذي بينها وبين سنة ٥٩٣ه انما ملأه ابنه شجعنة . وشجعنة هذا هو شجعنة الثاني وقد خدش في سيرة شجعنة هذا الخاصة والعامة كما يعلم ذلك من تصرفات له شاذة

اسمياً لمركزه الديني و الرسمي فقط و القوة في يد السلطان او السلاطين من أتراك او اكراد أو فرس او غيرهم ببغداد وغيرها. وهكذا استعمل اسم سلطان الى ما بعد حتى الى حد انه في حضرموت يطلق على من حكم قرية وعلى كل فرد من افراد اسرة أي سلطان .

(١) يستنبط من البرد النعيم للخطيب وعقود الالماس للحداد .

(٢) أخطأ في جني الشماريخ في ذكر اسمه .

(٣) لم يشر في عقود الماس الى وجود سلطان بين فارس هذا وشجعنة الأول ولكن في تاريخ شنبل مانقطه: في سنة٥٣٩ه توفي العوم بن فهد وولي بعده ابنه. ولم يذكر اسمه ولما وصل الى سنة٥٤٧ه قال: توفي فارس بن فهد وولي تريم راشد بن شجعنة. وقدتكون ولاية العوم ولاية جزئيــة .

(٤) هكذا صرح به في عقود الالماس راشد بن شجعنة ولم يقل ثم شجعنة بن راشد. ويظهر انه خلط بين الاثنين والمعروف ما اشرنا اليه فيما بعد، وفي جني الشماريخ للحداد نفسه ما يثبت ولاية شجعنة ولكنه اخطأ في ذكر فارس لما قال ابن احمد .

وسيأتي ذكر بعضها [1] وقد أدى به الأمر فيما بعد الى ان قتل واتهم اخوه عبدالله بذلك لاختلافهما في الآراء وفي السلوك ولكن عبدالله نفى ذلك وتتبع قاتليه حتى قتلهم كما سيأتي .

ثم تولى السلطان عبدالله بن راشد بن شجعنة بن فهد بن احمد بن قحطان الشهير بالسلطان العادل المولود سنة ٥٥٣ والمتوفي سنة ٥٩٣ هـ بطلب من أعيان الشعب [2] حيث انتخبوه سلطاناً في تلك السنة بعد ما بلغ السيل الزبى من الفتن والقلاقل والفوضى واختلال الامن . ولكن مع الأسف لم يلبث الا مدة يسيرة من انتخابه وفي السنة نفسها حتى قاومته بنو حارثة ونهد وحضرموت متعللين بطرده والي شبام النعماني وهو أحد أبناء احمد بن النعمان ممن يرون رأي الخوارج والسلطان ابن راشد يرى فيهم عدوه اللدود سياسة ومذهباً . ودارت بينه وبين ولاة شبام معركة في السنة نفسها في محل يقال له بيت الخوارج كان النصر فيها لهم بعد أن كان حليفه . ولكنه فيما بعد سنتين تقريباً من هذا التاريخ أي في سنة ٥٩٦هـ استطاع أن يعيد هيبته وأن يستولي على شبام وغيرها من مدن وقرى حضرموت الداخل وتعم بشيء من الاستقرار وطمع في الاستيلاء على الشحر فحصرها شهرين في سنة ٥٩٩ ورجع عنها واشتبك في قتال مع بني حارثة أنفسهم ودارت المعركة بكحلان الى ناحية الجنوب الغربي من تريم. وبعد نهاية المعركة نهبوا تمر نخيل مسيلة عدم كما تتخذها القبائل المسلحة عادة قبيحة اذا حاربوا السلاطين او تحاربوا فيما بينهم ان يسطوا على الزروع والثمار وكلما تصل اليه ايديهم من المال. ولم تصفُ له السلطنة فيما بعد فقد تحركت قبائل نهد وحضّرت مدن الداخل وبعض قراها سنة ٦٠٤ . وترأس في نفس السنة راشد بن احمد بن النعمان احد سلاطين شبام حملة ضد ابن راشد ودخل تريم كما سيأتي . ولكن لصدق ابن راشد وعلمه

---

(١) ومع هذا فيوخذ من تاريخ شنبل انه هو الذي بنى مسجد شجعنة وهو المعروف اليوم بمسجد فضل با مقاسير بتريم سنة ٥٧١ وجدد عمارته الشيخ فضل بن سالم بافضل فنسب اليه .

(٢) يظهر أنهم من سطلقة تريم .

واخلاصه لوطنه ودينه مال اليه الشعب واستطاع ان يستعيد هيبته مرة أخرى وذلك سنة ٦٠٦ فكانت مباركة عليه وعلى الشعب الذي نعم فيها بالهدوء والراحة واستتباب الأمن باستثناء بعض الحوادث القليلة . وكان الوادي كله عامراً زاهياً بفضل عدالته فنسب اليه وسمي وادي ابن راشد [١]. وهكذا انتزعت هذه الفترة في عهد هذا السلطان من ثنايا الدهر الى سنة ٦١٦ ، وهي عام هجوم ابن مهدي الخارجي على حضرموت فقلب الأمور رأساً على عقب كما سيأتي ففيها اعتزل عن السلطنة [٢] وفيها قتل .

مذهب هذه الدولة وتقاليدها

ودولة آل راشد دولة سنية تأخذ بمذهب الشافعي في الفروع وبمذهب الأشعري في العقيدة فهي مخالفة للاباضية مذهباً وسياسة [٣] . اشتهر كثير من رجالها بالتقوى والعدالة والاصلاح وألمع شخصية منهم في التاريخ عبدالله ابن راشد الذي نسب اليه وادي ابن راشد ويعنون به الوادي الرئيسي في حضرموت الداخل كما ذكرنا آنفاً .

وبالرغم من أن السلاطين القحطانيين سنيون يميلون الى الخير ويكبرون رجال العلم والفضل من اخوانهم السنيين فشأنهم شأن غيرهم من الحكام السياسيين الذين لا يتورعون عن القاء القبض على أي شخص يشكون فيه اياً كان ومهما بلغ من الفضل والمنزلة اذا اقتضت السياسة ذلك ، بل والى حد

---

(١) وهو من اعلا العقاد غرباً الى اقصى شعب نبي الله هود شرقاً .

(٢) ويظهر أنه مع اعتزاله عن السلطنة لم يترك التدخل في السياسة اذا تمكن من ذلك فقد قتل بسببها رحمه الله .

(٣) المصادر التاريخية الوثيقة تقول بهذا وفي ترجمة عبدالله بن راشد الدليل الكافي على ذلك . أما الاستاذ سعيد باوزير فقد تساءل في كتابه : معالم تاريخ الجزيرة العربية ، عما اذا كانوا يتمذهبون بمذهب الاباضية واعتقد انه لا داعي لهذا التساؤل ولعل فيما بيناه وتبينه الجواب .

السجن ودس السم والقتل جهاراً خصوصاً لما كانت دولتهم مهددة بالأخطار دواماً من الداخل والخارج ، والغاية عندهم تبرر الوسيلة .

فهذا الامام علوي بن محمد صاحب مرباط العلوي لما كان يتمتع بشعبية كبيرة لما اتصف به من وفرة العقل والعلم والفضل والثروة وشرف النسب لم يتورع السلطان المعاصر له منهم ، وهو كما تقول بعض المصادر راشد بن شجعنة [1] ، لم يتورع عن دس السم له مراراً مع تظاهره له بالصداقة وقبول الشفاعات التي يتوجه بها اليه . وذلك خوفاً من توجه الناس اليه وخوفاً من أن يأمرهم بالخروج عليه كما تصرح بهذه الفقرات بعض المصادر التاريخية [2] . وطبقاً لما ذكرناه فهم حين يخشون من تصادم أي نفوذ بنفوذهم يسعون في محو ذلك النفوذ او ايقافه على الأقل . ومع هذا فوالي تريم الذي ضايق علماءها وصلحاءها يبعد أن يكون منهم . فقد عقد مؤتمراً عاماً من العلماء الصالحين وما اكثرهم في ذلك العصر وأمرهم باختيار خيارهم [3] ولم يزالوا يختارون له حتى كانت نتيجة الاختيار على الامام سالم بن بصري [4] فنصب له شركاً ليوقعه في مفسدة خلقية مع احدى الفتيات الجميلات ولكن عصمه الله بفضل متانة خلقه وتقواه . وغرض الحاكم من ذلك اسقاط نفوذ العلماء الثقات بين جماهير الشعب الذين قد يكونون أطوع لهم منه .

ومن تقاليدهم انهم يدفنون موتاهم في صناديق [5] تعظيماً لهم . ولهم

---

(١) هكذا يقول صاحب عقود الألماس ويمكن أن يكون ابنه شجعنة اذ هو معاصر له ايضاً بمقتضى ما هو معروف في التاريخ .

(٢) انظر المشرع الروي ومعنى هذا أنه يخشى ان يأمر الناس بالخروج عليه لجوره وسوء سلوكه لا لاختلاف بينهما في المذهب .

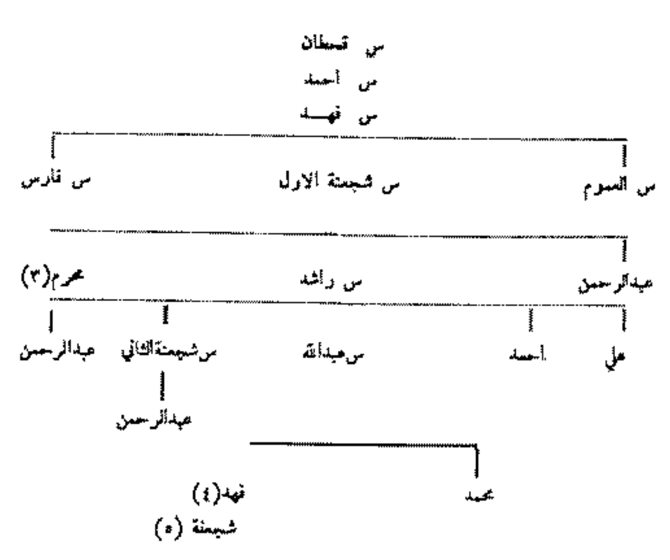
(٣) بمعنى التقوة .

(٤) ستأتي القصية من تاريخ باعرمه في ترجمته .

(٥) أنظر البرد النعيم ويظهر انها صناديق خشبية خاصة ويقول بعضهم ان في نخيل شبام قبور اولياء عليها صناديق من خشب . وينسب لاحد تلاميذ الامام الداعية عمر العطاس ولعله يقصد ولاة بدلا عن اولياء . والتلميذ هذا هو محمد بن احمد باشموس كما في كتاب القرطاس فهل هم بنو عمومتهم من آل الدغار ام غيرهم والموضوع محل نظر .

مقبرة خاصة بقارة أبي جرش بتريم وتحتها مقبرة اخرى تدعى ديار الحجم [1] .

سلسلة المعروفين من سلاطين وأمراء آل راشد [2] القحطانيين وقد أشرنا الى من تولى السلطنة منهم بحرف سين .



(١) انظر البرد النعيم ايضاً ، وهاتان المقبرتان قد طمستا الان و ليستا من مقابر تريم المشهورة اليوم كما هو معلوم وقارة باجرش معروفة وهي بجنوب غربي مسجده ، وقريبة منه .

(٢) يلاحظ أنه توجد اسماء مشابهة لهذه الاسماء في بني عمومتهم من آل الدغار سلاطين شبام وفي آل اقبال سلاطين الشحر ويتميز كل عن الاخرين بتتبع التاريخ .

(٣) قتل سنة ٦٧ه انظر تاريخ شنبل .

(٤) تقدم سنة ٦٠٣ اي صار مقدماً وقدمه ابوه على الجيش .

(٥) ولد سنة ٦٠٢ . وبقي منهم اعرون لم نقف على من وصل سلسلة نسبهم الى نهايتها كعبد الباقي ابن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٣٣ ه .

امراء حضرميون آخرون معاصرون للراشديين

وحروب وهجمات من العشائر والامارات

يوجد في بعض المدن الحضرمية في فترات مختلفة من الزمن امراء حضرميون تقوم اماراتهم وتسقط وليست في قوتها واتساعها وشهرتها كالسلطنة القحطانية الراشدية وتقع فيما بينها حروب وهجمات وفتن وقلاقل اضرت بحضرموت. وبالطبع فان عدم الاستقرار وتفرق الشمل وضياع العدل والأمن اضرُّ شيء على المجتمع وأعظم أسباب التأخر والانحطاط .

امارة بني الدّغّار بشبام

وبنو الدغار هم ابناء عمومة لبني راشد كما سبق ومن ابرز عائلات بني الدغار آل النعمان الذين قاتلهم السلطان عبدالله بن راشد حتى اذعنوا له برهة . ومن ابرزهم راشد بن احمد بن النعمان الذي شق عصا طاعة السلطان عبدالله ودخل تريم بعد سنوات من ولاية السلطان عبدالله بن راشد المشار اليه وهو غائب عنها وكانت اذ ذاك تموج بالفتنة والخوف . واتفق آل حضرموت الداخل على مبايعة راشد المشار اليه ضمن دائرة الشريعة المحمدية ولم تطل مدته اكثر من عام واحد حتى قتل سنة ٦٠٥ هجرية وبعدها (أعني سنة ٦٠٦) قبض السلطان ابن راشد على أزمّة الأمور من جديد وكان ذلك بمساعدة بعض قبائل الوادي ومنهم بنو حارثة وبنو حرام[1] .

امارة آل اقبال بالشحر

ومن الامارات المعاصرة لهم ايضاً امارة ال اقبال ويقال لهم ايضاً

---

(١) بنو حرام هؤلاء بطن من كندة ومنهم بنو جعفر امراء المجرين ونواحيها .

آل فارس[١] ، وقد استولوا على الشحر وحاولوا الاستيلاء على كثير من المقاطعات الحضرمية الاخرى ولكن الحروب التي تقع فيما بينهم وبين غيرهم من العشائر وفيما بين بعضهم مع البعض الآخر كانت سبباً مباشراً في عدم استمرار سلطتهم فلم تقم لهم قائمة لمدة طويلة متصلة . ونجد في بعض المصادر التاريخية اسماء كثير منهم قتلوا في المواقع الحربية في هذا العهد[٢] .

ومن ابرزهم راشد بن اقبال بن فارس القتيل بدوعن سنة ٥٠٩ . وفارس بن راشد بن عبد الباقي بن فارس بن راشد بن اقبال والي الشحر الذي هرب منها الى تريم حين هجم الغز[٣] على الشحر ، وقد وصل بهم أحد أفراد تلك العائلة وهو عبد الباقي بن راشد فبقيت تحت أمرهم عدة سنوات .

أما فارس بن راشد فقد توفي بتريم بعد سنة تقريباً من وصوله اليها في عهد السلطان عبدالله بن راشد وذلك سنة ٦٠٨ هـ .

شراء البلاد بالنقود

ومن امراء ال اقبال عبدالرحمن بن راشد بن اقبال ملك الشحر ، وقد استولى على حضرموت جميعها بالشراء من ولاتها سنة ٦٣٣ هـ ولكنها خرجت عن يده بعد ثلاث سنوات تقريباً من شرائها . وشراء البلدان عادة تقليدية في حضرموت استمرت الى اثنى القرن الثالث عشر الهجري .

وقد ملك ابن شماخ[٤] حضرموت بعد عبد الرحمن المشار إليه سنة ٦٣٦

---

(١) الى الان لم أظفر بتسلسلهم الى أي القبائل .

(٢) انظر الشامل نقلا من تاريخ شنبل .

(٣) انظر الشامل و الغز فصيلة من الاتراك كما سيأتي .

(٤) يظهر أنه عامر بن فضالة بن شماخ من قبيلة ال شماخ .

لعام واحد تقريباً فقد خلفه عليها الرسوليون ملوك اليمن بالقوة .

أما عبدالرحمن بن راشد المشار اليه فانه توفي سنة ٦٦٤ بحضرموت بالريدة[1] .

موجات الغزو الخارجي على حضرموت في هذا العهد

استيلاء الايوبيين عليها وهجوم قائدهم الزنجبيلي[2]

استولى الأيوبيون على اليمن سنة ٥٦٩هـ بقيادة توران شاه شقيق صلاح الدين الايوبي الشهير . فأرسل توران قوة الى حضرموت حوالي سنة ٥٧٥هـ بقيادة عثمان الزنجبيلي ومعه بعض الجيش الذي اخضع به اليمن ، واكثره من الغز[3]، فاحتل الشحر واستمر في تقدمه وتوسعه يفتح ويستولي .

آل راشد يقاومون الزنجبيلي

وقد قاوم ال راشد الزنجبيلي فاعترضوه بجيش منهم ومن القبائل الموالية لهم ، واسفرت المعركة عن تقدم الزنجبيلي . وبعـــد ان تم استيلاؤه على حضرموت عاد الى اليمن وترك أخاه الأسود او سويد نائباً عنه وابقى ال راشد على ملكهم ولكن تحت سلطته ليؤدوا له الخراج وينفذوا أوامره ، فلم يرقهم ذلك وخلعوا طاعته .

---

(١) ولم نعلم اي الريده يعنون .

(٢) الايوبيون نسبة الى ايوب بن شادي الكردي والد صلاح الدين الايوبي الشهير الذي اجلى الافرنج عن الاماكن المقدسة بالشام، وقاتله المسلمين في الحروب الصليبية الشهيرة. وأما الزنجبيلي فهو عثمان بن علي الزنجبيلي نسبة الى قرية اسمها زنجبيلة قرب دمشق ويقال له الزنجيلي والزنجاري .

(٣) وهم نوع من الجنس التركي كما مر .

آل راشد يستقلون عن الزنجبيلي قائد الأيوبيين

من المعلوم أن حب الاستقلال واستنشاق هواء الحرية هو غاية ما تصبو إليه النفوس الأبية ، ولكنه يحتاج إلى ضمان لتحقيقه وبقائه واستمراره ، ولهذا خلع آل راشد طاعة عثمان الزنجبيلي عامل أو نائب الدولة الأيوبية على حضرموت الذي يمثله أخوه الأسود أو سويد كما قلت آنفاً ، واسمه هذا عند الحضارمة إذ ذاك واقع على مسمى ، لأنه جلب عليهم الوقائع السوداء في الأيام السوداء ، وتم بذلك الخلع لهم الاستقلال ، وفصل حضرموت عن جسم الدولة الأيوبية التي لعلها لم تحسن اختيار القادة الذين يعرفون كيف يتعاونون مع آل راشد ومؤيديهم من العلماء والصلحاء وزعماء القبائل الذين ضحوا في سبيل هذا الاستقلال الذي أشرت إليه .

دفع الثمن غالياً

وكان ثمن هذا الاستقلال وهذه الحرية غالياً جداً فكان من نتائجه الحرب الضروس التي فيها فني أعداد كبيرة من أبناء القبائل والتي أعقبها مباشرة مجازر وأسر ونفي علماء البلاد وصلحائها وحكامها مما سأذكره الآن بشيء من التفصيل .

الزنجيلي يأسر بعض سلاطين آل راشد

بعد ان بلغ الزنجيلي ذلك جهز قوة اخرى اخضع بها آل راشد وأسر السلطان عبدالله بن راشد وأخاه احمد ، وأرسلا الى عدن في هذا العام نفسه . وفي سنة ٥٧٦ القى القبض على كل من ابيه وأخيه شجعنة ثم اطلقوا في العام نفسه .

قتل العلماء والصالحين

ودخلت تلك الحملة تريم وفتحتها وقتلت كثيراً من علمائها وصلحائها متهمة إياهم بأنهم المحرضون لآل راشد على خلع الطاعة . ومن ناحية اخرى تذكر بعض المصادر ان الزنجيلي متعاون مع الخوارج[١] . وأن خروجه الى حضرموت بدعوة وترويج منهم ولا يبعد ان يحرضوا على قتل اولئك العلماء الشجعان المخالفين الخوارج عقيدة ، ولهم وللغز سياسةً ايضاً .

استشهاد الشيوخ بني اكدر

الشيخان يحي واحمد ابنا سالم بن أبي اكدر من أفضل علماء تريم وأشجعهم وابرزهم تقى واستقامة . وقد قتل يحي شهيداً فيمن قتل من العلماء التريميين كما قتل ابن عمه القاضي أبوبكر وكان حاكماً بتريم ، وأخ له فقيه وكانا راسخي الايمان لا يخشيان الموت وبينهما مودة اخوية وعلمية . ولما قدما للسياف قال لأخيه وقد سبقه اليه : أتسبقني الى الجنة لا بأس عليك فالى مثلها يكون السباق[٢] . وقد استشهد غيرهما من العلماء وكانت تزخر بهم تريم اذ ذاك اكثر وكانوا

---

(١) أنظر الجوهر الشفاف وعقود الالماس .

(٢) رواها بعض المعاصرين بتحريف لم نعرف سنده بالنسبة لكل مصدر على انفراد .

على جانب من الاقدام والشجاعة ، ولم تخل حضرموت في أدوارها كلها من هذا النوع الممتاز بوفرة العلم ومتانة الاخلاق وبعد النظر ونزاهة القصد باستثناء أواسط هذا القرن الرابع عشر الذي لا نكاد نشاهد فيه من يقوم بما قام به أولئك العلماء الشجعان [1] .

نهاية امر الغز بحضرموت وقيادة عمر بن مهدي لهم

واستمر الغز في بقية المناطق الحضرمية يقتلون وينهبون ويفتكون وتشتبك معهم القبائل المسلحة في انتقاضات ضدهم وضد قائدهم عمر بن مهدي اليمني الخارجي العقيدة الذي انتهى امره وأمرهم في داخل حضرموت بهجوم القبائل النهدية [2] عليه في شبام وقتلته مع عدد كثير من جيشه سنة ٦٢١ ﻫ وأفرجت عن أولاد السلطان عبدالله بن راشد من سجنه ثم استولت في هجمات خاطفة على اكثر البلاد الحضرمية ومنها تريم حيث يوجد بها واليا عبد الرحمن ابن راشد [3] ثم عادت الى مقرها من حيث أتت . وتقول بعض المصادر [4] ان مسعود بن يماني الآتي ذكره هو الذي زحزحها عن البلاد وبقي يتجاذب حبل السلطة مع الغز ومع البقية من آل راشد ومع بعض القبائل الهائجة تعطشاً للسلب والنهب وسفك الدماء ومع السلطان الحبوظي كما سيأتي .

---

(١) الواجب على الأهالي حكومة وشعباً ان يهتموا بانشاء معاهد اسلامية لتخريج قضاة ومرشدين ومفتين يقومون بانقاذ معالم الاسلام ونشر مبادئه واحياء ما اندرس من آثاره ، وان يقوموا بتحسين المعاهد الموجودة ويكون كل هذا بواسطة خبراء من البلاد الاسلامية الاخرى ومن حضرموت ليقوموا بدور اولئك .

(٢) اختلف في المراد بنهد فبعضهم يقول المراد بها في هذا الموضع : القبائل المتجمعة في أواسط حضرموت . ويقال هي نهد المعروفة ساكنة الكسر .

(٣) يظهر أنه عبدالرحمن بن راشد بن اقبال لا عبد الرحمن بن راشد اخو السلطان عبدالله بن راشد ويستفاد هذا بتتبع تاريخ شنبل وغيره .

(٤) منها تاريخ ابن هاشم .

فمن بعد هذا التاريخ (عام ٦٢١) الى منتصف القرن السابع تقريباً نجد هؤلاء الزعماء المتنافسين وهم مسعود بن يماني وابن شماخ وعبد الرحمن بن اقبال يتقاسمون السلطة بحضرموت ويتداولون مناطقها ويلعبون بها لعب الصبيان بالكرة، والشعب الحضرمي يذوق مرارة الخوف والارهاب والتجزئة في الداخل فضلاً عن الانفصالية عن الشقيقات في الخارج. واستطاع الحبوظي في أثناء هذه الفترة أن يملكها.

السلطان الحبوظي وبعده الملك الرسولي يستوليان على حضرموت

السلطان الثري سالم بن ادريس الحبوظي

ينتمي الى اسرة آل الحبوظي سلاطين ظفار بعد المنجويين، وكان جم المطامع عالي الهمة كالكثير من اضرابه من السياسيين الطامحين الى توسيع ملكهم بالسيف تارة وبالدينار مرة اخرى، فاستولى على اكثر مدن حضرموت من سنة ٦٧٣ الى سنة ٦٧٧ ﻫ تقريباً اذ بدأ ذلك بشراء مدينة شبام سنة ٦٧٣ [١].

وهاجم منها المدن والقرى الحضرمية في الداخل واستصعبت عليه تريم فلم يفز منها بطائل سوى ترويع أهلها فضرب الحصار عليهم كما سيأتي ويقدر بعضهم ذلك الحصار بتسعة أشهر [٢].

وقد أمد الحضارمة بمعونة كبيرة من النقود والأطعمة لما حدثت عندهم مجاعة في سنة ٦٧٦، ولكنها لم تكن لمجرد الاخوة الوطنية والاسلامية بل لجعلها وسيلة للاستيلاء على حصون القبائل المسلحة ومراكزهم التي سلموها اليه بدافع الفاقة والقحط، لكنه لم يضع فيها قوة كافية لبقائها تحت سيطرته

---

(١) في تاريخ ابن هاشم سنة ٦٨٣ ويظهر انه خطأ مطبعي.
(٢) أنظر تاريخ شنبل.

فلما عاد الى بلاده ظفار لم يلبثوا ان استقلوا بها فكان كما قال المتنبي رحمه الله :

ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

وأخيراً هاجم الشحر وبها الغز فدحروه منها بالرغم من استعداده لهم بقوات بحرية وبرية . وانتهى به المطاف الى الرجوع الى ظفار كرسي سلطنته وانتهى أمره باستيلاء الملك المظفر يوسف بن عمر الرسولي احد ملوك الرسوليين [١] باليمن عليه وعلى بلاده ، وقتله وألقى القبض على أفراد اسرته . وذلك سنة ٦٧٨ بعد حرب نشبت بين الطرفين في ظفار. ثم استولى الرسولي على حضرموت في السنة نفسها .

صدقات الحبوظي

ومع ما تقدم من قصر حكم الحبوظي بحضرموت فقد ترك فيها آثاراً عديدة وأموالاً كثيرة اطياناً ونخيلاً وغيرها ، منها صدقاته وأوقافه على المعوزين بكثير من المقاطعات الحضرمية . وبالرغم من أننا لا ندري عما اذا كانت أمواله خاصة أم حكومية ، وهل وصلت اليه بطرق مشروعة ام ابتزها من أموال الشعب ومقدراته — بالرغم من هذا فقد انتفع منها الأهالي ولا يزالون بها ينتفعون . ولا ندري عما اذا كانت منظمة ومحفوظة كلها الى اليوم — كما هو الواجب — أم لا .

تلك آثاره تدل عليــه فانظروا بعده الى الآثـــار

---

(١) نسبة الى بني رسول ملكوا اليمن بعد الايوبيين وينتمون الى جبلة بن الايهم الغساني وتأسست دولتهم سنة ٦٣٠ هـ .

الحياة الاجتماعية في العهد الراشدي

الناحية السياسية

يمكنك أن تأخذ مما تقدم صورة عن الحياة السياسية اذ لا تزال الفتن والقلاقل واضطراب حبل الأمن كل ذلك يكاد يكون مستمراً في ذلك العهد الا في فترات تبدو بين آونة وأخرى . من أهمها وأبرزها مُفتتح عهد السلطان عبد الله بن راشد . ويعقب ذلك الاضطراب ويصاحبه غلاء في الأسعار ومجاعات[١] كما هو الغالب في كل حرب من هذا القبيل .

الشفاعات والخفارات

وكثيراً ما تقع الشفاعات من ذوي الوجاهات المعروفين بالعلم والصلاح والتقوى والانتماء الى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم لدى السلاطين والأمراء ورؤساء العشائر[٢] فيما اذا وقع على احد من أفراد الشعب ظلم أو ضغط أو ضريبة .

وقد يقوم بعض أولئك بخفارة القوافل في الطرق بأن يعطيهم شيئاً من آثره كمسبحة او رسالة او نحوهما حتى ولو كانت طويلة[٣] . وقد يجيرها احد افراد قبيلة مما يسمى ذلك بالسيارة وهو الخفير الذي يقوم بالخفارة وقد عرفته العرب منذ سابق عهود الجاهلية واستمر ذلك العمل بحضرموت الى ما قبل هذا العصر بقليل أي بعد الحرب العالمية الأخيرة وبعد استتباب الأمن بها وتعميمه .

---

(١) أنظر تاريخ شنبل .

(٢) يستفاد هذا من كتب التراجم والتواريخ كقلادة النحر والمشرع والبرد .

(٣) من أمثلة ذلك تسيير الأمام محمد صاحب مرباط للقوافل في أمانه ما بين أواسط حضرموت ومهرة . والضمير في « كانت » يعود على الطرق .

الزراعة والاعمار

وانتعشت الحياة الاقتصادية في الكثير من زمن هذه السلطنة بغرس النخيل وزرع الاطيان والاعتناء بعمارة السواقي والأودية ومن أبرزها في حضرموت الداخل وادي بيت جبير الشهير [1]. وظهر تحسن احوال الزراعة وانتعاش التجارة واستمرار الصنائع الوطنيـة كالغزل والنسيج . وقـد بلغت الحالة الاقتصادية مستوى عالياً في زمن السلطان عبدالله بن راشد لما اقترنت باستتباب الأمن ونشر العدالة في الفترة الذهبية من أيام حكمه حتى أثرت عنه القولة الشهيرة بأنه لا يوجد بها حرامي ولا سارق ولا محتاج[2]. ومعلوم ان هذا في فترة من فترات حكمه كما قلنا اذ من المعلوم وجود اضطرابات كثيرة في عهده مما اضطره الى التنازل عن الحكم ثم العزلة، الى ما قد يحصل من ارهاق الناس احياناً بالرسوم والضرائب من بعض سلاطين آل راشد[3] خصوصاً في أواخر عهدهم. فقد بلغ الحال في بعض المدن الحضرمية[4] الى أن السكان يغلقون عليهم بيوتهم من العشية وعطلت صلاة الجمعة ثلاثة شهور مما أدى الى كره الشعب لهم وانحلال دولتهم وقد قيل في الحكمة المأثورة : العدل كم عمّر والظلم كم دمّر .

العملـــة :

والعملة المستعملة في ذلك العهد ومن حين استيلاء الدولة العباسية على حضرموت هي الدينار والدرهم والدانق العباسية وفيما بعد تعددت العملات في حضرموت كما سيأتي .

---

(١) ذكرها المؤرخون في ترجمة الامام محمد بن علوي بن عبيد الله وغيره .

(٢) في تاريخ بامخرمة حرام وكان يفتخر بذلك وقد خص بلده بأنها تريم .

(٣) ويؤخذ هذا من المشرع ومن تاريخ بامخرمة .

(٤) منها تريم كما تواتر عن الشيوخ وكما في كلام بعضهم المسجل .

الأزياء :

ومما عرف عنهم استعمال العمائم والقمصان والبرود المتوعة وغيرها والتمنطق بالخناجر والجنابي[1] وتعليق السيوف على اكتافهم بواسطة حمائلها عند سيرهم ويضعونها قريباً منهم أو على افخاذهم في مجالسهم ومنهم من يحليها ويزين أغمادها كما يزينون أثوابهم بالسجاف وبالتطريز، وفي حروبهم يستعملون كل الأسلحة المعروفة من سيوف ورماح وأقواس ومجانيق، والى أن ظهرت البندقيات في القرن العاشر فتسارع اهله الى اقتنائها بعد ان بدأ بها السلطان بدر بن عبدالله الكثيري ابو طويرق كما سيأتي . واهتموا بها وبالأسلحة التي تعد حديثة بالنسبة لذلك الزمن ومابعده ومنها المدافع، وبلغ بهم الاهتمام بالبندقيات الى درجة التأليف في كيفية استعمالها وتركيب أجزائها وصب رصاصها وعلاج المصابين بها خاصة وما الى ذلك[2] مع العلم بأن حمل السلاح لم يصبح عاماً في اكثر الطوائف وقتئذ كما كان في العهد الراشدي الذي نحن بصدده فان الامام الفقيه المقدم محمد بن علي العلوي لما بدأ بكسر السيف والقاء السلاح لأسباب جمة سيأتي ذكرها في محله ومنها رغبته في تعميم السلم ، صار قدوة حسنة للكثيرين ممن فعلوا ما فعل حتى أصبحت فيما بعد اكثرية الطوائف الحضرمية لا تستعمل السلاح كأمثالها من الشعوب الأخرى .

أما السيدات فيرتدين الفساتين الطويلة الأكمام والأذيال[3] ويتقنعن بالأقنعة ويختمرن بالخمر ويستعملن الأحزمة والحلي[4] ويخضبن بالحناء كما

---

(١) الجنابي جمع جنبية وهي الخنجر الصغير .

(٢) منها كتاب البذرقة في البندقة لاحد علماء بيحان وهو مخطوط قد وقفت عليه وفيه الشيء الكثير عما ذكرته وعما يتعلق بحمل السلاح وعادات ما يسمونه بالقبولة بفتح القاف والواو واللام بوزان فعولة مشتقة من اسم القبائل ويطلقونها على القبائل المسلحة وهي التي تقوم بالأعمال العسكرية بحضرموت ويبقى العزل دواماً تحت رحمتها فيما يتعلق بالسلم والحرب والامن والخوف .

(٣) قد مر الكلام عن الاذيال في موضوع هجوم معن بن زائدة على حضرموت .

(٤) سيأتي الكلام عن الوقت الذي حدث فيه استعمال الاصباغ وعن المشطة التي اختلف في جوازها

في العهود السابقة واللاحقة ، ويختلف كل ذلك باختلاف الظروف والأحوال والمناسبات وفي الأفراح – والاتراح فالاستعمال لم يختلف في هذا العهد كثيراً عن الماضي والتطور لم يرتفع الى الدرجة المطلوبة في التحسين .

الاحكام والمحاكم

وتصدر الأحكام من محاكم شرعية جلها شافعية [1] وكثيراً ما يحدث أن يصدر أرباب السلطة من حملة السلاح احكاماً طاغوتية وقد تجتمع الروساء فيصدرون احكاماً في القضايا التي يرون أن يتولوها وقد يستبد الفرد المتسلط فيصدر أحكاماً ارتجالية فيما يشاء كما يشاء [2]. ويكثر هذان النوعان عند اشتداد الفتن حتى اذا بلغ السيل الزبى تراجعوا فيما بينهم وتعاهدوا على تنفيذ احكام الشريعة الاسلامية كما وقع ذلك في عهد السلطان عبدالله بن راشد اكثر من مرة.. وهكذا تلعب الفوضاء والاستبداد والجهل لعبها في هذه البلاد المسكينة وعلى حساب شعبها المنكوب .

التدريس في الزوايا والمساجد

وكان التدريس اذذاك في مدارس يسمونها الزوايا وهي بنايات خصصت للتعليم والتدريس ومنها زاوية الشيخ سالم بافضل المعروفة الى اليوم بتريم، هذا بالاضافة الى دروس المساجد والديار. وكثيراً ما يلحقون ببعض المساجد

علماء حضرموت في القرن الثالث عشر وهي وضع التمر والطيب في شعر العروسة اياماً يتلبد فيها الشعر ولا يصل الى اجزائه الماء .

(١) احترزنا بجلها لوجود اباضية في هذا العهد .

(٢) سيأتي الكلام عن العهد الذي دونت فيه بعض الأحكام القبلية وعن كتاب يدعى المنع من حكم الشرع .

زوايا من هذا النوع ولهم مكاتب فردية ولم اسمع عن العمومية الا فيما بعد هذا العهد كما سيأتي عنها وعن غيرها من حدوث وسائل الثقافة بحضرموت في محاله ان شاء الله .

الحالة الثقافية

وتبرز لنا ناحية هامة من نواحي الحياة وهي الناحية الثقافية في ذلك العهد فقد كان مُخْصِباً برجال العلوم الشرعية والعقلية والصوفية[١] والعربية الى تقى وورع واستقامة. وارتقى المستوى العلمي الى درجة انه اجتمع ثلثمائة مفتي في تريم[٢]. وفي اسر كبيرة برمتها انجبت وانتجبت سلالات توارثت العلوم المشار اليها، ويبرز لنا من أولئك العلويون وآل ابي ماجد وآل ابي عيسى وآل أبي جواس وآل ابي اكدر وآل ابي الحب[٣] وآل ابي فضل وآل الخطيب وآل ابي حاتم وهذه الأسرة بلغ من رجالها خمسة وأربعون مفتياً يجتمعون في محل واحد[٤] . بل ومن الأسرة السلطانية مَنْ هُمْ بهذه المثابة كالسلطان عبدالله بن راشد وبعض اخوته وبنيه والناس على دين ملوكهم. وقد كان كل أولئك وغيرهم يتدارسون العلوم والمعارف ويطبقون العلم على العمل في ديارهم ومساجدهم ومعاهدهم كما كان يعمل في البلاد الاسلامية الاخرى وتغلب عليهم روح العلم والشرع اكثر من روح التصوف. وقد وصفهم

---

(١) لا يتعارض هذا مع حدوث طريقة الصوفية فيما بعد اذ المقصود هنا التصوف العام وفيما يأتي طريقة الفقراء التي يرمزون اليها بقوله تعالى : « يا أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد . »

(٢) أنظر البرقة .

(٣) بقدم الخساء .

(٤) ويوضح بعضهم فيقول انهم يجتمعون في دكة مسجد عاشق وموقعه من أجمل المواقع بتريم. أنظر البرقة .

نشوان الحميري[1] الشاعر الشهير لما زار تريم فوجدها كالعروس بهم فقال :

رعى الله اخواني الذين عهدتهم ... ببطن تريم كالنجوم العوائم
علياً حليف النجدة ابن محمد ... وابنا اخيه الغر أبناء حاتم
ومن في تريم من فقيه مهذب ... وسيد أهل العلم يحيى بن سالم

الى ان قال[2] :

اولئك أهل الفضل في ظل فاضل ... عظيم من الأملاك عالي الدعائم
انست بهم من سالف الدهر برهة ... فكانت لياليها كأحلام نائم
وفارقتهم كرهاً ونار فراقهم ... تاجج ما بين الحشاء والحزائم
وهل لزمان الوصل بالوصل عودة ... وهيهات ليس الصدع كالمتلائم
ألا هل لأيام تقضين رجعة ... او ابكي عليها بالدموع السواجم
لئن بعدت أجسامنا فقلوبنا ... بها الود باق غير واهي العزائم
سلام عليكم من صديق بقلبه ... جراح فراق ما لها من مراهم

والواقع ان كثيراً منهم في درجة أصحاب الوجوه من أصحاب الامام الشافعي رضي الله عنه. ومما يدل على مقدار تبحرهم في العلوم الواقعة التي جرت للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن باعبيد رحمه الله[3] .

---

(١) توفي سنة ٥٧٣ وهو معتزلي ومما عيب عليه تعصبه الشديد للقحطانيين حتى أنه لا يذكر العدنانيين ويتجاهلهم ومن شعره :

فافخر بقحطان على كل الملا ... الناس من طين وهم من عسجد

وقد اخطأ من ينسب تلك الابيات لعلي بن محمد حاتم ولعله تمثل بها .

(٢) يقول ابو مخرمة المراد يحيى بن سالم بافضل ولكن المؤرخ بلفقيه يقول إنه يحيى بن سالم اكدر ويستدل بأنه ابرز وبان زيارة نشوان والشيخ سالم بافضل حي فكيف يصف ابنه بهذا وأبوه ومن في طبقته إذ ذاك احياء .

(٣) هو عبدالله بن عبدالرحمن با عبيد صاحب الاكمال شرح التنبيه المتوفي سنة ٦١٣هـ انظر تاريخي با مخرمة وشنبل .

– واقعة ابن أبي عبيد الحضرمي مع ابن ابي الصيف امام الحرمين –

ويحدثنا عنها أبومخرمة في تاريخه نقلاً عن الخطيب فيقول بالحرف الواحد: سافر الى الحج (يعني ابا عبيد) في زي الفقراء والمساكين وأحب ان لا يعرف فدخل مكة وهو على تلك الصفة وامام الحرمين اذذاك بها فحضر عبدالله المذكور حلقة امام الحرمين وهو مختف بذلك الزي وفي الحلقة فقهاء كثير، فألقى عليهم مسألة دقيقة غامضة جداً فلم يقدر أحد من الحاضرين على جوابها فلما لم يجب عنها أحد من الحاضرين لم يتمالك عبدالله حتى زحف الى امام الحرمين للجواب على تلك المسألة جواباً شافياً. فلما سمع منه امام الحرمين ذلك الجواب قال له، من انت فاني أظن ما على وجه الأرض من من يجيب مثل هذا الجواب الا ان يكون الامام عبدالله بن عبدالرحمن بن أبي عبيد الحضرمي القريشي فان لم يكن هو اقتنعت. أو كما قال، فقال عبدالله بل أنا هو رضي الله عنهما اه. ثم تساءل ابو مخرمة عما يريده الخطيب بامام الحرمين هل هو امام الحرمين شيخ الغزالي وهذا غير ممكن لفارق الزمن، وأخيراً أجاب بأن المراد غيره ممن تلقب بهذا اللقب. ولكن بالسير التاريخي يظهر أن المراد به ابن أبي الصيف المعاصر لذلك الامام وهو الذي يدرس ويلقب بهذا اللقب وتقول بعض المصادر[1]: لعله احد أبناء الامام الحسين ابن علي الطبري ، والله أعلم.

وهنالك في المدن الشهيرة بحضرموت من غير تريم كالشحر وشبام والهجرين ودوعن وغيرها علماء آخرون كالشيخ سعد بن علي تاج العارفين والشيخ محمد بن سالم ابي وزير والامام محمد بن أبي النعمان الهجراني، الا أن تريم أبرز مدينة علمية بحضرموت في ذلك العهد. فقد بلغت فيها النهضة العلمية في ذلك العهد أوج كمالها ومع ذلك فتذهب منهم بعوث الى العراق واليمن

---

(١) عقود الالماس للحداد.

والحجاز وغيرها للاستزادة من المعارف والبحوث العلمية كما يوخذ ذلك من تراجمهم [1] .

النهضة الأدبية

ولم تخل البلاد فيه من نهضة أدبية وقد ارتفعت الى الذروة أثناء القرن السادس وامتدت الى اواسط السابع اذ نبغ فيها أمثال محمد بن أبي الحب الشاعر الناثر وابن عقبة الشيامي الشاعر. هكذا نسبه بعضهم والمشهور أنه خولاني من الهجرين وليس من آل عقبة الشباميين .

المجتمعات الدينية

وقد وضعت في هذا العهد تنظيمات للمآتم وليالي رمضان فتقرأ خطب محمد بن أبي الحب الشهيرة في مأتم الميت وأخرى عند دفنه وثالثة عند ختم القرآن عليه بعد ثلاثة أيام. وهناك قصائد ومدايح نبوية ووعظية تنشد بازجال خاصة في ليالي رمضان بعد التراويح والوتر وفي غيره حزب ما بين العشاءين ولا يزال كل ذلك باقياً الى اليوم. وهو وأمثاله مدون عند المعتنين به. ولاشك ان لهم تقاليد اجتماعية في أعيادهم وأفراحهم منها ما هو باق الى اليوم كزغردة النساء في الأعراس والأفراح وأمثالها والقيام بأغنيات وحركات بمناسبة القنص والحصاد وما الى ذلك .

وبينما نرى من رجال العلم والتقوى في هذا العهد من وصفناهم نرى في الناحية الاخرى من هم بضدهم على طول الخط من الاشرار والمخربين ومثيري الفتن والقلاقل ومحترفي الاجرام ككل زمان ومكان، وكلٌ حزب بما لديهم فرحون .

---

(١) مثل ترجمة الشيخ سالم بافضل الذي غاب عن وطنه الى العراق نحواً من أربعين سنة تقريباً.

من نوابغ الدور الراشدي

يحدثنا التاريخ عن هذا الدور بأنه ثري بالائمة والعلماء وقد كتبت عن أفراد منهم يكادون يكونون هم الذين تحصلنا من المراجع على تراجم هم اوسع بالنسبة للآخرين. وهناك اعلام اخرون مخضرمون بين العهدين الراشدي واليماني[1] ، ستأتي تراجمهم في دور آل يماني ان شاء الله.

إن الأفراد الذين عرضناهم قد برزوا في النواحي العلمية والاجتماعية والتربوية والتصوفية . ومنهم من برز في الناحية الاقتصادية والعسكرية والسياسية كما سيأتي .

الامام صاحب مرباط

لقب صاحب مرباط لأنه تديرها اخر عمره وهي ظفار القديمة التي لها مكانتها في كثير من أدوار التاريخ وهو محمد بن علي بن علوي بن محمد العلوي .

تربيته ونبوغه

نشأ بتريم على طريقة ابناء الائمة في ذلك العهد فأبوه علي خالع قسم هو الذي نشأه وهذبه وحفّظه القرآن وثقفه . وبعد أن اتم تعليمه بتريم ، رحل الى الخارج للازدياد من المعارف والثقافة والتجارب في الحياة . وعاد بعد الى حضرموت وكان ذا يد طولى في العلوم الشرعية والعقلية والعربية والتصوفية وقد استطاع ان يخرج كثيراً من النوابغ كابنه الزعيم علوي وشيخ الاسلام سالم بافضل والقاضي احمد باعيسى وسعد الدين الظفاري . وتقول عنه بعض المصادر أنه انتفع به كثيرون في العلوم والمعارف من جميع الفرق الموافق منهم والمخالف[2]. وما ذلك إلا لاتساع علومه

(١) نسبة لآل يماني .
(٢) المشرع .

وعلو منزلته والكثرة اسفاره واختلاطه بمن ليس على مذهبه .

زعـــامته

والى ما تقدم فله زعامته الاجتماعية ومكانته الشعبية وقوة الشخصية ؛ وله هيبة بين العشائر والسلاطين. وقد قدمنا ان القوافل تسير في خفارته حين تمر عليه ببيت جبير وهو في البلد المسماة بالعلوية[1] حتى تصل ظفار ويقوم بدوره في تحسين العلاقات بين الدواتين الراشدية بداخل حضرموت والمنجوية[2] ببلاد مهرة مما له اثر في تحسين الأحوال في البلدين .

دوره في ادخال المذهب الشافعي الى ظفار

ولهذا الامام الفضل في ادخال مذهب الامام الشافعي والعقيدة السنية الى ظفار بعدما كان أهلها خوارج غلاة وقد استطاع بما له من مقدرة فائقة ان يحولهم عن عقيدتهم التي نشأوا عليها الى عقيدة اخرى هي العقيدة السنية والمذهب الشافعي[3] . فقام بمثل الدور الذي قام به المهاجر جده في ادخال او نشر مذهب الشافعي بحضرموت ، وكما هاجر الاول من البصرة الى حضرموت هاجر صاحب مرباط من تريم الى ظفار .

ومن البواعث له عـــلى ذلك الاضطرابُ والفتن اذ ذاك بحضرموت بين السنيين والخوارج او الشافعية والاباضية . فقد مثل نفس الدور ايضاً وكلاهما من ائمة وزعماء حضرموت في عهديهما .

---

(١) نسبة للعلويين و لم تدم عمارتها طويلا .

(٢) نسبة الى بني منجويه سلاطين ظفار في ذلك العهد قبل الحبوظي .

(٣) أنظر عقود الالماس في تحقيق الموضوع .

اقتصادياتــه

ولم يغفل الناحية الاقتصادية أيضاً فمما عرف عنه انه يقوم بالاشراف على اراضيه الواسعة في الزراعة والغرس وتربية الدواجن وما الى ذلك واكثرها بوادي بيت جبير ذات الأطيان الجيدة، وبلغت مزروعاته مقادير هائلة الى درجة ان احدى خادماته تجد من كنس داره بتريم حين يبارحها للاصطياف ببيت جبير تجد ما قدّر بما بين أربعين وثمانين قهاولا من الحب [1] سنوياً.

اخلاقــه وكرمه

عُرفت فيه الظاهرة التي في آبائه وبنيه من الاستقامة ورحابة الصدر وبعد النظر ونشر العلم والتضحية بالمال في سبيل الصالح العام، فداره مفتوحة للضيوف والزوار وهي تجمع طوائف مختلفة من الضيوف اعراباً ومدنيين وعلماء وسياسيين ســواء كان في تريم ام بيت جبير ام ظفار، لاتصال الشعب به ومحبته الشديدة له.

وله نفقات مستمرة على كثير من العائلات المحتاجة فهو يوزع اكثر أمواله دائماً ما بين صدقات على المحاويج وقرى ضيوف وأمثالها.

توفي رحمه الله بمرباط وكان قد هاجر اليها كما ذكرنا فانتعشت به وانتفع به أهلها وكانت وفاته سنة ٥٥٦هـ.

شيخ الاسلام سالم بافضل

هذا هو الشيخ سالم بن فضل بن عبد الكريم بافضل وينتهي نسبه الى سعد العشيرة بن مذحج وبعضهم ينسبه الى الانصار، ولكن المعروف والمتواتر

---

(١) القهاول هو اثنا عشر مدا والمراد بالحب الذرة.

هو الأول تتلمذ في حضرموت على بعض علمائها وتخرج بالامام محمد صاحب مرباط فيها[1] .

يمتاز الشيخ سالم بالتوسع في العلوم الشرعية والعقلية والعربية ومما يدعو الى الاعجاب به طول غيبته عن وطنه حضرموت لمدة قدرت بنحو أربعين عاماً كلها او جلها قضاها منهمكاً في زيادة التحصيل في العراق. وقد عاد الى وطنه تريم وبذل نفسه لنشر العلم ونصرة المذهب السني مع انصاره بمقارعة الحجة بالحجة كما كان يعمل غيره من علماء السنة منذ عصر المهاجر. وتذكر بعض المصادر[2] انه جادل المعتزلة ايضاً واذا صح هذا ـ فمعناه وجود من يعتنق عقائد المعتزلة في ذلك العهد بحضرموت، واستصحب معه احمالاً من الكتب القيمة لينتفع بها طلاب العلوم والمعارف.

تلاميـــذه

وللشيخ سالم تلاميذ أصبحوا فيما بعد أئمة كباراً وفي مقدمتهم الامام سالم بن بصري الآتي ذكره والامام علوي بن محمد صاحب مرباط وأخوه علي وغيرهم[3] وقد عد الفقيه المقدم من الآخذين عنه بالرغم من صغر سنه فقد توفي والفقيه في سبع سنوات.

فلسفة الشيخ سالم

والشيخ سالم شاعر فيلسوف في شعره وقصيدته الفكرية تدل على اطلاع واسع في التشريع وعلى دقة التفكير وعمقه، وهي تنيف على مائة وثلاثين

(١) ولا يبعد اخذه عن خالع قسم وعن تلميذه يحيى بن عبد العظيم الخامي.
(٢) صلة الأهل للشيخ محمد بن عوض بافضل مخطوط.
(٣) أنظر المشرع وصلة الأهل.

بيتاً [1] مطلعها :

ايا فاتحاً باباً عظيماً من الفكر ... هنيئاً لك الحظ الجزيل من الأجـــر

ويقول فيها عن الفلك : —

وفي البدر فكر كيف يبدو هلاله ... وكيف تناهى نوره ليلة البدر
ومن بعد هذا صار ينقص ضوءه ... الى ان يرى مثل القلامة للظفر
ومن اعجب الأشياء تحويل نوره ... الى ما عليه كان في أول الشهر
وهذا من الرحمن لطف بخلقه ... ليحصوا به عد الحساب بلا نكر
وسبحان من حلى السماء بزينة ... واتقن ما فيها من الانجم الزهر
ومنها نجوم للشياطين حصّب ... ومنها الذي يهديك في البر والبحر
ومنهاالذي يجري الى الشرق دائماً ... ونحوغروب الشمس اكثرها يجري [2]
ويولج في الليل النهار ويولج النهـــار على الليل البهيم الـــذي يسري
وسبحان من للطول والقصر الذي ... تعاقب منه فيهما أبـدآ يجري
وسبحان مجري الكل منها بقدرة ... فتسبح في افلاكها اسرع الجري

ووصف فيها عناصر الطبيعة من جماد وماء ونار ومعدن ونبات وحيوان وأثمار وبحار وغيرها ثم ذكر الانسان ومزاجه وخلقه وغرائبه ووظائف أعضائه ومما قال عنه : —

وأعجب امر ما ترى العين وسعه ... على صغر منها لدى الفتح والشغر
وانبع عينـــا لا يغور معينها ... بفك من الريق الرحيق بلا حفـــر
وفيـــه لسان ناطق ومـــترجم ... وفيـــه بيان الذوق للحلو والمـــر
ولم يشتبه صوتان قط لسامع ... ولا اللون من شخصين من سالف الدهر

---

(١) حبذا لو تصدى لشرحها أحد علماء الطبيعة فأنه سيجد مجال القول ذا سعة .
(٢) أي في نظر العين .

واعطاك اسناناً فمن بين طاحن ومن بين ذي قطع ومن بين ذي كسر
واعطاك للبطش اليدين فكيف لا تطيـل اعتباراً في أناملك العشـر
وركب فيك الرجل للمشي حكمة فشكراً لجـدواه وانعامه الغمـر
وفصل في الاعضاء منك مفاصلا مهيأة للمد والقبض والقصـر
وسبحان من أحياك بالروح رحمة وكنت من الأرحام في ظلم القعر
فصرت اذا في بطن امك قاعـدا ووجهك مصروفاً الى جهة الظهـر
فلما دنا وقت الـولادة نكست اعاليك سفلا حين ازعجت للزجر
فصرت الى الدنيا وما لك حيلـة فقيراً ضئيل الجسم كالفرخ في الوكـر
فاحنى عليك الأم لطفاً ورأفـة وغذاك منها ذلك الوقت بالـدر
فنومك موت وانتباهك بعـده حياة فكن مما وعدت على حذر
وفي باطن الأعضاء منك عجائب تطول فلا تحصى بعدٍ ولا حصر

ثم قـال : ـــ

وفي القلب فكر كيف صار ممنعا ومحتجباً في الصدر كالملك في القصـر
ومهما ترمـه بالتماس تحـه بروحك من تلك البخارات بالسحر
وفي الروح فامسك فهو من امر ربنا ودعـه لما فيه مـن المنع والحظر

ومنها ما يشبه الى حد كبير الأبيات المنسوبة للامام الغزالي التي يروى عنه انه خاطب بها الامام الزمخشري حين سأله عن تفسير بعض الآيات التي تقصر عن فهم حقائقها الافهام وهي : ـــ

قل لمن يفهم مني ما أقـول قصر القول فذا شرح يطـول
ثم سر غامض من دونـه قصرت والله اعناق الفحول
انت لا تعرف ايـاك ولـم تدر من انت ولا كيف الوصول
لا ولا تدري صفات ركبت فيك حارت في خفاياها العقـول
اين منك الروح في جوهرها هل تراها فترى كيف تجـول

وكذا الانفاس هل تحصرها	لا ولا تدري متى عنك تزول
اين منك العقل والفهم اذا	غلب النوم فقل لي يا جهول
انت اكل الخبز لا تعرفه	كيف يجري منك ام كيف تبول

الى آخرها .

والمنظومة الفكرية جميلة في موضوعها وفي سلاستها وهي موجودة في بعض كتب التاريخ [1] .

اعمـــاله العامة

كان رضي الله عنه يقوم على الدوام بأعمال عامة بحضرموت فمن نشر العلم والثقافة ودفاع عن السنة النبوية، الى بناء بعض المساجد الى تنظيم للاوقات الخيرية وذلك بتخصيصه ما بين العشاءين وما قبل الفجر كليهما لتلاوة سبع القرآن ليلياً في المساجد مما لا يزال مستمراً في أغلب البلاد الحضرمية ، وله أيضاً مصنفات في التفسير ويظهر أن الايام سطت عليها ولم تبق منها باقية . ومما عرف من مصنفاته الفقهية منظومته اللامية في مناسك الحج ، وهي تعطي صورة عن مستوى رفيع في النظم وحسن الاسلوب وله وصايا نافعة في السلوك والتصوف والعبادة .

مركزه الاجتماعي

وللشيخ سالم مركز اجتماعي فقد اجتمعت فيه فضائل اكتسبها بنفسه وأعانته عليها مواهبه فهو واسع الاطلاع قوي العارضة كما يتجلى هذا في

---

(١) أنظر صلة الأهل .

كلامه وكما يلزم من جدله لخصومه، وقد عاش بين شيوخ وتلاميذ من الطراز الأول في حضرموت أمثال شيخه الامام صاحب مرباط وأمثال تلاميذه الذين ذكرنا بعضهم وفي مقدمتهم الامام سالم بن بصري. وطال به العمر وخطا في الشيخوخة فزاد ذلك من تعظيم القوم له ، ولقد لقبه بعض المصنفين بشيخ الاسلام ومما قيل فيه القصيدة البليغة لتلميذه القاضي محمد ابن علي الظفاري وهي قوله : —

ابرود وشي في المواسم تنشر ... فمهفهف ومسهم ومحبر
ام عقد درّ بالشذور مفصل ... زان اللآلي نظمه والجوهر
ام روضةٌ انف تبسم نورها ... لما بكى فيها السحاب الممطر
ام طرس حبر كاد من أنواره ... يبيضّ منه الحبر حين يسطر
فالنظم سحر والبلاغة عسجد ... واللفظ روض بالمعاني مُثْمرُ
فكأنه نيل الأمـــان لخائف ... او كالفقيد به البشير يبشر
او كالشفاء لمدنف او كالوصا ... ل بـــه المتيّم بعد يأس يظفر
اهداه اوحد عصره من لم يزل ... فوق السماك له يشاد المفخر
جرّت تريم على المجرة ذيلها ... عجباً وحق لها الفخار الأكبر
فالدهر من بعد العطول متوج ... من مجده ومطوق ومسور
نال ابن فضل في الفضائل رتبة ... لم يستطعها منجد او مغـــور
فقه ابن ادريس واعراب الخليل وما حوى سقراط والاسكندر
فبسالم سلمت شريعة احمد ... عما يؤود قناتها او يكســـر
اضحى يدل على الرشاد مبيّناً ... سبل الهدى وعن الضلال يحذر
لا زال للاسلام ينظم شمله ... والدين يحمي سربه لا ينفر
ثم الصلاة على النبي وآلـــه ... خير البرية والبشير المنـــذر

وفـــاته

توفي بتريم سنة ٥٨١هـ والمشهور انه لم يقتل وانما مات حتف انفه ولو قتل لذكر ذلك من تصدى لترجمته من المؤرخين القدماء[١] كما ذكروا ذلك لما ترجموا لمن قتل من كبار العلماء ممن لم يكن الشيخ سالم أقل شأناً منهم ، ومن زعم قتله فانما تمسك ببيتي شعر من قصيدة الشيخ عبدالله بن أبي بكر باشعيب وهما : ـــ

والشيخ سالم الـــذي أحيا المدارس في الحجر
قتلوه ظلماً وهو في محرابه يتلو الســـور

وكتب تعليقة عليهما بأنه يقصد الشيخ سالماً ابا فضل بهماء ، ولم يُعلم مصدر الشيخ أبي شعيب ، ومن مؤرخي هذا العصر من تبعه ومنهم من استغربه كلامه ومنهم من جعله محتملاً[٢] . ومثله في الغرابة ما قيل عن استشهاد الفقيه المقدم في جماعة من العلويين مع انه غير واقع[٣] .

خيرة العلماء سالم بن بصري

هو سالم بن بصري بن عبدالله بن بصري بن عبدالله بن احمد بن عيسى المهاجر ولعلك لا تدري لماذا هو خيرة العلماء ؟ علماء عصره فاذا لقبناه بهذا اللقب فانه يستحقه عن جدارة وذلك في الحادثة التي أطبق عليها المؤرخون[٤] من امتحان احد المتولين على تريم له بوصفه الممثل لعلمائها وأخيارها وبوصفه

---

(١) مثل صاحب الجوهر وابي مخرمة .
(٢) تبعه السقاف في تاريخ الشعراء الحضرميين واستغربه الشيخ محمد بافضل في صلة الأهل وجعله محتملا الحداد في عقود الالماس .
(٣) أنظر عقود الالماس .
(٤) منهم صاحب الجوهر عبدالرحمن الخطيب وابو مخرمة والشلي في المشرع .

خيارها وسنتقلها فيما بعد .

أما ذلك الوالي فهو اما زنجبيلي او أحد بني النعمان أو غيرهم ممن يرى رأي الخوارج في احدى الهجمات على تريم فيستولون عليها موقتاً [1] عندما تقع الاشتباكات بينهم وبين الراشديين . وقد عرف هذا الامام ابن بصري بأنه على راس أهل السنة ضد الخوارج . ويبعد أن يكون الوالي من آل راشد السنيين وبفرض انه منهم فلعله لا يعدو شجعنة الثاني الذي له بعض التصرفات الشاذة وقد أسلفنا ذكره .

علومه وثقافتـــه

نشأ في بيئة علمية بتريم وحفظ القرآن واشتغل بدرس العلوم من تفسير وحديث وفقه وأصول وغيرها من العلوم العقلية والنقلية على أئمة علماء منهم الشيخ سالم بافضل . ثم رحل الى اليمن والحجاز للاخذ عن علماء آخرين وتخرج في علومه وأذن له في الافتاء والتدريس على طريقة السابقين ، وهذا الاذن بمثابة شهادة على التخرج فدرّس الطلبة والمستفيدين في الحرمين الشريفين .

ثم عاد الى وطنه تريم ونشر بها علومه ومعارفه وآراءه وجعل يروي فيها الأسانيد العالية ويفسر آي القرآن ويقدم أبحاثاً دينية وعلمية واجتماعية ووفد عليه الطلاب معجبين به وتخرج الكثيرون منهم على يده كالعلامة محمد ابن ابي الحب وعلي بن احمد بامروان والقاضي احمد باعيسى والشيخ علي ابن محمد الخطيب والفقيه المقدم .

وبالرغم من كثرة العلماء في ذلك العصر أثناء القرن السادس الهجري الى حد انهم بلغوا بتريم ثلثمائة ... بالرغم من ذلك فانهم قد اعترفوا جميعاً يوماً

---

(١) دواماً يستولي خصوم آل راشد على تريم فيجلون عنها ثم يعودون اليها كما في سنة ٥٨٤ وسنة ٥٩٠ .

ما بأن هذا الامام هو خيرهم في علمه وخلقه وتصوفه وتقاه كما تشهد بذلك الواقعة التي وعدنا بنقلها .

والي تريم يمتحن علماءها الممثلين في ابن بصري

تحت هذا العنوان ننقل حادثة المترجم له مع الوالي وهي تدل فيما تدل عليه على مثاليته رحمه الله . وقد نقلناها عن صاحب المشرع حرفياً وقد نقلها غيره ممن سبقه وهم لا يختلفون في جوهرها فلنتركه يسوقها بتسجيعاته وبياناته قال : « ويدلك على تفاصيل فضله ومبلغ مقداره بمختصر القول وفصله ما ذكره المؤرخون انه اجتمع في زمنه بمدينته ثلثمائة مفتي وطلب السلطان منهم أن يعلموه بأفضلهم فاتفقوا على أن صاحب الترجمة أفضلهم . وناهيك بها شهادة بفضله واعترافاً بسمو مقداره ونبله : ثم امتحنه السلطان بأشياء ترعزع رواسي الجبال وتخجل اكابر فحول الرجال شعرا .

كادت تزول الراسيات هوفـــا　　　　ولوقعها تتزلـــزل الآراء

فتلقاها غير مكترث بها حتى سطعت فيها أنوار كواكبه وأشرقت فيها شموس مناقبه فمن تلك الامتحانات ان امرأة لها ابنة بارعة في الحسن والجمال افتتن بها كثير من الرجال فأرسل اليها السلطان وقال لها ان فتنت فلاناً أعطيتك مالاً جزيلاً وكساء فاخراً جليلاً فالتزمت له ذلك وقالت : هو أقرب من يمينك الى شمالك ، فزينت بنتها بأحسن الزينة واللباس وحلتها بأجمل حلي وحلاس فجلست له بمحل المرور عند خروجه لزيارة القبور وقالت له : ان لي بنتاً مريضة اريد منك ان تقرأ عليها شيئاً من القرآن وتدعو لها ، فذهب معها فلما دخل الباب أغلقته عليه وعلى بنتها وتعلقت البنت به وراودته في نفسها فخلع السيد نعله وضربها بها وصار موضع الضربة حزازة جذام [١]

---

(١) ‌ دجج وألم تقطيع للجلد كما يتسع له اللفظ فان أريد بهذا اللفظ الجذام الحقيقي فيعد من الخوارق.

فصاحت البنت ، بأمها فدخلت عليهما وفتحت الباب وخرج السيد وقد نجاه الله من قبيح دنسها ووقي من الوقوع في ظلم حندسها ، فأتت المرأة بينتها الى السلطان ورأى في يديها كقطع الستان فأرسل الى السيد معتذراً اليه وسأله ان يصفح عنه ويرضى عليه ، فجاء السيد سالم اليه ووجد المرأة وبنتها بين يديه . فلم يغضب السيد من ذلك ولم يتأثر مما هنالك واعتذروا مما فعلوا وندموا على ما صدر منهم وتأسفوا وأقروا بذنوبهم واعترفوا فقبل عذرهم ووعظهم وحذرهم وطلبوا منه الدعاء للبنت بالعافية . »

هل قتل هذا الامام ؟

التحقيق انه توفي ولم يقتل كما أجمع على ذلك المؤرخون الذين هم أقرب الى عصره ومن يليهم باستثناء بعض نسخ تاريخ شنبل فقط[1] ، وعلى التنزل بأنه قتل فهو ليس قتيلاً لآل راشد لأن الوالي منهم اذ ذاك عبدالله بن راشد وهو صديقه وعلى طريقته ، على ان تريم اذذاك وفي الفترة التي توفي فيها مهددة بالحصار والهجمات من قبل أعداء عبدالله بن راشد وقومه[2]. وكانت وفاته سنة ٦٠٤ هـ .

الشاعر الناثر محمد بن ابي الحب

هو العلامة محمد بن احمد بن يحيى بن أبي الحب بضم الحاء من آل ابي الحب المنسوبين الى الانصار او الى قريش على اختلاف في ذلك . وهذه العائلة

---

(١) هو تاريخ لحوادث السنين مختصر مخطوط لمؤلفه العلامة السيد احمد بن عبدالله شنبل المتوفى سنة ٩٢٠ هـ ولدي نسخة منه صرح فيها بأنه توفي في يوم جمعة سنة ٦٠٤ هـ ولم يذكر الشهر.

(٢) وبهذا يمكن ان يجاب على بعض تساؤلات الاستاذ سعيد با وزير في كتابه : معالم تاريخ الجزيرة العربية .

معروفة بتعداد العلماء والصلحاء فيها فأبوه وأعمامه وأبناؤه فضلاء وعلماء . وقد هاجرت هـــذه الاسرة مـــن ظفار الى تريم في القرن السادس ، وهي من الاسر التي تقوم بالقاء الخطب في حضرموت كما يقوم بها الخطباء المنسوبون الى عباد بن بشر المار ذكره وذكرهم . ويقول بعضهم [1] عن آل ابي الحب انهم خطباء مقابر لا خطباء منابر ولعل مما يؤيد ذلك خُطب المترجم له في المآتم وعند الدفن وهي خطب بليغة مؤثرة جداً ، وهناك ايضاً اسرة عرفت بالخطابة وهي أسرة آل ابي ططة .

ثقافتـــه

يعد ابن ابي الحب احد اعلام الفقه والعلم والزهد والورع اضافة الى الأدب والشعر كما يعد من الوجهاء الذين لهم وجاهتهم عند ذوي السلطة وله قضية لطيفة استشفع فيها بواسطة بيتين من الشعر الى والي تريم ، وذلك انه جد في وضع ضريبة على حصائر العطب [2] فشكا اليه اربابها فكتب الى الوالي يقول :

مساكين اهل العطب وارحمتي لهم
فقارا عجافا من صرير المعاجـــل [3]
يرومون اهل العطب ان يلحقوا الغنى
واين الثريـــا من يد المتنـــاول

فقبل الوالي شفاعته وألغى الضريبة .

---

(١) هو الخطيب في برد النعيم .
(٢) القطن .
(٣) المعاجل جمع معجل وهو بلغة أهل حضرموت ما تدور عليه العجلة من حديد او خشب حين يسنى عليهـــا .

خطبه واشعاره

أما خطبه فهي بليغة جداً ويجري فيها وفي ترسّله على طريقة التسجيع شأن ابناء عصره ومن بعدهم الى وقت قريب ، وأبلغها الخطب الوعظية المتداولة بتريم التي تقرأ بمناسبة الوفيات ، وعلى خطبه الأخرى أيضاً ورسائله صبغة تصوفية ووعظية .

ونورد على سبيل المثال فقرات من رسالته للامام المحدث ابن جديد الآتي ذكره قال : « سلام على حضرة سيدنا الفقيه الأجلّ ورحمة الله وبركاته من أخ له مقيم على عهده ، مستقيم على وده لا يألوه جهداً في المناصحة ولا يفصم عروة المصالحة ، يقيم كتابه منه مقام المصافحة وخطابه له مقام المناوحة يلاحظه بعين أفكاره على بعد داره ويخاطبه بلسان تذكاره ، على بعد مزاره » ثم عزاه في أخيه عبدالله المتوفى بتريم عزاء جميلاً الى درجة انه أثر على المعزى فعاد الى وطنه . والرسالة برمتها مذكورة في بعض كتب التاريخ [1] .

وأما اشعاره فهي متينة بليغة ينتقي لها معاني جميلة فيصبها في قوالب فصيحة ، ومنها قصيدته في وصف تريم حين يقول :

تجنب ارضك الوبأ الوخيم	وجانب سوحك السدم السديم
فلا زالت مصححة النواحي	فلا يلقى بها ابـداً سـقيم
رياح لواقح الأرواح فيها	ولا يوماً تهب بهـا عقـيم
تعداها السموم فلا سموم	تهب بل السموم هو النسـيم
ومن كانون في كن مكين	فليس على مواردها يحـوم
مجاج مياههـا فيه شفاء	اذا مجت على الأرض الغيـوم
نسيم جنوبها ابداً صحيح	وطبع الجو فيهـا مسـتقيم
وطبع مياهها في الصيف بردٌ	وايـام الشتاء هي الحميم

---

(١) أنظر المشرع .

تعادل حرها والبرد فيها ... فلا برد يضر ولا سموم
وطبع البرد فيها فيه لطف ... بطيب نسيمه تنمو الجسوم
وحر الشمس فيها ليس يوذى ... وبرد شتائها أبداً سليم
بلاد طاب مسكنها وطابت ... مباركة لها رب رحيم
فلو نظرت فلاسفة اليها ... لقالوا جنة الدنيا تريم
حماها الله من بلد وأبقى ... (ابابكر) [1] ودام له النعيم

وله مراثي أحسن فيها منها مرثيته في الامام سالم بن بصري المعروفة في بعض كتب التاريخ ، وقد وصف فيها بكاءه عليه رحمهما الله تعالى فقال : —

ايا سالم قلبي عليك محرق ... فلا تعذلوني ان دمعي قد ذرف
اكفكف دمعي من حياء وحشمة ... ومهما كففت الدمع من ناظري وكف
وكنت اذا ما انهل دمعي بعبرة ... وقلت له يا دمع حسبك كُفَّ كَفّ
أأجحده احسانه وصنيعه ... وانساه لما اصبح اليوم في الجرف
ومن ذا الذي ينسى صنائع سالم ... وكم منة اسدى وكم محنة صرف
فموت ابن بصري على الدين ثلمة ... وفقد ابن بصري لظهر العلا قصف
لقد كان بدراً يستضاء بنوره ... وبحراً من المعروف من زاره غرف
وكان أبياً لا ينال مناله ... ولكن اذا للحق صرّفته انصرف

وفاته

توفي بتريم سنة ٦١١هـ والتحقيق أنها لم تعرف ولادته وان ذكرها بعضهم على سبيل التقريب [2] .

---

(١) قال بعض المؤرخين أنه يعني به عبدالله بن راشد .
(٢) هو صاحب تاريخ الشعراء الحضرميين ويقول شنبل في تاريخه أن وفاته سنة ٦٠١ .

المحدث ابو جديد

هذا هو الامام علي بن محمد بن احمد بن جديد الحسيني العلوي وقد ولد ونشأ بتريم في بيئة علمية راقية ، فكان هو وأخواه عبدالله وعبدالملك من المبرزين في العلم والتقى والصلاح ، وقد اخذ عن علماء تريم و ن أبرز شيوخه بحضرموت من غير العلويين الشيخ سالم بافضل .

رحلته الأولى :

وقد قام برحلة طويلة عن بلده للاستزادة من العلوم والمعارف وغيرها فأقام باليمن والحرمين والشام والعراق وغيرها وله شيوخ فحول وأقران في كل ما ذكرناه ، قالوا [1] ان شيوخه قد بلغوا نحو الألف .

ومنهم بعدن القاضي ابراهيم القريظي الذي اخذ كتاب المستصفى عن مؤلفه محمد بن سعيد بن معز [2] ومنهم بمكة بقية الحفاظ ابو عبدالله محمد بن اسمعيل ابن ابي الصيف نزيل الحرمين ، وقد اجازه على الطريقة القديمة بأن يأذن الشيخ لتلميذه في التدريس وقد حدث الامام ابن جديد بمكة بالكتب الستة [3] وأراد الاستيطان بها لولا ان أعيان بلاده طلبوا عودته فعاد .

تخصصه :

وأبو جديد هذا متبحر في العلوم العقلية والشرعية والأدبية الى درجة أنه تصدر للردود على بعض الفرق المخالفة للمذهب السني ومنهم المعتزلة وقد تخصص في علوم الحديث والقرآن وهو من اكابر حفاظ الحديث ومفسريه .

---

(١) أنظر المشرع .
(٢) هو من الكتب المحبوبة المتداولة في فنه فيه أحاديث وأعمال نبوية .
(٣) هي صحيح البخاري ومسلم وسنن ابن ماجة والترمذي والنسائي وابي داود .

اول من حذف السند :

وقد كان المحدثون حين يلقون أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يسندونها عن أشياخهم حتى يصلوا بها الى الرسول ، ولكن الشريف ابا جديد حذف السند اختصاراً ، ويعد في اليمن أول من حذف السند وان اشتهر غيره في بعض الأقطار بأنه أول من حذف السند .

وقد خرّج احاديث كثيرة وجمع أربعين حديثاً في فضائل الأعمال كما جمع غيره من كبار المحدثين أربعين .

عودته الى تريم :

قلنا في ترجمة ابن ابي الحب انه كتب له تعزية بليغة فيمن كتب اليه ، تأثر بها وكانت في أخيه عبدالله المتوفى سنة ٦٠٨ وقد ترك ايتاماً وله مركز علمي ووجاهة فعاد المترجم له على إثر وصولها الى تريم .

الاحتفاء به :

وقد احتفى به اخوانه المواطنون احتفاء كبيراً لما يعقدونه على وجوده بها من الآمال التي من اهمها نشر العلوم والمعارف ، وفعلاً أبدى كفاءة تامة وتصدر للعلم والاصلاح الاجتماعي وتخرج عليه كثير بها كما تخرج عليه كثيرون في مهاجره سيأتي ذكر بعضهم .

لقد بذل ابو الحسن هذا كل امكانياته لنشر العلم وصنف ودرس وبذل كتبه للطلبة وقد جاء بكثير منها من الخارج — كل هذا قام به بالرغم من قيام الفتن والحروب بحضرموت .

رحلة اخرى :

ثم رحل هو واخوه عبدالملك الى اليمن الى الشيخ العالم الصوفي مدافع

ابن احمد العيني احد تلاميذ الشيخ الشهير عبدالقادر الجيلاني الحسني فامتزجا بالشيخ مدافع بقريته المسماة الوحيز [1] وتزوجا ابنتيه وانتفعا به كما انتفع بهما خصوصاً في الناحية العلمية والطريقة الصوفية وتوفي أخوه بها سنة ٦١٤ .

استبداد الملوك

وبينما ابوجديد مع الشيخ مدافع على عادتهما في احتساء كؤوس العلم ومزاولة العبادة اذ مر الملك المسعود بن كامل الأيوبي في طريقه للصيد بقرية الوحيز فرأى بها جمهوراً كبيراً فسأل عنهم فاخبر بأن فيهم رجلاً عالماً معتقداً من الصالحين الأخيار يعنون الشيخ مدافعاً وهؤلاء من محبيه وملتمسي بركته ، فقصده الملك للزيارة فكان ذلك في وقت اشتغال الشيخ باوراده واذكاره في الصباح فقد اعتاد ان يملأ بها ما بعد صلاة الصبح الى ان يصلي الضحى بدون أن يخاطبه احد ، واتفق مجيء الملك وأتباعه والشيخ على تلك الحال وخادمه يدخل ويخرج ويقول الساعة يخرج الشيخ بدون أن يشعر الشيخ بوصول الملك اليه وانتظاره ذلك الانتظار الذي طال حتى مل الأمراء وتبرموا وغضب الملك وغادر القرية ولم يقابل الشيخ بل أمر بالقاء القبض عليه وعلى ابي جديد صهره لأنه محبب اليه وحبسهما في حصن تعز ثم أنزلهما الى عدن ثم نفاهما الى الهند ، فحملتهما سفينة عصفت بها الريح قرب ظفار فنزلا فيها حيث قابلهما الأهالي احسن مقابلة وأخذوا عنهما وألحوا عليهما في أن يقيما بينهم فاعتذرا ووعداهم بأن ذلك ربما يكون بعد وصولهما الى الهند ورجوعهما منها .

ثم استأنفا سفرهما الى الهند حيث نزلا بندر دابول من الهند ، فاستقبلا من الأهالي استقبالاً حسناً وظهرت وجاهتهما هناك وأخذ عنهما كثير من

---

(١) بالحاء المهملة المكسورة و الزين .

الطلاب حتّى عادا أدراجهما بعد شهرين الى ظفار ومكثا بها مكرمين ينشران العلم والدعوة الى الله ، وتوفي الشيخ مدافع بها سنة ٦١٨ هـ.

اما ابوجديد فعاد الى اليمن ينشر بها علومه وأبحاثه وقصد زبيد بصورة خاصة. ومن تلاميذه محمد بن اسماعيل الحضرمي ومحمد بن مسعود السقال والامام ناصر الحميري والشيخ أحمد بن محمد الجندي والشيخ محمد بن ابراهيم الفشلي والامام عمر بن علي صاحب بيت الفقيه وغيرهم.

الاقامة بمكة

انتهى المطاف بالامام ابي جديد الى مكة المكرمة حيث اقام بها يحدث ويدرس ويفتي كعلم من أعلامها حتّى توفي بها سنة ٦٢٠ رحمه الله.

ابو جديد والخوارج

استأنف الخوارج صولاتهم وجولاتهم في ايام ابي جديد هذا أواخر القرن السادس الهجري وأوائل السابع وبينهم وبين السنيين عداء تقليدي وكانوا يحقدون عليهم وينالونهم بأنواع الأذى. وقد استندوا الى الغزاة الخارجيين من أمثال الزنجيلي ثم عمر بن مهدي وقد سبق الكلام عنهم وتظافر الخوارج من الداخل والخارج كما يحدثنا التاريخ على التخريب وسفك الدماء واذاء الصالحين والعلماء. وبلغت ببعض ولاتهم[1] الأحقاد والحماقات الى درجة محاولة الطعن في أنساب العلويين وهم على راس أهل السنة رغماً عن صراحتها، فضغط عليهم وكلفهم باثباتها بالطريقة القضائية[2] امعاناً في الايذاء.

---

(١) لم تصرح لنا المصادر باسمه ولا يعدو أن يكون زنجيلياً او نعانياً او مهدوياً نسبة الى عمر بن مهدي.

(٢) ولم يلتفت الى التواتر الذي عليه السدة في أنساب كل القبائل.

عند ذلك قام صاحب الترجمة بالدور الكافي لاسكات خصومهم في صراحة وتحقيق انسابهم وأتى بالاثباتات الشرعية من العراق والحجاز الى حضرموت فقام أئمة وعلماء حضرموت بدورهم بتأكيدها ولم يعرف منهم مخالف [1]. والواقع ان آباء العلويين بني علوي سواء الحضارمة منهم والعراقيون والحجازيون مشهورون بالامامة والزعامة في عصورهم بحيث لا يمكن ان يندس بينهم احد كما يشهد ذلك التاريخ [2] .

ابو جديد والمؤرخون

توفرت المراجع التاريخية المعاصرة له وغير المعاصرة والحضرمية وغير الحضرمية في الترجمة لأبي جديد لعلو كعبه في العلوم والأخلاق ولذيوع شهرته وطول رحلاته ، فممن ترجم له في تواريخهم من المشاهير الجندي وابن سمرة والعواجي والملك الأفضل اليمني في العطايا السنية وعبدالله بن عمر

---

(١) أنظر التفاصيل في الجوهر وتاريخ ابي مخرمة وغيرها قال في الجوهر للخطيب وفي قلادة النحر وغيرها واجمع على ذلك اي النسبة الشريفة العلماء والصالحون وقد اخطأ البكري في التاريخ السياسي ج – أ – حيث وضع فيه ما يخالفهما ويخالف الحقيقة والتاريخ ايضاً مما ادعى وجوده في النسخة التي بدار الكتب المصرية من تاريخ با مخرمة. انظر في الرد عليه رسالة المؤرخ السيد عبد الله بلفقيه المطبوعة والمسماة تفنيد مزاعم الشيخ صلاح البكري في تشككه بنسب الامام احمد بن عيسى فقد حقق فيها هو والسيد علوي بن طاهر الحداد الموضوع الى درجة الكشف عن تلك النسخة وبيان الانتحال عليها ثم ان مبدأ با مخرمة لا يقول بما نسب اليه اما غيره من المؤرخين كالاستاذ سعيد با وزير في كتابه صفحات من التاريخ الحضرمي فقد نقلها كما هي والتاريخ كله نقل وليس لنا ان نقيم فيه لغير الحقيقة أي اعتبار .

(٢) ولهم شجرات عديدة يضبطونها منذ أوائل القرون الى اليوم ولغيرهم من القبائل الحضرمية شجرات معروفة ايضاً وقد قلنا ان العرب من الأمم التي تعتني بانسابها فعسى أن يكون من ذلك حافز للتأسي بالآباء من كرام العرب الماضين .

باعزمة في تكميل طبقات السبكي والطيب باعزمة في قلادة النحر وصاحب المشرع وغيرهم رحمة الله عليهم أجمعين .

السلطان الراشد عبدالله بن راشد القحطاني

هو أحد الأفراد القلائل الذين جمعوا بين العلم والحكم والعدل والفضل وقد مر الكلام عنه من الناحية السياسية أيام حكمه .

نشأته وعلومه ومعارفه

نشأ ابن راشد في وسط علمي وفي بيئة مثقفة متدينة بموطنه تريم وقد ولد بها سنة ٥٥٣ وتحفظ بما القرآن الكريم من صغره وتوجه إلى طلب العلوم الشرعية والعربية حيث يوجد بها أئمتها ورجالها وهم اذذاك كثيرون .
وقد تتلمذ ابن راشد للمخصيصين في العلوم الشرعية من التريميين كالشيخين يحيى بن سالم بافضل وفضل بن ابي جواس وغيرهما .

رحلته الى الحجاز

وفي سنة ٥٨٨ سمع الأحاديث من كبار الأئمة المحدثين المشهورين وهم ابن ابي الصيف والمقدسي وابن عساكر[١] .
أما قبل ذلك في سنة ٥٨٠ فقد قرأ صحيح البخاري على الامام محمد ابن احمد بن النعمان الهجراني الرحالة الشهير[٢] .

---

(١) أنظر تاريخ شنبل .
(٢) نفس المصدر وعقود الالماس اما تاريخ ابي مخرمة فقال سنة ٥٨٣ وكل هذه المصادر لم تذكر الموضع .

مشاركته في الناحية الثقافية

لقد كان ابن راشد عالماً جليلاً قبل أن يكون سلطاناً وبعد أن كان ، ويوجد من رجال اسرته علماء كبار كعمه عبدالرحمن بن شجعنة وأخيه عبد الرحمن ابن راشد فنشأ معهم وأدرك أئمة العلويين الذين في مقدمتهم الامام سالم بن بصري ، والمحدث علي بن محمد بن جديد وأخوه عبدالملك وغيرهم ، وقل أن تجد من علماء وصلحاء وأدباء تريم الكبار احداً الا وله به رابطة زمالة أو مشيخة أو صداقة او معرفة ، ومن أولئك الأعيان المشار اليهم العلامة ابن ابي الحب وقد أرسل الأخير اليه رسالة بليغة صدرها بهذين البيتين :

ايا علم الأفضال والجود والكرم وعلامة الآداب والعلم والحكم
ويا عصمة الله التي الناس ترتجـــي له دولة يرعى بها الذيب والغنم

وموضوع هذه الرسالة تهنئة وتشجيع على العدالة وقد نقلت بعض المصادر[1] فقرات منها بعد هذين البيتين .

اعماله العمرانية :

ولم يقتصر هذا السلطان على الاعمال العسكرية والسياسية والعلمية بل أخذت كثيراً من اهتمامه النواحي العمرانية فقد عرف عنه انه جدد عمارة الحصن الشهير بحصن الرناد ، ويقال له اذذاك مصنعة الرناد .

كما بني سور تريم في عهده وذلك سنة ٦٠١ . قال بعض المؤرخين انه بني من قارة العز الى حدر[2] .

---

(١) تاريخ الطيب با مخرمة .

(٢) تاريخ شنبل وقارة العز بالزاي معروفة جنوب تريم وأما حدر فلم يعرف موضعه بالضبط ويؤخذ من اسمه انه في ناحية الشرق من تريم حيث ينحدر الوادي وتسمى تلك الجهة حدوراً !

اعماله العسكرية :

السلطان ابن راشد قائد حربي له شجاعته واقدامه وتدل الحوادث الحربية على معرفته بكيفية القتال وأساليب الحروب وما تقتضيه من هجوم وانسحاب وتقدم وتأخر كما أسلفنا الكلام عن بعضها .

لماذا اعتزل الولاية ؟

ان ابن راشد من النوع الذي يريد أن يقدم خدمة خالصة لله وللوطن بواسطة الحكم والسلطنة فهو مثالي جعل الحكم وسيلة لا غاية كما هو واجب ديني وانساني ولهذا نجده —كما قدمنا— في فترة زاهية من عصره (ولايته) قد ترّعَّيناً حيث استطاع بعض الوقت أن يهدىء الاضطرابات ، وأن ينشر العدل والسلم والرخاء فقال قولته الشهيرة :

لا يوجد ببلادي حرامي ولا سارق ولا محتاج ، وقد تقدم ذكرها وذكر الفترة التي قيلت فيها .

ثم للسبب نفسه حيث رأى انه لن يمكنه استعمال تلك الوسيلة تنازل عن الحكم مرغماً للظروف الحربية والسياسية التي تكلمنا عنها ، ولم يغادر تريم كما لم يخلع رداء السلطنة الا كارهاً حيث ضغطت عليه قوة ابن مهدي وطرده بجيشه . وبقي معتزلاً مدة شهور بقارة العر [1] قرب مريمة متعبداً ربه متألماً من عدم موالاة أهل حضرموت له على الحق ، كما صرح بهذا لما قيل له في ترك الولاية فأجاب بهذه الجملة : ما وجدنا آل حضرموت يوالوننا على الحق[2] ، الى ان قتل سنة ٦١٦ عن ثلاثة وستين عاماً . وقاتله في هذا العام

وبهذا يكمل سور تريم من الناحيتين الجنوبية والشرقية ويحيط باكثر الشمال والغرب جباله شاهقة والعز بالعين المهملة والزاي المعجمة .

(١) بالعين والراء المهملتين .

(٢) روى هذه القولة حرفياً تاريخ ابي مخرمة .

ـكما تقول بعض المصادر [1] هو ابن مدارة الذي خرج بجمعية بعض قواد ابن مهدي حتى فتك بابن راشد تحت طاحس [2] ودُفِن قرب قرية مريمة وقبره معروف هناك يزار رحمه الله رحمة الأبرار .

ومن المؤرخين من يروي انه سافر ليصلح بين قبيلتين متخاصمتين فقتل في الطريق ظلماً ولكنه قدم تاريخ وفاته فجعلها سنة ٦١٢ [3] ولعل التحقيق ما ذكرناه أولاً .

هؤلاء هم من أعظم أساطين العلم والاجتماع والسياسة في عصرهم ...

...لاد العربية والاسلامية

...لقية والتعاليم الاسلامية

... أن يقوموا به هو نشر

...لاح ومحترفي الغارات

... أمسك زمام الحكم قد

...اكل لـ أن يتنازل عن

...ي أيامهم فان مباديهم

... لها الفوز في النهاية ،

...تاريخ

...١ هـ

...هر بمقتضى سياقه ان القاتل

...ورد الالماس .

... ان وفاته سنة ٦١٤ فخالف

... الروايتين فأخذ من إحداها



ولهم اتصالات وروابط واكثرها علمية وثقافية
الأخرى ، ولهم أثر كبير في نشر المبادىء والقيم
بين طوائف الشعب. والشيء الوحيد الذي لم يستطي
الأمن والوحدة في ربوع بلادهم وايقاف حملة
عند حدهم ، حتى السلطان عبدالله بن راشد نفسه ال
اضطرته هذه الطائفة المتسلحة بما أحدثته له من
الحكم .

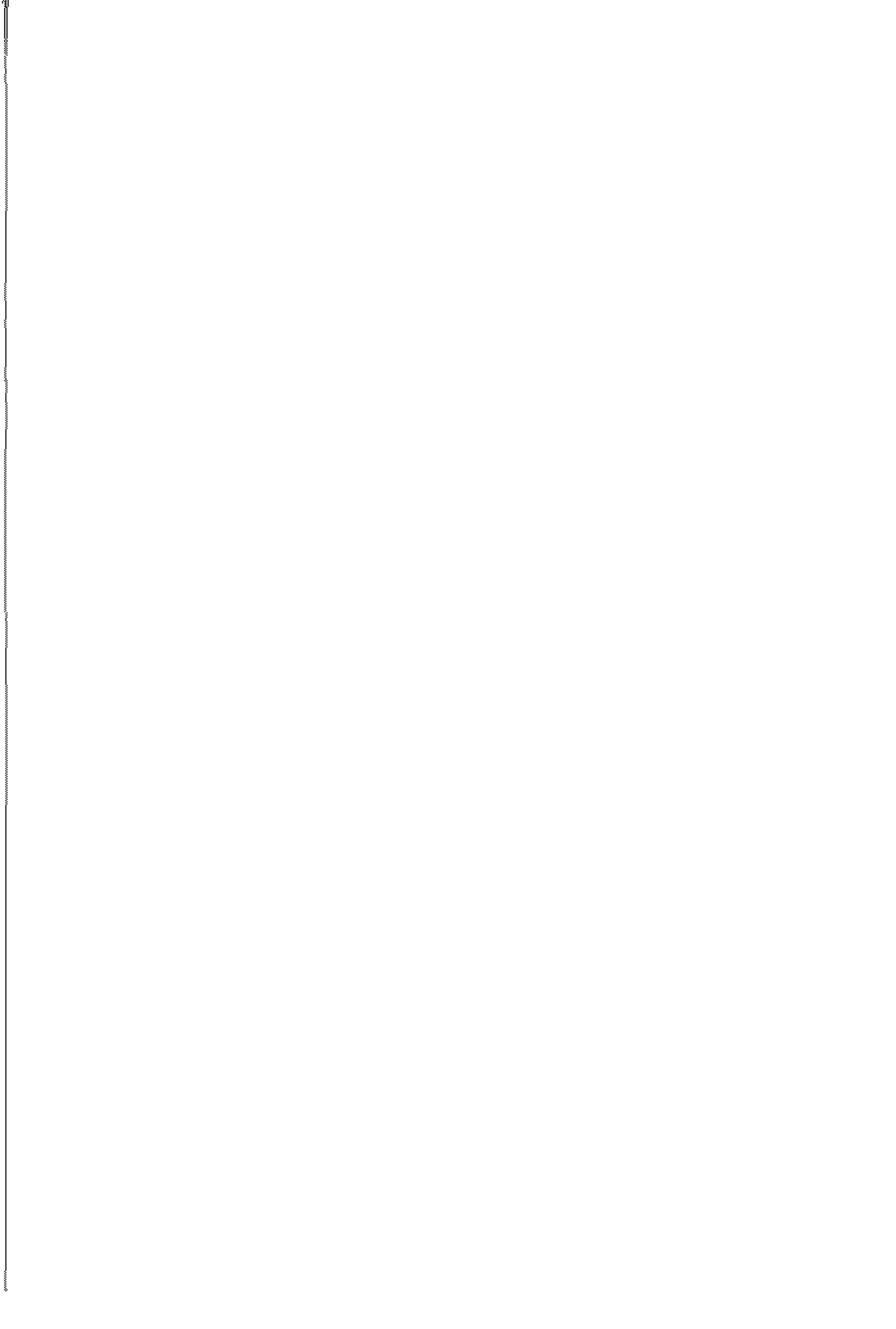
ومهما يك من تغلب قوى الشر على قوى الخ
الاصلاحية ومثلهم الخلقية لا تزال قائمة حية وسي
ولينصرنّ الله من ينصره .

انتهى الجزء الأول من كتاب ادو
الحضرمي في ذي الحجة سنة ١
مايو سنة ١٩٦٢

---

(١) تاريخ شنبل .
(٢) نفس المصدر ولم نطلع على ما يفيد زيادة عما ذكره ولكن
من الخوارج أو ممن يرون رأيهم . ويؤيد هذا أيضاً ما ف
(٣) هو تاريخ باعخرمة وتبعه الاستاذ ابن هاشم في تاريخه لكن
الروايتين ولم اعرف مصدره وخلط بعض المعاصرين
شيئاً ومن الاخرى شيئاً آخر .

تاريخ الحضرمي
الجزء الثاني



أدوار التاريخ الحضرمي

تأليف

محمد بن أحمد بن عمر الشاطري

الجزء الثاني



الحمد لله وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن والاه

وبعد فاني اتشرف بان ازف اليك ايها القاريء الكريم الجزء الثاني وهو الجزء الاخير من كتابي ــ ادوار التاريخ الحضرمي ــ وسوف تتجلى لك فيه نفس الروح العربية الاسلامية التي تجدها في الجزء الاول لانهــ هي الروح التي اضفت في الاصل على تاريخ رجالنا وجماهيرنا ومجتمعنــا وهي التي دفعت بآبائنا العرب المسلمين الى بناء مجــد ضخم وحضارة واسعة وتاريخ مجيد ، ومهما استوردنا نحن ابناءهم لانفسنا اليوم روحــ غير هذه الروح من الخارج فانها سترجع بنــا ــ لامحالة ــ الــى الوراء بدلا من أن تقدمنا الى الامام وقد صدق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الذي قاد العرب المسلمين في خلافته الى ميادين النصر وفتح لهم ابوابا مــــن الحضارة والتقدم حيث قال رضي الله عنه (نحن قوم اعزنا الله بالاسلام ومهما طلبنا العزة بغيره اذلنا الله) وصدق طيب الله ثراه فقد اعز اللـــــه العرب بالاسلام الذي وعاه وآمن به وطبقه هو وزملاؤه الراشدون ومــن جاء بعدهم من ابطال العروبة والاسلام وشعوبهم وجماهيرهم بينما كــاد يضيع اليوم بين جامد وجاحد ولكن لابد له من رجعة بحول الله وبهمــة بنيه المخلصين وحيوية تعاليمه ومبادئه السامية .

وجريا على طريقتي المتبعة في الجزء الاول فقد عنيت في هذا بالنواحي الاجتماعية اكثر وترجمت لنوابغ ومصلحين مـن رجال المراحل والادوار القادمة ، كما ترجمت هناك لشخصيات عظيمة من النوع نفسه الموجـود هناك في الجزء الاول احتفاظا بالميزان الفني ازن بـه الشخصيات وهو ميزان الاصلاح الاجتماعي والنزاهة وغزارة العلم والثقافة والخلق القويم ليكونوا قدوة صالحة للجيل الجديد ، واما مجرد الحكم والسياسة فانـه لا يرجح شيئا بل ان معظم اصحابه قد جنى على المجتمع بقدر ما خدمه المصلحون كما اشرت في خطبة الجزء الاول فتفضل بالرجوع اليها لتجـد فيها هذا وغيره مما يتعلق بتقديم هذا الكتاب ٠

وبحكم قيامي بمهمة انجاز هذا الجزء فقد اطلعت ـ فيما يتصل به ـ كما حصل من قبل ـ فيما يتصل بالجزء الاول ـ على مؤلفات ورحلات واستطلاعات ومقالات وبيانات تعرضت لتاريخ هذا القطر والحديث عنه اكثر فشوهت بعض الحقائق وصورت بعض المواقف بغير الواقع وجعلت هالة من التمجيد والتعظيم على شخصيات هزيلة طفيلية ستلفها الاجيـال القادمة لفا كما تلف النكرات المنكرة وترمي بها في سلة المهملات بعيدا عن احترامها واعتبارها (١) لانها ليست اهلا للصمود ولا للخلـود وستطفو على حقيقتها للناس بعد ان يصلوا الى درجة الوعي والفهم للتاريخ على انه

---

(١) لعل من هذا الصنف فيما مضى ما رايته من مؤرخي الحضارمة القدامى كصاحب الجوهر وصاحب قـلادة النحر وصاحب المشرع حيـن يذكرون بعض الوقائع او الحكايات التي لها صلة باي من الحكام السياسيين رايتهم يتحاشون من ذكـر اسمه وكانهـم يرون ان هؤلاء لا يستحقون ان يذكروا ويجب ان تطهر الكتب من اسمائهم ، مع ان في النص على اسمائهم فوائد تاريخية عامة لا تنكر وفي هذا العصر كم من رجال سياسيين محيت اسماؤهم وازيلت صورهم بحجة انهم اشرار وخونة .

حقائق ووقائع لاعواطف واغراض وعلى انه الصدق بعينه واذا لم يكن كذلك فليس بتاريخ وقد صححت كل ما هو من هذا القبيل مما له علاقة بمراحل وادوار هذا الجزء عمليا بما وضعته فيه متنا وتعليقا من الاقتصار على تقرير الحقيقة والواقع كما عملت فيما قبله (١)

وهذا الانحراف التاريخي الذي اشرت اليه كما يجري عندنا يجري في العالم باسره الا انه بين الامم الحية لا يقوى على الثبات ولا على الثبوت حين يعرض على محك النقد النزيه ويجري في معظم بلادنا العربية بصورة ابشع واوسع نشيء بواسطتها ــ الجيل الجديد ــ على معلومات تاريخية خاطئة سعيا وراء الاغراض واستخفافا بعقليات الشعوب المتخلفة المغلوبة على امرها فكثير من حملة تاريخها الحاضر لا يستطيعون التحليق في سماء الجو التاريخي النزيه المتعطر بالصدق وشرح الحقائق وانصاف الرجال .

لهذا فان التاريخ الحقيقي لتلك البلاد العربية انما سيأتي بعد تبع لنضجها وديمقراطيتها وتقدمها في جميع المجالات الحيوية الاخرى وبالاخص الخلقية منها

وارجو من القارىء العربي ــ بصفة خاصة ــ ان يستشعر حين يقرأ

---

(١) والتمس المعذرة من القارىء فيما يجده مضبوطا بالتقريب لا بالتحديد لانني متقيد بالمصادر ومسايرتها فهي لا تساعد احيانا على الضبط الدقيق حتى بالنسبة لهذا العصر فانك تجد المجالس البلدية مثلا لا تحصي المواليد والوفيات والسكان وبعض الدوائر الحكومية لا تدقق في اختصاصها

وقد اشرت في خطبة الجزء الاول الى الفرق بين المجهودين الفردي والجماعي والى واجب المسؤلين نحو التاريخ .

هذا الكتاب انه يقرأ تاريخ بلاده وتاريخ رجاله حقا لاسباب عدة من
اهمها التشابه الكثير بين الاقطار العربية وبين رجال تاريخها فالبلاد
العربية الاسلامية في الاصل بلاد واحدة وشعوبها امة واحدة تشعر
بشعور واحد في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ورجالها رجال الامة والبلاد
كلها وان شتت شملها المغرضون الجناة والمتجنين عليها من بنيها ومن
الاجانب الطامعين في خيراتها ولان التخصص في تاريخ قطر ما من اقطار
العروبة والاسلام يساعد ـ كما قلت في الجزء الاول ـ على ابراز تاريخنا
العربي الاسلامي اجمع يتعاون عليه الاختصاصيون كل عن قطره

بل ان التاريخ العربي ـ كالتاريخ العالمي ـ كله متشابه ومتشابك
ولا بد ان يكون فيه الغالبون والمغلوبون والظالمون والمظلومون
والمستعمرون والمستعمرون ـ يتداولون ـ كافراد وكجماعات ـ هذه
الصفات وهذه الاخلاق وهذه الرتب (وتلك الايام نداولها بين الناس)

الدهر كالدهر والايام واحدة والناس كالناس والدنيا لمن غلبا

الى ان يجيء الدور الذي يرتفع فيه بنو البشر تدريجيا عن حضيض
الاحقاد والمشاغبات والحروب حتى يبلغوا في النهاية الى مستوى ملاكي
يتعايشون فيه كاخوة قد عمهم الخير والرخاء وشملتهم السعادة والنعيم
المقيم

فالتاريخ كل التاريخ يعطينا أي جزء منه العبر والعظات والدروس
الكافية للسلوك الحسن في هذه الحياة حتى نصل الى افضل ما يمكن منها
و (ان في ذلك لعبرة لاولي الالباب •)

دورُ السلطنتين اليمانيّة والكثيريّة الأولى

سلطنة آل يماني من سنة ٦٢٠ هـ تقريباً الى سنة ٩٢٠ هـ تقريباً

وسلطنة آل كثير الأولى من سنة ٨٠٠ هـ الى سنة ١١٣٠ هـ تقريباً



دورُ السلطنتَين اليمانيّة والكثيريّة الأولى

سلطنة آل يماني من سنة ٦٢٠ هـ تقريبا الى سنة ٩٢٠ هـ تقريبا

سلطنة آل كثير الاولى من سنة ٨٠٠ هـ الى سنة ١١٣٠ هـ تقريبا

من اجل ربط الوقائع والحوادث التاريخية نعيد الى الاذهان كلامنا في الجزء الاول من هـذا الكتاب عـن تنافس مسعود بن يماني مؤسس دولة ـ آل يماني بمساعدة اخوانه وعشيرته وابن شماخ وعبد الرحمن بن اقبال على السلطة بحضرموت واقتسامهم هذا القطـر ومداولتهم مناطقه التي يلعبون بها لعب الصبيان بالكرة ، ثم تملك السلطان سالم بن ادريس الحبوظي حضرموت في تلك الفترة ، (١)

---

(١) انظر صفحة ١٧٧ من الجزء الاول من هذا الكتاب ط بيروت فيها بعض التفاصيل في هذا الموضوع وسالم بن ادريس الحبوظي هـو ابـرز الثلاثة المتنافسين على السلطة بحضرموت وفي تاريخ ابن هاشم نقلا عـن كتاب هدية الزمن وغيره شرح لقضية النزاع الذي حصـل بين الحبوظي هذا وبين الملك المظفر الرسولي الذي كان من نتيجته فتـح ظفار وقتـل الحبوظي وخلاصته ان الرسولي ارسل هدايا فـي سفينة الـى فارس ـ يصحبها بعض التجار فمالت بها الريح الى ميناء ظفار حيث أستولى عليها الحبوظي ليعوض بها ما فاته من اموال كان قد انفقها على اهل حضرموت التي انتقضت عليه في حياته كما يقول صاحب هدية الزمن ويقول ايضـا انه اغرى راشد بن شجعنه صاحب الشحر الذي يؤدي خراجا سنويا للملك المظفر اغراه بعصيانه وبالميل اليه هو كجواب عملي (رد فعل) لخطاب تلقاه من المظفر فيه ترهيب وترغيب يقول فيه وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا الى جواب كتابي يقول فيه هذا الرسول فأين العذاب ولم يكتف بهذا بـل تهيا لمهاجمة عدن فكانت النتيجة ان جهز المظفر له جيوشا برية وبحـرية اجتمعت بسيحوت ثم التقت بجيوش الحبوظي قرب ظفار ودارت الدائرة على جيش الحبوظي الذي قتل في المعركة وقبض على أسرته ونفيت الـى زبيد وظفر المظفر بظفار وبقية حضرموت مدة غير طويلة ثـم انحسر ملكه عنها كما يعلم مما مر في الجزء الاول ومما سيأتي في هـذا الجزء حيث استولى الكثيريون وغيرهم عليها .

والسلطان الحبوظي المشار اليه قد استعان بآل كثيروهم لا يزالون قبائل متفرقة ونظمهم في جنديته ، وبعد ان ارتفع عن حضرموت الى ظفار وقتل بها استقلت الحاميات الحضرمية في مدنها وقراها ومن ابرزها الحاميات الكثيرية التي استقلت اذ ذاك بالقرى التي بين ايديها (١) وكونت لنفسها كيانا خاصا رفعها عن مستواها القبلي الى مستوى اعلا اصبحت فيه ذات سلطة مرموقة في القطر الحضرمي دامت زهاء ثلاثة قرون ونصف .

فحين تدرس تاريخ حضرموت في هذه المرحلة تجد هاتين السلطتين الحضرميتين متعاصرتين في اكثر ايام حياتهما ومشتغلتين بحروب واشتباكات ومنازعات فيما بينهما في نفس الوقت الذي تناجز كلامنهما قبائل حضرمية اخرى الفتن والمناوشات وكل هذا على حساب جمهور الشعب ـ الحضرمي الاعزل الذي ابتلي بهما وبقبائل مبعثرة متخاصمة نشأت كل منها وتعودت على معاداة البقية والكيد لها وعلى ظلم غيرها من العزل واصبحت الطائفة التي تحمل السلاح هي المهيمنة دائما والماسكة بازمة الامور سواء كانت سلطة جماعية تنفذها باسم القبيلة وقوة القبيلة أم سلطة فردية باسم السلطان والسلطنة وبقوة السلطان والسلطنة واقتسمت المناطق فيما بينها على هذا المنوال الا انه من الانصاف ان نشير الى انه لم يخل المطاف احيانا من وجود شخصيات من أولئك السلاطين ومن زعماء تلك القبائل حاولت القيام باصلاح وطني ونشر العدل والامان والضرب على ايدي العابثين وعقد معاهدات الصلح ، يسندهم ويقوي

---

(١) اختلف في هذا الاستقلال هل هو بعد رحيل الحبوظي من حضرموت ام بعد قتله ولعل منشأ هذا الاختلاف من قرب المدة بين رحيله وقتله ويمكن ان يكون مبدأ الاستقلال بعد رحيله واعلانه بعد موته الا ان الرسولي استولى اسميا ومؤقتا بعده عليها ثم تقلص ملكه كما اشرنا الى ذلك في التعليقة السابقة .

معنويتهم دعاة الاصلاح وحملة اغصان الزيتون (١) من علويين وغيرهم كسلطان بن دويس من سلاطين آل يماني ويسميه بعض المؤرخين السلطان العادل وكالسلطان بدر أبي طويرق من السلاطين الكثيريين ولكن اكثر سلاطين السلطتين انما يتقلدون السلطنه لمجرد الوراثة التقليدية لهـا والجري فيما جرى فيه سلفه من الحكم كوسيلة لارضاء ميوله ونزعاته النفسية والقومية وهم بعد ذلك ينقصهم الطموح وقوة الشخصية كما يتضح ذلك من دراسة تواريخهم ٠

وقد اعتاد جمهور الشعب الاعزل مشاهدة الجرائم والحوادث الارهابية تقوم الطائفة المتسلحة بتمثيلها باستمرار ٠ فلم تصده عن مزاولة اعماله المدفوع اليها بالضرورة الحتمية ، فالتجار والزراع والصناع والعمال والعلماء والعباد هم مشتغلون باعمالهم ومهنهم ومنهمكون فيما يعدونه تراثا خلفه لهم آباؤهم كما يعد حملة السلاح صنعة الحروب وحب السلطة والضغط على العزل تراثا ايضا ٠ ولكن بالطبع لا يمكن ان يتسع المجال للجميع وان تنتعش البلاد كلها والوضع كما اشرنا اليه مما جعل سيل الهجرة الى الخارج مستمرا ولهذا السبب فالشعب الحضرمي من اكثر شعوب العالم هجرة حيث اتخذ الهند والحجاز ثم شرق افريقيا وأندونيسيا وغيرها مهاجر له من هذا العهد ٠ وحيث وجد فيها متنفسا ومجالا واسعا لاستخدام مواهبه ٠

سلاطين وأمراء آل يماني

اسرة آل يماني هؤلاء تنتمي الى بني ظنه بن حرام بن ملكان الكنانية نسبا واليمانية موطنا اول (٢) ولعل جدهم سمى يماني لانه اول من جاء من حلي يعقوب باليمن الى حضرموت وتقول بعض المصادر انهم

---

(١) اغصان الزيتون واوراقه يرمز بها الى السلام ولهذا يقال للدعاة والسعاة الى السلام انهم حملة اغصان الزيتون .

(٢) انظر البرد النعيم فيما نقله عن تاريخ الاهدل .

انتقلوا الى حضرموت من جبل السراة هم وآل كثير وال جابر وبني سويد وقبائل اخرى لم يبق لها اسم ولا رسم اليوم بحضرموت انتقلوا في القرن السابع (١) والواقع انهم هم وآل كثير موجودون بحضرموت من قبل هذا المهد بدليل وجود اعمال لهم وتحركات حربية قبل ولعله اراد بالسابع السادس فأخطا خطيا .

واول والى منهم او سلطان هو مسعود بن يماني بن لبيد المار ذكره في الجزء الاول . ومقر دولته تريم غالبا وكان شجاعا مقداما وصفته بعض المصادر بأنه ملك حضرموت بأسرها ووصل غزوه الى شبوه (٢) وقال مصدر آخر انه كثير اللهو والملذات (٣) لكنها تجمع على انه تاب بعد وتفقر (٤) على يد الشيخ علي بن محمد الخطيب الملقب بصاحب الوعل (٥)

وتوفي سنة ٦٤٨ هـ رحمه الله (٦) وشيدت عليه اول قبة بنيت على قبر بتريم بانيها ابنه عمر الذي تنازل عن الملك له كما صرحت بذلك بعض

---

(١) عقود الالماس

(٢) انظر البرد النعيم وتاريخ الطيب بامخرمه

(٣) تاريخ ابن هاشم

(٤) لزم طريقة الفقراء الصوفية

(٥) لتلقيبه بهذا اللقب حكاية طريفة هي انه لم يجد اضحيه يضحى بها في العيد ويوسع بها على عياله لضيق حالته المادي وكان يرجو الله ان سخر له اضحية فصادف خروج وعل كبير من الجبل الذي يقع جنب داره ولعله جبل الفريط بتريم ودخل داره فاقفلوا عليه الباب وضحى به الشيخ ، ويعضهم يعدها كرامة له من الله ولهذا سمى بصاحب الوعل توفي سنة ٦٤١ هـ

(٦) كما في البرد النعيم ويوجد في تاريخ ابن هاشم ص٨ ـ ٢٧ س تصريح بان وفاته سنة ٦١٨ ولعله خطأ مطبعي ولكنه في صفحة ١٤ جعلها سنة ٦٤٨ وهو الصواب

المصادر (١) وهو معاصر للامام الفقيه المقدم

اما ابنه عمر بن مسعود هذا فهو الذي حاول ان يجند جيشا من الغز الموجودين بالساحل ليضرب بهم قبائل حضرموت المناوئة له ففشل وبقي يجند من يستطيع من ابناء القبائل البدوية والحضرية وبقي عمر يستعمل اساليبه في اشغال العشائر المعادية له بعضها ببعض ليسلم من اذاها وهو الذي حاصر سالم بن ادريس الحبوظي تريم في عهده عدة اشهر فأصيب اهلها بأزمات شديدة ولم تصل فيها الجمعة اشهرا لشدة الخوف ولكنها رغم ذلك لم تسلم وارتد عنها الحبوظي الى شبام ثم الى ظفار • وقضى حياته في حروب وفتن حتى توفي سنة ٦٧٥ فتولى بعده ابنه يماني بن عمر (٢) وطالت ولايته لمدة ٢٩ سنة ولكنها مع الاسف لم تصف له لحدوث الاضطرابات التي لا تنفك عنها حضرموت من عشائرها وتوفي سنة ٧١٤

فتولى السلطنة بعده ابنه عبدالله بن يماني وهو ثمرة من هاتيك الشجرة التي لم تثمر سوى العجز عن كبح جماح القبائل والمتمردين فكانوا يناوشونها وتناوشهم ويختل بذلك الاستقرار والامن في دائرة سلطنته وسلطنة آبائه في مقاطعة تريم وما جاورها حتى توفي سنة ٧٤٥ او ٤٢ على خلاف في ذلك حيث قام بالامر بعده أخوه احمد يمثل الدور الذي مثله سلفه في المناوشات والاصطدامات مع اعدائهم

ومن ابرز خصومه قبيلة قارة الصناهجة التي تبعد عن تريم بنحو ١٠ أميال والتي تبادلوا معه الاستيلاء عليها وتم لهم البقاء فيها والنصر عليه وهو معاصر لمولى الدويلة العلوي وقد تنازل آخر امره عن سلطانه لابنه محمد المعاصر للامام عبد الرحمن السقاف وتوفي سنة ٧٦٩

---

(١) البرد النعيم وتاريخ ابن هاشم (٢) وهو يماني الاول كما في المشجر •

وكان يناقسه ابن عمه راصع بن دويس (١) بن يماني الذي تحــرك بعد وفاة محمد هذا مطالبا بالسلطنة ومن جانب آخر يرى عبدالله بن محمد انه احق بها بعدابيه وثارت الحرب بين ابني العم ولكل منهما مؤيــدوه وانصاره . وبدلا من ان يتعاونا على حفظ كيان هــذه السلطنة الصغيرة واصلاحها بدلا من ذلك ضرب كل منهما بما عنده من قوة قوة الاخر حتى ضعفت السلطنة وزالت هيبتها من النفوس وكل منهما يحكم ويرسم ضد الاخر خصوصا فيمن تحت سلطته وقد يتهادنان مؤقتا ثم يعودان الـــى الاشتباك بتأثير بعض القبائل المعادية لهم وفي طليعتها آل كثير الذيــن بدأوا يتجمعون في هذا القرن ويلمون شتاتهم ليكونوا لهم دولة تمسك بزمام الامر في القطر .

ثم تنازل راصع لعبدالله بن محمد بن احمد ليكون الاخير هــــــو السلطان الاول للاسرة اليمانية وبالرغم من نزاع راصع مع عبدالله فــان راصعا لم يقصر في الهجوم والدفاع في سبيل سلطنة آل يماني كلهــــم المعرضة للاخطار فحارب نهدا وابن ثعلب وآل كثير وطبق المثل القائل أنا واخي على ابن عمي وأنا وابن عمي على الاجنبي .

واشهر أبنائه دويس بن راصع الذي اصبح فيما بعد السلطان رقــم واحد في الاسرة ويعد بالنسبة الى سابقيه من سلاطينهم السلطان السابع او الثامن (٢) وهو معاصر لنقيب العلويين الامام عمر المحضار بن عبــــد الرحمن السقاف (٣) وللسلطان عبد الله بن علي الكثيري السلطان الثاني

---

(١) بضم الدال وفتح الواو تصغير دوس ولعله (كدواس) بمعنــى الشجاع والاسد .

(٢) هذا يبنى على عدّ راصع بن دويس سلطانا وعدمه .

(٣) وعاصره كذلك سلطان بن دويس الذي امضى على وثيقة النقابة العلوية كما سيأتي .

لبني كثير وخصمه القوي الذي سجل التاريخ وقائع حربية بينهما في حياتهما أثناء القرن التاسع الهجري ثم بين خلفائهما من الاسرتين وبين كل منهما وبين القبائل التي احترفت السلب والنهب والاجرام والارهاب في القطر الحضرمي الذي لم ينعم اهله بالامن الشامل الا في أواسط هذا القرن الرابع عشر الهجري حين رأت الحكومة البريطانية ان من مصلحتها ان تحقق له هذا الحلم الذي طالما تمنّاه لتأخذ منه اغلى ثمن على ذلك وهو الاستقلال لا حبا في سواد عينيه •

ويقيت كل من السلطنتين في حالة من يمشي ويتعثر ويسقط ويتكسر حتى قضى على سلطنة آل يماني بن بدر بن عبدالله الكثيري ابو طويرق حوالي سنة ٩٢٧ حين هجم عليهم وهم في معقل سلطتهم تريم وآخر سلطان منهم عبدالله بن محمد بن احمد بن سلطان (١)

وقد شردوا الى اليمن وغيرها ولم يبق الا شرذمة منهم وعبيدهم واتباعهم كرعايا محتكمين لال كثير وربما يظهرون لهم العناد فيخضعونهم بالقوة كما ان السلطنة الكثيرية بقيت محتضرة من اوائل القرن الثاني عشر الهجري وسلاطينها في الحقيقة ليس عندهم سوى لقب سلطان وانطبق عليهم قول الشاعر •

اسماء مملكة في غير موضعها

كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

بقيت كذلك حتى قضت نحبها في اواسطه وآخر سلطان رسمي منهم جعفر الخامس بن عمر بن جعفر (٢) وقد كتبنا لكل منهما مشجرا بحسب

---

(١) انظر نسبه في المشجر .

(٢) وجعفر بن عمر هذا هو الاخير المعنى بقول القائل (الدولة الكثيرية اولها جعفر وآخرها جعفر) ولكن جعفر الاول لا يحمل لقب سلطان وانما هو مؤسس من مؤسسيها وهو جعفر بن بدر جد السلطان الاول علي بن عمر بن جعفر لا جعفر آخر من الجعافرة الموجودين في قائمة السلاطين كما يفيد السبر والبحث انظر المشجر .

المصادر التي بين ايدينا لهواة الاطلاع على ذلك .

(مشيخة فرعية لال يماني وسلطنة فرعية لال كثير)

واستطاع بعض البقية البقيـة مـن آل يمانـي ان يحتفظ لنفسه بشخصية ومركز بين القبائل القاطنة بضواحي تريم من آل تميم بحكم ما لابائهم من سلطنة دائرة فاسـسوا لهم سلطة بقسم وامتدت حتى حـدود المهرة ودعى الشيخ الذي يحكم هذه الرقعة بلقب المقدم ، واول من برز منهم في القرن الثالث عشر الهجري عبدالله بن احمد بن يماني الذي ينتهي نسبه الى آخر سلطان من ال يمـاني السابقي الذكر ثم ابنه احمد ثم ابنـه علي ثم ادمجتهم الحكومة البريطانية في السلطنة القسيطية الحاضرة .

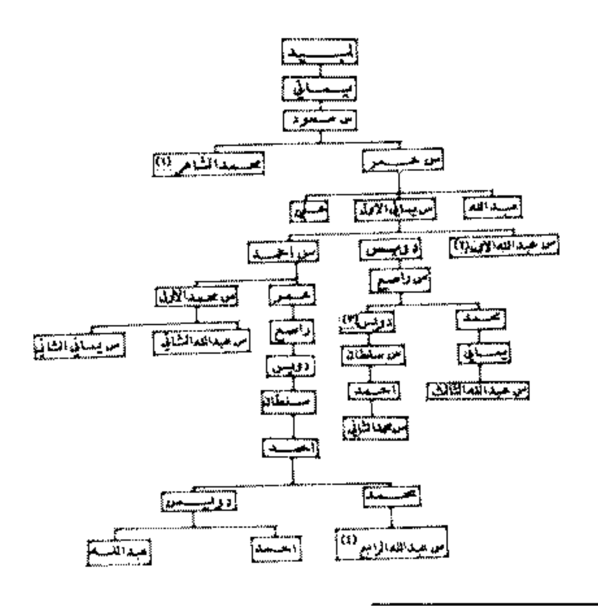
كما ان لسلطنة آل كثير الاولى واقعا مماثلا لسلطنة ال يماني حيث بزغ نجم واحد من الكثيرين دعي بالسلطان جعفر بن علي من احفاد ابـي طويرق حاول في اوائل القرن الثالث عشر الهجري هو وامراء من بعـده احياءها بعد موتها وكان لابد له من اثارة حروب واصطدامات في مواضع من حضرموت الوسطى ولكن ذلك لم يدم طويلا فقد تعذر عليهم بلـوغ مرامهم وبقي اليافعيون وغيرهم ـ متسلطين على البلاد .

(سلسلة البارزين من سلاطين وامراء آل يماني الاولين (١))

وقد رمزنا الى مـن تحققنا توليـه السلطنة بحـرف س ويلاحظ استعمالهم لاسماء خاصة تتكرر في عمود نسبهم وهـذه ظاهرة موجودة في الاسرة المالكة والمتسلطنة منذ بني اميه الى اليوم فهم يغرقون فـي تقليد الاباء حتى في الاسماء المتشابهة .

---

(١) هذا المشجر مستنبط من المراجع التاريخية واهمها البرد النعيم للخطيب وتاريخ شنبل .



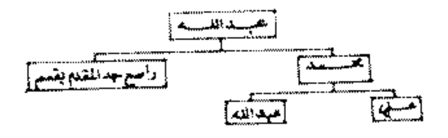
---

(١) غلب عليه الشعر والادب وكانت له فيهما هواية بلغت به الى الاعتذار عن قبول المرض المتواضع بعد أخيه عمر وربما انضمت الى ذلك اسباب اخرى فتولى يماني ابن اخيه عمر .

(٢) لقبه صاحب البرد النعيم بالسلطان العدل ولعله يقصد العادل

(٣) هذا هو الشهير في تاريخ هذه الاسرة اما بنه سلطان فقد اشتهر بالعدل والانصاف ايضا كما يؤخذ من بعض المصادر .

(٤) هذا هو آخر من تولى السلطنة منهم بتريم واليه ينتمي الموجودون بقسم من آل يماني نجدهم يماني بن راصع بن عبدالله المشار اليه وذكر في البرد النعيم اربعة من بنيه واحفاده ويمكن الحاقهم بالمشجر المختص بالاسرة قبل انتهاء دورها كما يلي .



السلاطين الكثيريون ونظام حكمهم

ينتمي آل كثير الى كثير بن ظنة الى قبيلة سبأ القحطانية لا الى همدان القحطانية كما يظن البعض (١)

وقد يسبق الى الذهن ان السلاطين الكثيرين يتولون عرش السلطنة واحدا بعد واحد ككثير من ملوك وسلاطين وشيوخ في البلاد العربية ولكن الواقع التاريخي بالنسبة للسلطنة الكثيرية في معظم عمرها هو اقتسام جزء واحد او اجزاء من حضرموت بين عدد من السلاطين كل منهم يرى نفسه ندا للاخر وان صادف احيانا ان يكونوا اخوة يساعد الاصغر منهم الاكبر في ادارة بعض البلاد لكن ليس معنى هذا ان منزلته ــ منزلة الامير من الملك بل انه يرى نفسه ندا له وكفؤا لان يجلس على كرسي السلطنة لو ارادها كما جلس عليها ذلك الاخر بدون ان يفكر في شرعية السلطنة وعدمها وبدون ان يفكر اتباعه من غوغائين في ذلك .

فمنذ عهد السلطان الثاني للسلاطين الكثيرين وهو عبدالله بن علي

---

(١) المشهور هو الاول وهو انهم ظنيون سبايون كما ذكرته بعض المراجع ومنها تاريخ ابن هاشم ولكن في رسالة الانساب للعلامة احمد بن حسن العطاس ما يفيد الثاني

بن عمر لان اباء علي بن عمــر المتوفي سنــة ٨٢٥ اول سلطــان كثيري بحضرموت بعد التمهيد لعرشه من قبيلته طبق ما مر في القريب منذ عهد السلطان الثاني نجد احد اخوته وهو محمد يحكم مستقلا ويتسلطن على ظفار وهو أي عبدالله سلطان حضرموت، ونجد السلطان الكثيري السادس وهو بدر بن عبد الله بن علي بن عمر يناوئه ابن اخيه بدر بن محمد بن عبدالله ويتسلطن في ناحية اخرى له حتى قتل العم ابن اخيه بسيون سنة ٨٥٨ وفي زمنه يحكم بور مستقلا سلطان آخر وهو جعفر بن عبدالله بن علي بن عمر وهو اخو بدر فيما يظهر •

ومثل آخر السلطان بدر ابو طويرق نجــد لــه اندادا من افــراد السلاطين يناوؤنه ؛ فقد استقل دونه السلطان على بن عمر بن جعفــر سلطان شبام كما حدث نزاع مرير بينه وبين اخيه محمد بــن عبداللــه سلطان ظفار وبينه وبين المحمدين بالتثنية وهما محمد بن بدر ومحمد بن عبدالله بن محمد الكثيريان وهكذا أولاد واحفاد بدر فيما بعد (١) •

ومن هنا نعرف انه ينقص هذه السلطنة الوئام تحت راية سلطــان واحد يطيعه الجميع ويخضعون لاوامره وينقصها نظام مقرر لولايـــة العهد كما ينقص اكثر سلاطين حضرموت وغيرها من ولايات الجنوب •

الاستاذ ابن هاشم وتاريخ السلطنة الكثيرية

وقد عد الاستاذ محمد بن هاشم بن طاهر العلوي رحمه الله فــي

---

(١) تشبه ـــ من هذه الناحية ـــ الدولة الايوبية بعد صلاح الديــــن الايوبي الشهير المتوفي سنة ٥٩٨ هـ حين تقاسم من بعده رجال اسرتــــه المملكة في الشام وغيرها واصبحوا كما قال القائل :

وتفرقوا شيعا فكـل مدينة   فيها امير المؤمنين ومنبر

وكانت النتيجة الحتمية الزوال السريع للدولة الأيوبية .

الجزء الأول من كتابه المسمى تاريخ الدولة الكثيرية (١) أسماء عشرات من السلاطين على حساب السلطنة ، ولكننا إذا دققنا النظر رأينا بعض الأسماء التي ذكرها لم يتحقق أصحابها بهذا اللقب ـ وإن كان لا يحسد عليه أحد ـ لعدم اتصافها به بمقتضى واقع التاريخ ، كبدر بن علي بن عمر ، وقد جعله السلطان (رقم ثلاثة) وكمحمد بن علي بن عمر الذي عدّه السلطان (الرابع عشر) مع أنه لم يتأكد توليته السلطنة (٢) وكبدر بن علي بن عبدالله ، وقد جعله السلطان (رقم واحد وثلاثين) مع حصر الاهتمام بالناحية السياسية ، وإغفال النواحي الاجتماعية الأخرى ، وهذه ظاهرة موجودة مع الأسف في معظم مؤلفات المؤرخين الحضارمة السابقين واللاحقين .

نماذج لسلاطين آل كثير :

كتبنا عن أفراد من السلاطين الكثيريين بما تميزوا به عن الآخرين فكانوا بارزين أكثر ، وتغير بذلك شيء من مجرى التاريخ ، بينما نرى

---

(١) من المؤسف أني لم أتمكن من مطالعة هذا الكتاب مطالعة دقيقة في حياة أستاذنا بن هاشم حتى أتمكن من البحث معه بحثاً مستوفى حول ملاحظات كثيرة عليه ، ولكنني في مناسبات عابرة ذكرت له ـ بلّ الله ثراه ـ ، بعض الأخطاء التاريخية فيه فوافقني على وجوب تصحيحها . وكان يود أن يؤلف الجزء الثاني ، وكتب بضعة دفاتر صغيرة منه ، وأدركه كف البصر والشيخوخة . فلم يتمكن من عمل شيء آخر ، وبقيت الدفاتر عند حفيده رحمة الله عليه .

(٢) واستشهاده بما جاء في الغرر لخرد . يظهر أنه خطأ ؛ لان الكلام منصبٌ على محمد بن علي بن عمر ، السلطان الرابع المتوفى سنة ٨٣٥ ه المعاصر لعمر بن عبد الرحمن المحضار المتوفى سنة ٨٣٢ ه صاحب الحكاية التي رواها له خرد ، لا محمد بن علي المشار إليه في المتن . وبالنسبة لهذه التعليقة وما في الصفحة التالية .. أنظر صفحة ٢٢ وصفحة ٥٨ من تاريخ ابن هاشم ، وقد أوضحت ذلك في محاضرتي تحت عنوان (علماء حضرموت والسياسة) .

البقية لا يتجاوزون الحدود الضيقة التي تنطبق على معظم السلاطين الحضرميين الذي أمضوا عهودهم في النزاع المسلح مع خصومهم ، وفي حياة قبلية ضيقة . فمن أولئك البارزين (بدر أبو طويرق) .

بدر أبو طويرق (١) يمثل الطراز الأول للحاكم الحضرمي.

وبدر أبو طويرق هو تاسع سلطان كثيري بالتحقيق ، وإن أخطأ بعض المؤرخين (٢) فعده الحادي عشر .

هذا السلطان هو مثل الطراز الأول للحاكم الحضرمي في السياسة والجندية والتقاليد الحضرمية والتمسك بآداب الدين وحسن الظن بالأولياء والصالحين ، وهكذا هذه الصفات لا يخلو عنها حكام حضرموت في هذا الدور ، وإن تفاوتوا في وفرتها وقلتها .

فتاريخه شهد له بالتفوق في السياسة داخلاً وخارجاً ، فهو يكاتب الدولة العثمانية والحكومة الزيدية في عصره مكاتبة السياسي الكبير والدبلوماسي الخطير بالنسبة لذلك العهد ، وقد اعطته الدولة العلية (فرمان) مرسوماً بتوليته على حضرموت ، من باب عدن إلى نهاية ظفار ، ولكن مفعول ذلك لم يدم لاتساع أقاليم الدولة العلية ولصعوبة المواصلات بينها وبين حضرموت ، فلم تهتم به كما يجب .

وفي القيادة العسكرية يعد أكبر قائد حضرمي سواء من ناحية وضع الخطط أم في مباشرة الجلاد والفروسية ، وقد جلب له ضباطا من

---

(١) اشتهر بهذا اللقب لأنه طرق معظم أراضي حضرموت فاتحاً ، ومستولياً وطويرق تصغير طارق ، وقد يكون للتكبير كقوله : « دويهية تصفر منها الأنامل » .

(٢) هو الأستاذ محمد بن هاشم في كتابه المسمى (تاريخ الدولة الكثيرية) لأن الواقع أن من تقدمه من السلاطين الرسميين هم ثمانية .. وقد أدرج بينهم بدر بن علي ومحمد ابن علي وهما ليسا سلطانين وإنما هما أميران ينفذان أوامر من عاصرا من السلاطين .

الأتراك وجيشا صغيرا خاصا منهم مجهزا بالبندقيات التي لا عهد للحضارمة بها وكان للجيش والسلاح الجديدين أكبر الأثر في انتصاره واضعاف معنوية خصومه ولكنهما لم يلبثا ان اصبحا عاديين وانتشر السلاح الجديد بين القبائل ، ويظهر أن الجيش التركي لم تدم ميزته وسطوته التي انشيء لها ثم انحل فيما بعد .

البرتغاليون وبدر

وقد دحر البرتغال في عدة مواقع من حضرموت اهمها موقعة ٥ رمضان سنة ٩٤٢ هـ اذ هجموا على الشحر وهو بها ونزلوا الى البر ودارت معركتان برية وبحرية وفي كلتيهما انتصر السلطان واسر منهم نحوا من سبعين رجلا واستولى على سفنهم وعددها اربع عشرة سفينة او اكثر وارسل بعض الاسرى الى الدولة العلية الاسلامية التي ما برحت دوما في جهاد ضد هؤلاء البرتغاليين الذين يعدون اكبر دولة غربية يجوب اسطولها عرض البحر العربي وبحر الهند في ذلك العهد تمهيدا للتجارة فالاستعمار ، اما بقية الاسرى فقد قتل بعضهم واستبقى البعض الاخر وقتلهم اخيرا بعد ان راى منهم ما لا يسر ويقال ان ذلك بعد سهرة نادمهم فيها (١) .

---

(١) انظر التفاصيل في تاريخ الطيب بافقيه وتاريخ ابن هاشم . ويظهر ان البرتغاليين كرروا اعتداءاتهم على السواحل الحضرمية الى اواخر القرن الحادي عشر ويقول عالم حضرمي كتب مقالا للامير شكيب ارسلاني في الجزء الثالث من تعاليق حاضر العالم الاسلامي — وهو باشراف العلامه علوي بن طاهر الحداد — انه نودي للنفير العام لجهادهم سنة ١٠٩٧ واجاب اليه كثير من المجاهدين من العلويين وغيرهم وقد منحهم الله النصر فهزموا البرتغال بعد ان احتلوا الشحر سنة وبضعة اشهر وقد استشهد بتلك المعارك عدة من العلويين منهم السيد عبدالله بن محمد السقاف ويقول ان الحضارمة تدربوا على قتال البحر لكثرة اسفارهم في البحر ←

ومن المعارك الشهيرة قبلها بين البرتغاليين والحضارمة في عهد ابي طويرق موقعه فجر الجمعة ٩ـ٤ سنة ٩٢٩ فقد ارست ١٤ سفينةبرتغالية في ميناء الشحر ونزل منها الجيش البرتغالي وعـاث في الشحر فسـادا بالنهب والسلب والحرب ، وقد قاتلهم السكان واستشهد منهم الشيخ العلامة احمد الشهيد بافضل وكثيرون من اعيان وجمهور الشحر وبعد يومين اقلعوا الى سواحل الهند (١) •

اسطول حضرمي

وكون ابو طويرق اسطولا اوشيد اسطولا حضرميا حربيا وتجاريا من سفنه القديمة ومن السفن التي غنمها من البرتغال للعمليات الحربية فيما بين سواحل حضرموت وعدن وغيرها وللعمليات التجارية فيما بينها وبين سواحل الهند وشرق افريقية كغيرها من السفن الاهلية (٢) وقد سبقه الى اتخاذ جملة من المراكب التي تجوب هذه السواحل وتنظم شبه الاسطول التجاري فيها الامير محمد بن سعيد بادجانه الكندي الشهير المتوفي في نهاية القرن التاسع الهجري بعد توليه على الشحر وحيريج وغيرهما من سواحل حضرموت وتاريخه معروف (٣) ووالدته من ابرز الحضرميات الشهيرات بالدهاء وقوة الشخصية والشجاعة وتدبير الامور

الهندي ولمصادمات سفنهم لسفن البرتغال فيه ويقول ان اهل الفقه والعلم يتسابقون للجهاد اذا وصلهم الصريخ من الساحل يتبعهم العامة فيرابطون فيه حتى تنصرف اساطيل العدو .

(١) انظر التفاصيل في تاريخ الطيب بافقيه وصلة الاهل

(٢) ممن عرف بامتلاك بعض السفن التجارية الامام شيخ بن عبدالله العيدروس ساكن احمد اباد بالهند ومؤلف العقد النبوي وغيره ممن تدلنا عليهم بعض المراجع كالنور السافر .

(٣) انظر الشامل وغيره

عصر بدر وبلاطه

وكان عصر بدر ازهر عصور السلطنات الحضرمية ويعد العصر الذهبي لها فقد اخصب باكابر العلماء والفقهاء والادباء والمؤرخين وباعاظم الصوفية كالامام احمد باجحدب نقيب العلويين والعلامة الكبير الفقيه الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمه وابيه عمر بن عبدالله واخيه المؤرخ الطيب بن عبدالله بامخرمه والشيخ معروف باجمال واحمد بن الحسين العيدروس (١) والشيخ ابو بكر بن سالم وابن عبسين والشيخ علي بايزيد ومن هؤلاء من يعارض بدرا في سياسته كالشيخين عمر بن عبدالله بامخرمه ومعروف باجمال وقد عاقب الاول بالنفي الى الشحر والثاني بربط حبل في عنقه والطواف به في ازقة شبام وذلك لان كلا منهما يبذل مجهودا سياسيا عظيما في الدفاع عن بلده واستقلالها عن سلطة بدر ، بيقائها في ادارة اهلها وبلد بامخرمه هي الهجرين وبلد باجمال شبام ، وقد يجتمع في بلاطه عدد من امثال هؤلاء الاعيان فتنشد فيه الاشعار وتعرض المسائل العلمية للمناقشة ، وتبحث المسائل السياسية وكان المخصص لها من بين هؤلاء العلماء الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمه فهو وزيره المقرب ومستشاره المحبب وقاضيه المدرب .

مدرسته وحلته

ولبدر مدرسة كبرى وجعلها مسجدا عامرا في نفس الوقت بالشحر حبس عليها اموالا كثيرة وعين لها مدرسين اكفاء وذكروا من بينهم اسم الشيخ العلامة على بن علي بايزيد وانه بمثابة مدير لها وانها تقصد

---

(١) وليس الشيخ ابابكر العيدروس العدني وقد اخطا من قرنه بهؤلاء لان وفاته سنة ٩١٤ هـ من قبل سلطنة بدر المولود سنة ٩٠٢ هـ كما ان عبد الصمد باكثير الشاعر انما ظهر بعد سلطنة بدر بكثير وقد لاحظت هذا على باوزير في صفحاته .

للاستفتاء والتعلم وكان تأسيسها سنة ٩٥٩ هـ ولم تزل باقية الى اليوم لاداء الصلوات .

اما العملة فقد ضربها في شكل ريالات من الفضة فئة الريال وفئة نصف الريال وفئة ربع الريال وللريال اجزاؤه النحاسية وحدتها بقشه يتألف من ثمانين منها وذلك سنة ٩٣٤ هـ وسنة ٩٤٢ هـ (١) ويظهر ان الريال اوقيه (اونس) وتستعمل فيها الدنانير العباسية والدراهم العباسية ايضا والرسولية (٢)

آخر حياة بدر ووفاته

امضى السلطان بدر ابو طويرق حياة حافلة بجلائل الاعمال كما عددنا الكثير منها ولم تمكنه مشاغله السياسية والحربية من القيام بمجهودات كبيرة في النواحي الثقافية والعمرانية بمقتضى ما عرف عنه من الطموح وبعد الهمة ولكنه مع هذا يعد اقوى وابرز سلطان عرفته حضرموت في الجملة .

ولسوء الحظ كانت له تصرفات في آخر عهده عدت محل انتقاد من اسرته واقرب المقربين اليه ولعل المجهود العقلي والجسدي الذي يبذله هذا السلطان من عنفوان شبابه الى نهاية شيخوخته هو السبب فيما يذكره المؤرخون اجمالا عنه من تلك التصرفات ولم يجسر سوى ابنه عبدالله في القاء القبض عليه بسيوون بتقدم جماعة اعدهم لذلك وبقي في الاعتقال نحوا من عشرين شهرا وتوفي سنة ٩٧٧ هـ وكانت مدة

---

(١) صرح الطيب بافقيه في تاريخه بان صدور الامر من بدر بضرب الفلوس في الشحر وبالتعامل فيها سنة ٩٣٤ هـ اما السنتان الاخريان فمن تاريخ ابن هاشم .

(٢) سيأتي الكلام عن العملات المتاخرة فيما بعد .

سلطنته نحوا من نصف قرن ومدة عمره نحوا من خمسة وسبعين عاما رحمه الله •

الفرسان الثلاثة

ان فرسان النصف الاول من القرن التاسع الهجري في ميدان السياسة والحرب هم : بدر بن عبدالله بن جعفر ابو طويرق السلطان الرسمي للسلطنة الكثيرية وعاصمته سيون وقد مر ذكره آنفا •

وعثمان بن احمد العمودي زعيم الاسرة العمودية وقصبة سلطنته بضه بوادي دوعن •

وعلي بن عمر بن جعفر الكثيري احد كبار الامراء الكثيريين وقد استقل بسلطنة شبام وعزلها عن السلطنة الكثيرية مدة من الزمن وحارب ابا طويرق وصالحه ثم تعكر الصفو بينهما واخيرا القي عليه القبض ابو طويرق وسجنه •

ان الفارس المجلي في هؤلاء الثلاثة هو ابو طويرق ويليه الشيخ عثمان ثم علي بن عمر الكثيري ومن المؤسف ان يكون للتصادم الموجود بين هؤلاء الثلاثة اثره الكبير في اضطراب حبل الامن في جميع القطر الحضرمي من اعلاه الى اسفله وفشل المساعي في ايجاد نوع من انواع السلم الدائم بين هؤلاء ومن ينحاز الى كل منهم من رؤساء المشائر وزعماء القبائل ، وان استطاع بدر ان يتغلب على علي بن عمر في النهاية سنة ٩٥٨ هـ بعد حروب طالت بينهما في المنطقة الوسطى بين هينن وسيون فانه لم يستطع ان يتغلب على عثمان العمودي الذي دامت الحروب بينهما سجالا متخذين من دوعن وحضرموت الوسطى والساحل ميادين لهما نحو عقدين من السنين يصطلحان فيهما مؤقتا ثم يستأنفان القتال •

ومما يستحق الذكر ان ابا طويرق استعان في تثبيت ملكه بقوة وخلافة الحكومة التركية بالقسطنطينية والسعودي استعان بقوة وأماسة الائمة الزيدية باليمن لتقوية مركزه فكونا جبهتين متضادتين جعلتهما يتحققان ان الصلح النهائي في صالح الطرفين فعقداه سنة ٩٥٦ وبقي كل منهما بعده في موضعه لا يتعرض للاخر .

السلطان المتصوف

وهذا هو السلطان علي بن عمر بن جعفر المشار اليه فهو اكبر منافس كثيري لابن عمه ابي طويرق كما مر فقد أقام له سلطنة بشبام والغريب انه أقام دعائمها على ماليته الخاصة بعد انهجم عليها باتباعه وادخلها في حوزته ؛ وشخصيته . شخصية اقتصادية عملية ذكروا انه احيانا يباشر الاعمال اليدوية بنفسه وانه كون له ثروة من النخيل والمزارع ينفق منها على خزينة دولته المتواضعة بشبام فرارا من فرض الضرائب على سكانها وانه تغلب عليه الروح الصوفية والعلمية ولديه اصدقاء ومستشارون من نوعه اكبرهم الشيخ معروف باجمال وكانهم يحاولون تطبيق نظام دولة عادلة تشتمل على شعب متصوف قنوع على رأسه هذا السلطان الخيّر المحبوب .

ونحن حين ننظر الى هذا الاجراء المالي الذي اتخذه لا نستطيع الا ان نحمل ذلك على انه اجراء مؤقت حتى تستتب الامور وترتب مالية الحكومة بما يضمن لها البقاء على ان مذهب الشافعي الذي هو المذهب الرسمي لهذا السلطان ولمن قبله ومن بعده لا يقول بلزوم هذا وانما يقول بسن نظام يشمل القادرين (المياسير) من ابناء الشعب لتموين الدولة بحيث يكفل لها الحياة الشريفة المتقدمة بطريقة عادله مضبوطه

لا ان من اصحابه من يفرضها على حساب الرؤوس (الافراد) ومنهم من يفرضها على حساب مقدار الثروة (١) وقد انتصر عليه بدر في النهاية .

السلطان الذي خلع نفسه

وهذا هو السلطان عبدالله بن عمر بن ابي طويرق الذي تولى بعد ابيه سنة ١٠٢١ وبدافع من تقواه واستقامته اهتم كثيرا بالاصلاحات ومعاقبة الاشرار والقبض بيد من حديد على السلطة ولكنه كان دائم التفكير في التخلص من هذه السلطة التي ليست له هواية في الاستمرار فيها وقد تأثر بما يقرأه ويسمعه ويشاهده عن علماء واولياء عصره ، فقرر في النهاية ان يلتجأ الى الامام الحسين بن الشيخ ابي بكر بن سالم تائبا نادما على ما مضى منه من بعض المظالم التي قل ان يخلو منها حاكم وجاءه متنكرا الى عينات في قصة مثيرة تدافعا فيها الولاية السلطان يخلع نفسه ويولي الامامالحسين والاخير يحتقرها ولايرضاها حتى لاصغر خدامه ومريديه واخيرا يشير عليه بان يولي اخاه بدرا وهكذا يزهد السلطان الحضرمي في الملك والعظمة كما زهد الكثير من قبله امثال احمد بن الرشيد العباسي وابراهيم بن ادهم فكان الجميع من المنشغلين بالزهد والعبادة الخاصة ، واذا كان في زهد هذا السلطان وانخلاعه عن الملك راحة ونجاة له وفي صالحه الشخصي فانه لم يكن في صالح شعبه وبلده لان النتيجة كانت بعد فتنة وحربا اهلية بين ابنه واخيه بدر الذي ما لبث ان ضيق على ابناء اخيه المستقبل واستعان اخوه فيها بالزيدية واستعان ابنه بالجيش اليافعي الحضرمي ، وكانت النهاية ضعف السلطنة الكثيرية ، وتنصيب سلاطينها رموزا والسلطة الحقيقية بيد اكابر العسكر

---

(١) انظر فتاوى ابن حجر في الموضوع .

المجلوبين من يافع والمتوطنين بحضرموت فيما بعد حتى تلاشت في النهاية فمثلوا دور الاتراك مع الدولة العباسية كما يمثل الصغير دور الكبير ٠

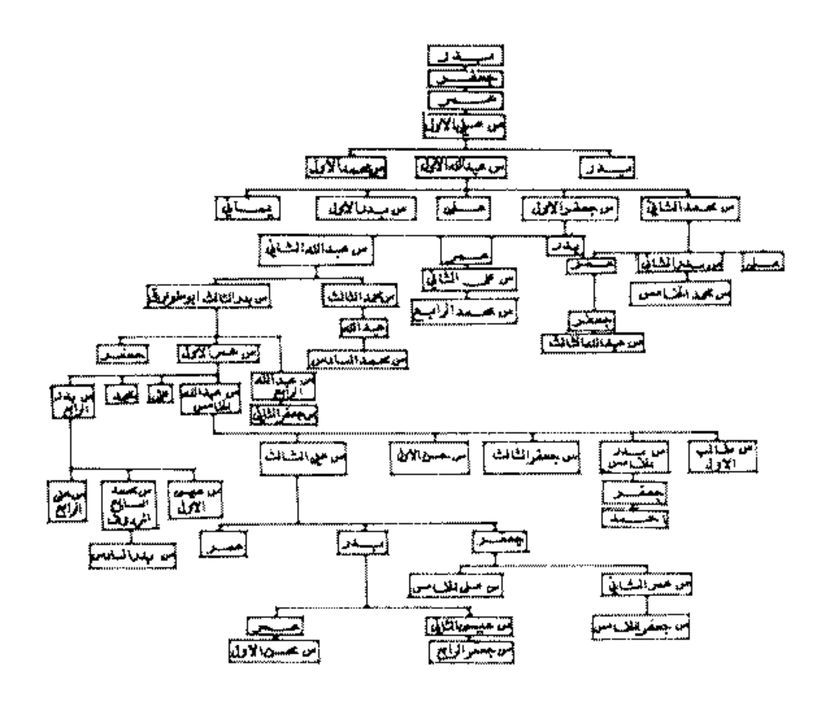
اما والده عمر بن بدر ابي طويرق فهو ممدوح الشاعر الشهير عبد الصمد باكثير الذي قال فيه القصائد الطنانة وتفنن بها في مديحه الذي قال بعض المؤرخين انه صادف اهله لاتصاف السلطان عمر هذا بالشجاعة والسماحة والعدالة (١) ٠

---

(١) انظر ترجمته في النور السافر وفي تاريخ ابن هاشم ، وفي آل كثير غيره ممن اضاف الى السياسة العلم والادب والتصوف ومن تجرد لبعض دون بعض ٠

مشجر (١)

للسلاطين والأمراء الكثيريين في هذا الدور وقد رمزنا لكل سلطان بحرف (س)



(١) اخذنا هذا المشجر من عدة مراجع أهمها تاريخ شنبل وتاريخ ابن هاشم ويلاحظ تكرر الاسماء كما يوجد في الكثير من العائلات السلطانية والاميرية والملكية وكان هذه الظاهرة متغلبة على هذه العائلات حبا في تخليد الاسماء المتوارثة بينهم وتقليدا درجوا عليه وليس ترتيبهم في السلطنة كترتيبهم في النسب قربا وبعدا كما تتضح في المشجر .

تنازع البقاء بين السلطنتين

من الطبيعي ان تستمر الاشتباكات والمعارك الحربية بين رجال السلطنتين الكثيرية الجديدة واليمانية القديمة حتى تتغلب احداهما وتمحو الاخرى من الوجود ولكن هذا النزاع دام طويلا وكان له اثره على تقدم القطر واهله حين توجه كل منهما طاقاتها وقواها وتستنفذها ضد الاخرى واستمر هذا الحال على هذا المنوال زهاء قرن وربع القرن تدور الحرب بينهما سجالا في المعارك الاولى واكثرها في منطقة تريم عاصمة السلطنة اليمانية ولكن الوقائع الاخيرة كانت الغلبة فيها للسلطنة الكثيرية الجديدة واخيرا استطاع السلطان بدر ابو طويرق ان يقضي على سلطنة آل يماني سنة ٩٢٧ هـ وسنسرد اهم الوقائع الشهيرة بين السلطانين المتعاصرين من هاتين السلطنتين .

معركة بين سلطانين داخل تريم

في سنة ٨٣٥ هـ هاجم السلطان الكثيري عبدالله بن علي السلطان اليماني دويس بن راصع بن يماني في تريم وكانت قد اظهرت لآل كثير الاستسلام حين تشتت شمل اليمانيين ونشبت بين الطرفين معركة عنيفة داخل تريم حين اوغل فيها الكثيري يقود مائتي فارس (١) وخمسمائة راجل من جنوده وقابله السلطان ابن يماني بدوره بجنوده واستحر القتل بينهم في قلب البلد وفي ساحة الجامع وفي الشوارع

---

(١) انظر تاريخ شنبل وتاريخ ابن هاشم ويلاحظ وجود غلطة مطبعية فيه حين قال مائتي الف فالالف زائدة .

والازقة ويظهر ان آل يماني داهموا دفاع المستميت لما كان الغزو في عقر دارهم وقتلوا جماعة من اعيان الكثيريين منهم بدر اخو السلطان المشار اليه وشنفر الكثيري (١) واضطرب الاهالي وبلغت القلوب الحناجر لهول المجزرة ومع هذا لم يتم اخضاع تريم اخضاعا عاما فقد شخص السلطان الكثيري عنها لمحاربة بعض اعدائه بظفار ٠

وعادت الحرب بينهما سنة ٨٤٢ هـ اذ اعلنها دويس نفسه من تريم ضد خصمه المشار اليه فخرج اليه من ظفار وحاول حصرها وتضييق الخناق عليها ببناء المعاقل ـ ومنها حصن العز المعروف جنوب تريم ـ ولكن لم تستسلم فاضطر آل كثير الى القفول والتخلي عنها ٠

موقعة ثالثة

وفي سنة ٨٤٥ هاجم آل يماني يقدمهم ابناء السلطان دويس راصع ومعهم آل احمد والتميرات وال ثعلب وبعض آل كثير انفسهم وهذه كلها قبائل حضرمية متحضرة تسكن داخل حضرموت هاجموا السلطان محمد بن عبدالله الكثيري وقاموا بتخريب كثير اقيمت بينهم هدنة لمدة شهرين على اثر انتهائها حاصر السلطان الكثيري تريم واخرج منها ابناء دويس بن راصع وهذا الحصار امتداد لهذه الموقعة وهدأت الاحوال نحو عقد من السنين ٠

موقعة رابعة وخامسة

وبدأت المناوشات بين الفريقين المتحاربين سنة ٨٥٤ هـ وكانت

---

(١) ترى هل ينتسب الشنافر لشنفر هذا ام لشنفر آخر والشنافر قبائل معروفة وهم آل كثير والعوامر وآل باجرى وقد عضدوا السلطنة الكثيرية الحالية عسكريا ابان قيامها وآل جابر منهم ايضا .

جموع اليمانيين كثيفة هذه المرة وانضم الى ابناء دويس راصع بن يماني مشتركا في القيادة معهم ومن ابرز حلفائهم قبيلة الصبرات الشهيرة وقبيلة الظلفان عدوة آل كثير التقليدية .

اما السلطان محمد الكثيري المشار اليه فقد ارسل اليهم جيشا بقيادة ابنه علي وكاد ان يلتحم بينهم القتال في المنطقة الممتدة ما بين سيون غربا والى عينات وقسم شرقا لولا ان تدخل المصلحون من اهل الوجاهة بينهم وعقدوا هدنة لمدة سنة قالوا ان اهل المسفلة ويعنون بالمسفلة المكان الاسفل من الوادي او ما يرادف حدراء وهوما أنحدر من الوادي قالوا ان اهل المسفلة أي اليمانيين ومن لف لفهم هم الذين خرقوا اتفاقية الهدنة ونشبت الحرب من جديد بين الطرفين في المنطقة وحدث التخريب في البلاد والرعب بين العباد حتى انتصر الكثيرون وهزموا اعداءهم من مواقعهم وفي اثناء ذلك توفي السلطان محمد فتشجع اليمانيون على استئناف الهجوم وخلف السلطان الكثيري اخوه بدر ليقوم بالدفاع عن السلطنة وليطارد عدوه هو بنفسه وكان ان التقى به في الموقعة الشهيرة بواقعة باجلحبان (١) حيث يتسع ذلك السهل للمعارك الحربية وقد وجد الفريقان فيه ميدانا صالحا لابداء ما في مقدرتهم من فنون القتال والصدام ولكن رجحت كفة الكثيريين اذ استطاعوا ان يقضوا على خصومهم ومن ابرز من قضوا عليهم راصع بن دويس وراصع بن يماني وعمر بن جسار وكان يسوم بيوم تريم الاول الذي رجحت كفة اليمانيين فيه واصلح بينهم بعد اشهر الامام عبدالله العيدروس العلوي وقد اخطأ البعض (٢) حيث نسب الصلح التالي لهذه الموقعة الى والده الامام السكران لان السكران توفي سنة ٨٢١

---

(١) موضع معروف يبعد عن تريم ٣ اميال .

(٢) هو الاستاذ ابن هاشم في تاريخه .

والمحضار توفي سنة ٨٣٣ (١) فكيف يمكن ان يتم هذا الصلح على يد احدهما ولكن المحقق هو صلح العيدروس الذي اشرنا اليه ولم يعرف هل هو صلح الغدير نفسه أم لا ؟ وهل تم صلح الغدير على يد العيدروس الذي اشرنا اليه ولكن من المحقق انه لم يتم على يد ابيه كما يظن البعض المشار اليه ولا على يد عمه لما ذكرناه .

هذه نماذج للوقائع والحروب المستمرة بين السلطتين فيما بينهما وفيما بين كل منهما وبين القبائل الاخرى شأن اسلافهم الماضين .

وهناك في أعلى حضرموت وفي سواحلها يمثل نفس هذا الدور بين قبائل وأمراء يتطاحنون على السلطنة والنهب وبذلك لا تنفك حضرموت ــ كل حضرموت ــ عن ان تكون كالمرجل تفور وتغلي بالفتن والقلاقل حتى عهد قريب وهو ما يقرب ربع القرن من الزمن .

ظواهر تقليدية في معظم سلاطين حضرموت

منزلة بين المنزلتين

وسلاطين حضرموت الا النادر منهم سواء في هذا الدور ام في الادوار السابقة واللاحقة في درجة بين الدرجتين ومنزلة بين المنزلتين فهم أقل شأنا من الملوك واصحاب الابهة والارستقراطية واكبر شأنا

---

(١) انظر المشرع وغيره والمحضار والسكران اخوان والعيدروس هو ابن السكران ووالد ابي بكر العدني المتوفي بعدن سنة ٩١٤ هـ وهؤلاء ائمة علويون معتقدون وشهيرون في الاوساط الحضرمية وغيرها انظر تراجمهم في الكتب المختصة وربما تأتي معلومات عن اصلاحاتهم العامة عند المناسبة .

من شيوخ القبائل واصحاب الرئاسة والسيادة في عشائرهم وقبائلهم وفيهم صفات واخلاق متناقضة فأكثرهم لا يتورعون عن سفك دماء الابرياء وعن الاستبداد والاقطاعية وفرض الغرامات والضرائب بدون مساواة ولا عدالة بينما هم يتظاهرون بتقديسهم للشريعة المحمدية الغراء ويتمسكون باحترام رجال الصلاح والتقوى والعلم ولهم عقيدة طيبة وحسن ظن كبير فيهم خصوصا في كبراء العلويين ولكنهم مع هذا لا يلقون بالا لارشاداتهم ونصائحهم وتوجيهاتهم اذا لم تصادف هوى في نفوسهم الا اذا خافوا هياج الرأي العام ضدهم او اذا اضطرتهم بعض المواقف الحربية أو الظروف العصبية الى ذلك وأكثر ما يكون في عقد الصلح أو الهدنة فيما بينهم وبين خصومهم •

ومن امثلة ذلك استشارة بدر بن عبدالله بن عمر بن ابي طويرق للامام عمر العطاس في قتال الزيدية لما بدأوا في اكتساح حضرموت فأشار عليه بأن لا يقاتلهم قائلا انهم سيل ليل ولكنه جامله في مجلسه وخالفه بعد خروجه عنه وقاتلهم فكانت النتيجة انكسار جيش السلطان وطلبه الامان من الامام فأمنه وتولى عمه بدر بن عمر صديقهم على حضرموت وانحسر عنها الزيود وانتهت الفتنة بين البدرين •

ومعظمهم ايضا متمسك بأداء الواجبات والسنن الدينية وملازمة الجماعة وحضور المجالس الخيرية والوعظية تقليدا لبيئته بدون ان يتأثر بها الى درجة الاقلاع عن الظلم والشعور بالتبعة (المسئولية) الخطيرة الملقاة على عاتقه وبذل الجهود الجبارة في الاصلاحات الدمة فهم كما قال الله « خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا » •

ومنها اهمال نظام ولاية العهد في الاسر السلطانية فيتركون ذلك في الغالب للصدف والمقادير ولهذا نجد كثيرا من أولئك السلاطين اول ما يفكر حين يجلس على عرش السلطنة فيمن حواليه من منافسيه عليها

وهم أفراد اسرته من اخوة وأعمام وابنائهم وينظر اليهم نظرة الاسد الى الفريسة ولا يهدأ لـه بال حتى يلقى القبض على منافسه ونجد في هاتين السلطنتين أمثلة كثيرة متكررة على ذلك ، شأن كثير من الاسر المالكة قديما وحديثا .

أما المشيخة القبلية او التقدمة على القبيلة ويقال لصاحبها مقدم فانها تقع بالترشيح ثم التعيين في مجلس رسمي يعقد لذلك يتفق عقلاء القبيلة واعيانها على شخص فيولونه اياها ولكنها تختص احيانا ببيت من البيوتات او بأفضلية السن ومثل هذا يجري بالضبط في تولية المنصب، والمنصب بمعنى ذي المنصب أي المقام الاصلاحي الذي اسسه جده وسيأتي الكلام عنه .

الحياة الثقافية بأنواعها في هذا الدور

قد اسلفت الكلام في الجزء الاول من هذا الكتاب عن الناحية الثقافية في الادوار السابقة وذكرت عن رجال الثقافة والمعارف في الدور الراشدي السابق على هذا الدور انه يغلب عليهم روح العلم والشرع اكثر من روح التصوف(١)عكس هؤلاء الذين يتوسعون أيضا في التفسير والحديث وعلومه وفي فقه الشافعي وفي العلوم العربية بأنواعها والعلوم العقلية والكونية الى درجة عالية جدا لا يقلون فيها عن مستوى اخوانهم من نوابغ الاقطار العربية والاسلامية الاخرى (٢) ومن نوابغهم في

---

(١) انظر صفحة ١٨٣ من الجزء الاول من هذا الكتاب طبع دار الكتب ببيروت .

(٢) وحتى علم الحرف « وهو علم الطلاسم والعزائم والاوفاق وهو علم مستقل له قواعده وكتبه ورجاله كالبوني وابن سبعين » في علماء حضرموت من يعرفه وترجم لبعض هؤلاء في المشرع وغيره والكلام حول تاثير هذا الفن وعدمه يطول وليس هذا محله .

الهندسة والفلك العيدروس الاكبر وعبدالله بن عمر بامخرمة الى نبوغه الفقهي ومؤلف المشرع ووالده والامام عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه وفي التصوف قد تفوقوا على غيرهم من المتصوفه ، وتذوقوا هذا العلـــم الشريف النظيف وفهموه على حقيقته بدون ان يغلوا فيه كما غالى آخرون فلا رياضات لازمـــة ولا طريقة خارجة عن دائرة الكتـــاب والسنة ولا مرقعات ولا سياحات مرهقة ــ للعموم وقد طبقوا هذه الحكمة الشهيرة وهي من تصوف قبل ان يتفقه تزندق (١) ولاتساعهـم في العلوم الشرعية استطاعوا ان يستخلصوا منها الروح المطلوبة وساروا على نهـــج رجال الصدر الاول ومن يليهم من السلف وعبر شاعرهم (٢) عنها بقوله :

واتبع كتاب الله والزم سنة واقتد هداك الله بالاسلاف

وفي اوائل القرن السابع تسربت طريقة الفقراء الصوفية الـــــى حضرموت بعد ما انتشرت في ذلك العصر وعلى رأسها الشيخ عبـــــد القادر الجيلاني الحسني في الشرق وشعيب ابو مدين في المغرب العربي بتلمسان وابو مدين هذا أرسل تلميذه الشيخ عبـــد الرحمن بن محمـــد المقعد الى حضرموت لنشر طريقـــة الصوفية بها لان علمـــاء حضرموت السابقين كما مر في الجزء الاول تمثلوا بالتصوف العام الذي يشتمـــل على نظافة القلوب وملازمة الطاعات والاعراض عن حطام الدنيا قبل ان تسن له الطرائق بما اشتملت عليه من تسليك ورقائق وحقائق وتحكيـــم والباس واجازات وتلقين ذكر وغير ذلك من اصطلاحات القوم التـــي بلغت ذروتها في هذا القرن المشار اليه .

---

(١) هذه القولة منســوبة للامام مالك ونســبت للجنيد ايضا .

(٢) هو العلامة والشاعر الشهير عبدالله بن علوي الحداد .

وبما أن الشيخ عبد الرحمن المقعد عاجلته الوفاة بمكة ولـــــم يستطع التوجه الى حضرموت لتنفيذ مأمورية الشيخ ابي مدين فانه حين احس بالوفاة اوصى الى الشيخ عبدالله المغربي بأن يقوم بالمهمة وبأن يتصل بالشريف محمد بن علي بن محمدصاحب مرباط (١) بتريم وهـــو الفقيه المقدم والذي لقب فيما بعد بالاستاذ الاعظـم وبأن يقـوم بدور الباسه خرقة التصوف التي يحملها اليه وبغيرها من تحكيم للشيخ ابـي مدين والتزام بطريقته ويظهر ان هذين الشيخين انما قاما بدور الوساطة فيما بين الفقيه وبين ابي مدين ثم توجه الشيخ المغربي الى قيدون للقـاء الشيخ سعيد بن عيسى العمودي وتحكيمه للشيخ ابي مدين وهكـذا انتشر التصوف بحضرموت فيما بعد ولكن بصورة مهذبة منتقاة وبعيدة عن الغلو ومجانبة الشرع وبالرغم من هذا فانه لم يخل المطاف عـــن شخصيات حضرمية كبيرة نسب اليها ما يخالف ظاهر الشرع من تبجحات وشطحات (٢) كما نسب الى غيرها مـــن صوفية الاقطـار الاخرى (٣) ولكن ذلك لم يأت عن سوء قصد طبقا لما عرفوا به من مثالية وايمـــان متين فاذا أسيء تفسير هذه الشطحات فقد عذر اصحابها لانهم قالوهـا في حالة غيبوبة (٤) ولعل هذا أسلم واحزم من ان نضعهم موضع التهـم رحمهـــم اللـــه •

لقد كان الفقيه حين التزم بهذه الطريقة شابا يتلقى دروسه عــــن

---

(١) تقدمت في الجزء الاول ترجمة صاحب مرباط وسنأتي ترجمـــة الفقيه المقدم .

(٢) كالشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات وكالفقيه نفسه .

(٣) كالحلاج والسهروردي وترجمتهما في تاريخ ابن خلكان .

(٤) انظر المشرع وغيره من الكتب الحضرمية المدندة في تفصيل هذا الموضوع .

شيوخ حضرموت وكان مبرزا في معارفه ومواهبه ويضع سيفه على فخذيه وسمي الفقيه لنبوغه الفقهي فمال الى التصوف وكسر السيف وغضب بعض اشياخه المتخصصين في الفقه (١) لميل الفقيه الى طريقة الصوفية التي اصبح زعيمها فيما بعد وناشرها بالصورة التي أشرنا اليها وساعده أقرانه أمثال الشيخ سعيد العمودي وهكذا تلقاها عنهم من بعدهم (٢) أبا عن جد وتلميذا عن استاذ حتى هذا القرن الا انه مع الاسف نجد في كل جيل لاحق نقص في المستوى عن الجيل السابق من ناحية الغزارة العلمية وكمال الاستقامة وان كان قد يوجد فيه افراد ممتازون لا يدانيهم أحد من متوسطي الاجيال التي سبقت وبلغ الحال بجمهور الاجيال المتأخرة وحتى عصرنا هذا نقص الوعي العلمي والصوفي الى درجة جعلت الفرق فاضحا وواضحا بينهم وبين جمهور من سبقهم فشاهدنا كثيرا منهم يشتغلون بسرد كتب التصوف في المجامع ويتصوفون تصوفا معكوسا يستغنون بهذا عن الاشتغال بالعلوم الشرعية والعربية والعقلية والكونية فتقلص ظل العلم والثقافة والعبادة والتصوف الحقيقي بهذا الاقليم الذي هو بأشد حاجة الى نهضة علمية خلقية تجمع بين محاسن القديم والحديث •

فنحن لا نجازف وانما نقر الحقيقة اذا قلنا ان رجال العلم والثقافة كثيرون في هذا الدور ويعدون بالآلاف واكثرهم يتخصصون في العلوم التي اشرنا اليها الا أن روح الصوفية الفلسفية التي تأثروا بها جعلت اكثريتهم الساحقة ينكرون ذواتهم ولا يهتمون بالمظاهر ولا بكثرةالتأليف رغما عن غزارتهم العلمية وعمق معرفتهم ولا بتنميق العبائر وبهرجة

---

(١) هو الشيخ علي بامروان .

(٢) ممن ينسب الى جميع فئات الشعب الحضرمي وغيره من المتصلين به ولكن الاكثرية هم من فئة السادة والمشايخ كما هو واضح وواقع .

الالفاظ ونجد كتب التواريخ مشحونة بتراجم العديد منهم (١) ومثلهم في علمهم بعلومهم والتزامهم بالمبادىء الاسلامية وملازمتهم للطاعات وتهذيب النفوس مثل الفنى الخبير في فنه بحيث لم يترك فيه زيادة رحمهم الله .

ومما يدعو الى المزيد من الاعجاب أن يعم النبوغ والتفوق جميع افراد كثير من أسرهم ويلحقون الاحفاد بالاجداد فيهما فمثلا الامام السقاف نجده هو وبنوه الثلاثة عشر وأحفاده وآباؤه كلهم متفوقون علما وخلقا ووجاهة وزعامة لا يشذ منهم شاذ وفي آل أبي فضل وآل أبي مخرمه وغيرهم نوابغ كثيرون ونجد حين نطالع بعض المصادر (٢) عائلة آل عبدالله بن شيخ العيدروس مخصبة بالفطاحل الافذاذ حتى قال قائلهم وهو الامام عبد الرحمن بن مصطفى بن زين العابدين العيدروس المتوفي سنة ١١٩٢ هـ بالقاهرة بعد ان برز بين العلماء الحضارم والمصريين وغيرهم (٣) .

عالم فاضل أبي فأبوه	هكذا نسبتي الى المختار
وأنا ارتجي كمثل جدودي	ذاك اقصى المنى من الغفار

وكل هذا نتيجة للمؤثرات التربوية والوراثية التي قررها العلماء المختصون وهؤلاء ضربوا الرقم القياسي فيهما وكنتيجة للاخصاب بالمعارف والثقافة والاستزادة منها وقد خصصت مكاتب كبيرة للمراجعة والمطالعة منها مكتبة السادة آل عبدلله بن شيخ المشار اليهم بتريم مكتبة

---

(١) كتاريخ ابي مخرمة وبرد النعيم والغرر والمشرع والنور السافر والسناء الباهر وصلة الاهل الخ .

(٢) كالمشرع والطراز المعلم ومرآة الشموس . وقد تكلم في هذا الموضوع باوزير في صفحاته في ترجمة عبدالله بن عمر بن مخرمه .

(٣) كتب رسالة عن حياته قبل سنوات احد الجامعيين العراقيين لنيل شهادة الدكتوراه بها ولم يذكر لي اسمه .

آل العمودي بالشحبة ومكتبة آل الهندوان وقد اشتملت كل من هذه المكاتب على مجلدات كثيرة نادرة ولديهم نساخ معروفون للكتب ذكرت المراجع افرادا منهم (١) ومع الاسف ان المكتبتين العيدروسية والهندوانية أتلفهما فيما بعد النجديون الذين غزوا حضرموت ويعرفون بآل بن قمله (٢) وضاع ذلك التراث العلمي الثمين وجاءت مكتبات أخرى فيما بعد ربما عرضنا لذكرها عند المناسبة •

اما مواضع التعليم والتدريس فاكثرها في المساجد والزوايا كامتداد لحالة من قبلهم وعندهم مدارس وكتاتيب وقد استمر بعضها من القرنين الثامن والتاسع الى اليوم ككتابي باغريب وباحرمي بتريم (٣) وغيرهما في المدن الاخرى الا انه يجب على القائمين بهما وبامثالهما ادخال النظم والتحسينات العصرية المفيدة عليها •

ولما زار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن عبدالله اليافعي حضرموت أثناء القرن الثامن وهي تزخر بجحاجحة العلماء وأكابر العباد اغتبط وأنشد •

مررت بوادي حضرموت مسلما فألفيته بالبشر مبتسما رحبا
والفيت فيه من جهابذة العلى اكابر لا يلقون (٤) شرقا ولا غربا (٥)

---

(١) في برد النعيم وفي المشرع •

(٢) قوم من بادية نجد هاجموا حضرموت هجمات خاطفة ثلاث او أربع مرات في اوائل القرن الثالث عشر واعظمها سنة ١٢٢٤ وهي الهجمة الثانية وعمت معظم حضرموت وفيها وقع التخريب والتحريق والتفريم ولم تدم اكثر من شهر ونصف •

(٣) يقال ان مؤسس الاول العيدروس الاكبر والثاني عبدالله بن شيخ العيدروس حفيد حفيده •

(٤) تجوز بالفاء وبالقاف •

(٥) انظر البرقه •

أوقافهم وميراثهم

واندفاعا وراء حبهم للخير والمصلحة العامة تجد لهم أوقافا متنوعة متعددة ومن اهم ما يعتنون به الاوقاف على طلبة العلم وعلى الاربطة والمعاهد العلمية وعلى الضيوف والمساجد وعلى الايتام والمنقطعين وعلى الفقراء والمحتاجين وعلى السقايات المبنية على الطرق للشرب وعلى خزانات المياه للترب وللغسل وعلى أكفان الموتى وعلى اللقطاء ولافطار الصوام في رمضان ولتعبيد الطرق فعلى كل من هذه الجهات وما اشبهها أوقاف عظيمة لهم في وطنهم وفي مهاجرهم ومنهم من ينتقون اعز اموالهم لوقفها وفي وجوه البر والاحسان حتى اليوم ولكن هذه الاوقاف مبعثرة لم يحصل لها التنظيم المطلوب الا انها بذلت محاولات في هذا العصر لجمع شتاتها تحت ادارة خاصة تتصل بمصلحة القضاء ولكنها لم تعمم بعد ، والمساجد كثيرة في مدنهم وتريم اوفرها مساجد حتى بلغت في القرن الرابع عشر نحو ثلاثمائة قد تجمع عدة مساجد منها في بناية مسجد واحد وقليل منها ما خرب وقل ان يوجد مثل هذا العدد في مدينة اسلامية (١) كما سيأتي (٢)

تأثرهم بالامام الغزالي وكتبه

وكان الامام محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ مثلهم الاعلا وكتبه في التصوف وغيره هي كتبهم المفضلة خصوصا الاحياء وقد قال قائلهم عنه من لم يقرأ الاحياء ما فيه حياء (٣) ويلغ بهم الامر

---

(١) عدها البعض ثلاثمائة وستين والبعض اربعمائة وهو العلامة الداعية احمد بن محمد المحضار ولم نضبط طريقة هذا الاحصاء .

(٢) انظر آخر (حياة الاسرة) .

(٣) هو الامام السقاف رحمه الله .

الى قراءته عشرات ومئات المرات بل حفظه منهم العلامة الكبير محمد بن علوي الشاطري المتوفي سنة ٨٩٧ هـ عن ظهر قلب (١) ويروى عن بعضهم ترغيبات وتباشير لمن عمل بما في الاحياء ووعاه ، ومع هذا فيقول قائلهم أن في الاحياء قولات لو استطعنا ان نمحوها بماء عيوننا لفعلنا .

تعليم البنات

وبالطبع فقد نشأت بناتهم نشأة علمية وربين على تدبير المنزل ومعرفة القيام بحقوق الزوج وتربية الولد وتجلت فيهن معاني المدرسة الاولى ومما يذكر في التاريخ ان العيدروس الاكبر فتح مدرسة خاصة لتعليم البنت بتريم في القرن التاسع وفي خلال كتبهم نجد مشاركة بناتهم وزوجاتهم لهم في العبادة والمعرفة واكثرهن يدرسن ويتفقهن على يد آبائهن وأزواجهن في البيوت .

الأدب والشعر

وقد برز منهم أدباء وشعراء يظهر في طليعتهم الشاعر الفحل ابن عقبه الشهير الذي اشرنا اليه في الجزء الاول من هذا الكتاب (٢) وهو صاحب القصيدة البليغة التي مطلعها —

أصبرت نفس السؤ أم لم تصبر بيني ومن تهوين يوم المحشر

وهو مخضرم بين الدولتين الراشدية واليمانية

---

(١) قال صاحب المشرع انه يليه درسا من حفظه وقال بعض الشيوخ انه يفرق بين واوه وفائه العاطفتين .

(٢) وقلت فيه انه شبامي كما عرفه بعضهم واشتهر ايضا بانه هجراني نسبة الى الهجرين التي اقام بها حقبة من الزمن .

ثم نبغ فيما بعد عبد الصمد باكثير المتوفي سنة ١٠٢٥ وهو صاحب القصائد المصريات نسبة الى ممدوحه عمر بن عبدالله الكثيري المشار ذكره قريبا .

ثم لمع نجم الامام عبدالله بن علوي الحداد صاحب الديوان الشهير الذي طبع عدة مرات وفيه قصائد ممتازة خصوصا في ضروب الزهد والفلسفة والوعظ وهو وان كان لا يتقيد احيانا بالقواعد الا ان فيه روحا شعرية عالية .

والمستوى العام الادبي في هذا الدور يتقارب مع المستوى العام اذ ذاك في البلاد العربية ونجد من الكتب المفضلة عندهم مقامات الحريري ويسمونها طبقات الحلوى ، وديوان المتنبي وكانوا يتمثلون بحكمه ويكاد بعضهم ان يحفظه والكثير منهم ولع بنظم القصائد الدارجة (١) والفصيحة ويغلب على ادبهم النزعة الصوفية الشامله للبيئه كلها اذ ذاك .

المصنفات والانتاج القلمي

قد اشرنا فيما مر آنفا الى قلة مصنفاتهم وانتاجهم القلمي بالنسبة الى سعة معارفهم وغزارة المادة الثقافية عندهم ولكنها حين نستعرضها في تراجمهم ليست يسيرة فقد صنفوا في كل العلوم الشرعية والعقلية والكونية واللغوية وغيرها منها المطبوع ومنها ما لا يزال مخطوطا ومنها

---

(١) من اكابر الشعراء في الشعر الدارج الشيخ عمر بن عبدالله بامخرمه المتقدم ذكره والشيخ سعيد الشواف صاحب ديوان قصة العسل المتوفى بمكان يقال له (وردة مسبح) بتشديد الباء الموحدة بالمشقاص اواخر القرن العاشر وبلغ عدد ابياتها خمسة آلاف بيت في مدح المتصوفة وتعداد اسماء كثيرين من كبار العلماء والاولياء طبعت طبعا هنديا .

ما فقد ونجد ظاهرة في القرن العاشر هي كثرة المؤلفات التاريخية فيه اذا قارناه ببقية العصور الاخرى باستثناء هذا القرن الرابع عشر الـــذي نعيش فيه فقد تعرض لكتابة التاريخ فيه كثيرون فيهم الغث وفيهم السمين وفيهم المخلص للفن وفيهم المغرض وعلى المطلع ان يمحص الحقائق التي ستتضح حين يوضع عليها المجهر (ميكروسكوب الكشف) وتجـــد اسماء معظم المصنفات التاريخية واصحابها في القرن العاشر في البيان التالي .

الكتاب	الاجزاء	المصنف	
قلادة النحر (تاريخ بامخرمة)	٣	الطيب بامخرمة(١)	مخطوط
تاريخ شنبل	١	احمد بن عبدالله شنبل العلوي	مخطوط
ترياق القلوب الواق	١	عمر بن محمد باشيبان العلوي	مخطوط
أنس السالكين	١	احمد بن عبدالله باهارون	مخطوط
غرر البهاء الضوي	١	محمد بن علي خرد	مطبوع (٢)
النور السافر	١	عبد القادر بن شيخ العيدروس	مطبوع (٣)
تاريخ حوادث السنين	١	الطيب بافقيه	مخطوط
العقد النبوي	١	شيخ بن عبدالله العيدروس	مطبوع
تاريخ باقشير			(٤)
تاريخ باسخلة			

---

(١) ترجم له في النور الســافر واما الثاني ومن بعده الى التاسع فكلهم علويون توجد تراجمهم في المشرع وغيره لمن اراد الاطلاع عليها .

(٢) كذا قال لي بعض من أثق به الا أني لم أطلع على نسخة مطبوعة

(٣) هو ميلاد الهندفي مدينة احمد اباد ونشأته بها ولكن في اسرة حضرمية علوية مثقفة شهيرة وبين جالية مستمسكة بحضرميتها وله مصنفات عديدة مفيدة طبع الكثير منها ويستغرب وجود اشعار في بعضها غير موزونـــة رغما عن اطلاع صاحبها واتـــاعه .

(٤) ترجم لباقشير في النور الســافر واما باسخله فترجمته في الســـناء الباهر كما يقوله بعض الادباء والســناء الباهر لصاحب المشرع وهو ذيــل النور الســافر للعيدروس .

وهذه الكتب وامثالها مما تقدم أو تأخروان كانت لا تعطي المعلومات غالبا الا من وجه واحد فاننا نستفيد منها ما جاء فيها عرضا وما استنبطناه من فوائد اجتماعية أخرى •

التحدث عن الكرامات

ونجد بعض المؤرخين المشار اليهم يتحدثون كثيرا في كتبهم عن الحوادث الخارقة للعادة الواقعة على ايدي المشايخ الاتقياء وهي الكرامات التي يعتقدها المسلمون بل وغير المسلمين من ارباب الديانات الاخرى لانها من فصيلة المعجزات الا ان الملاحظ هنا هو انهم يتسامحون في معنى الكرامة ويسوقون احيانا ما يجري كحادث يدل على الصلاح من رؤيا منامية مثلا وما يدرك بحدة الذكاء وبعد النظر على انه كرامة ونشأ من هذا عند بعض القراء تخيل غريب عن الكرامات فظنوا انها تقع في تلك العصور يوميا وعلى الدوام لانه يقرأها دفعة واحدة بينما جمعت عن مشايخ عديدين في عدة قرون فلا تقع الا نادرا . ويظهر ايضا انهم يجدون في ذكرها عزاء وروحنة وتقوية لروابطهم ومن اجل ان يجتهد المريدون في الاعمال الصالحة وفي العبادات والرياضات حتى يصلوا الى درجة شيوخهم الذين تكلموا عنهم بوقوع الكرامات المتكررة ، ولكن المعروف عن معظم اولئك الشيوخ أنهم يبتعدون عن ابداء الكرامات ويقولون ـ الاستقامة اعظم كرامة ـ ولا تقع منهم الا نادرا شأن الاكابر الصالحين والعلماء العاملين في كل قرن من قرون الاسلام وفي كل صقع من اصقاعه وان شوه بعض قصار النظر تاريخهم المجيد بمالا يتفق مع الحقيقة والواقع عندما ندرس نواحي حياتهم الطيبة رحمة الله عليهم •

مكتبة حضرمية

ويمكن تأسيس مكتبة عامرة بآلاف المجلدات الخطية والمطبوعة في مختلف الفنون من مصنفات علماء الحضارمة (١) لو كان عند المسؤلين عن الثقافة من حكوميين وأهالي في هذه البلاد شعور بواجبهم نحو هذا التراث العلمي العظيم .

فن وتصوف

وبواسطة شيوخ حضرموت وعلمائها وفي مقدمتهم الامام الفقيه المقدم والائمة من سلالته والمشايخ الاخرون تغلغل التصوف النظيف المهذب في الأوساط الحضرمية (٢) منذ القرن السابع الهجري كما سبق فالجو جو تصوف يختلط احيانا بفن غنائي وطرب بريء يجدون فيهما متنفسا وترويحا للنفوس التي امضها الكبت والتفكير العميق واتعبت اجسامها المجاهدات والجهود المضنية في سبيل العلم والاصلاح والعبادة .

فاناشيد الافراح والالعاب الشعبية واناشيد ابناء المدارس والكتاتيب ككتابي أبي غريب وأبي حرمي بتريم والى عصرنا هذا لا تسمع فيها غالبا الا الاذكار والدعوات والعظات في قوالب أهازيج وآزجال فيها الحزين وفيها المنعش والمطرب الى حد ما، كما هي في نفس الوقت مهذبة وهم يحفظونها جيلا بعد جيل وتوجد في بعض الدواوين والامالي .

---

(١) لا نقصد بهذا شيئا من الاقليمية الضيقة ولكن لحفظ التراث الخاص كالتراث العام .

(٢) انظر تواريخ حضرموت كالجوهر والغرر وقلائد النحر والطراز المعلم رسمي السلسله العيدروسية والعقد النبوي وغيرها .

ومن ابدعها وارقها اذكار السحر المشجيه حين يقوم بآدائها منشدون مختصون لهم انظمة وترتيبات خاصة وكثيرا ما تنشد في المساجد اواخر ليالي رمضان ولا يزال هذا كله موجودا ولكن لم يعط عناية تذكر لضمان استمراره وتحسينه •

حضرة السقاف

وللامام عبد الرحمن السقاف المتوفي سنة ٨١٩ جلستان او حضرتان في الاسبوع خاصتان بانشاد الاناشيد الصوفية بعد اداء العشاء مباشرةليلتي الاثنين والخميس بمسجده مع الدفوف والشبابات يتولى ذلك بنوه واحفاده (١) ثم ارتأى حفيد حفيده وهو العلامة الكبير احمد بن الحسين العيدروس المتوفي سنة ٩٦٨ جلب منشدين ومطربين من مصر ومن عرف (٢) والف منهم جوقة عدد افرادها سبعة حيث استوطنوا تريم وقاموا هم واحفادهم بهذه المهمة باستمرار والى اليوم ولكنهم لم يشاءوا ان يدخلوا على هذا العمل الفني تحسينات ويطوروه تطويرا لائقا ، خصوصا وانهم اصبحوا منذ القرن الثالث عشر يدعون في حفلات بعض الزواجات اما في الجنائز فيقومون برفع اصواتهم بالذكر الحزين الذي يستدعي الخشية والاعتبار امام الجنازة بتريم منذ أوائل القرن العاشر حيث ابتدع هذا الذكر السيد العلامة عبد الرحمن بن عبدالله مولى خيله (٣) ولكن العلامه احمد بن حسين العيدروس المذكور آنفا خالفه فلم يستحسن العمل به لنفسه ولا لاتباعه من بعده ولعل وجهة نظره انه يرى في هذا شيئا من الابتداع بالنسبة لهذا الموقف ؛ وليس

---

(١) وتوجد من هذا الشكل حضرات متعددة بحضرموت .

(٢) ولهذا يسمون آل بامصرى وآل بامرفان ويشترك معهم غيرهم ايضا

(٣) انظر ترجمته في المشرع .

الفن بدعا في متصوفي حضرموت فان الصوفية في كل مكان في العراق وفي مصر والمغرب والحجاز يمزجون التصوف بالفن ويتذوقون المعاني الغزلية ويفسرون الالفاظ ويطبقونها على المحبة الالهية التي يرمزون اليها بما يملاء المجلدات لو اردنا استقصاءه وهو يدل على حس مرهف وذوق سليم وسمو في الخيال كما يتجلى ذلك في ديوان ابن الفارض ومن على شاكلته رحمهم الله ، وقد بلغ الامر ببعض شيوخ التصوف بحضرموت ان يدور بالسماع ا ــ ويعنون به الغناء المشكل من عدد وعدد وليس فيها آلة وترية ــ في الشوارع (١) وبالبعض الآخر ان يغني الساعات الطويلة ببعض الاشعار المطربة كقوله •

الا يا صاحب الخمر قتلت الناس بالسكر

ومع هذا كله فلم يتأكد استعمالهم للعود وامثاله من الات الطرب الا نادرا ويدلنا على هذا ما ذكره بعض العلماء من حادثة طريفة يرويها عن مصدرها (٢) فيما يلي •

الحادثة الطريفة

زار امام من تريم شهير مقاطعة دوعن ولما كان في الخريبة اقترح عليه ان يؤلف كتابا في حل العود فقال ان حضره الشيخ علي باراس فعلت ذلك فعملت مأدبة واعدت جلسة طرب بعد تناول الغداءوممن حضرهامع الامامالمشار اليهالحسين بنعمربنعبدالرحمن العطاسبعدوفاة أبيهوالشيخ علي باراسولما اتيبالعود وبدأيداعبه العوادتهيأ الشيخعلي باراسللقيام

(١) هو ابو بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف قالوا ولقب بالسكران كناية عن سكره بمحبة الله .

(٢) المصدر هو كتاب القرطاس لصاحب المشهد العلامة علي بن حسن العطاس مخطوط وقد وجدتها فيما بعد بصورة اوضح .

تورعا عن سماعه فقيل له الا تجلس لسماع العود فاجاب بأن العود يقول له بأوتاره قم — قم — قم — ثم خرج ولكن الحسين بن عمر . العطاس تبعه وابدى له تعجبه من مغادرته الجلسة مع حضور ذلك الامام وغيره من كبار العلماء الثقاة فيها فقال لو كان شيخي عمر بن عبد الرحمن العطاس يسمع العود لحضرت وسمعته . ثم امضى الحاضرون جلسة طربهم حتى انتهت .

الزراعة والاعمار

وهم يعتمدون كما في الادوار السابقة في زراعاتهم على الابار وعلى العيون (المعايين) وتوجد في الساحل اكثر وعلى الامطار ويعملون سدودا يقوم بها خبراء منهم ويضعونها بميزانية مضبوطة على قدر وضعية الاودية والاراضي التابعة لها وتوزع المياه بطريقة تستفيد منها الاراضي الزراعية وترتوي اولا باول ولهم كما يفعل آباؤهم من قبل قواعد وسوابق (سوارح) يقيدونها فيما بينهم بالنسبة للمخابرين ويسمونهم النشراء (١) وللملاك ويسمونهم الطيانة (٢) . فيما على كل وله من لوازم التعمير والاصلاح وتوزيع الحواصل وغالبا يكون لمالك الارض نصف حاصلها والنصف الاخر للعامل فيما يسقى بالسيل وفيما يسقى بغيره تكون الارض باجرة معلومة من الطعام تدعى (العجيز) وكثيرا ما تكون بمقدار عشر الحاصل وقد مر الكلام عن الغراس في الجزء الاول .

أما في نفس ملكية الاطيان فهم يرجعون عند النزاع عليها الى الشرع الشريف بمقتضى مذهب الامام الشافعي رحمه الله .

وكثير من أئمتهم واعيانهم يباشرون الزراعة بأنفسهم كالشيخ

---

(١) جمع نشير بفتح النون وكسر الشين .

(٢) جمع طيين بفتح الطا وكسر الياء .

العلامة سعد بن علي مدحج المتوفي سنة ٨٥٧ والامام محمد جمل الليل نزيل قرية روغة المتوفي سنة ٨٤٥ وتوجد اذ ذاك قبيلة بأكملها من العلويين يدعون آل الحراث لما يزاولون من امور الحراثة (١) وتوجد اسر حضرمية كثيرة جمعت بين الزراعة والعلم والعبادة فعاشت في سعادة وراحة ضمير .

زراعة القطن والحرير وصناعتها

ويعتنون بزراعة القطن ويغزلونه بواسطة مغازل خشبية معروفة من صنع البلد منتشرة في البيوت وتستعملها السيدات والعذارى المحجبات في البيوت لغزل خيوط معدة للنسيج يسلم الى الحاكة حيث ينسجون منه جميع انواع الثياب التي تكفي السكان وتصدر الى الخارج منها المصبوغ ومنها الصافي وبلغ النسيج الحضرمي في بعض مراحل هذا الدور درجة قصوى من الاحكام وقد تضاف اليه الخيوط الحريرية ويرسل الى البلاد المجاورة كاليمن والحجاز بأثمان باهظة (٢) وكانت توجد آلاف المحاويك بمدن وقرى حضرموت حتى بلغت في الشحر الفا وثلاثمائة محواك (منسجه) وبحارة واحدة من حارات تريم أربعمائة

(١) هم موجودون في الشجرة العلوية العامة . ومن آبائهم ابراهيم الحراث المتوفي سنة ٨٨٤ كما في شجرة الامهات .

(٢) مما تناقلته بعض الاوساط العليمة ان قافلة توجهت من حضرموت الى اليمن بحمل بعض البضائع ومعها رجل يحمل حزمة كبيرة فيها اردية فلما دخلوا صنعاء ضربوا رسما (عشورا) على القافلة وتركوا الرجل وحزمته لشأنه بدون تفتيش فلما بيعت القافلة وبيعت الاردية وجدوا ثمن الاردية التي سلمت من العشور اضعاف قيمة القافلة التي لم تسلم منه مما يدل على جودة النسيج الحضرمي وارتفاع ثمنه .

(١) ولهذا احتج بعض أئمة حضرموت علــى التجار حين جلبــوا بعض الاقمشة من الشرق الاقصى فيما بعد (٢) .

اما بقية المزروعات والمغروسات فقد ذكرناها في الجزء الاول مــن هذا الكتاب . ولاجل صبغ الثياب بعد النسج والغزل وقبله كانت تزرع الحشائش التي يستخرج منها الاصباغ (النيله) وغالبا ما تكــون سوداء وحشيشتها هي الحوير الشهير وكانت تزرع منه مساحات كبيرة لهــذا الغرض .

وتختلف مراحل هذا الدور في كثرة الانتاج وقلته الى درجــة الجدب تبعا للامن والامطار وضدهما من خوف وجفاف ففي اواخر القرن السابع واوائل الثامن مثلا تدلنا المراجع التاريخية على جودة المحاصيــل وكثرتها وانتاج الدواجن وزيادتها وتقول بعض المصادر انه كان في بعض عياض الشحر وهي قرية النقعة تدر شجرة ليمون واحــدة شهريا آلاف الحب وقت الموسم في اثناء القرن الثامن (٣) وذكرت مصادر اخرى (٤) ان الامام الفقيه المقدم المتوفي سنة ٦٥٣ وستأتي في ترجمة الفقيه المقدم كان يكبس (يرزم) من التمر بعد الاستثمار والصدقة في جرار معدة لــه ما يقدر بمائة الف وعشرين الف رطل سنويا ولحفيده الامام عبدالله بــن علوي بن الفقيه المقدم اطيان وتمور لا تكاد تحصى ولا يــدخر منها الا القليل لانه يشرك فيها الفقراء والمعوزين وقد جمع السيد عمر بن محمــد

---

(١) لقد ادركنا ونحن اطفال الكثير من ذلك ويعد قليلا بالنسبة لمــا مضى .

(٢) ومنهم العلامة عمر بن حسن الحداد المتوفي سنة ١٣٢٠هـ في اماليه كلامه المخطوطـ) .

(٣) انظر الجوهر والمشرع والبعض يفسر هذا تفسير الخوارق للسادة ومهما يكن فهو خصب واقع ومعتاد .

(٤) منها الجوهــر .

العلوي من ودك الغنم التي كان يرسلها له ثلاثين منا في شهر واحد (١) ومن اوقافه على مسجد باعلوي بتريم ما قيمته تسعون الف دينار ذهبا من الاطيان والنخيل والابار (٢) كما ان النقود الذهبية والفضية في تلك الحقبة كانت فائضة وحضرموت معمورة الغياض والرياض .

السدود

وقد استعان الحضارمة في هذا الدور ببعض المهندسين الهنود في بناء بعض السدود وممن ذكرتهم المصادر الامام العلامة عبدالله بن شيخ العيدروس المتوفي سنة ١٠١٩ هـ حيث جلب معه اعانة من بعض امراء الهند الموالين للعلويين (٣) تقدر بمبلغ ثلاثمائة الف ريال نقدية جعل ثلثا منها لاصلاح سواقي ثبي طبق تقرير وضع لتوزيع المياه يسمى (الفذ) ولا يزال العمل عليه جاريا الى اليوم بعد ان بنى سدود ذلك الوادي وقام بتوزيع مياهه مهندس هندي اشترك معه بعض الخبراء والعمال الحضارمة ومع الاسف اننا لم نظفر بتفصيل شافي عن هذا الموضوع الاعماري المهم فلا ندري عدد المهندسين ولا الخبراء بالضبط وهل ذلك الامير الهندي ارسل المهندس من قبله ؟ الى غير ذلك من المعلومات التي نحن بحاجة الى الاطلاع عليها .

أما الثلث الثاني من هذه الاعانة فقد صرفه في سبيل انقاذ لفيف من علماء حضرموت ضاقت بهم المعيشة في حضرموت فقرروا مغادرتها

---

(١) انظر المشرع وغيره والمن ٢٨ رطلا .

(٢) انظر المشرع ايضا وتوجد امثلة لذلك لم نطل بذكرها .

(٣) ملوك وسلاطين وامراء الهند اكثرهم من المظفرين والمغول كما يستفاد من النور السافر وغيره ولم يذكر لنا اسم صاحب هذه الهبة منهم بالرغم من ذكر اسمائهم في المراجع في مناسبات اخرى ولعله الملك‌منبر تلميذوالده

للاكتساب في الخارج فلما استأذنوا ذلك الامام المشار اليـه في السفر وعرف السبب امرهم بالبقاء واشعرهم بانه هو سيقوم بالمهمة بالنيابـة عنهم حتى لا يتقلص ظل العلم ورجاله من حضرموت •

والثلث الثالث كان موجها ليصرف فـي سبيـل نفقاته واصلاحاته واعطياته الشخصية للارامل والايتام والضيوف وغيرها (١) •

وانتج ذلك خصب المقاطعة خصبا هائلا الى درجة ان اصبحت فـي كثير من المواسم سوادا بالاشجار والثمار كسواد العراق فـي خصوبته وصارت بساتين الرملة خضراء كرملة فلسطين في نضارتها (٢) •

المساكن

اما مساكنهـم فيبنونها باللبـن المخلوط بالتبن غالبـا ويصنعون نوافذهم وابوابهم من جلاميد خشب السدر المتينة وهم يضيقون النوافذ من الخوف على انفسهم من هجوم اعدائهم عليهم ليلا منها وبعضهم يجعل مشرف النوافذ على قمره (شمسه) داخل الدار مبالغة في ستر نسائه(٣) وبعض المدن والقرى نجد فيها عدة ديار متصل بعضها ببعض وعليها سور واحد بسبب الحروب المستمرة بينهم كما شوهد هذا في دوعن وفـي

(١) هذه الحادثة رواها كل من العلامتين الداعيتين علي بن محمـد الحبشي واحمد بن حسن العطاس في اماليهما بالتواتر عن مشايخهما .

(٢) توجد رملات كثيرة في حضرموت ومنها هذه وفي اليمن والشام ومصر واليها ينسب الشهاب الرملي الفقيه العلامة وابنه محمد ولعلها السبب في تسمية الرملة رمله .

(٣) يشاهد ذلك فيما بقي من ديار اثرية لها عدة قرون منذ بنيت كدار العيدروس الاول جنوب شرقي مسجد الشيخ علي بتريم وكدار الحداد جنوب شرقي مسجد باعلوي بتريم .

جفل (١) وغيرهما ولكن تبدلت تصاميم بيوتهم في اوائل القرن الثاني عشر الهجري حيث بنى بعض وجهائهم قصورا فخمة كالامام علي زين العابدين الاصغر العيدروس بتريم فانه بنى قصرا فخما على ربوة بسحيل تريم اذ ذاك وقد ادخلوا عليها بعض الفن المستورد من الهند للاتصال المستمر بين حضرموت والهند •

ومن القبب التي بنيت بمباشرة وارشاد بعض المهندسين الهنود قبة نبي الله هود وهو نفسه بنى منارة مسجد بلفقيه بحارة الرضيمه بتريم حيث جلبه السيد المحسن ابو بكر بن محمد بلفقيه من الهند لهذين الغرضين حوالي سنة ١٠٩٧ هـ الا ان المصادر لم تذكر لنا اسم ذلك المهندس ولم تفصل لنا المشروع • ولم تزل كلمة (بنقله) الهندية تطلق في حضرموت على نوع من المباني الجميلة بها •

النقوش والتلوين

ومن الفن عندهم زخرفة وتنقيش الابواب وأعمدة الغرف فيعملون لها اشكالا من الثقوب في شكل دوائر وخطوط منتظمة منسقة وقد يكتبون على الابواب آية من القرآن الكريم وقد شاهدت بنفسي بوابة كبيرة كتبت عليها سورة يس بخط واضح لدار الامام عبدالله بن ابي بكر العيدروس الذي بناه له تلميذه عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء في القرن التاسع وتعد أثرا من الاثار وتقول بعض المصادر (٢) انه كلف ٨٠٠ دينار وأنه مؤلف من ثلاثة قصور وهو اليوم على وشك الخراب ومعروف بتريم •

---

(١) بكسر الجيم والفاء قرية معروفة لبعض آل كثير قرب حوطة احمد ابن زين •

(٢) هو المشرع •

ويطلون السقوف بألوان حمراء ويشكلون اعوادها الصغيرة احيانا من احمر وابيض واسود أما في دوعن فمن الفن عندهم اقامة كتلة خشبية مرصعة بقرص المسامير حوالي باب المنزل من الداخل بحيث تملأ الجدار ويسمونها الواجهة .

ولكن البيوت الاخيرة تغيرت وصارت اقرب الى الطراز الحديث في هندستها وتنسيقها مما مضى .

الاكتفاء الذاتي

وعندهم ما يكفيهم في عدد حياتهم ومعيشتهم من ناحية المطعم والملبس والمسكن وغيرها من الضروريات وحتى الكماليات ، ونجد الاواني والادوات المستعملة بينهم من الفخار والاخشاب والخوص أشكالا وانواعا في مختلف الشؤن المنزلية والزراعية والمعمرية وبين الاوساط ذات البساطة المعيشية وقل ان يجلبوا غيرها من الخارج فهم يعتمدون على ما تنتجه أرضهم الطيبة من تمور متنوعة واطعمة مختلفه وثمار وخضار (١) ويعتمدون في ملابسهم على ما تنتجه المحاويك آلات

---

(١) تقدم الكلام عن عدد انواع التمور واصناف الاطعمه والفاكهه والخضرة في الادوار الماضية في الجزء الاول ولم تزل موجودة بها في هذا الدور ، ويتخذون اللحم القديد كما تتخذه قريش ويتخذون نوعا منه في تريم وما جاورها يسمى (المحشي) وذلك بان يقطع اللحم قطعا صغيرة ويوضع في ابازير هي شبرم وثوم مخللان مسحوقان معا وبكمية اكثر مع كمون وملح وهرد وفلفل اسود بكمية اقل ويضاف اللحم المقطع معها حتى يتشرب منها ثم يوضع في المستقيم (المخضه) بعد ان ينظف تماما ويربط ويعلق في الهواء باعداد قليلة او كثيرة وهم في ليلة عاشوراء يبداون باكل المحشي المتخذ من لحوم الاضاحي وفي اي وقت شاءوا بعده، ويجمعون أرجل الذبائح لمدة عام ثم ينظفونها ويغلونها مع الدجر كل تاسوعاء من محرم ولتزرير ملابسهم كانوا يصرون نوى النبق في قطع القماش ويتخذونها ازرارا عندما يكونون في ضائقة .

النسيج التي تحول القطن الذي تنتجه ارضهم الى نسيج ثم الى اقمشة وقد يصبغون البعض منها بواسطة النيله التي تنبت في بلادهم بسل يصدرونها كما يصدرون انواعا من نسيجهم الى الخارج وأكثرها الى اليمن والحجاز كما مر آنفا وبقية صناعاتهم مما تنتجه بلادهم فأوانيهم من الخشب ومن الفخار ويعملون منه باتقان الجرار الكبيرة والصغيرة لخزن الحبوب والتمور وللماء ويصنعون منه الفناجين بأنواعها والاباريق الى جنب ما يصنعون من آلات وأواني من المعادن الاخرى كالحديد والنحاس المجلوبين من الخارج وما يعملونه — وبالاخص — في القرون المتأخرة — من مهاجرهم من الاثاث والادوات المتنوعة الاخرى ويقومون بصب الرصاص في قوالب خاصة ووضعه في الخراطيش وبصنع أقماعها الا ان الرصاص نفسه يجلب عن طريق اليمن وغيره جلاميد كبيرة وبكميات وفيرة ، والخوص المحلي لا يزال إلى الان يقوم بدور في تموينهم وبالاخص الطبقة الفقيرة منهم بالحصر والقفف والزنابيل والاطباق (المسارف) كل هذه بانواعها واشكالها الجميلة ، الا ان منتوجات البلاد المتقدمة قد شملهم غزوها في هذا العصر الحديث وكاد يقضي على المنتوجات المحلية •

انهم بهذا الاكتفاء الذاتي مستقلون الاستقلال الاقتصادي الحقيقي (١) عكس ما حدث فيما بعد من حاجتهم واعتمادهم على الخارج •

---

(١) توجد رواية خطية منتشرة تسمى (رحلة المغربي) تشتمل على وصف لجوانب اجتماعية بحضرموت في القرن التاسع تقريبا على لسان سائح مغربي صوفي وفيها يشير الى الاكتفاء الذاتي في الجانب الاقتصادي وهنا يطرح سؤال وهو هل الرحلة المغربية حقيقة أم رواية خيالية ؟ والجواب انهم اختلفوا فمنهم من قال بالاول وانها توصلت من المغرب بواسطة بعض السادة الادارسة الى حضرموت ومنهم من قال ان واضعها السيد حسن بن علوي بن شهاب وانه جعلها على لسان المغربي لكون ←

مقارنة اقتصادية بين الامس المشار اليه واليوم

فأنت ترى فيما سبق ان الحياة الاقتصادية بسيطة في ادواتها وفي أغذيتها فلم تتطلب منهم صعوبة في تحضيرها ولا نقدا كثيرا في الحصول عليها وبقدر ما تقل التعقيدات في الحياة وفي العقول بقدر ما تتوفر السعادة وهي بعكسها اليوم تتطلب نظاما (روتين) معقدا والوانا من الاطعمة لا تؤدي الى التغذية المطلوبة واشكالا من الملابس والمساكن وانظمة دقيقة بعضها غير طبيعي في الحياة وبالرغم من بذل الجهود في تسهيلها وتذليلها وتوفيرها فان آباءنا القدامى ينعمون ويسعدون بوسائلهم البسيطة تلك أكثر مما تنعم ونسعد نحن بوسائل هذه المدنية الحديثة في هذه الحياة المعقدة الجحود لما يقصد من الحياة .

الفلاح الحضرمي

والفلاح الحضرمي – كالعامل الحضرمي – نشيط وصبور ومتمسك بأداء فروضه وسننه الدينية وقنوع ومع هذا فقل ان تجد فلاحا او عاملا حضرميا وقتئذ الا ويملك شيئا من النخيل الذي يعدونه عماد ثروتهم ويعتنون بغرسه عكس ما عليه اليوم من ضياع هذه الثروة الحيوية الهامة لعدم ادراك الشعب وكسله ولعدم وجود الحكومة الوطنية الرشيدة التي يهمها هذا الامر وغيره من وسائل التقدم والازدهار .

←

ادعى الى قبولها واخبرني الاستاذ محمد بن هاشم ان السيد حسنا اخبره بانه هو واضعها ويدل الغموض والاجمال والمبالغة في بعض الجوانب على ذلك ومن احسن ما قاله مؤلفها فيها عن السلف الصالح بتريم انهم بالملائكة اشبه .

واذا كان الفلاح الحضرمي يعتني بالتمر وشجرته الباسقة المنتجة فانه يخطيء احيانا في بعض عملياته نحو تربية النخل منها انه يفرط فـي التقارب بينه كما يترك للنخلة الواحدة عددا من الاولاد ويترك الرطب عليها حتى يجف وقليل من الفلاحين من انتبه لهذه الاخطاء وتجنبها ٠

اما العادة المستهجنة التي اتخذها الحضرمي في داخل وطنه وليس الفلاح الحضرمي فقط فهي عادة التقليف والدوس وهي استئجار النساء لاخراج النوى من التمر بافواههن ثم جمعه في شمس الظهيرة علـى موضع نظيف وتغسيله ثم دوسه بالاقدام حتى يصير ناعما كالهريسة ثـم يوضع في جراره الكبيرة المسماه بالازيار حيث يضغط عليه ويغطى فلا يتخلله الهواء وفي هذا من القذارة ومخالفة الارشادات الصحية مـا لا يخفى اذ لا يخلو عن وجود لعـاب فيه مـن الافواه وعرق من اجساد الفلاحين التي تصهرها شمس الظهيرة ٠

ومع هذا فقد كان الدافع الاصيل لهذه العادة دافع نبل وكـرم ، ذلك ان بعض الاضياف تناول تمرا كثيرا عند بعض كرماء الحضارم وهو السيد بامقلف (١) فخجل الضيف من كثرة النوى وشعر بـه ذلـك المضياف الكريم ففكر في هذه الحيلة التي ياكل بواسطتها الضيف مـن هذا التمر المنزوع النوى كما شاء بدون ان تعرف الكمية ونفذها وتابعة بعض الناس عليها الى اليوم مع انهم كانوا قبله يكبسونه مع نواه ٠

المجتمع النسوي

السيدات والانسـات تختلف اعمالهـن باختلاف الطوائف التـي

---

(١) انظر المشرع في ترجمة المضياف المشار اليه ٠

ينتمين اليها ولكنهن دواما يجتمعن اجتماعات عمومية اضافة الى الخاصة في المناسبات العديدة من افراح واتراح كالاعراس والمآدب والمآتم بدون اختلاط مع الجنس الاخر كأكثر البلاد الاسلامية والعربية في هذا العهد نفسه والاختلاط موجود بين نساء البادية ورجالها وفي الاوساط العاملة الزراعية وغيرها وبعض القبائل المتسلحة المتحضرة ، اما نساء القطاع المعروف اغلبية اهله بالعلم والعبادة ونساء التجار ومن اليهم فهن محتجبات في بيوتهن حيث يزاولن اعمالا منزلية ويقمن ببعض المهن السهلة كالغزل والخياطة وفيهن من يشتغلن بالعلم والوعظ والعبادة وهن كثيرات حيث ربين ونشأن في بيوتات العلم والتقى والفضل (١) وحيث تكثر من بينهن ربات بيوت ممتازات وأمهات مثاليات (٢) ولكن التربية فيما بعد لم تنجح — مع الاسف — كما نجحت فيمن أشرنا اليهن اذ تغلبت الرفاهية ونقصت العناية بالتربية المطلوبة فيهن .

بين افراط وتفريط

وصلت المبالغة في الحجاب عند بعض البيوتات في هذا الدور انها لا تتصل حتى بالمرأة التي تستقي لها الماء وانما تعلق القربة في دهليز الدار وتخرج فتجيء ربة البيت وتأخذها لتفرغ ما فيها وتعيدها لتأخذها الاخرى بدورها وتضع قربة اخرى محلها وهكذا دواليك، وبعكس هذا بلغ الاستهتار في اواخر هذا الدور ببعض نساء بادية الحموم (٣) درجة

---

(١) يستخرج من مشجرات الامهات للعلويين وكتب الانساب لكثير من الاسر الحضرمية .

(٢) يستخرج هذا من المشرع والنور السافر والبرد النعيم وصلة الاهل وغيرها .

(٣) هي القبائل التي تسكن المنطقة الجبلية والساحلية فيما بين الشحر ومهره والى حدود الجابري في داخل حضرموت .

الاحتكاك بالجنس الاخر ليس عند دوافع الرقص فحسب بل متى شاعت مما تولد عنه وجود مفاسد وأبناء غير شرعيين، ولما استفاض عندهم هذا التفريخ كما يسميه البعض بذل الوعاظ والمصلحون جهودا جبارة للقضاء على اسبابه ومنها ارتفاع المهور ولا تزال بحاجة الى متابعة (١) ويوجد اختلاط وربما أدى الى احتكاك في بعض المناسبات العامة كزيارة العمودي بقيدون والهدار بالقطن وعلي بن حسن العطاس بالمشهد وغيرها (٢) .

اما الاكثرية الساحقة في الحضرميات فيعشن في حياتهن باعتدال فلا افراط ولا تفريط فالسفور والمشي لقضاء الحاجات والاعمال خارج المنزل موجودان عند الفئات والقطاعات العاملة (٣) وعند البعض من سواهم ولكن جميع النساء الحضرميات اذا خرجن من البيوت يستعملن على رؤسهن النقاب فوق الاقمصة ومنهن من يكشفن وجوههن فتبدو الجميلات منهن كالاقمار ومن يكشفن اعلاه فتبدو جميلاتهن كالاهلة ، وهناك من لا يبدو منها سوى عينيها تلمعان كما في دوعن ووادي عمد ومنهن من يسبلن ستارا رقيقا بحيث ترى ولا ترى، كل هذا لايزال باقيا الى اليوم وندر من تجرؤ على التبرج منهن ، والبعض من القطاعات

---

(١) آخر محاولة في هذا توجيه بعثة كبيرة من تريم لهذا الغرض قبل اربعين سنة يراسها العلامة الداعية الشهير عبدالله بن عمر الشاطري ومعه مفتي تريم العلامة الشيخ ابو بكر بن احمد الخطيب وبمعيتهما بعض العلماء الاخرين ومكثوا لديهم بغيل بن يمين وقت الخريف نحواً من شهر وكتبوا عليهم تعهدا بتخفيض المهور ثم نقضوها بعد سنين اخرى فجددتها بعثة من جمعية الاخوة والمعاونة قبل عشرين عاما تقريبا .

(٢) حاول بعض المسؤولين في هذا العصر عزلهن فيها وربما نجح اذا استتبع الامر .

(٣) لم نعبر بالعمالية لان التعبير بها وان شاع محل ملاحظة نحوية .

الحضرمية يحجب البنت اذا صارت معصرا (١) في البيت مادامت عذراء لم تتزوج ولا تخرج منه الا في مناسبات قليلة وقد لا يكون خروجها الا ليلا (٢) . وللنساء تقاليدهن الخاصة في الاعراس ومجتمعاتهن العامة فهن يستعملن للعروسة المشطة وهي مجموعة من طيب وتمر تلت في شعر رأسها ويبقى فيه اياما ولا تخرج الا بعسر وصعوبة ، ويمنع وصول الماء الى شعرها عند الغسل الواجب ولهذا اختلف علماء حضرموت في حرمتها لعارض هذا المنع واباحتها وألفت في هذا فتاويات (٣) وهن يطلن جلسات الرقص والسمر والروحات حتى افتى بعض العلماء بتقليد من يقول بجواز الجمع بين الظهرين تقديما وتأخيرا في الحضر فأمر نساءه بان يؤخرن الظهر اذا عزمن على الخروج قبله فيجلسن الى مابعد العصر (٤) وتنشد النساء في جانبي العروسين كل في منزله انشودة طويلة فيها تغزل ومديح لاقارب العروسين أو انشودتين من هذا النوع كما يجري في بعض البلاد الاخرى ، ويودع العروسة اقاربها وجيرانها والمدعوون من غيرهم الى بيت الزوج في مسيرة وهيلولة وقد اركبت جملا أو حصانا او حمارا وقد يكون قرينها عند ركابها الى غير ذلك من عادات وتقاليد

---

(١) معصرا بمعنى معنى مراهقة ولكن العرب تعبر بالمراهق للصبي وبالمعصر للصبية .

(٢) اخطأ المستطلع في مجلة العربي في العدد رقم ٨٧ و٨٩ و٨١ وما اليها مما فيه استطلاعات عن المكلا وشبام وسيون وتريم حين بالغ في وصف الحجاب اليوم وغيره مما يوحي بانه يريد الاغراق في الوصف ولفت انظار القراء وقد ارسلت اليه بعض الردود ولكنه مع الاسف لم ينشرها .

(٣) منهم الامام طاهر بن الحسين بن طاهر وسيأتي الكلام عن دوره في التاريخ فقد قال بحلها اصالة ولكن العلامة عبدالله بن حسين بلفقيه ربط تحريمها بما يترتب عليها من عدم تعميم الغسل الواجب رحمهما الله انظر بغية المسترشدين المسماة فتاوى مشهور في الفقه .

(٤) هو الامام عبدالله بن علوي الحداد كما في بغية المسترشدين .

الزواج التي لا يخلو عنها مجتمع ، ويكثرن بحسب احوال رجالهن الاقتصادية من انواع الحلي في المعاصم والارجل طقوما منوعة وفي ازقبة والنحر وربما تملأ حلي الواحدة زنبيلا أو عبلة واسعة (١) والعروسة اكثر بحيث يتنافى مع الذوق السليم ويتعب من تستعمله كالاذيال التي أشرنا اليها في الجزء الاول ومما استعملته نساء هذا الدور مما يستهجن ، الاصباغ المنوعة بأشكال نقاط صغيرة وكبيرة على الوجه ويتبارين في هذه التشكيله على اوجه البنات الصغيرات ولكن هذا زال في اواسط هذا القرن ، والنساء يظفرن شعورهن ظفائر دقيقة بحيث يكون في كل جنب عشرات الظفائر وفي الوراء ايضا ولكن ظفائره اقل ، وهناك نساء مختصات بهذا التظفير يقمن به يوما في الاسبوع او في الاسبوعين بعد ان ينظفنه ويدهنه ويسمونه التمقيد وتسمى الظفيرة عقدة وقبل سنوات تركت نساء المدن هذا التمقيد تدريجيا واستبدلنه ببعض التسريحات الجديدة .

حياة الاسرة

حياة الاسرة في حضرموت في هذا الدور حياة رضا وقناعة وترابط بمقتضى جو هذا البلد الذي تعيش فيه ، ولها برنامج مرسوم في البيت وفي الحقل وفي الوادي وان اختلف شكلا فانه لا يختلف أساسا فأفراد الاسرة في المنزل يجتمعون على مائدة في الوجبات الاصلية ، والعائلات المحافظة الكبيرة تخصص مائدة للرجال واخرى للنساء وحديث المائدة منوع ومحلي غالبا كل بما يرتبط مع حياتها الخاصة وعملها المختصة به والى الحوادث الحربية والسياسية واذا تزوج الفرد الذكر تخصص له

---

(١) يؤخذ من برد النعيم عند ذكره بعض نساء الاسرة الخطيبية وخلال بعض الامالي والمصنفات الحضرمية .

غرفة الا الفقراء الذين لا يجدون حيلــة ولا يهتدون سبيلا ، ولا يفترق الابن عن ابويه واخوته الا اذا ازداد العدد فحينئذ يفترقون الى أثنتين وثلاث كما تفترق خلية النحل والحموات متعاونات مــع زوجات بنيهــن وأقل تقارا بكثير مما في البلاد الاخرى كمصر أما حماة الزوج فانهـــا تجمله محل تجلتها واكرامها في كل مناسبة وكلتاهما تدعى بخالة، وتعدد الزوجات أقل بكثير من الاقتصار على واحدة وقل ان تجتمع الضرائر في بيت واحد الا في قليل من البلاد كسينات فانهن يجتمعن ويتعايشن معا في دار واحدة كأنهن اخوات ولا يزال هذا باقيا فيها الــى اليوم ، وهــــم يستيقظون باكرا واكثرهم يقومون السحر يسمون ذلك قيام الربع يعنون به الربع الاخير من الليل فيحيونه بالتلاوة والعبادة ودرس العلــم في المساجد والسيدات يبقين في البيوت ومنهن من تشارك في هذا القيــام ومنهن من تدرب اطفالها على هــذا لينشأ نشأة الطاعة والعبادة حتـــى الفجر ، وصلوات الرجال كلها في جماعة في المساجد حيث توجد بكثرة في المدن حتى بلغ عددها في تريم آخره (١) وفي القرن الثالث عشر نحوا من ثلاثمائة مسجد منها ما يشمل مساجد عدة داخل مسجد واحد وبهــذا ضربت الرقم القياسي في هذا المضمار مما ندر وجوده في مدينة اخــرى ولهذه المساجد اوقافها وقيومها ونظارها الا ما ندر (٢) .

القهوة والتبغ

ولما انتشرت القهوة في ربوع حضرموت عن طريق اليمن وغيره ثم من جبل يافع أثناء القرن الثامن أحبوها جدا وجعلوا يتناولونها بكثــرة ونوعوها من بنيه خالصة وبنية مــع قشرها وخالصة (ساده) ومسكره

(١) أي آخر هذا الدور .
(٢) كما مر تحت عنوان أوقافهم ومبراتهم .

ومزنجلة ، وللاسرة اوقات تجتمع فيها على حسو كئوس من القهوة فـي الفناجين والاباريق الخزفية والمحلية غالبا وبلغ بهم الامر الى بناء دكة في غرف الاستقبال فيها مواقد لطبخ القهوة من ربة البيت او احدى عجائزها حيث تقتعدها ولقلي البن والقشر فتفوح منهما رائحـة شذية يستنشقها الحاضرون حين تدار عليهم المسارف (١) ومن أهم هذه الاوقات وقـت الضحى ويسمونه الضحوه ويسمون قهوته قهوة ضحوة وعلـى هـذه القهوة تدور الاحاديث المناسبة او المذاكرات العلمية او الاشعار المحلية الدارجة واصبحت القهوة بعـد انتشارها بحضرموت ضرورية للمجالس الطويلة على اختلافها ما بين خاصة وعامة في البيوت وفي حفلات المولـد النبوي وختم القرآن في ليالي رمضان ويتهادون بالبن وما يضاف اليـه ولا تزال القهوة الشراب الوحيد المفضل عندهم حتى ظهر الشاي في اوائل القرن الرابع عشر الجاري بواسطة القادمين من الحجاز (٢) فزاحم القهوة وجلب الى حضرموت من الشرق الاقصى وغيره وصارت له مكانة لا تقل عن مكانة القهوة وتأنقوا في اعداده وانتقاء اوانيه الزجاجية اللامعـة وبخارياته (٣) البراقة وعقد المجالس من اصحاب الفراغ والدعه حوله ،

---

(١) انتقدهم كثير من مرشديهم وعقلائهم حين افرطوا في شرب القهوة واتخاذهم أوانيها فاختلت اقتصادياتهم وفي مقدمتهم الداعية الكبير والاقتصادي الشبامي احمد بن عمر بن سميط المتوفى سنة ١٢٤٠ حتى اثر عنه قوله « لو انا نخزن في كل طبخة قهوة جفله (اي بنة بقشرهـا) لاقمنا سلطانا عادلا » .

(٢) اول من جلبه السيد حامد بن عبدالله الجنيد في مطلع هذا القرن الرابع عشر الهجري .

(٣) جمع بخاري وهو دلة نحاسية تصنع في بخاري في وسطها انبوبة للجمر ليغلى به الماء واذا فار وضع على ورق الشاي بعد غسله في ابـريق ويوضع على نار البخاري حتى ينضج ثم يشربون منه بعد مزجه بماء وسكر وصبه في الفناجين .

والعائلات المحافظة على الحجاب تمد ستارا بين الجنسين الاجنبيين شرعا من افرادها في مجالسها الانفة الذكر .

اما التبغ (التنباك) فقد ظهر في هذا الدور أثناء القرن العاشر او قبله ولكنه اقتشر فيما بعد (١) بين الجنود والجمالين والبدو ومن لف لفهم وكانوا يدخنونه بواسطة النار جيلة (الرشبه) المعروفة ونساؤهم تتحامى التدخين ويستنكفن منه وكان آكثر رجال العلم والوعظ والاصلاح يقومون بحملات ضده ومنهم من افتى بتحريمه للاضرار الصحية والدينية الناشئة عنه وعن مجالسه وفي مقدمة من يعارض بشدة شرب الدخان الحسين ابن الشيخ ابي بكر بن سالم صاحب عينات المتوفي سنة ١٠٤٤ ﻫ فقد اشترى جميع ما هو موجود منه بحضرموت وأمر ولاة حضرموت بمنع دخوله اليها ومصادرة ما يدخل ونودي بذلك في الاسواق حتى تم له غرضه من تطهيرها منه لوجاهته واخلاصه (٢) ولكن التبغ (التنباك) ظهر فيما بعد وهرب وانتشر بل وزرع فيها واستعمل الى الان .

الاصطياف في الضواحي والارياف

ومعظم الاسر الحضرمية تنتقل بأجمعها للاصطياف من المدن والقرى والسواحل الى الضواحي والارياف والاودية في فصل الصيف ويسمونه الخريف حيث يجنون الرطب ويدعونه الخريف ايضا والفواكه الاخرى ولكن اعتمادهم على الرطب الطازج الحلو المنوع يأكلون منه عدة اكلات في اليوم والليلة وبعضهم يكتفون به عن غيره طيلة مقامهم في المصيف

---

(١) ولهذا ارخه بعضهم بكلمة (بغي) سنة ١٠١٢ ﻫ .
(٢) اشار الى هذا في المشرع .

ويقضون اوقاتهم في فرح ومرح وسمر ومزاورات وقنامة (١) وعناية بصائفهم ونخيلها واطيانها وقد يتكرم الله عليهم بالسيول والامطار وهم فيها فيزدادون فرحا الى فرحهم وتنتعش آمالهم فـي الخصب ويسمون المطر رحمة وكأنهم يعبرون بها عن رحمة الله لهم بواسطته من ذكر المسبب وارادة السبب وهكذا يخرجون بالاصطياف الى جو تقسي منعش يزداد لطافة في الليل وفي البكر والاصال .

أبناء الحارات

وفي هذا الدور وقبل منتصف القرن الثامن الهجري (٢) تأسست انظمة الحوف وهي جمع حافه (٣) بمعنى حارة وجمعها حارات حيث تقسم المدينة الى أحياء فيقـوم شيوخ وفتيان كـل حـي باسعافات وخدمات اجتماعية من انتشال الغريق واطفاء الحريق وطبخ الطعام وتقديمه وادارة المشروبات في المجتمعات العامة من مآتم وولائم واحتفالات وكل مـــا

---

(١) قنامة النخل وضع ما اشتمل عليه العرجون من شماريخ ــ ويسمى الخيل بكسر الخاء ــ في سلة لحفظه من الندى والغبار والطير ولهذه اللفظة اصل في العربية ويسمون السلل التي توضع فيها الخاول جمع خيل خبرا مفردها خبره بضم الخاء وهي بالفصحى بفتح الخاء مفردا او جمعا بمعنى المزاده ويظهر انها ماخوذة من هذا وقل ان توجد هذه القنامة في غـــير حضرموت ووجودها في واديها الرئيسي اكثر ويبدؤن في القنامة (التخبير) بعد أن يستوي الرطب ليقدموا منه الهدايا والصدقات وقتها وحيث يوزع منه على الفقراء المتجمعين بين النخيل .

(٢) لا يعرف بالضبط متى تاسس نظام الحارات بحضرموت ولكن من المحقق انه قبل منتصف القرن الثامن الهجري كما يؤخذ من بعض حكايات الجوهر الشفاف للخطيب .

(٣) الحافة باللغة الفصحى الجانب وجمعها حافات وحيف بكسر فسكون وحرف بضم ففتح لغة دارجة .

يحتاج الى جمهور كبير في حمله او جره كالبوابات العظيمة واخشاب المباني الكبيرة ، وسحب جيف الجمال والخيول وامثالها الى خارج المدن ، وحمل الجنائز وتجهيز الاموات واغلب ذلك يقومون به مجانا ، وما على من حدثت عنده أي حادثة تستدعي الاستعانة بأبناء الحارة التي يسكنها الا الاتصال برئيسهم (مقدمهم) فيسارعون فورا الى اجابته وعندما يقع شخص في نائبة حرق اوغرق او هدم يتعالى الصريخ والاستغاثة بكلمة مناسبة كقولهم (والنار والبئر) فيهب أولئك لنجدته واسعافه في الحال واذا تم انقاذه انشدوا نشيد الخلاص وداروا في حارتهم صفوفا فرحين بما قدموه من تضحية وهاتفين باسم الشيخ المعتقد الذي له مكانة روحية في قلوبهم وقلوب آبائهم الذين يطبقون هذه الانظمة على أساس من النيات الصالحة •

فالغاية التي يهدف اليها هذا النظام غاية اجتماعية نبيلة وهو اشبه بالفتوة الشعبية التي توجد في بعض البلاد الاخرى وبالكشافة في بعض صوره •

وتوجد منافسة بين ابناء كل حارة واخرى وحماس فيما بينهم لاداء واجباتهم الاجتماعية التي يشعرون انهم مسؤلون عنها وانه من العيب الفاضح التقصير فيها او ان يتدخل أحد من ابناء الحارات الاخرى في شؤون الثانية وداخل حدودها واذا حدث ذلك فقد يؤدي الى اصطدام عنيف بالهراوات والسكاكين وقد يؤدي الى الاصابة بالقتل كما حدث في آخر القرن الماضي في مدينة الشحر حيث قتل سبعة اشخاص في اصطدام بين حافتين • واذا وقع الاشتباك فلا يفصله الا جملة السلاح (القبائل) بقوة السلاح وتصبح وقائعهم كوقائع القبائل المتسلحة حديث الاندية والمجالس ولها تاريخ طويل • ولكن ذلك التنافس خف كثيرا في هذا العصر كما ان الحماس لاداء تلك الواجبات يكاد يكون معدوما •

ومن مهامهم القيام بالالعاب الشعبية كالشبواني والرزيح والخابة وهي العاب تقوم على الحركات المتزنة وكل واحد منها له شكله الخاص فالاول يقوم به صفان متقابلان يتغنيان بالشعر الشعبي الذي يرتجله لهم شعراؤهم الذين يتبارون فيه عدة مرات وفي نهاية كل مرة يتغنى الصفان باخر بيت ويقال انه منسوب الى شبوة ، واما الثاني فمأخذه من اسمه اذ يرزح الفلاحون في دائرة متسعة وبغناء خاص وحركات خاصة والاخير مأخوذ من الخبب اذ يخبون صفوفا داخل حارتهم وفرقا ينشدون الاناشيد الشعبية ولا تزال هذه الالعاب باقية الى اليوم •

والمدن الحضرمية المعروفة بتقسيمها الى حارات هي تريم والشحر والمكلا ويوجد في كل منها ما لا يقل عن ثلاث او اربع حارات كما يوجد في غيل ابي وزير وسيون ما لا يقل عن حارتين ولكل ابناء حارة حدود مخططة الا انه قد يجري اختلاف على بعض النقاط فيؤدي الامر فيما بينهم الى تقديم دعاوى وعرائض الى رجال السلطة الذين يجدون صعوبة في اقناع أي طرف وفي تفسير العرف الجاري في مثل هذه الاحوال وبالتالي ينتهي الامر الى سجن وتغريم بالجملة وبالقطاعي •

ولم تنفرد حضرموت بنظام الحارات بل يوجد في مدن اخرى وان اختلف شكلا وحتى مكة المكرمة كان يوجد فيها هذا النظام فيما بلغني عن بعض اهلها الثقات ، وقد فكر بعض المسؤلين بحضرموت في الغاء هذا النظام ولكنه عجز عن الاتيان ببديل له فاضطر الى ابقائه على ما كان •

أول نقابة منظمة بحضرموت

توجد بحضرموت ــ كغيرها من البلاد ــ نقابة او رئاسة للجماعات الكبيرة التي تلتقي حول عمل واحد او مبدأ واحد او نسب واحد كأبناء

الحارات والزراع والقبائل المسلحة (١) وتتركز النقابة أو الرئاسة في ادارة الحياة العملية العامة التي تعيشها • وقد اشرت الى شيء منها خلال الادوار السابقة واللاحقة ولكنها تجري بشكل فطري اكثر ينقصه النظام والدقة الا أنه في هذا الدور وفي الثلث الاول من القرن التاسع الهجري تأسست نقابة منظمة للسادة العلويين في ان لا يحيدوا في اعمالهم وفي معاملاتهم بل (في كل شيء) ــ كما تنص اتفاقيتهم أو معاهدتهم الاساسية ــ عن دائرة الشرع الشريف وان يضبطوا اوقافهم وصدقات مساجدهم ــ وهي كثيرة ــ ويضعوها في مواضعها ومصارفها الشرعية ويعينوا لها نظارا أكفاء وان ينصروا من اصيب منهم بمظلة من جندي او قريب او غيره بالوسائل السلمية بعد ان يتحققوا من وقوع المظلمة •

وانتخبوا الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف نقيبا عليهم (٢) ورئيسا لادارة نقابتهم التي تتألف من عشرة منتخبين من اعيانهم وعلى كل فرد من العشرة خمسة ضمناء في ان لا يخالفوا الطريق المرسوم له في الادارة والعمل واذا لم يؤد واجبه بكفاءة يبدل بآخر يعينه النقيب الى غير ذلك من الترتيبات •

ويقوم بتنفيذ مواد الاتفاقية حاكم تريم المتولي على حصن الرناد ــ قصر الحكم ــ من آل يماني أو غيرهم ومن ناحية اخرى فقد اتخذوا طريقة سلمية لتنفيذ موادها كلا أو بعضا وهي سلاح المقاطعة فان النقيب يهجر ويمتنع عن مصافحة من ثبتت اداته بظلم احد منهم ويتبعه الاخرون في المقاطعة وذلك لانهم يرون في هذا ما يكفي في عودة الحق الى نصابه لقوة نفوذهم الديني ولمكانتهم العظيمة في الاوساط كلها وذيلت

(١) حتى ارباب القنيص (القنص) لهم نقابة .

(٢) انما اختاروه لانه اكفاهم والكفاءة عليها مدار في مثل هذا وقد اختار الرسول اسعد بن زرارة الانصاري نقيبا على من اسلم من قومه يوم العقبة ومعلوم ما للنقابة من تاريخ في الاسلام .

اتفاقية النقابة بالامضاءات ومن ضمنها امضاء حاكم تريم سلطان بن دويس كما يلي (حضر وضمن على ذلك سلطان بن دويس لهم وعليهم على ما في هذه الورقة) .

ونقابة العلويين بحضرموت هذه هي من نوع نقابات اخوانهم الاشراف بالعراق ومصر والحجاز وغيرها وكان لها أثر كبير في استمرار العلم والثقافة والتقوى والتربية الاسلامية فيهم جيلا بعد جيل ، وقد تولى بعد المحضار نقباء آخرون منهم العيدروس الاكبر المتوفي سنة ٨٦٥ وأحمد بن علوي باجحدب المتوفي سنة ٩٧٣ وزين العابدين الاكبر العيدروس المتوفي سنة ١٠٤١ هـ ومما يؤسف له ضياع المصادر التي توضح وتسلسل لنا النقباء والوقائع والتقارير والخدمات عن هذه النقابة وغيرها من النقابات الاخرى وحتى هذه الاتفاقية الانفة الذكر قد اغفل التاريخ منها ويظهر انه من اخطاء الناسخ الاول الذي تواتر النقل عنه (١) وما كتبته هنا عن النقابة العلوية مستمد منها نصا وروحا ولكن النقابة انقطعت فيمابعد القرن الحادي عشروان بقيت آثارها الادبية الى اليوم.

المناصب والاشتراكية الحقيقية عندهم

المناصب جمع منصب وهو المرجع في الامور الهامة والمشاكل الاجتماعية وكما يطلق في اللغة العربية على هذا وعلى المقام والوجاهة والشرف والحسب كذلك توجد مجموعة هذه الصفات في المناصب الاول عند اهل حضرموت وشخص المنصب الذي هو المرجع متلازمة معه تلك الصفات التي أشرنا اليها ، والمناصب منتشرون في معظم مدن وقرى وأودية حضرموت وشغلهم غالبا التفرغ لثلاثة اعمال اجتماعية هامة وهي

---

(١) رأيتها منقولة حرفيا بقلم مفتي تريم الفقيه العلامة الشيخ ابي بكر ابن احمد الخطيب المتوفي سنة ١٣٥٨ هـ وممن اشار اليها من المؤرخين صاحب المشرع وغيره ضمنا .

(أ) اصلاح ذات البين ومن أهم انواعه عقد الصلح والهدنة (١) بين القبائل المسلحة وكثيرا ما يخاطرون بأنفسهم ويزجون بها في المارك لايقاف القتال بينها واسترجاع الاموال المنهوبة في غاراتها ، والقبائل قل أن تمضي لهم أمرا في هذا السبيل •

(ب) ارشاد الجهال والقيام بنشر المباديء الاسلامية في محلاتهم وفي البوادي والارياف والاماكن البعيدة عن الدعاة وينطوي تحت قولهم (نشر الدعوة الى الله) تطبيقا لقوله تعالى « قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني » يتولون ذلك بأنفسهم وبمريديهم وتلاميذهم وقد يفتحون بعض المعاهد العلمية التابعة لمقامهم فتكون ملحقة به وقد يتوسعون في نشر الدعوة الاسلامية الى المهاجر الحضرمية كاندونيسيا وملايا وشرق افريقيا كغيرهم من الدعاة الحضارم •

(جـ) قري الضيف فتكون ديارهم مفتوحة دائما وكل وقت للضيوف والنزال والغرباء من الحضر والبدو (٢) وهم يستقبلونهم بكل

---

(١) الفرق عندهم بين الصلح والهدنة ان الصلح ليس له اجل او له اجل طويل والهدنة اجلها قصير وقد يمهد اثناءها للصلح كما اشرنا اليه

(٢) نظمت هذه الثلاث المكارم ووصفت خوض المناصب للمعارك في ابيات من قصيدة رحبت بها الشاب الاديب المنصب الحسن بن سالم العطاس احد مناصب آل العطاس في حفلة اقمناها له بمركز جمعية الاخوة والمعاونة بتريم سنة ١٣٥٤ هـ وسنة ١٩٣٥ م وهي:

بقـرى واصلاح وارشاد ويـا	نعم الثلاثـة لـم تـزل مشغولا
فلتحـي محترم المقام فانمـا	مثلـت اعمـال الجدود الاولـى
ونشـرت روح الامن بين قبائل	الاعراب فارتـد البـلا وازيـلا
ولربما حمي الوطيـس واسيلت	فوه السلاح من الرصاص سيولا
ولربما اشـتبكوا كأن رماحهـم	شبك يصيد مجرحـا وقتيـلا
فتخوض بين رصاصهم ورماحهم	وسواك لا يـستطيع قط وصولا

وهي موجودة في ديواني المطبوع وفيها وصف لحياة المناصب .

حفاوة واكرام ويقدمونلهم اطيب المآكل وافخرها وينحرون لهم الانعام ويطبخون لهم الطعام فـي مطابخ معدة لذلـك ويمهدون لهـم الفرش ويغرقونهم بأخلاقهم السامية ومعاملتهم العالية وقد لا يكون مع المنصب ولا في مقامه سوى قوت عيالـه فيقدمه لضيوفه فـي الحال بكل سرور وغبطة ولسان حاله يقول :

اضاحك ضيفي قبـل انزال رحله ويخصب عندي والمكان جديب
وما الخصب للاضياف ان يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وكثيرا ما يستدين المنصب ديونا تثقل كاهله من أجل القيام بهـذه الخدمات العامة التـي يرونها مـن أوجب الواجبات الاجتماعية التـي يتوارثونها أبا عن جد وتسمى المنصبة بميزان مفعله (١) وهم يرون في أموال هذه المنصبة مالا مشاعا وحقا مشتركا للمساكين المحتاجين وللغرباء الذين تنقطع بهم السبل فلا يردون من ورد اليهم أو نزل بساحتهم منهـم ابدا بل ان المنصب نفسه قـد يفني امواله الخاصة ويذيبها فـي الاموال المرصودة لمقامه ومقام آبائه التي تتألف منمجموعة اوقاف ووصايا ونذور وهبات ولكنها لا تكفي غالبا لما رصدت له ويرث المنصبة الابن الاكبـر للمنصب أو الشخص الذي تنتخبه الاسرة منها عند بعض الاسر وقـد تأسـت هذه المناصب ـ بالشكل الذي أوضحناه ـ فـي القرن العاشر من هذا الدور اي منذ أربعة قرون (٢) وأول من عرف بتأسيس المنصبة العلامة الكبير احمد بن حسين السيدروس وابنه عبدالله بـن احمـد المتوفيان بتريم والشيخ ابو بكر بن سالم المتوفي بعينات والثلاثة المشار

(١) بسكون النون وفتح الثلاثة ما عدا الهاء .

(٢) انه يوجد من يقوم بهذه المهمات التي يقوم بهـا المنصب كلهـا او بعضها اشخاص كثيرون منذ فجر الاسلام في حضرموت وغيرها الا انهـا ليـست مؤسـسة وموطدة على الاساس المشار اليه ولهذا فهي تنقطـع بموتهم ولم تدم كما دامت تلك .

اليهم من اعيان القرن العاشر (١) والشيخ احمد بن محمد العمودي والد الشيخين عمر الفقيه وعثمان مناقب أبي طويرق والثلاثة من اعيان وادي دوعن في القرن نفسه •

وطبيعة حضرموت وظروفها من شأنها أن توجد فيها هذه المؤسسات العظيمة النفع ولهذا توجد روابط وثيقة بين هؤلاء المناصب الذين يتمتعون بالوجاهة وحسن العقيدة فيهم وهو ما يسميه البعض بالنفوذ الروحي (٢) بين القبائل المتسلحة ولهم نفوذ عليهم في حدود معينة كما ان لبعض المناصب نفوذا وسلطة على مواطنيهم فترى النفوذ القبلي والنفوذ الديني او الروحي كما يسميه البعض يمشيان جنبا الى جنب في تلكم الازمان والى ما قبل ثلث قرن فقط من هذا التاريخ ، فترى آثار الاول متمثلا في القلاع والحصون والاكوات (٣) وما اليها وآثار الثاني في المساجد والزوايا والاربطة وغيرها مما يشارك فيه رجال الخير والاصلاح •

ومن ابرز العائلات التي تحدرت منها المناصب آل الشيخ أبي بكر بن سالم ولهم وجاهة عظيمة لدى القبائل اليافعية والمهرة والمناهيل وغيرهم وآل العطاس ووجاهتهم أكثر لدى قبائل الجعده ونهد وال العيدروس ووجاهتهم لدى القبائل الشنفرية والتميمية وهذه أسر علوية شهيرة وللمشايخ العموديين وجاهة عظيمة لدى قبائل دوعن كما ان لآل أبي وزير وجاهة لدى قبائل الساحل ولآل أبي عباد وجاهة لدى بعض القبائل البدوية وهذه اسر شهيرة من المشايخ تحدرت فيهما مناصب

---

(١) انظر تراجمهم في المشرع وغيره .

(٢) كلمة النفوذ الروحي مستوردة ومترجمة عن الكتاب النصرانيين

(٣) الاكوات جمع كوت ولعله كوخ لانه البناء الذي ليس فيه كوة فحرفوه الى كوت في اللغة الدارجة وتتحصن فيه القبائل .

معروفة . وهناك اسر اخرى علوية وغير علوية لهـا منصبهـا ووجاهتها
ألتمس العذر لعدم الاطالة بذكرها لان المقام يقتضي ذلك كما اني مـن
اجله لم يمكنني التفصيل بتعداد أسماء القبائل المتقيلة لنفـوذ المناصب ،
والمهم اعطاء صورة عامة عنها طبق الواقع اذ ذاك ، ولكثير من المناصـب
خدم وحشم وخيول ومماليك وعلم وطبول قل ان تفارقهم .

والمناصب الاولون يتحلون بالعلم والحلم والتقى والشجاعة ومتانة
الاخلاق والخبرة بظروف الاقليم ونفسيات أهله ومع الاسف ان يفتقـد
كثير من خلفائهم النصيب الوافر من هذه الصفات فلا يستطيع ان يؤدي
كل المهمات التي كان يؤديها أسلافه الماضون رحمهم الله بل ربما انحرفوا
عنها وقد انتقدهم الداعية الكبير عبدالله بن علوي الحداد وغيره ومـع
هذا فلا ينكر ما لوجود المناصب في الماضي البعيد والقريب من أثر حميد
في تسكين الفتن وارشاد الجهـال ومواساة المساكين وانقـاذ المنكوبين
واقامة الافراح ، ويقال للاعيان والولاة في بعض البلاد العربية (١) فيما
مضى مناصب .

الحُوَط

والحوط بضم الحاء وفتح الواو جمع حوطه بفتـح الحاء والطـاء
وسكون الواو وهي الموضع الـذي يختطه المنصب او احـد المعتقدين
ويحوطه ويعلن بأنه اصبح حرما امنا على الدوام لا يمكن فيه قتـل ولا
قتال ولا نهب ولا ظلم من القبائـل ولا السلاطين فيستجيبون ويتعهدون
بذلك ، ومن دخله صار آمنا لانه في حمى مؤسسه ومختطه ولهذا سميت
كثير من مدن وقرى حضرموت باسم الحوطة مجردة عن الاضافـة الى

(١) منها لبنان .

صاحبها أو سمها كحوطة أحمد بن زين وصاحبها العلامة الكبير احمد بن زين الحبشي العلوي وحوطة سلطانة وصاحبتها الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدي فاذا خاف احد الظلم او وقع تحت تهديد اهله نزح الى احدى تلك الحوط •

العادات والتقاليد والآداب

لكل طائفة من طوائف الشعب الحضرمي عادات وتقاليد وآداب تزاولها فيما بينها مما يتعلق بلباسها واشغالها وافراحها واتراحها ونجد الكثير منها مذكورا في هذا الكتاب في مناسبات عديدة (١) •

وهنالك التقاليد والعادات والاداب العامة التي يزاولها كل ابناء الشعب ويشترك في القيام بها وكثير منها موروث ومأخوذ من الاداب الاسلامية والعربية ومن ذلك توقير الكبار في السن ، فيدعو الصغير من هو اكثر تقدما منه في السن ياعم او يا أب او يا خال ويا ام او يا خالة او يا عمة والكنية شائعة بينهم كما هي شائعة عند العرب، وتقبيل اليد مظهر من مظاهر الاحترام عندهم (٢) فيقبلون أيدي كبار العلماء والطاعنين في السن يقبل ايديهم الشبان والاطفال كما يقبلون أيدي آبائهم وامهاتهم ويقبل غير العلوي يد العلوي ويلقبه بالسيد وبالحبيب اشارة الى محبته له من اجل انتمائه الى الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم واعترافا بما قدمه اجداده من خدمات علمية واصلاحية لهذا الشعب وتقول بعض المصادر (٣) ان المشايخ آل ابي فضل كانت تقبل ايديهم احتراما لهم فلما

---

(١) انظر عادات القبائل ، والبدو ، وما ذكرنه من عادات اخرى تحت عنوان المجتمع في الادوار السابقة واللاحقة من هذا الكتاب .

(٢) وعند غيرهم أيضا كبعض أهالي المغرب العربي ومصر .

(٣) هو الشيخ العلامة محمد بن عوض بافضل صاحب كتاب صلة الاهل .

جاء العلويون الى حضرموت آشاروا الى ابناء الشعب بان يحولوا هـــذا التقبيل الى العلويين لانهم احق به ، ومما يلاحظ ان العلوي لا يجد في نفســه اي ترفع بهذا التقبيل بل ان البعض مـــن العلويين الاقدمين كان لا يرتاح اليه كالعيدروس الاول (١) فضلا عن المثقفين في هذا العصر ؛ كما ان الذي يتناول اليد فيقبلها لا يجد اي غضاضة في ذلك عليه لانه يزاول عادة نابعة عن العطف والاحتشام لسلالة النبي محمد ؛ ولهذا تجد الحاكم الحضرمي مثلا يقبل يد العلوي فيىنفس الوقت الذي يحكـــم عليه فيه بالســـجن او بالتغريم فكل شيء يجري مجـــراه عندهم ولعلمـــاء الشرع كلامهم المعروف حول هذا التقبيل (٢) الذي هو في طريقه الى الزوال كامثاله من العادات والتقاليد التي ينتقد البعض بأنها وما اليها اصبحت غير متلائمة مع افكار هذا الجيل ؛ ولرمضان عاداته الـــى جنب عاداتـــه فترى زمر الاطفال والشباب يحملون المشاعل ليلا ويطوفون بها خـــلال

---

(١) توفي العيدروس سنة ٨٦٢ هـ وقد ذكرته بالمناسبة في اكثر من موضع من هذا الكتاب .

(٢) يستدل العلماء باحاديث حول ندب تقبيل ايدي اهل البيت منها ما قاله زيد بن ثابت الانصاري (ص) لابن عباس لما اخذ الاخير بركاب بغلة الاول قائلا له هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا ، وقد سئل الامام احمد بن حنبل وابن حجر وغيرهما من السابقين كما سئل عبدالله بـــن حسن مفتي الوهابية والشيخ شلتوت شيخ الجامع الازهر في فتاويه عن تقبيـــل اليد وكلهم يجيبون بانه لا باس به او بندبه ان كان لدافع ديني وقد الـــف بعض العلماء رسائل حول ندبه منها اقامة الدليل على ندب التقبيل للســـيد علوي الحدادومنها ارشاد النبيل للعلامة الصديقي والمهم من هذه التعليقة هو ان يعلم القاريء ان الحضارمة الاول بل علماءهم انما بنوا هذه العادة على ما يبررها لا عن سذاجة وغفالة كما يتهمهم بها بعض من كتب فـــــي التاريخ عنهم ؛ ومن ذا يلوم هذا الحضرمي المسلم ـــ وهو يقرأ في صلواته كل يوم اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وازواجه وذريته ـــ مـــن ذا يلومه على ابداء شعوره الفياض بالعطف والتجلة نحو هذه الذرية بتقبيـــل ايـــدي رجالهـــا .

الديار وينشدون بعض الاشعار الدارجة لمناسبة رمضان ويتمحهم اربابها بالدراهم او الحلويات او غيرها وبعض النساء ايضا يقمن بهـذا الدور ، وتقام اسواق جنب المساجد التي يقام فيها ختم القرآن من العشية الـى اثناء الليل في بعض المدن الكبري كما تقام موائد العشاء والافطار بـين الاقارب والجيران والمواطنين في هذا المشهد الميمون .

ومن العادات المعروفة عند بعضهم بالنسبة للمسافر انهم يضعون كمية من التراب يطأها برجله ثم يصرونها في خرقة يعلقونها في سقف درج منزله قبل مغادرته البلد اعتقادا منهم بأن في هذا التراب جلباله من السفر ليعود قريبا، وقد تجد في بعض الديار عددا من هذه الصرر بقدر عدد المسافرين مـن اهله ــ وما اكثر المهاجرين من حضرموت ــ وقـد يصادف ان لا يعود هذا المسافر فتخطيء هذه العادة وهي قديمة الا انه ليس في بالي حـين كتابتها تاريخ ابتدائها ، وعندما يموت ميت تقوم كـل اسرة مـن اسر جيرانه واقاربه واصدقائه بصنع جفنة من ثريد او أرز وتقدمها لاسرة الميت وهي بدورها تقدمها للمعزين والمساكين ومعلوم ان هذه العـادة مسنونة شرعا وقديمة منذ ايام الرسول محمد (ص) الا انها ابطلت فـي بعض مدن حضرموت فـي الاعوام القليلـة الماضية ، وتقـدم للعريس وللعروسة وللطفل المختون هدايا منوعة أكثرها من النقد ولا تزال معمولا بها الى اليوم الا ان المغالاة فيها قد خفت كثيرا في هذا العصر ، ووضـع التمائم والخرز على الاطفال والمرضى منتشر لقلة الطب والاطباء (١) كما يوجد في معظم البلاد العربية والاسلامية وغيرها الا انه خف كثيرا فـي هذا العصر بقدر ما انتشر الوعي الصحي والطبي فيها ولكـن الخرافات قليلة فيها بالنسبة للبلاد الاخرى ، وتوجد عادات وتقاليد اخرى مختلفة

---

(١) تجد الكلام مبسوطا حول هذا في الدور القادم تحـت عنوان ــ الصناعة والزراعة والطب ــ

باختلاف المدن والقرى والبوادي الحضرمية وباختلاف العصور والظروف ، وبعضها مستورد — في الاصل — من المهاجر الحضرمية ، ويظهر ان اكثر المدن محافظة على التقاليد والاداب تريم خصوصا في العادات المشوبة بالعبادات فلا تكاد توجد مناسبة دينية او اجتماعية الا ويقام لها فيها احتفال عام اما في احد مساجدها او ساحاتها او معاهدها، واهلها معروفون بانهم محافظون وبلغ بهم الامر الى ان كل قبيلة من العلويين والمشايخ تلازم موضعا في الجامع للاعتكاف وصلاة الجمعة — بدون ان يمنعوا منه غيرهم طبعا — وذلك منذ قرون لان اجدادهم يتسابقون في التبكير والعبادة والقرب من الامام ولانه ايسر من التنقل (١) فنسج الابناء على منوال الآباء الا ان ذلك كله قد قل في هذا العصر (٢) ، والكفاءة في الزواجات من ناحية الحرف والانساب موجودة غالبا بين الحضارمة منذ عشرة قرون طبقا لمذهب الامام الشافعي (ض) كغيرهم من طائفة الشافعية في البلاد الاخرى •

ومن اغرب عاداتهم المذمومة التنابز بالالقاب وقل ان تجد مدينة او قرية الا ويتبز اهلها بلقب مختص بما يقصد منه التهكم والباسطة كما ان لكثير من القبائل القابا تنبز بها ولكن هذا يكاد ان يكون نسيا منسيا اليوم وكثير من الافراد ينبزون بالقاب ثم لا يعرفون هم ولا اولادهم الا بها •

وبالجملة فان المحافظة على التقاليد العربية والاسلامية الصميمه كالمسابقة في اكرام الضيف وحمى الجار والغيرة على العرض والاهتمام بالحشمة والصون والعفاف قد قلت كثيرا بحضرموت وبالبلاد العربية

---

(١) كره بعض الفقهاء الايطان وهو ملازمة موضع خاص للصلاة ويظهر انهم لا يقولون به .

(٢) يوجد كثير من عادات تريم مسجلة عند بعض المهتمين بها .

والصلاة (١) ويقال فيه انه تمشيخ أي لزم طريقة المشايخ الصوفية بعدما كان قبيليا ولعل هذا أفضل له وللناس .

وبلغ الامر بنزوح السكان عن حضرموت الى انقراض قبائل واسر باكملها عنها ووجودها بالمهاجر ويظهر هذا جليا حين تستعرض شجرات الانساب وكتبها وبعض المراجع التاريخية .

المجاعة وتخريب السيول

ولعل من اعظم العوامل للهجرة والخراب في هذا الدور هي الامطار الغزيرة وفيضان السيول العظيمة التي حدثت سنة ٩٣٩ هـ ومعظمها في حضرموت الغربية الجنوبية وكان نصيبها من الاضرار والضحايا أعظم وليس هناك احصاء مضبوط لمثل هذا الا انهم يقولون انه لم يبق من النخيل الا القليل وانه خرب المزارع وكثيرا من المباني ، ومما يدل على ذلك حدوث مجاعة بعده بلغت ذروتها سنة ٩٤٥ هـ حتى اكلوا الجلود (٢) ، وفي سنة تسعمائة وسبعين جاءهم سيل عظيم في منزلة الاكليل تقول بعض المصادر (٣) لم يسمع بمثله اهلك كثيرا من نخيلهم الذي يعتمدون عليه، وتكرر الطبيعة هذه الحوادث كلما مرت حقبة من الزمن كما وقع ويقع في عصرنا الحديث .

ولا شك ان للفتن والظلم والحروب الاهلية أثرها الفعال في الخراب والدمار كما ذكرنا فيما مر وفيما سيأتي من هذا الكتاب .

---

(١) ترى هل ضرب فيهم المثل الحضرمي الخبيث (من قلت رجاله يصلي)

(٢) انظر تعاليق حاضر العالم الاسلامي المجلد الثالث تحت عنوان تصحيح وتوضيح

(٣) النور السافر وغيره

نخبة من اعلام هذا الدور

هذا الدور مليء بالعلماء والنوابغ — وبالاخص في بعض مراحله لطوله — ولكنني اخترت عرض حياة افراد منهم امتازوا بميزات علمية واصلاحية واجتماعية لم يمتز بها غيرهم ولتوفر المصادر الصحيحة عن حياتهم ، وهذه هي طريقتي التي جريت عليها في تراجم من كتبت عنه في هذا الكتاب .

داعية السلم والعلم الفقيه المقدم

هو محمد بن علي بن محمد صاحب مرباط العلوي وقد تقدمت في الجزء الاول ترجمة جده صاحب مرباط ، وقد ولد الفقيه المقدم بتريم سنة ٥٧٤ هـ وكانت اسرته اسرة علم وتقى واصلاح وحسب ونسب وكان هو شخصيا ذا مواهب من ذكاء ، وحافظة ، وقوة شخصية ، وبعد نظر وشجاعة ، والى جانب هذا فقد نشأ في بيئة تزخر بكبار الائمة والعلماء الحضارمة ، فتربى وتعلم وتثقف على ايديهم ولقوة استعداده اصبح متخصصا في العلوم التالية التي درسها على يد العلماء المتخصصين فيها الآتية اسماؤهم كما يلي :

الشريعة وفقه الشافعية على يد :

الامام عبدالله بن عبد الرحمن باعبيد مصنف الاكمال (١) وكان لا يبتديء في الدرس حتى يحضر الفقيه •

وعلى يد القاضي احمد بن محمد باعيسى

الاصول والعلوم العقلية : على يد الامام العلامة علي بن احمد بامروان وعلى يد الامام محمد بن احمد بن أبي الحب (٢) •

التفسير والحديث: على يد الامام المجتهد علي بن محمد بن جديد العلوي •

التصوف والحقائق على ايدي :

الائمة عمه علوي وسالم بن بصرى (٣) وسفيان اليمني (٤) ومحمد بن علي الخطيب •

العلوم العربية عن بعض هؤلاء وعن غيرهم كما انه سمع الحديث الشريف ، وتلقى تلك العلوم المشار اليها عن غير أولئك ايضا ممن ذكرت المصادر انهم كثيرون لا يكادون يحصون واصبح بعد ذلك تابغة زمانه •

تدريسه وافتاؤه

تصدر للتدريس في العلوم المشار اليها وللافتاء ، وكان من فتاويه القيمة انه سئل دفعة واحدة عن ثلاثمائة مسألة مشكله في شتى العلوم فحلها واوضح غوامضها وجمعها في مؤلف مستقل وله كتب اخرى في

---

(١) تقدم ذكره في جـ ـ ١ ـ
(٢) تقدمت ترجمته في جـ ـ ١
(٣) تقدمت ترجمة ابن جديد وابن بصرى في جـ ـ ١ .
(٤) حين زار حضرموت

التصوف والحقائق وبينه وبين بعض علماء عصره فـي الخارج مراجعات ونقود وردود (١) •

أوجه الشبه بينه وبين الغزالي

وكان بينه وبين الامام الغزالي اوجه شبه ففي حياة كل منهما دراسة للعلوم الشرعية والعقلية وغيرها واتساع فيها حتى لقب الغزالي بحجـة الاسلام ولقب الفقيه بالاستاذ الاعظم ثم ميـل كل منهما الـى التصوف والعزلة والعبادة والزهد في مظاهر الزعامه والرياسة ثـم تطبيق ذلـك بالعمل وفي حياة كل منهما تفوق على الاقران ونبوغ على أئمة كبار في عصرهم وبيئتهم وكان لكل منهما يد طولى في نشر التصوف بين طلبتـه ومريدية وفي بيئته الا انهما يختلفان في طريقة نشره ، فالغزالي استعمـل طريقة التصنيف والكتابة ، والفقيه استعمل طريقة التدريس والتوعيـة والتطبيق اكثر ولهذا ترك الغزالي تراثا من الكتب الشهيرة في هذا الشان وترك الفقيه اتباعا ومريدين جيلا بعد جيل في الجزيرة العربية وفـي الشرق الاقصى وافريقيا ولهذا كانوا مولعين بالغزالي وبكتب الغزالـي وبسلوك الغزالي لانها تشرح وتوضح ما كان يقوم به الفقيه المقدم الذي لم يسبقه الغزالي الا بأقل من قرن من الزمـن ولكن كتبه لـم تظهـر بحضرموت الا فيما بعد اذ ان علماء حضرموت كمـا تفيده المصادر (٢) كانوا في زمن الفقيه في القرن السادس مشغولين ومتنافسين اكثر فـي علوم الحديث والفقه فاضاف اليها الفقيه علم التصوف والحقائق وطبقها فعلا وقد اغضب ذلك بعض شيوخة الذين رشحوه للزعامة الفقهية الى درجة المقاطعة وقال له رجوناك ان تكون كابن فورك (٣) فأخذت طريـق

(١) وكتبه خطية وعزيزة الوجود .
(٢) انظر المشرع وغيره
(٣) بضم الفاء من ابرز الفقهاء

الفائز الاول وهكذا يتبارون بها مرة بعد مرة حتى ينتهوا ، ولديهم العاب رياضية فكرية كلعب الطاب (١) ولعب الثبت بأنواعه المنتشر عندهم ، أما الشطرنج فمن المعلوم انه معروف عندهم منذ مدة طويلة ولم يعرف ابتداء وجوده بينهم بالضبط وهناك العاب رياضية حضرمية كثيرة لا يتسع المقام لذكرها (٢) والقمار قل ان يدخل العابهم لموانع دينية واقتصادية .

بلاد (٣) تبيد وبلاد تنمو

وفي هذا العهد كانت بعض البلاد الحضرمية حية زاهرة بالسكان كبور وقد بلغ سكانها بضعة آلاف نسمة في القرنين التاسع والعاشر وقد مات منهم نحو الف وخمسمائة نسمة من الطاعون سنة ٩٣٩ هـ (٤) ولكنها فيما بعد ضعفت بالنسبة لما كان كما تشاهد الان .

وكانت بروم الساحلية في اثناء القرن العاشر عامرة برجالات من اهل العلم والادب والفضل كالقاضي محمد بن عبد الرحيم باجابر وكافراد من العلويين الذين ينتمون الى السيد بروم الملقب بهذا اللقب لاتصاله بها . وكالحسيسة (٥) وقارة الصناهجة والبيت فقد كانت آهلة

---

(١) تجد في كتب علمائهم نصا على تحريم بعضها ومنه الطاب كما في سلم التوفيق ويتخذ من اعواد اربعة على شكل واحد ترمي على الارض ويجعلون لوقوعها ظهرا او بطنا حسابا خاصا مصطلحا عليه بينهم وقد يبنون عليه نقل حصوات ونحوها على رقاع متساوية في جانبين ويبدا اللعب فمن انتهت حصواته وخليت رقاعه كان مغلوبا .

(٢) قد جمع الالعاب الحضرمية في مصنف مختص بها مع التصاوير السيد عمي شقيق ابي الحسن بن عمر الشاطري الا انه مع الاسف سطت عليه ايدي الضياع ولو وجدلكان ذخيرة في موضوعه

(٣) بلاد جمع بلد لا مفرد كما يتوهم البعض

(٤) انظر تاريخ الطيب بافقيه

(٥) بالتصغير وتشديد الياء المثناة المكسورة انظر المشرع .

بالسكان ومخصبة بالنخيل والاشجار اكثر ، وكذلك كانت مـدن وقرى الجانب الشرقي من حضرموت كسنا وتنعه وقضمه والسوم فقد كانت من قبل وبعد القرن الثامن آهلة بالسكان وبالنخيل ثم خربها الظلم واضطر اهلها الى القفول عنهـا وتركوها لحوادث الدهـر وهجمات الطبيعـة بالفيضانات طورا والجفاف طورا آخر وامتلأت بهـم احياء مـدن شرق افريقيا كجالية هناك ليس لها في مجموعها قيمة تذكر ، ويمكن ان نقيس عليها ظفار وحيريج (١) وهي ساحل مهم مهري فقد كانتا زاهرتين فـي هذا العهد عكس ما هما عليه اليوم من الضعف بل ان حيريج لايكـاد يعرف ، وتوجد الاطلال في اماكن متفرقة من حضرموت تنطق بوجـود بلاد غابرة كانت عامرة في هذا الدور الذي نتكلم عنه •

أما المدن الكبرى كتريم وسيون وشبام في الداخل والمكلا والشحر والغيل في الساحل فلم تتغير معالمها كثيرا في ذلك العهد عما قبله ولكن اذا قسناها الى تاريخها الحاضر فهي اليوم بحكم طبيعة النشوء والارتقاء اكثر اتساعا وعمرانا وسكانا وذلك مشاهد بالعيان فـي زيادة السكـان زيادة مضطردة وفي توسيع الجوامع والاسواق وهكذا يصدق عليها قول الشاعر القديـم •

واذا نظرت الى البلاد وجدتها   تشقى كما يشقى العباد وتسعد

واما القبائل الحضرمية المسلحة وغيرها فيحدث فيهـا نفس الشيء فبعضها نمت وانبتت وتفرع لها فروع كثيرة كالقبائل التـي فيها بيوتات العلم والفضل والسلطة ما دامت سلطتها قائمـة وبعضها افنتها الحروب وقضي على اكثر رجالها ومن هذا البعض من لجأ الى طلب العلم والعبادة

---

(١) بكسرتين وياءين وكثيرا ما يذكر في الحوادث الجارية بـين سلاطين آل كثير وخصومهم حينما يتبادلون الاستيلاء عليه

الاخرى ليحل محلها تقاليد غربية هدامة مع ان المفروض في هذا العصر الذي يدعي فيه اهله التمسك بالمرونة ، المحافظة على هذه التقاليـــــد والاداب التي تدل على عزة الشعب وعلو كعبه في التمدن الحقيقي .

العابهم الرياضية

والعابهم الرياضية التي يقومون بهـا كثيرة ، مـن أشهرها لعبة الصولجان ، ولعبة القفز بأنواع ودرجات مختلفة ، والـزاح وهـو ان يصطف فريقان متعادلان ويتقابلان في ميدان ويتبادلان ما يسمى باللمس والقبض فاذا لمس احد فريق اللمس أيا مـن فريق القبض ولـم يقبضـه الملموس حتى يستسلم او يجلد به الارض وذلك بان يفـر منـه اللامس خارج الملعب فان الملموس يعد ميتا في اصطلاحهم اي غير مشارك فـــي الشوط وهكذا يستمر اللعب حتى ينتهي اللاعبون م نلمس أفراد الفريق المقابل فيعتبر مغلوبا أو يقبض فريـق القبض جميـع منازليهم فيعتبرون مغلوبين ، وللعبة الزاح أنظمة جزئية لاتخرج عما ذكرته ويدعى ايضـــا سري ولا يعرف هل هـذا اسم مخترعها سميت بـه أو لمناسبة اخـرى وتعتمد اللعبة على قوة العضلات وسرعة العدو واستعمال الحذر والحيلة ولعبة الخويه (١) وهي ان يربط حبل او نحوه في الارض ويمتد الـــى مسافة قريبة ويضع اللاعبون اثوابهم عند المربط ويحرسها اللاعب الذي يمسك طرف الحبل بينما يحاول بقيـة اللاعبين اختطاف الثياب فـاذا استطاع أي منهم اختطاف ثوب ما بدون ان يلمسه (٢) أو يقبضه ماسـك الحبل فانه يضربه به وهكذا يستمر اختطاف الثياب والضرب بها فـــي

---

(١) وهي فصيحة ومأخوذة من الخطف

(٢) الضمير في يلمسه يعود على الشخص المختطف

الحابل (١) وهو يكر ويفر بين ايديهم حتى يقبض او يلمس واحدا منهم فيحل محله وهكذا يستمرون في لعبة ممتعة حتى ينتهوا منها ولها اشكال مختلفة وتعتمد الغلبة فيها على رشاقة الحركة وبعد الخطو ، وهـــذه الالعاب الاربعه يشترك فيها الكبار كما يزاولها الصبيان ولا يخلو بعضها عن شيء من الخطورة •

وهنـــاك ألعـــاب صبيانية اخـــرى كلعبة القلـــة (٢) ولعبـــة كرة الهدف ويسمونه المد وذلك بأن يجمع عـــدد مـــن الكرات الصغيرة ويوضع هدف على الارض ويتعادل فريقان في ملعب احدهما عند الهدف والاخر عند نهاية الملعب فيتباريان في اسقاط ذلـــك الهدف الى الارض بأن يلعب كل فرد من فريق الهدف بحركات مختلفة مصطلح عليها يقذف بواسطتها الكرة الى قرينه في الصف المقابـــل في آخـــر الميدان فاما ان يردها حالا اليه واما ان يأخذها من حيث تقع على الارض ويصيب بهـــا الهدف وفي هاتين الحالتين يتوقف اللاعب ويعتبـــر مغلوبا ويجـــيء دور آخر من فريقه حتى ينتهي وفي غير هاتين الحالتين يستمر ذلك اللاعب الى ان ينتهي من جميع الحركات المصطلح عليها والمعروفة باسمائها عندهـــم وهذه لعبة طويلة ومريحة وتكون الغلبة فيها لمن يستطيع القذف البعيـــد بالكرة ولمن يحسن الرماية بها •

ومنها لعبة الشادوف ويسمونه الصوب وهي ان يحمل كل مـــــن اللاعبين قطعة خشب او غيره مخروطة الشكل وفي ذلقها مسمار يطوي عليها خيط طويل يمسك طرفه اللاعب حين يرسلها علـــى مستوى مـــــن الارض فتدور عليه والتي تكون مدة دورانها اطول يكون صاحبها هـــو

---

(١) ماسك الحبل

(٢) بضم القاف وفتح اللام المخففة لعبة صبيان معروفة من زمـــــن الجاهلية والى اليوم

التصوف والفقر وذلك البعض هو الشيخ علي بامروان الذي كان يحضر الفقيه حلقة تدريسه وهو متقلد سلاحه فاجتذبه داعية الشيخ أبي مدين شعيب المغربي من تلك الحلقة وتم بينه وبينه اعتناق المذهب الصوفـــي والطريقة الشعبية ، وكان النشاط الصوفي قد بلــغ ذروته فـــي القرنين الخامس والسادس وعلى راسه الشيخ عبد القادر الجيلاني فـــي المشرق العربي والشيخ ابو مدين في المغرب العربي وكان لكـــل منهما مريدون واتباع ودعاة وقد سبقت دعوة الشيخ ابي مدين الى الفقيه بالذات فـــي القصة المثيرة التي سبق ذكرها في هذا الجزء •

خدمات الفقيه المقدم للسلام

مما اجمعت عليه المصادر ان الفقيه المقدم نزع السلاح بل وكسر سيفه ، ودعا قولا وفعلا الى نزعه ، ليقضي على المقيدة القبلية ، وبرهن فعلا على وجوب التعايش السلمي والاخوة الاسلامية والمذهبية والوطنية بين قبائل الشعب وقطاعاته ، وعلى ان سلاح العلم والايمان والاخلاق هو اقوى الاسلحة في المجتمع ، وامضاها في قيادة الامة ، وتوجيهها الى حياة السعادة والخير والتقدم •

وقد كان الحكام السياسيون بحضرموت في عصره وفيما قبلــــه ينظرون الى قومه العلويين نظرة ينفسون فيها عليهم المكانة التي يحتلونها في القلوب ، ويخشون من شعبيتهم على ملكهم ، فيحوطونهم بسياج من الرقابة ، ويضيقون عليهم الخناق ، نفس ما جرى ، ويجري مع آبائهـــم واخوانهم العلويين من بني امية ، وبني العباس والحكام الاخرين ، وقــد عرف الفقيه المقدم بنفسه كل ذلك في اسرته ، فقد اضطر جده ، صاحــب مرباط الى الهجرة نتيجة لتلك المضايقة ، كما شاهد بنفسه مالاقاه عمــه

علوي شقيق ابيه ، من آلام السم الذي دسه له حاكم تريم القحطاني ، كما اشرنا الى ذلك في الجزء الاول (١) •

والى جانب ذلك فان تقلد السلاح معناه اذاك في نظر الاخرين المتسلحين الاستعداد لهم والمقابلة ، ولا بد من الاصطدام يوما ما بين القرن وقرنه ، ثم بين الابناء كما كان بين الاباء ذحول وعداوة متوارثة ، واخذ بالثأر مستمر كما هو واقع بين القبائل فرأى الفقيه المقدم البعيد النظر القضاء على الشر من جذوره ، واختيار طريقة التصوف المعتدل الذي تكلمنا عنه اثناء ، كلامنا عن الحياة الثقافية تحت عنوان (مندوب صوفي يصل الى حضرموت) في عصر انتشر فيه التصوف في العالم الاسلامي تحت تبعية الشيخ عبد القادر الجيلاني في المشرق العربي ، وتحت تبعية الشيخ شعيب ابي مدين في المغرب العربي، واصبح الفقيه زعيما من زعمائه يميل في آرائه الى حزب ابي مدين ، ولم يجانف الحزب القادري الجيلاني في كل ارائه واستخلص من بين طرق الصوفية طريقا واضحا معتدلا ، وحمل بيده العكاز الذي يرمز الى التصوف (٢) بدلا عن السيف الذي يرمز وقتئذ الى النهب والسلب والاجرام وطلب الحكم والثار والانتقام بعد ان تقلده حتى في مجالس العلم وفقا للتقاليد المتبعة برهة من الزمن ، ثم نبذه للاسباب المارة لانه لا يريد ان يكون زعيما قبليا ولا حاكما سياسيا ، وقد اثرت دعوته في الاوساط الحضرمية الى نزع السلاح ، واعتناق التصوف ، وتبعه على ذلك قومه العلويون وغيرهم ، وفي مقدمتهم كثير ممن عرفوا فيما قبل ، وفيما بعد بالمشائخ ، ولم يعودوا يخشون التعيير بالجبن مادام قد سبقهم الى ذلك الفقيه المقدم رضي الله عنه •

---

(١) انظر صفحة ١٦٩ ط . بيروت .
(٢) مما اعطاه مندوب ابي مدين العكاز ، انظر المشرع .

فالفقيه المقدم بعمله هذا قد اقام الدعائم للسلام في كثير من المدن والقرى الحضرمية ، وصرف جانبا كبيرا من ابناء الشعب عن الاشتراك في الفتن والحروب الاهلية الى حياة العلم والثقافة والتصوف ، والاصلاح والكسب الحلال حتى اصبح ذلك منتشرا بينهم من ذي قبل ، وعم معظم قطاعات الشعب .

في المجال الزراعي

ويعد الفقيه المقدم من اساطين الزراعة والغرس في عصره فكان له الكثير من النخيل والمزارع والبساتين وأحصت له المصادر ٣٦٠ جرة سنوياً وهذه الجرار تصنع من الخزف وتحرق في افران كبيرة معدة لذلك ، وتسمى هذه الجرار أزيارا جمع زير بكسر الزاي اذا كانت كبيرة (١) وضبط مقدار ما يتسع له الزير فكان الفي رطل ومنها ما يتسع لألف وثمانمائة رطل ، وذكرت أنه يتصدق كل يوم على الفقراء والمساكين بزير واحد على الأقل مع العلم أن التمر الذي يكبس في هذه الجرار انما هو التمر الفاضل من الرطب بعد الأكل والصدقات والهدايا والزكاة ، وذكرت أنه يعتني ويهتم بادارة تلك المزارع وتوزيع ما ينتجه النخيل ، وما يحصل من تلك المزارع ، ويصرف معظمه في سبيل المصالح العامة (٢) وكثيرا ما يرتبط التصوف بالعناية بالزراعة لان لها ميزات انسانية ، واقتصادية ودينية ونفسانية وصحية ، وفيها دائماً اغاثة للبطون الجائعة وللاكباد الحراء ، وفي كل كبد حراء اجر .

---

(١) تجد هذا وغيره واضحا في كتابي (كيف نحن) مخطوط قديم مما له صلة بالمقارنة بين الامس واليوم في الناحية الاقتصادية وغيرها .

(٢) يؤخذ هذا من الجوهر والغرر والمشرع ومن كثير من كتب التراجم والامالي الحضرمية .

وفاتــــه

وتوفي الفقيه بعد ما اصابه اصطلام مدة طويلة قدروها بشهر قبـل ان يتناول فيها شيئا ، ونسبت اليه اثناءها كلمات تبدو في ظاهرها غامضة اذا اريد تنزيلها على ظاهر القواعد الشرعية، كما نسبت امثالها لامثالـه من شيوخ الصوفية ، وكما ألمحنا اليها فيما مضى من هذا الجزء فهذه ـــ اذا صح انهم قالوها ـــ فانما كانت بعد استغراق في الفلسفة التصوفية، وفي حال ذهول ، وهو حال يعتري الواجد منهم حتى يصير في حالة غير طبيعية وغير ، اعتيادية ويسمونها الغيبوبة او المحو ، ويقابله الصحو ، اذ من المستحيل ان يريدوا بها ظاهرها اللفظي ، على انه من الممكن انْ تفسر تفسيرا آخر مناسبا ، كما عمل بعض الباحثين ، هذا ان لم تكن مدسوسة عليهم رضي الله عنهم ، وكانت وفاته سنة ٦٥٣ هـ .

زينب أم الفقراء

كانت اسرة الفقيه المعروفة مؤلفة من قرينته زينب بنت عمه احمد وتلقب بام الفقراء اقتداء بزوجة النبي صلى الله عليـه وسلم زينـب ام الفقراء ، ومن اولاده الخمسة الذكور منها الـى جانب خدمـه واتباعه ، واكبر بنيه علوي الذي يكني به ، وكان المفروض ان يصبح بعده عميـد الاسرة لكفاءته وسنه ـــ وكل اخوانه اكفاء ـــ وان يكون بمفرده خليفـة ابيه ولكن الفقيه رشح زوجته زينب لتكون خليفته من بعده لقـــوة شخصيتها ، ولاستعدادها وكفاءتها لتولي مشيخة الصوفية ، او جانب كبير منها بعده الى جانب ابنها الاكبر ، وكان قد عرفها في حياته شريكـة حياة ، وخير ام ومربية مثالية وصالحة عابدة فكانت بعد وفاتـه تقـوم بتوجيهات المريدين وتهيب بنيها الى ان يرتفعوا الى درجة ابيهم في العلوم

والاعمال ، ويقصدها تلاميذ زوجها للاسترشاد والتبرك ولم يكن ترشيح الفقيه لها مجرد تواضع ونكران للذات ، ليقال ان خليفته امرأة لسهولة القيام بمقامه، كما يفيد بعض أصحاب المصادر لان هذا لا ينطبق مع واقعهم رحمهم الله من ان ام الفقراء قامت فعلا بجانب مهم كان يقوم به زوجها ومنه توجيه المريدين ونصحهم ، وترتيب نفقات خانقاه (رباط) الصوفية المنسوب لزوجها رحمهما الله (١) ولان نساءهم يقمن بواجباتهن الاجتماعية في هذا العهد كما يعرف من دراسته •

الشيخة سلطانة بنت علي الزبيدية (٢)

هذه هي رابعة حضرموت في تقاها وصلاحها وتصوفها وفي وجاهتها وفي شعرها الصوفي وتختلف عن رابعة في كونها من حين نشأتها وهي متدرجة في احوال ومقامات الصوفية وكانت ذات شخصية قوية وقد كان اخوانها كلهم او بعضهم حملة سلاح ، واحيانا تضطرهم ظروفهم الى السلب والنهب — شأن الكثير من حملة السلاح بحضرموت — في نفس الوقت الذي تخالفهم فيه على طول الخط ، فهي تقية صبور متصوفة واعظة ومرشدة لهم وتقوم بالغزل والنسيج وتربية بعض الدواجن واعداد الطعام وطبخة للاسرة فهي مثل عال للمرأة الحضرمية في عصرها وفيما بعده ، وصادف اخوتها — لحسن حظهم — بعيرا للشيخ محمد بن حكم

---

(١) لم تعطنا المصادر تفاصيل عن ذلك الرباط لان بعضها ذكر وجود متصوفة ومريدين فيه لتلقي العلوم والتصوف الى الاخرين ممن لا يقيم به

(٢) بضم الزاي وفتح الباء نسبة الى آل الزبيدي وهم من قبيلة بني حارثه الكندية ، وقيل من مذحج وقيل غير ذلك كما يستفاد من رسائل انساب القبائل الحضرمية ومن التواريخ .

باقشير فاخذوه فسأل عنهم لما بلغه الخبر ، ودعا لهم بأن يهديهم الله الى سبيل الرشد، ان كان الدافع لهم هو الفاقة والحاجة ، وبأن ينتقم منهم ان كان دافعهم البطر والظلم ، ولما بلغهم الخبر بدورهم انبتهم ضمائرهم وتابوا واانابوا (١) ورب ضارة نافعة ، وهذا شيء يسر اختهم التقية سلطانة فقد اصبحوا عونا لها فيما بعد على سلوك طريقة الصوفية ، وتروي بعض المصادر (٢) بانها هي واخوها عمر وبقية اخوتها تحكموا للشيخ (٣) محمد بن عبدالله القديم باعباد ، ولكنها اشتهرت دونهم •

كانت الشيخة سلطانة ــ مع انها آنسة متبتلة لم ترض بالزواج ــ تشارك في عقد الجلسات للمباحثات العلمية ،والمذاكرات التصوفية مع ائمة القطر الحضرمي وعلمائه وشيوخه في عصرها ، وفي مقدمتهم الشيخ عبد الرحمن السقاف العلوي ، وبنوه السكران والمحضار والحسن وكانت تنظم القصائد والمقاطيع ، ومعظمها في التصوف ، وفي المحبة الالهية ، وفي مدح السقاف المشار اليه ، وتكاد تنهج نفس المنهج الذي تسلكه رابعة في شعرها الا ان شعر رابعة ــ على قلته ــ افخم ديباجة وفصيح معرب ، بينما لا تتقيد سلطانة بالقواعد النحوية ولا بالالفاظ ، الفصيحة لان اشعارها شعبية دارجة تعبر عما تجيش به العامة في تلكم الاوساط الصوفية •

ومن مساجلاتها مع الحسن بن السقاف في حضرة والده ما هو مشهور من قوله لها وقد سمع مبادلتها الابحاث والحجج العلمية مع العلماء هذا البيت الدارج •

يا ما سفهش ما بدا بكره تماري جمال

---

(١) انظر مفتاح السعاده والخير في مناقب آل باقشير .

(٢) انظر مناقب الشيخ محمد بن ابي بكر باعباد .

(٣)تحكموا من التحكيم وهو ان ينزل المريد على حكم الشيخ يصرفه كيف شاء ، وهذا من طرق الفقراء الصوفية : والمحكم هو الشيخ محمد بن ابي بكر باعباد معاصرهم لا القديم الذي قبلهم كما تبين ذلك فيما بعد .

فاستأذنت والده ــ تأدبا معه وكان حاضرا ــ في اجابته فاذن لها فانشدت مجيبة بدون ابطاء .

الحمـــل بالحمل والزايد لبن والعيال

وفي هذا الجواب البليغ رد واحتجاج باستعداد المرأة لان تنافس الرجل في جميع الميادين وتزيد عليه اذ معنى كلامه هو (١) مـــا اكثـــر سفهك اذ لا توجد بكرة وهي مؤنث البكر تماري جمالا من المماراه اي المجادلة ، ويقصد بها المسابقة ، فاجابته بان حمل البكرة ولعلها تعنـــي نفسها ، ومشيلاتها بحمل الجمل اي بجنب حمله ، وتزيد عليه في النفـــع باللبن وبالعيال اي الاولاد بينما لا يستطيع الجمل انتاج ذلك .

رباط الشيخة سلطانة

وللشيخة سلطانة رباط تردد ذكره في بعض الكتـــب والامالـــي الحضرمية بنته بالعر ــ وهو العراء الممتد شرقي مريمة الى نهاية حوطتها ــ ولكن تلك الكتب لم تشرح لنا شيئا عن الرباط المذكور ولاعن مريديه ولا عن العلوم التي تدرس فيه ، وهل تباشر هي بنفسها تطبيق شيء من الرياضات او الدروس فيه ام هو اشبه بخـــان صوفية لتنزيل الضيوف منهم ومن اتباعهم فيه ولعل هذا هو الاقرب ، كما اســـت ايضا قرينهـــا الشهيرة بحوطة سلطانة ، المعروفة ، وقد اشرت اليها عند الكلام عـــن الحوط ، ولهذه الشيخة وجاهة عند القبائل وغيرهم ولهم فيها حسن ظن، وعقيدة وورث هذه الوجاهـــة عنها ابنـــاء اخوتها المشائخ الزبيديون ، وحوطتها محترمة كامثالها من الحوط الاخرى في العهود الماضية وتبعد

(١) انما فسرته توضيحا لمن لا يتضح له الكلام الدارج الحضرمي من أبناء الاقطار الاخرى .

عن سيون نحو ثلاثة اميال ، وتوفيت بها رحمها الله سنة ٨٤٣ هـ .

وبالرغم من شهرتها الواسعة وجاهها العريض في الاوساط الحضرمية فاني لم اظفر لها بترجمة شافية ، وحسبنا منها انها قامت بدور اصلاحي رفعت به من شان قومها وبلدها .

ولو كان النساء كمن ذكرنا لفضلت النساء على الرجال

الشافعي الأخير (١) عبدالله بن عمر با مخرمه السيباني (٢)

هذا هو ثالث ثلاثة في عصرهم هم المراجع في فقه الشافعية ، والاثنان الاخران هما احمد بن حجر الهيتمي المكي ، ومحمد بن احمد الرملي المصري ، وان كان لهم زملاء آخرون من جحاجحة الشافعية الا ان هؤلاء الثلاثة كانوا رجال الساعة في عصرهم تتكافأ اراؤهم وترجح على اراء الاخرين ، واذا اختلفوا فان لكل منهم انصاره واتباعه .

تحصيله وجده في الطلب

كان ابو مخرمة الى ما اعطاه الله من مواهب قد نشأ في بيئة علم ، وبين افراد اسرة مثقفة متعلمة صالحة متصوفة ، فجده وابوه واعمامه وعدد من ابناء عمه ، وابنه ومن بعدهم كلهم علماء كبار ، وصلحاء اخيار ، والبيت المخرمي بيت علم وفقه وقضاء وقد تسلسل فيه القضاء الى اليوم ، وهذه التنشئة في هذا البيت فيها عون كبير له على ، تلقي المعلومات بسهولة ويسر ، وقد اصبح بيته مدرسة داخلية فيها

---

(١) وتلقيبه بالشافعي الاخير كما في بعض المصادر الاتية اولى من الشافعي الصغير .

(٢) وسيبان بالمهملة تنتمي الى حمير كما في كتب الانساب الحضرمية

تعليم وتهذيب كامثالها من بيوتات العلم والفضل ، ووالدته كانت مـن الصالحات العارفات ، وقد حفظ سورة يس من قراءة هذه الام لها ضمن اورادها بعد صلاة الصبح ، وهو ابن ست سنين ، كما حفظ ـ القرآن كله وهو ابن سبع سنين كما حفظه الشافعي الاول وهو في هذه السـن واول من اخذ عنهم العلم والمعرفة بحضرموت ، وبالاخص الشحر (وهي مسقط رسه) والده عمر وعمه الطيب ، والشيخ بامروني، وجماعة من العلويين ثم رحل الى الخارج ، ودرس علـى الائمة البارزين للاستزادة من العلم والثقافة ، وللتفنن في مختلف الفنون فكان من اشياخه فـي الحرمين ابو الحسن ، البكري ، ومحمد بـن عراق والسيد السمهودي ، وفي زبيد ابـو العباس الطنبداوي ، واحمـد المزجد والحافظ الديبع ، وكلهم ائمة فحول ، وكانت حصيلته وفيرة جدا سواء في الكم وفـي الكيف ، فانه توسع في اكثر من عشرين علما من العلوم الشرعية والعقلية والعربية ومنها الاصول والحديث والفقه والتفسير وآلاتها واقسامها، ومنها الجبر والمقابلة والهندسة والفلك والتواريخ والانساب ، وشارك في الطب والسياسة ، وكانت هذه رحلته الاولى الى هذه الاقطار ، اما فيما بعدها من الرحلات اليها فانه قد اصبح فـي مكانة مرموقة قل ان يصل اليها احد من علماء عصره ، وصارت تتوارد عليه الاستفتاءات من كثير من اقطار الاسلام فيجيب عنها بالاجوبـة السديدة كمرجع مـن مراجع الافتاء في عصره ، كما اشرت الى ذلك عند الكلام عن الشهادات المسجلة له من علماء عصره .

طريقته في المطالعة

وله طريقة مثمرة في مطالعة الكتب فانه لا ينتهي مـن مطالعة اي كتاب حتى يكتب عليه ملاحظات وتوضيحات وخلاصات ، ونكات بحيث

يكون قد خدمه عن دراسة وتحقيق وربما افرد ذلك فــي مصنف خاص وهذه الطريقة اصبحت ملتزمة لكثير من علماء العصر .

اتجاهه العلمي والأدبي

وعبدالله بن عمر بامخرمه ذو موهبة وحافظة وذكاء وحس مرهف كما يتجلى ذلك من ابحاثه وكتبه وتاريخه فلم يكن الفقه وحده فنه ــ وان كان موضع اختصاص شهرته ــ بل هو من كبار السياسيين والادباء والشعراء والفلكيين والمهندسين وهو من أشهره المنتجين والمصنفين في العلوم التي يعد من رجالها الافذاذ ، ولا تقل تصانيفه عن ثلاثين مصنفا .

ومن اشهرها فتاواه الكبرى رتبها ابنه علي زيــن العابدين فــــي مجلدين بعد وفاته وهي من ابدع ما حرره الفقهاء من افتاءات والفتاوى الصغرى ، المسماة الفتاوى الهجرانية نسبة الى المتقدم باسئلتها الشيخ محمد بن علي بلعفيف الهجراني او الهجريني نسبة الى بلد الهجرين ، وله المصباح او مشكاة المصباح شرح العدة والسلاح فــي احكام النكاح ، والمتن للشيخ العلامة محمد بن احمد بافضل الحضرمي نشأة العدنــــي اقامة ، وهو مطبوع ، وله شرح على المنظومة الرحبية في الفرائض ، وله ملاحظات على تحفة ابن حجر في مجلد يدعى النكت ، وله حواشي على روض شيخ الاسلام زكرياء في مجلد ، وله عدد من الرسائل الفقهيــة يزاول في كل منها بحثا وتحقيقا في موضوع منفرد (١) .

اما في الرياضيات فله ما يقرب من عشر رسائل منها ما هو مزدوج بين الفقه والفلك والهندسة كرسائله في اوقات الصلاة ، وفــي سمت القبلة ، وفي اختلاف المطالع وفي المناسك وفي ظل الاستواء وفي قسمة

---

(١) قالوا واشتهر اكثر كتبه في غالب البلدان لا سيما اليمن ، ولكن المطبوع منها اليوم قليل .

التركة فله في كل موضوع مما سردناه مصنف ما بين نظم او نثـــر . وصغير او كبير وله رسالة فـي الربـع المجيب ؛ واخرى فـي الاوقات والساعات ، وله خطابات كثيرة دبجها يراعه عن السلطان بدر ابي طويرق حين يكاتب الملوك والامراء فمن دونهم في اعلا درجات البلاغة فـــي عصره •

شعره

له ديوان شعر نظم فيه الواناً وضروباً من الشعر اجاد فيها كـــل الاجادة ؛ ويمتاز شعره بالرصانة والبلاغة ؛ ويجري فيه على العـــادة التقليدية من مدح الملوك والامراء والوجهاء لا تزلفا اليهم ولكن بدافع تشجيعهم على العدل والانصاف ، وله في رسول الله صلى الله عليـــه وسلم مدائح بليغة تدل على ان شعره في مستوى اعلا من كثير ممـــن شعراء عصره ؛ وان كان لا يتقيد في بعضه بالقواعد ، ومن جيد شعـــره قصيدته الفخرية الشهيرة وهي :

مثلي يصان مدى الازمان جانبه	ولا يـروعه دهـر يحـــاربـه
لا اشرب الماء مقذيا وان أك عط	شانا وان غض عنه الطرف شاربه
وان يكن موردا عذبا يحـــفه به	ذل حلفـت يمينـا لا اقاربـــه
لا قرب الله ما لا قـــد اضن بــه	حرصا عليــه اذا ما جاء طالبـــه
وقد خبرت بنـــي الدنيا جميعهم	فما لا كثرهــم عهـــد يصاحبـــه
كم جاءني الضر ممن كنت احسبه	عونا وكم عاد ظني فيــه خائبـــه
وان جفاني صديق جـــاء معتذرا	قبلتـــه ثـم انـــي لا اعاتبـــه
ولا اجـــازي مسيئا عـــن اساءته	بمثلهـــا فارى انـــي مناسبـــه
لا اصحب الفاسق النمام مبتعدا	وكيف يصحب من دبـت عقاربه
ولست ممن تراه العين منذ عـــرا	لخطب دهر عرى او صاح ناعبـــه

انا الذي السعد والعلياء تخدمني | وطالع المجد في بيتي وغاربه
من معشر زان في الآفاق نعتهم | كالدر ينظمه في السمط ثاقبه
من كل مضطلع بالعلم متصف | بالجود تهمي على الدنيا سحائبه
وكل طود من الامجاد تحسبه | اذا تكلم بحرا هاج صاخبه
لا يخضعون لجبار اخافهم | قد رجت الارض من شركتائبه
ولا يدينون في سر ولا علن | الا بحق بدت صحوا مذاهبه
ابدى التغابي عن اشياء اعلمها | كالسيف لان وقد حزت مضاربه

ومن بديعه في الاكتفاء والمساجلة قوله

قلت سلام الله من مغرم | ما ان سلا عنكم فقالوا سلام
فقلت هل ترضون لي وقفة | قالوا فما تطلب قلت الكلام

وذكروا ان بعض اصحابه عرض ورقة من بعض الكتب الادبية قد اكلتها الارضة وابقت الكلمتين الاخيرتين من بيتين ومحت ما قبلهما وهما « كيف حاله » و « لاكرى له » فاملا عليه :

وقائلة بالله صفلي متيما | اضربه طول النوى كيف حاله (١)
فقلت على حالين اما نهاره | فيبكي ، واما ليله لاكرى له

ومن تضامينه قوله :

قالت اراك من الذكاء في غاية | جلت عن الاسهاب والاطناب
فعلام تبدي في الامور تغابيا | فاجبت سيد قومه المتغابي

وقوله :

الواو من صدغه في العطف يطمعني | والسيف من لحظه يومي الى العطب
فحين ما حرت قام الهجر ينشدني | السيف اصدق انباء من الكتب

وقال يرثي بعض اعيان الشحر ، وقد بلغته وفاته :

لئن صح هذا العلم فالشحر بعدكم | حرام علينا ظلها وفناها

---

(١) يلاحظ ان فيه عيب السناد ، الا بتاويل .

وكيف يقيم المرء في سوح بلـدة وقد حان منها موتها وفناهـــا

ومن جيد شعره قوله وقد عز عليه فراق وطنه حضرموت :

فوالله ما فارقت ارضي عن قلي ولكن لسجزي عن حقوق لـوازم
وما العذر لي ان كنت عند قرابة يرجون نفعا مـن فقيـر وغـارم
وما اشتهي طول الحياة للـــذة فعيش ذوي اللذات عيش بهائـم
ولكن لكسب المجد ما عشت والثناء ونفع الورى طرا وبذل المراحم
فاما انـل هـذا واما منيـة يعد لمثلي مثلهـا فـي المغانـم

ويقول مقتبسا :

ايـا لهفـي مـن سنافتيـة فنـون الصبابة مـن وصفهـم
ترى الشمس شمس البهاء والكمال تمـر تـزاور عـن كهفهـم

ولـه :

وعا ذلـة ابدت لفقري توجعـا وقالت اتاك الفقر من جانب الندا
فقلت لها لا تطمعي فـي تغير ي لكل امريء مـن دهره ما تعودا

وله في استعطاف :

يا سادة عودوني كـل مكرمـة لا تقطعوا البر عن مملوككم وصلوا
وجملوا الحـال فالدنيا مجاملة والخير ابقى وكل المال منتقـل

ويقول مذكرا :

لا تنس من لم ينس ذكرك ساعة وانظـر اليـه بعيـن ود واعطف
او ليس منسوبا اليـك وانـه فرض عليك عرفت ام لم تعـرف

دروسه

والشيخ عبدالله من كبار المدرسين وفطاحل العلماء وكبار الائمة حيثما حل ، ومن اهم اعماله القاء الدروس للطلبة في حضرموت وفـي عدن ، وقد تولى التدريس في مدارسها الشهيرة المنصورية ، والظاهرية

والفرحانية ، الى مهمة الوعظ والارشاد في جامعها ، وتولي ايضا نظارة المدرستين السابقتين كما درس وعلم ايضا في زبيد وتعز وفي الحرمين الشريفين ، وامتازت دروسه بالسهولة والتحقيق ، ومعظمها في العلوم الشرعية والآتها ، كما كان يقوم بمهمة الافتاء حيث حل وحيث رحل .

شهادة العلماء له بالتفوق

تبدو ظاهرة النبوغ والتفوق العلمي في الشيخ با مخرمة ولا يكاد يباحثه او يناظره احد من كبار العلماء الا غلبه بقوة الحجة وسعة الاطلاع وها هو لما حج سنة ٩٤٩ هـ والتقى في مكة بالعلامة الشيخ ابن حجر الهيتمي المكي ، وحصلت بينهما بحوث فقهية بحضور علماء آخرين اعترف له فيها ابن حجر بسرعة الفهم وسعة العلم وقال فيه ما لفظه ــ انه العالم المجتهد ، ولو وافى القرن لكان هو المجدد ، ويروى انهما اختلفا في مسالة فطلب ابو مخرمة مناظرة ابن حجر ، فتهيب الاخير مناظرته قائلا الرجل تمتريه حدة ، ولا يصلح للمناظرة ، والعلامة ابن حجر دائما يفضل عدم ، المناظرة الشفوية مع اقرانه ، فقد اعتذر عن مناظرة العلامة محمد بن احمد الرملي بان لكليهما اتباعا سيثالون عنه اذا اصبح مغلوبا ، وربما لحظ هذا مع ابي مخرمة ، ويرى في الكتابة على مصنفاته ، وفي مبادلة الابحاث والحجج والبراهين التحريرية ما يغني عن المناظرة .

ومن لطيف ما رواه لي بعض الشيوخ ان ابن حجر كتب لابي مخرمة وهو بالشحر خطابا كرر فيه كلمة عجب عشرات المرات ، فاجابه ابو مخرمة بخطاب كرر فيه كلمة قط عشرات المرات ، فقيل لابي مخرمة ماذا تقصدان بهذا فقال انه يشير الى عجبه من فطنتي وانا اكثر دواما من اكل السمك فاجبته بالنفي .

وكان الشيخ با مروني الشحري استاذ بامخرمة يقول عنه انه

استفاد من تلميذه اكثر مما استفاد منه التلميذ ، وكان عمه وشيخـــه الطيب بامخرمة القاضي المدني والمؤرخ الكبير صاحب قلادة النحر في التاريخ ــ احد مراجع التاريخ ــ يقول لا استطيع على ما يستطيـــع عليه ابن اخي في حل المشكلات الخ كلامه ، ويقول له العلامه الطنبداوي في اثناء مكاتبة اليه «والله اني اعتقد فيك انك اوحد علماء العصر وذلك لما وقفت عليه من فتاويكم بايدي الاشراف اصحابكم آل باعلوى ، وهي كلها منقحة زادكم الله علما وحلما ومتع بكم المسلمين ، وكان محــدث عدن ومفتيها الشيخ احمد بن عمر الحكيم يقول لو حلف احد بالطلاق ان مــا على الارض اعلم من الشيخ عبدالله بامخرمة ما حنث » وكـــان علامة الشافعية باليمن عبد الرحمن بن زياد صاحب المباحث والردود مع ابن حجر ، ومقره زبيد لا يفتي عند وجود ابي مخرمة بزبيد ، ويقــول لا ينبغي لاحد من اهل زماننا ان يفتي وشيخ الاسلام عبدالله بن عمــر عنده ببلده وقولته تنطبق على القولة الشهيرة « لا يفتي ومالــك فــي المدينة » وهناك علماء آخرون اذعنوا له بالفضل وبانه اوحد علماء زمانه بل منهم من يفضله على ابن حجر وعلى الرملي في فقه الشافعية وانه لمن الصعب المفاضلة بين هولاء النوابغ في الفقه العام ولكن لكل ميزتـــه وافضليته في جانب من الجوانب او في موضوع او فـــرع مـــن فروع الفقـــه .

في المجال السياسي

وعبدالله بن عمر بامخرمة هو مستشار شرعي وسياسي لبدر ابي طويرق وكاتب وامين سر له ، وكان يمحضه النصح ، ولا يخرج به عـــن دائرة الشريعة الغراء ، ولابي طويرق ثقة كبيرة فيه لما يعرفه هو وغيره عنه من النزاهة والاتساع في العلم وحصافة الرأي ، وقل ان ينقض السلطـان لبامخرمة حكما ومع هذا فلم يستطع التوفيق بين ابي طويرق وبين ابيــه

العلامه الصوفي والشاعر البلدي الشيخ عمر لان الخلاف سياسي ومستعصي بين الاثنين بخصوص بلد الهجرين مدينة الشيخ عمر التي يجب ان تكون مستقلة عن اي سلطة غير سلطة اهلها في نظره فما كان من ابي طويرق في النهاية الا الاستمرار في وضعها تحت حكمه ومراقبة الشيخ عمر وفرض الاقامة الجبرية عليه بسيون التي توفي بها .

وايضا مما يلاحظ عن الشيخ عبدالله انه لم يوافق على الاستمرار كقاضي في المحكمة الشرعية بالشحر ، بالرغم من رغبة ابي طويرق ، وكان يخشى الاصطدام معه ، او لعل الشيخ نفسه لا يرتاح الى منصب القضاء لذاته ، او لمغايرته لمزاجه كالكثير من العلماء .

وفاته

توفي ــ رحمه الله بعدن وهو في ابرز مناصبها العلمية سنة ٩٧٢ هجرية وعمرة خمسة وستون عاما ، اذ ان تاريخ ولادته بالشحر التي امضى معظم حياته بها سنة ٩٠٧ هـ وابنه كثير من العلماء والشعراء ودفن في الموضع الذي دفن فيه جده عبدالله بن احمد بامخرمة قرب مشهد الشيخ جوهر رحمه الله تعالى (١) فالشيخ بامخرمة مثال الزعيم الاسلامي الكفوء في عصره رضي الله عنه .

---

(١) ترجمةالشيخعبدالله بنعمربامخرمة هذه ماخوذةمنعدةمصادراهمها كتاب خلاصة الخبر عن بعض اعيان القرنين العاشر والحادي عشر وجل ما هنا منه ، ومنها السناء الباهر .

الامام عبدالله بن علوي الحداد

الكفيف الذي ذاعت شهرته في بلاد العرب والشرق الاقصى

ميلاده ، وكف بصره ونشأته ، وتحصيله العلمي

ولد سنة ١٠٤٤ هـ بالسبير احدى مصائف تريم من ابوين علويين وكف بصره باصابة من الجدري وهو ابن اربع سنوات ، فادرك بحواسه الاخرى ما فاته من حاسة البصر ، وببصيرته النافذة ادرك ما لا يدركه آخرون بابصارهم ، ويظهر ان لذهاب بصره اثرا في نمو ذكائه وقوة فهمه ، وحافظته كامثاله من نوابغ المكفوفين ، وقد وجهه ابوه الى الكتاب والى المعاهد العلمية فحفظ القران في صباه كما حفظ الارشاد وغيره من المتون والاحاديث والاشعار والحكم ، وكانت امه هي الاخرى معتنية بتربيته وتهذيبه ، وساعده المحيط الذي نشأ فيه ، وهو محيط علم وفضل وادب ، وتصوف الى جانب استعداده الفطري ، على النبوغ والتفوق على اقرانه ودرس على نخبة من شيوخ وائمة عصره ، وفي مقدمتهم ، عبدالله بن احمد بلفقيه ، والد العلامه المتفنن ، عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه ، وعلى سهل بن احمد باحسن الحديلي ، وعلى الداعية الكبير عمر بن عبد الرحمن العطاس ، وعلى الوجيه عبد الرحمن بن شيخ مولى عيديد وابنه شيخ وغيرهم .

ومن شيوخة بالمكاتبة محمد بن علوي السقاف العلوي الحضرمي

نزيل مكة ، وله زملاء من كبار العلماء ، واكرام الادباء يعقد معهم الجلسات الطويلة للبحث والدرس والعبادة والمذاكرة وللمساجلات الشعرية والنكات الادبية ، ولكل لون من العلوم ما يناسبه من الاوقات والمحلات وقد نوه بالاشارة اليهم في عينيته بقوله :

وبقية في العصر منهم عمروا   لتكون فيهم متعة المتمتع
ويكون فيهم للربوع واهلها   انس وتنفع الطالب المتنفع
فالله يحفظهم ويخلف منهم   امثالهم في حينا والمربع

وكانت مجالسه عامرة بالمجلدات العلمية الضخمة الى جانب الكتب الادبية ، ومما لا يكاد يفارق مجلسه ديوان المتنبي ، وكان يحفظ الكثير من اشعاره ، وحكمه ، ويستشهد بها ، ويميل الى سماع مقامات الحريري ، وما كان من طرازها من طرائف كتب الادب .

ومع شغفه بالعلم في صغره كان دائما يعقب الدراسة العلمية بأداء نوع من التعبد كالصلوات النافلة والاعتكاف حتى اثر عقب خروجه من الكتاب يميل الى احد المساجد بتريم فيؤدي فيه مائة او مأتين من الركعات كورد استمر عليه الصبي العظيم الى جنب اوراد وعبادات اخرى يؤديها حتى بعد ان بلغ درجة من العلم قيل عنها انها درجة الاجتهاد المطلق وصرح بعض العلماء بانه مجدد القرن الثاني عشر الهجري رضي الله عنه ، وقد حظي بطلبة ومريدين كثيرين ، عم بهم النفع ، ولطول عمره المديد اثر كبير ايضا في انتشار وضخامة طلبته ، وتعميم كتبه والتوعية عنه وعما يقوم به من خدمات كبرى في جميع المجالات الاجتماعية .

طريقته في التأليف وانتشار مصنفاته ودعوته

قل ان تنتشر كتب احد من اقران الحداد ودعوته الى الاخذ بتعاليم الاسلام كما انتشرت كتب الحداد وتعاليمه فقد طبعت مصنفاته طبعات

عديدة ، ومعظمها مزيج من الفقه والتوحيد والتهذيب والتاريخ ، والحكم ومن ابرزها النصائح الدينية ورسالة المعاونة وقد الفها وهــو في سبع عشرة سنة ، والفصول العلمية والدعوة التامة ، واتحاف السائل ، وقــد اجاب فيه عن استفتاءات في مسـائل عويصة بقوة عارضة وحجج دامغة ، كما انه قابل بعض المستفتين من الزيدية وغيرهم من معتنقي المــذاهب الاخرى ، واجابهم اجابة شافية ، عما يتقدمون بــه اليه مــن الشبهات ، والكتاب مطبوع ايضا ، وقد طبعت اوراده وراتبه وشرح بعضها كمــا طبع ديوانه عدة مرات وانتشر كل ذلك لسلامة اسلوبه ، وسهولة تعبيره وقوة براهينه ، وكان انتشارها في اقطار الجزيرة العربية ، وفي الشرق الاقصى وغيرها ، وقد نشر التعاليم الاسلامية بالقلم والقدم (١) والفم ، الى جانب المساجد والزوايا العديدة التي بناها في مدن وقرى ، حضرمية للعبـــــادات .

اما طريقته في التاليف فكان يعرض المواضيع الدينية والخلقيــــة والابواب الوعظية عرضا حسنا ، ويدعم كلامه بالآيات القرآنية ، ثــــم يثني بالاحاديث النبوية ، ثم يثلث بالاثار عن الصحابة والعلماء والحكماء نثرا ونظما ، وطريقته شبيهة بطريقة الغزالي في الاحياء حتى قال بعضهم ان كتابة النصائح الدينية زبدة ما في الاحياء .

وقل ان يعقد مجلس وعظ او تذكير بهذه البلاد الا ويستشهد فيه من كلامه ، كما ان اشعاره تنشد ايضا في مناسبات الافــراح وغيرها ، وقل ان تجد واعظا حضرميا الا ويجعل من كلام الحداد المنثور والمنظوم منطلقا لوعظه .

---

(١) فقد رحل اكثر من مرة الى دوعن والى الحرمين الشريفين ، وكان منه هنالك نفع عام وله مقام واحترام .

والحداد ناقد بنّاء ينقد اهل زمنه عموما واهل السلطة والنفوذ بصفة خاصة ، بخبرة وحكمة ، وقد يمزج نقده بشيء من المرارة ، ومن قولاته المشهورة في اهل زمنه قوله ـ اهل هذا الزمن فاتهم كل شيء ، وادعو كل شيء ، وسيبوا كل شيء ، ومعلوم وجود الفارق بين ما يفوت ، وبين ما يسيب، ويقول اهل هذا الزمان لو خير احدهم بين المغفرة ، وبين مائة درهم لاختاروا المائة درهم على المغفرة ، ويقول في رجال القبائل المجاورة لموطنه تريم، انني لا اقدر ان احكم بكفرهم ولا باسلامهم ، لانني ان حكمت بكفرهم فهم ينطقون بالشهادتين ، ويصلون، وان حكمت باسلامهم فهم يستحلون قتل الانفس البريئة وينهبون الاموال الحلال ، وكان يكتب للسلاطين بالنقد اللاذع لمخالفتهم الاوامر الشرعية .

ويقول عن القضاء والقدر انه مشكلة لا تنكشف الا يوم القيامة ، لغموض وتضارب ما تقوله الفرق الاسلامية والدينية فيها .

وينقد المناصب الجهلة ، ويقول انهم اتكلوا على وجاهة آبائهم بدون ان يتزودوا من العلم والاستقامة ، كما تزود آباؤهم ، وينتقد في فصوله العلمية على من يغرر بالجاهلين من العلويين ، ويقول ان امثال هؤلاء المغررين بهم لا يحبونهم ، ولو كانوا يحبونهم لحثوهم على الاخذ بطريقة اسلافهم من التمسك بالعلم والعمل والاخلاق ، وينقد ايضا بعض كبار المتصوفة السابقين الذين يخالفون ظاهر الشرع في اعمالهم وأقوالهم ، امثال الحلاج والسهروردي وابن عربي، ويود ان لو وضع له كرسي ليعظ من فوقه كما يعمل وعاظ بغداد ، السابقون ، وكما يجلس شيخه عبد الرحمن بن شيخ عيديد بتريم ، وان لو ابدل خطب ابن نباته ، وان لو ربط زيارة نبي الله هود بالتوقيت الشمسي اي المنازل الشمسية ، ولكنه لم يقدم على هذه الثلاث تأدبا مع من سبقه من الاسلاف الصالحين كما يقول .

والحداد شارك مضطرا في المجال السياسي من اجل وطنه وشعبه ، رغما عن انه مكفوف البصر ، وليس في ايام شبابه فحسب ، بل وفي كهولته وشيخوخته ، فكان يكتسب توجيهات لبعض السلاطين الكثيرين كعمر بن علي بن عبدالله ، ومحمد بن بدر ، ولبعض معاونيهم .

وكان يشير عليهم في نواحي اجتماعية فيحترمون اشارته ومن ذلك ما قرره السلطان من جمع الزكوات ، وتوزيعها فاشار عليهم بترك ذلك ، ولم يزل بهم حتى النوه ، وكان له مبررات في ذلك ، من اهمها عدم استعدادهم لوضع ذلك في موضعه الشرعي، وجعلها اهم مورد لحكومة اسلامية في ميزانيتها ، ثم توزيعها بكميات كبيرة ، ومبالغ ضخمة تصرف في مجالات اقتصادية للمستحقين تحت اشراف حكومة رشيدة الى اخر ما هنالك (١) .

وكان قد خصص ابنه محمد للقيام بوساطات بالنيابة عنه بين القبائل وغيرهم للاصلاح بينهم واعده للدبلوماسية القبلية المحلية ، ولما نشبت بين آل العمودي ــ وفيهم من يكاتبونه ويتصلون به للاستفتاء والاستشارة ــ (٢) نزاع مسلح تدخل بينهم الحداد ، وارسل ابنه المذكور للتوفيق بينهم فنجح ، وقد زوج ابنه محمدا عند قبيلة آل كثير ، كما صاهر احد بنيه الاخرين آل قصير التميميين ، وكل هذا من اجل توثيق عرى المودة والاخاء بينه وبين القبائل المسلحة .

وقد اسس له في دائرة مدينة تريم ضاحية الحاوي الشهيرة المستقلة استقلالا ذاتيا به وباولاده وخدمه واتباعه ، بحيث لا يتدخل فيها حاكم

---

(١) انظر خطابه المؤرخ سنة ١١٣٠ هـ في مكاتباته وكتابا آخر في الموضوع لعمر بن جعفر .

(٢) كعبد الرحمن بن عبدالله ، واحمد بن محمد ، وعبدالله بن سعيد بن عثمان ، وحسن بن الشيخ مطهر كما في مكاتباته .

تريم ، ولا يعد اهلها من رعاياه بينما هي داخلة في كل ما يصل الى تريم من خير ، خارجة عنها من كل فتنة او حرب اهلية فهي محترمة لدى الجميع ، ولهذا اسماها بعض السواح الاجانب بالفاتيكان تشبيها لها بالفاتيكان في روما التي يحكمها البابا ، والحاوي في مدينة تريم يحكمها المناصب من سلالة الحداد صاحب الترجمة الى ان جاء عهد الاستشارة البريطانية •

الحداد في المجال الاقتصادي

وكما ان الحداد علم من اعلام الادب والعلم والثقافة والنسك فهو ايضا من اعلام الاقتصاد في وطنه وبالاخص في الناحيتين الزراعية والتجاريه ذاما في الناحية الزراعية فله ارشادات خاصة ، وعناية بالمزارعين سواء بالنسبة للتوقيت ام بالنسبة للطريقة المنتجة ، فكان يحثهم على الاكثار من زراعة الحبوب وبالاخص البر ، وبما ان التوقيت عندهم لزراعة البر في منزلة الحوت ، واذا تخلفوا عنها يتوقفون عن الزراعة فقد شجعهم على ان يزرعوه ونو في نجم الثريا ، وقد اثبتت التجارب صدق ما يقول ، فاستمروا على ذلك الى اليوم •

وكان يأمرهم بان يزرعوا ثلاث مرات لي ثلاثة صروع في العام في القطعة الواحدة شريطة ان يكثروا من السماد الطبيعي ، فنفذوا تعليماته ، ولعله يقصد من ذلك نقطتين فيهما ازدواج ، وهما الاكثار والانتاج من الزرع ، وتنقية المساكن من الاوساخ •

ولدى الحداد اطيان ورثها من ابيه ومن امه التي تملك اسرتها اطيانا اكثر ، ولكنه مع هذا يعد من متوسطي الحال ، في مقدار الاطيان، وعنده دواجن في مزارعه ، وفي مسكنه ، وكان يباشر بنفسه اطعامها يوميا ، واضاف الى العمل الزراعي اعمالا تجارية ، يقوم بها بنوه تحت

ارشاده ، وامرهم بالهجرة من اجلها كعادة ابناء وطنه ، وكان يشرف على ذلك في الجملة وينفق من حصيلة الموردين على اسرته وضيوفه ، وبعض طلبته ، وكان يحب تربية الايتام في بيته وطريقته انه ينفق مجانا علـــى الفقير منهم ، ويخلط مال اليتيم الذي لا يكفيه ضمن ماله ، وينفق عليــه بما يكفيه تبرعا بالزائد الى جنب تهذيبه وتعليمه، واذا كان اليتيم غنيا فانه يفتح له حسابا وينمي ماله •

لطف الحداد وظرفه وتسامحه

ومع ما اتصف به الحداد من علم ونسك وتصوف وما يقوم به من اعمال اجتماعية عظيمة فليس فيه تزمت ولا تحجر بل كان علـــى العكس من ذلك ، فهو بشوش ولطيف وظريف ، وقد مرت بك حادثة المـــــود (القنبوس) المروية عنه تحت عنوان « الحادثة الطريفه »

ومن لطفه انه امر بكتابة هذين البيتين على مروحته •

مروحـــة تروح كـــل هـــــم ثلاثـــة اشهر لا بـــد منهـــــا
حزيـــران وتمــــــوز وآب وفـــي ايلـــول يغنـــي الله عنهـــا

وفي مرة من المرات امر بعض المزارعين ابنه بان يذهب بمناجله الى الحداد ليسنها حتى تقطع الاشجار بسرعة ، فذهب الصبي بالمناجل ودخل على الحداد صاحب الترجمة وهو في جلسة علمية ، فلم يشعر الحاضرون الا بالصبي يقول له هذه الشرم (المناجل) يريد منك ابي ان تسنها ، فقال له الحداد في الغد في مثل هذا الوقت تجدها مسنونة ان شاء الله وذهب الصبي وتعجب الحاضرون ، وامر الحداد من يسنها ، ولما جاء الصبـــي على ميعاده سلمها اليه ، وفي مرة من المرات مر تحت غرفة ابنه الشاعـــر الشعبي الغزل زين ــ وستأتي الاشارة اليه ــ مر تحت غرفته ، وهو يقول لبعض ندمائه هذا البيت الدارج •

يقـول خو علوي حجزنا حمول ثقيـل مـا نقـدر لحملـه

فوقف عليهم واجابهم على البديهة رضي الله عنه :

حضر جمل لـي بايهـز العدول لو حملوه الحيـد شلـه (١)

الحداد والعدالة الاجتماعية

وكان الحداد ممن يميلون الى توزيع كثير من اموال الاغنياء علـى الفقراء ، وقد اثر عنه انه يقول لـو مكنني اهـل حضرموت او اغنيـاء حضرموت من اموالهم لا نفقت ثلثيها على المعوزين لعدم اخراجهم الزكاة

وكان دواما يحمل الاغنياء تبعة « مسؤلية » بخلهم علـى الفقراء ، وعدم مشاركتهم باموالهم في المشاريع العامة ، ونجد ذلك فـي كلامه المسمى «تثبيت الفواد ، بكلام القطب الحداد» وقد كتبه الشيخ عبد الكريم الشجار الاحسائي نسبة الى الاحساء ، وكان قد جاء منها لتلقي العلـوم عن الحداد فكان من اخص تلاميذه ، وسجل كلامه ، وسماه هذا الاسم الجميل ، وكان يعكس سورة المجتمع الذي عاش فيه الحداد ، ثم هذبه فيما بعد واختصره احد احفاد الحداد العلماء وهو العلامه علوي بـن احمد بن حسن بن عبدالله الحداد ، وسمي ذلـك الاختصار « بهجـة الفواد » ونجد خلاله كثيرا من ميول الحداد الى العدالة الاجتماعية في الناحية الاقتصادية بحيث تبذل كل المحاولات مع الاغنياء لتوجيه اموالهم نحو القيام بالمشاريع العامه ، وسد حاجة اهل الفاقة ، والعوز ، بصـورة اوسع مما نجدها في كلام الدعاة الاخرين .

---

(١) لي بمعنى الذي . وبا بمعنى سوف ؛ ويروى شطر البيت الاول بغير ما ذكرت .

برنامجه اليومي

وبرنامجه اليومي منظم ، ومليء بالاعمال الدينية والدنيوية فكان يشغل اوقات الصباح والمساء بالتأليف واملاء مصنفاته على بعض تلاميذه وتهذيبها وبتدريس الطلبة ، وبمقابلة ضيوفه وزواره ، ويشغل اوائل الليل واواخره بالعبادة وبتلاوة القرآن ، ويجلس مع افراد اسرته عند ما يضحي النهار ، ويطبخون القهوة كما تعتاد امثاله من الاسر الاخرى ، ويكون الحديث خليطا من مواضيع شتى كلها مفيدة تتخللها ارشاداته ونصائحه ولما كان يحب المشاركة معهم في الاعمال البيتية ، جعل من نصيبه طي القرب الفارغة من الماء حتى لا يدخل فيها شيء من الحشرات، كما انه يقوم باطعام الدواجن ، وربما عدل برنامجه هذا في بعض الايام.

وقد الف منذ صباه ان يصلي بعد خروجه من الكتاب مائة ركعة او مائتي في المسجد كما سبق ، الى غير ذلك من اوراده وراتبه الشهيرات المطبوعات ، قالوا وقد استمدها من القران والحديث ، وقد دونت معظم السنن التي يقوم بها حتى السور القرآنية في الصلوات النافلة فضلا عن غيرها .

غرائب تروى عنه

وتروى عن الحداد غرائب وخوارق كثيرة منها ما يرويه هو عن احدى جداته ، من انها تقول سياتي على اهل حضرموت زمان ليس لهم فيه ملجأ الا ثمود وهذه القولة شهيرة من عصر الحداد ، الا انها زادت انتشارا في هذه السنوات بعد ان اصبحت منطقة ثمود (شمال شرق حضرموت) مظنة لمنابع بترولية وزادت من معنوية الشعب بوجود ثروة زيتية له فيها تكون ملجأ له من الازمات الحادة ، الا انه مع الاسف لم

يسفرالتنقيب المرتقب عنالنتيجة المرجوة اليدرجة ان رئيسي الحكومتين المحليتين اصدرا بيانات في هذه الاشهر تدل على ندرة او قلــة البترول فيها ، وان النتائج لا تبشر بوجوده بكميات تجارية ، لكن هذا لم يتقبله الكثير ، بالتصديق ولما حج الحداد سنة ١٠٨٠ هـ دخل عليه وهو بالحجر الشريف بركات بن محمد قبل ان يتولى امارة الحجاز طالبا منه الدعاء بحصول مرامه فدعا له بذلك ، وهو لا يعرف ذلك الزائر المستمد ، ولما خرج من عنده سأل عنه الحداد ، فقيل انه احد اشراف الحجاز الحسنيين فقال انه يروم ويطلب ان يكون امير مكة ، وقد استجاب الله لنا الدعا له في ذلك ، فتولى الشريف المشار اليه الامارة المطلوبة بعد ذلك قبل ان تدور الدورة الفلكية دورتين في مثل الزمن الذي دعا له فيه الحداد .

ان كثيرا من هذه الخوارق تحدث مــن الحداد واضراب الحداد ، وهي مسجلة في كتبهم قبل حدوثها بأزمان طويلة ثم تقع طبق ما قالوا ، ومن هذا القبيل ما يوجد في البرقة المشيقة للشيخ علي بن ابي بكــر السكران المتوفي سنة ٨٩٥ هـ عــن ملك التــوت او كنوزه وكانــوا لا يدركون مغزاها فلما ظهرت كنوز توت عنــخ آمون فرعون مصر انكشف ما يرمز اليه ، وكذلك ما يروى عن شهاب الدين ، احمد بن عبد الرحمن، احد علماء القرن الحادي عشر ، من انه قال ان رجلا من سلالتي يوافــق اسمه اسمي ، اي ان اسمه احمد كاسمي سيحفر بئرا ويبني مسجدا هنا وأشار الى موضع معروف بنويدرة تريم فجاء السيد احمد بن محمد شهاب فحقق ذلك في القرن الرابع عشر .

الحداد كشاعر

والحداد شاعر مطبوع واسع الخيال دقيق الوصف مكثر مجيــد ، وكثير من شعره يكاد يسيل رقة ، طرق معظم ابواب الشعر من غــزل

ووصف ورثاء وفخر ، ومديح ، وزهد وحكم فاجاد فيها ، وقد اتجـــه فبرز الى الزهد والوعظ بصورة خاصة ، وقل ان تخلو قصائده منهمـــا وقد افردت بعض قصائده بالشرح كالعينية التي مطلعها :

يـا سائلي عـن عبرتي ومدامعي وتنهـد ترتـج منـه اضالعـي

شرحها تلميذه العلامة احمد بن زين الحبشي صاحب حوطة احمـد بن زين ، وترجم للرجال الذين نوه بذكرهم فيها ، وكالرائية التي مطلعها

اذا شئت ان تحيا سعيد امدى العمر وتوضع بعد الموت في روضة القبر

وعطف على هذا الشرط بجمل وابيات اخرى الى ان جاء جوابه (عليك بتحسين اليقين الخ) وقد شرحها العلامة احمد بن ابي بكر بـن سميط من اعلام القرنين الثالث والرابع عشر ونجبار شرحا افاض فيـه من علم البديع ، وكانه يرد بذلك على من زعم ان علماء الحضارمة فـي عصره لا يعنون به ، وكلا الشرحين مطبوع ، كما شرحت غيرهما مـن القصائد ، وتجد بعض اشعار الحداد الفصيحة ملحونة قد تركها كما هي، وكان قد نظمها قبل ان يتمكن في علم القواعد النحوية كما يصرح بذلك هـو نفسـه .

وتبرز في شعره السلاسة ، ويستعمل البديع المقبول الذي ليس فيه تطرف ولا تكلف ، وبالاخص التقسيم ، كما يتجلى ذلك فيما اوردته منه، وتجد فيه الخيال الواسع والمعنى الدقيق يسمو به تدريجيا كقوله :

مـن معشر مالهم هـم ولا شغل ولا التفات ولا ميـل الى الفانـي

فبدأ بالهم ، وهو اشد الشواغل النفسية ، ثم ما يقل عنه حتـى الميـل ، وكقوله :

ولـى الزمـان وولـت الايـام فعلـى المنـازل والنزيل سـلام

وكقولـه .

قد طالما طوفت حـول ديارهـم لارى واسمع مـا يروق لمسمـع

فرأيت لكن مـا يذوب مهجتـي وسمعت لكـن ما يفيض مدمعي

نماذج من شعره

من شعره الغزلي ، وغزله يكاد يسيل رقة :

مرحبـــا بالشـــادن الغـــزل   زارنـــي وهنـــا علـــى مهـــل
كقضيب البـــان فـــي كثـــب   ينثني فـــي الحلـــي والحلـــل
كلمـــا هـــب الجنـــوب لـــه   سحـــرا يهتـــز كالثمـــل
هو مـــن كاس الصبـــا ثمـــل   ليس كاس الاثـــم والزلـــل
فشفـــى نفســـي بـــرؤيتـــه   مـــن جميـــع الـــداء والعلـــل

ومنه ولعله يعني النفس ، كامثاله من كبار الصوفية :

اقـــوم بفرض العامرية والنفـــل   واصدقها في القصد والقول والفعل
وآتي الـــى مـــا تشتهيه وان يكن   مريرا وجدت المر مثل جنى النحل

ثم تخلص فيها الى ذم الزمن ، ومدح الكرام الماضين فقال :

وقد درج الاسلاف من قبل هؤلاء   وهمتهـــم نيل المكارم والفضـــل
لقد رفضوا الدنيا الغرور وما سعوا   لها والذي يأتـــي يبادر بالبـــذل
فقيرهم حـــر وذو المـــال منفـــق   رجاء ثواب اللـــه في صالح السبل
لباسهم التقوى وسيماهم الحيـــا   وقصدهم الرحمن في القول والفعل
مقالهم صدق وافعالهم هـــــدى   واسرارهم منزوعة الغش والغـــل
خضوع لمولاهم مثـــول لامـــره   قنوت له سبحانه جل عـــن مثـــل
فقدنا جميع الخير لمـــا ترحلـــوا   ومنه خـــلا وعر البسيطة والسهل
وصرنا حيارى في مفاوز جهلنـــا   نشبه بالبهم السويرحة الغفـــل
نخبط لا ندري الطريق الى النجا   وبالجور نمحو سنة البر والعـــدل
فآهـــاً عليهم ليت داهيـــة الفنـــا
بحزب الردي حلت وحزب الهدى خلـــي
سابكي عليهم ما حييت بعبـــرة   لها مدمع في الخد يشهد بالثكـــل
واحمل نفسي ما استطعت على اقتفا   سبيلهم حتى اوسد في الرمـــل

حياتهم خيــر لهـــم ومماتهـــم   فطوبى لهم فازوا وسادوا على الكل
عليم سلام الله ان كان قد مضوا   فذكراهم باق وقد شاع بالنقـــل

ومنه قوله من اثناء قصيدة مدح فيها الفقيه المقدم رضي الله عنهما:

سقيا لايامنا الغر التي سلفـــت   مــع الاحبة من سكـــان نعمـــان
حيث الخيام بها البيض الاوانس   والغيد الروائح في روح وريحان
وغادة وعدت بالوصل ثم لــوت   بل اخلفت فثنت قلبي عــن اثاني
فمن رسولي الى سعدى يبلغهــا   اني سقيم وان الحب اضنانــي
وان طبي من الاسقام فــي يدهــا   سهل عليها فلا تبخل باحســـان
فان لي املا في ان تــرق ، وان   تحنو لوصلــة ارحــام وجيــران

ومن جيد شعره

احبتنــا بنجـــد والصفيـــح   مراهم كل ذي قلـــب جريـــح
عسى عطفــا علــى دنف كئيــب   حزين القلــب منكسر طريـــح
وهــل من رحمة منكـــم لصـب   صبا قدمــا الى الاوج الفسيـح
له روح تحــن لخيــر عهـــد   بمهدها الانيس مـــن السفوح
بنعمـــان الاراك واي اخـــذ   فقل لي عنـــه بالقـــول الفسيــح
ومل بي يمنة عـــن طـــور نفس   الــى طـــور السرائر والمنـــوح
لعلـــي ان اثادى عـــن قريـــب   فما المعطي تعالـــى بالشحيـــح
ولكنــا حجبنـــا بـــالامانـــي   وبالكون الكثيف مـــع النزوح
بهيــا بالقلوب الــى حمــاهـــا   ومغناهـــا وموطن كــــل روح
فان الروح مـــن ملكوت غيــب   تنزلهـــا بمتجرهـــا الــربيــح
وان الجسم مـــن طين ومــــاء   يميل الى الحظوظ بكل ريـــح
فوجه حيث شئت فانت ممـــــا   لــه وجهت فاختر للمليـــــح
وجانب كـــل سفساف ونكـــر   مـــن الاخلاق والعمـــل القبيـــح

وسافر في الجميل الى المعالي بجد واستمع قول النصيح
ولا تؤثر على الرحمن شيئا تعالى قابل التوب النصوح
اله واحد ملك عظيم تسبحه ملائكة الصفيح

ومن أثناء مرثية قوله :

وقد كان بالوادي وبالربع والحمى رجال مصابيح الوجوه نجوم
لهم من شراب القوم شرب ومن حد يث نجد حديث طيب وقويم
فاعدمني الدهر الخؤون وجودهم وما الدهر الا خائن وظلوم

وقال يخاطب الروح :

يا أيها الروح هل ترضي مجاورة على الدوام لهذا المظلم الكدر
وأين كنت ولا جسم تساكنه الست في حضرات القدس فاذكر
تأوي الى الملا الاعلى وتكرع من حياض انس كما تجني من الثمر
تأتي عليك نسيم القرب مهدية عرف الجمال كعرف المندل العطر
حتى جعلت بامر الله في قفص ليبتليك فكن من خير مختبر
فحين ابصرت هذا الجسم قدبرزت به العجائب من باد ومستتر
انستك بهجته ما كنت تشهده من قدس ربك فاعرف ضيعة العمر
رضيت بالفكر عن كشف واينك من جلية الحق ان اخلدت للفكر
لا تقنعن بدون العين منزلة فالضب من يكتفي بالظل والاثر

وقال واعظا ومذكرا :

تلك القبور وقد طاروا بها رمما بعد الضخامة في الابدان والسمن
بعد التشهي واكل الطيبات غدا ياكلهم الدود تحت الترب واللبن
تغيرت منهم الالوان وانمحقت محاسن الوجه والعينين والوجن

وله هذان البيتان :

نحن في روح وراحة وحبور واستراحة

نسمة الاسلام اعلى ... نسمة حلت بساحة

وقال :

هون عليك نوائب الدهر ... يهن عليك كل ما يجري
وكن للطف الله منتظرا ... من حيث لا تدريه او تدري
فكم له من فرج عاجل ... يكشف للبأساء والضر
فحسن الظن بمولاك في الا ... حوال من يسر ومن عسر
وروح القلب بروح الرضى ... تعيش في انس وفي بشر
وكن من الشكر على غاية ... ان النعيم الصرف في الشكر

ومن شعره الفخري قوله :

ارى الحق بين الناس قدصار خافيا ... وقد درست اعلامه ومسالكه
ارى مربع الاحباب قدصار خاويا ... وفارقه فرسانه وعواتكه
فلله ما هذا الذي قد لقيته ... ممرة دهر وطأتني سنابكه
انادي قريبا قد سبته حظوظه ... وادعو بعيدا آسرته مهالكه
فهذا غريق والاخير مثبط ... وايهما تختاره وتماسكه
وما انا بالمختال زهوا لنفسه ... ولكنني اهوى الجميل وسالكه
احن الى العلياء وقد حال دونها ... فوارس سلطان الهوى وفواتكه
ومن يبتغي الامر النفيس بنفسه ... يخاطر دون الملك تلقى معاركه

وقال متغزلا :

ومرتع كانت الغيد الاوانس في ... افيائه تنثني في الحلي والحلل
من كل غانية بالحسن قاصرة ... هيفا خدلجة مواجة الكفل (١)

---

(١) الخدلجة بتشديد اللام الريا الممتلئة الذراعين والساقين كما في لسان العرب .

كالبدر غرتهـا كالليل طرتهـا كالغصـن قامتها مياسـة المقـل
وكـم حبيب وفي العهـد مجتمع على المودة لا بالعاجز الوكـل
من آل فاطمة بين الـوجوه لـه الى المكارم سعي المسرع العجل
فهل ترى عائدا في الحي مجتمعا مـع الاحبة فـي الابكار والاصل

وقال في الايمان والتوحيد :

بشر فوادك بالنصيب الوافـي من قـرب ربك واسع الالطـاف
الواحد الملك العظيم فلـذ بـه واشرب من التوحيد كأسا صافـي
واشهد جمـالا اشرقت أنـواره في كل شيء ظاهرا لا خـافي
وعلى منصى الجمع قف متخليـا عـن كـل فان للتفـرق نافـي
والبس لرب العرش فـي اقداره ثوبـا من التسليم واف ضافـي
واستكف ربك كـل هـم انـه سبحانـه البـر اللطيف الكـافي

وشعره يحتاج الى دراسة وتعمق لكشف ما فيه من محاسن ، وان كان كغيره من الشعراء في شعره الحسن والاحسن ، والجيد ، والاجـود ، ومـا ليس كذلـك .

وشعره المطبوع منتشر ذائع لمن اراد الاطلاع عليه ، ومع هذا فلـه اشعار كثيرة لم يسمح بنشرها في حياته .

وفاته

وتوفي رضى الله عنه ، وقد ناهز التسعين ، وهو في اثناء العقـد التاسع من عمره سنة ١١٣٢ هـ وترك فراغا في عالم الفضل والعلم والتقوى والاصلاح لم يملاه غيره من ابناء عصره ، بعد ما انتهت اليه الزعامة في عصره ، وفي وطنه رضي الله عنه ، ويمتاز الحداد بتاريخ حافل بالنبوغ والحصافة والتفوق وقد صنفت مصنفات كثيرة عن حياته المديدة السعيدة

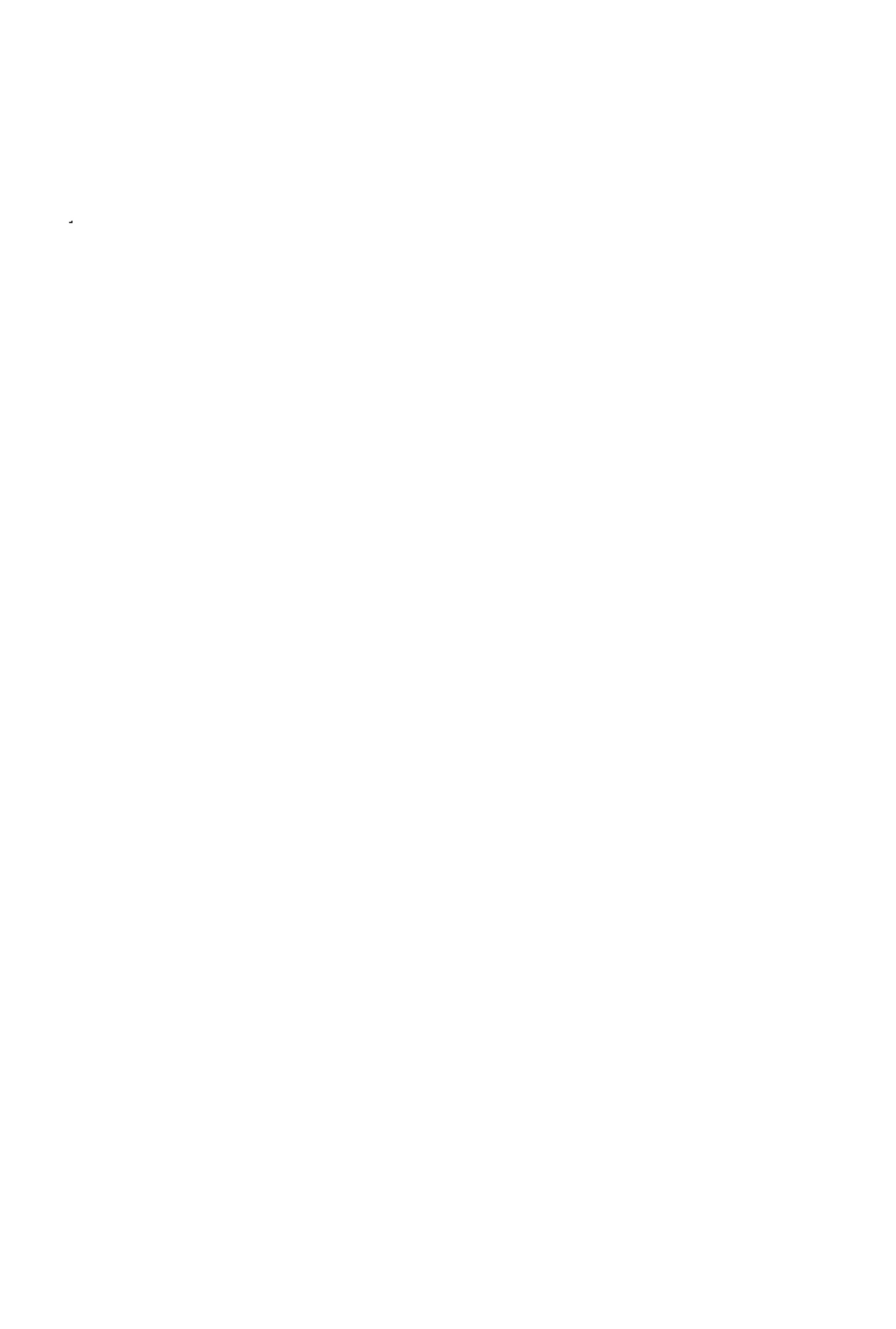
يمكن ان يستمد منها بغزارة من اراد الكتابة باسهاب عنه ، وحبذا لــو قدم من اراد شهادة الدكتوراه من ابناء هذه البلاد عن هذا الامام رضي الله عنــه (١)

---

(١) من تلك الكتب غاية القصد والمراد في مناقب القطب الحداد للعلامة تلميذه محمد بن زين بن سميط ، والفوائد السنية لحفيده احمد بن حسن ، وتثبيت الفؤاد كما اشرنا اليه ، والى مختصره ، وكتب التراجم الحضرمية المصنفة بعد وفاته ، وفي حياته رضي الله عنه ، ومنها ايضا المواهب والمنن .

الـدّورُ القبـَليُ

من سنة ١١٣٠هـ تقريباً الى سنة ١٢٧٠هـ تقريباً



الـدّورُ القبـَليُ[1]

من سنة (١١٣٠ هـ) تقريبا الى سنة (١٢٧٠ هـ) تقريبا

اعظم ظاهرة في هذا الدور الظاهرة القبلية الفوضوية فلا دولـة راسخة ولا سلطنة مستقرة فيه ، ولهذا لا يمكن ان تسمى دويلة آل عمر بن جعفر الكثيريين التي تأسست بعينن حوالي سنة ١٢٢٠ هـ وانتهت سنة ١٢٣٩ هـ ولا دويلة آل عيسى بن بدر الكثيريين التي ورثتها فـي ذلك العام نفسه بشبام وانتهت سنة ١٢٧٤ هـ بقتل آخر سلاطينها منصور بن عمر بموآمرة في شبام من الجمعدار (٢) السلطان عوض بن عمـر القعيطي ولا دويلة المقدم عمر بن عبدالله بن مقيص الاحمدي اليافعـي التي تأسست ببيت جبير سنة ١٢٤٢ هـ والتي يضرب بها المثل في قصـر العمر (٣) اذ لم تدم اكثر من سنتين فقط هذه سلطنات ثـلاث اسميـة بداخل حضرموت لا يمكن ان تنسب هذا الدور اليها كلها فضلا عـن نسبته لواحدة او اثنتين منها كما لا يمكن نسبته الى اي من امارتي آل كساد بالمكلا وال بريك (٤) في الشحر اليافعيتين الساحليتين اللتين ظهرتا

---

(١) القبلي نسبة للقبيلة او للقبائل لان النسبة الى الجمع انما تكون لمفرده ، ومفرد القبايل قبيلة .

(٢) رتبة عسكرية رفيعة في جيش نظام حيدر اباد .

(٣) يقول المثل الدارج (كما ديولة بن مقيص) للشيء الذي انتهى بسرعة بينما يرجى دوامه .

(٤) بالتصغير وبعضهم نسب آل بريك لغير يافع والمشهور مـا ذكرتـه .

واختفتا في القرن الثالث عشر وورثتهما فـي النهاية السلطنة القعيطية اذ ليس لاي ممن ذكرنـا ما للسلطنات السابقـة واللاحقة مـن الاستقرار واتساع الرقعة والهيبة في نفوس القبايل المسلحة فهي وسلاطينها كمـا قال الشاعر (١):

مما يزهدني فـي ارض اندلس   اسماء معتمد فيهـا ومعتضـد
اسماء مملكة فـي غيـر موضعه   كالهر يحكي انتفاخا صورة الاسد

وصحيح ان للقبايل (٢) في الادوار الماضية سلطـة قوية ويصدر عنها الظلم والغشم ولكن السلاطين الاقوياء اذ ذاك يقومون باخضاعهـا وتاديبها وكبح جماحها في اكثر الحالات والمواقف ، عكس مـا يجـري في هذا الدور من استفحال السلطة القبلية واملاء ارادتها كما تشاء علـى من تشاء مما لم يسبق له نظير فهي لا تومن بقول الشاعر العربي الحكيم •

لا يصلح القوم فوضى لاسراة لهم   ولا سـراة اذا جهـا لهـم سادوا

ولهذا وضعنا عليه اللقب الواقعي الذي ينطبق عليه وهـو لقـب (الدور القبلي) المحض فقد استرسلت فيه القبائل المسلحة فـي الحروب والفوضى • كالشنافر ومنهـم آل كثير والقبائـل اليافعية والنهديـة والتميمية والعمودية • وغيرها من القبائل الحضرمية • ومن القبائـل

---

(١) قالهما الشاعر لما رأى انحلال دولة بني عباد بالاندلس باشبيلية وهي احدى الدول العربية المتعددة بها وقد ضعف امرها حتى انحلت وقد تكلم عن هذه الدويلات الحضرمية وعن بعضها مؤرخون معاصرون بشيء من التفصيل والتفخيم والتهويل .

(٢) اصبحت كلمة القبائل تطلق على القبائل المسلحة وهم القطـاع القوي المتسلط من قطاعات الشعب وتقابلهم القطاعات الاخرى العزلاء من سادة علويين ومشايخ وعمال وتجار وزراع وصناع وأن شاركهم بعض افراد القبائل في اعمالهم المهنية كما المحنا اليه في ج (١) .

البدوية ، قبائل الحموم ، والصيعر ، والمناهيل ، والمهرة، وسيبان ، (١) وقبائل قليلة العدد كبيت حموده ، وبيت زين العلويتين ، وغيرهما من القبائل البدوية، وبعض المصادر التاريخية والروايات المتواترة (٢) تقول ان بعض القبائل اليافعية اكثر امعانا فيما اشرنا اليه من القبائل الاخرى التي تتفاوت تفاوتا نسبيا فيه ، وتجد كل قبيلة منقسمة على نفسها الى فخائذ وأسر تتطاحن وتتصارع داخل مثاويها ومبانيها وتظلم العزل من المواطنين الذين يقيمون بينهم ويسموتهم بالرعايا ظلما يبلغ بالبعض منهم الى درجة ترويع النساء والاطفال وبيع الاحرار واختطافهم ، ونهب الاموال ، وقطع الطرق واتلاف النخيل وقتل الابرياء (٣) وبالنسبة لكل عشيرة ، وعشيرة اخرى يحدث نفس الشيء تقريبا ، وكل ينتقم من رعية الاخر فيذوق اولئك الرعايا العُزّل الوانا من الاضطهاد والضغط والاستبداد التي لم تنقطع طيلة هذا الدور ولا يكاد يصفو موضع منها الا لتنتقل الى المواضع الاخرى فالطرق الموصلة بين القرى والمدن والاودية لا تجد فيها ذا زاد الا وبجنبه خفير ، ومالك النخيل والزرع الاعزل لا يتمتع بالرطب ولا ياكل من الحب الا اذا شاركه القبلي المسلح،

---

(١) بالسين المهملة ، وتسكن ، وادي دوعن .

(٢) انظر تعليقات حاضر العالم الاسلامي للامير شكيب ارسلان ج(٢) تحت عنوان تصحيح وتوضيح ، وتاريخ ابن حميد وابن هاشم ، وأمالي بعض الشيوخ .

(٣) كل هذا معروف ومتواتر عن الثقات وفي كثير من المصادر كتاريخ ابن حميد بكسر الميم ، وبن هاشم وغيرهما ، وفي امالي كثير من علماء هذا الدور وما بعده كما توجد وثائق افتداءات يكتبها بعض اثرياء العلويين على القبيلي الذي يسترق العامل او غيره من العزل او يختطفه ليبيعه بعد ان يدفع له الثمن ويكتب وثيقة الافتداء عليه حتى لا يعود مرة اخرى فيسترقه ومن هنا ينتسب المفتدى (بالالف) واحفاده الى خدمة المفتدي ــ واحفاده شعورا منهم بفضل الافتداء المجاني والخلاص على يده من العبودية .

وكل من حدثته نفسه منهم بالسطو ، او الغزو ، نفذ ارادته بدون ان يحسب لغير القوي اي حساب ولا ينجو من الوقوع في جرائمهم الا من اعتصم باحدى الحوط (١) او بوجاهة احد المتنفذين او اوى الى ركن شديد من القبائل فيحميه بخفارة ويسمونها ، سيارة (٢) او بقرابة ، او بصهارة او لاي مصلحة ، وقد تحصل تجمعات غفيرة على الدوام بمناسبة تعزية او تهنئة لبعض الوجهاء او العلماء ، او الزعماء او بمناسبة الزيارات او المواسم او الاعياد او افراح القنص او غيرها مما يتكرر على الدوام وفي جميع انحاء القطر ، ويحضرها خليط من حملة السلاح ومن قبائل مختلفة كما يحضرها ابناء القطاعات الاخرى ، هذه كلها تحصل كما قلنا ولكنها باحدى سبل النجاة التي اشرنا اليها الان ، ومع هذا فقل ان يمر الاجتماع او الاحتفال بسلام ، فكثيرا ما يحصل اصطدام بين بعض الافراد او سوء تفاهم يؤدي في النهاية الى التأهب للقتال فيأخذ كل حذره ويضع يده على قلبه من الخوف ، ويهرب العزل الى حيث يجدون ملجأ او مغارات ، ويترك التجار بضاعاتهم ونقودهم بدون حراسة في الاسواق ، ولا تسمع الا حركات البنادق لتفتح وتملاء بالخراطيش ، والا الصريخ المصطلح عليه للدعوة للحرب والدخول في المعركة (٣) وعندئذ يقوم اصحاب الوجاهة (النفوذ الروحي) على حد تعبير البعض، (المناصب) فيهدئون الحالة ويصلحون بين الخصوم حتى تعود المياه الى مجاريها .

---

(١) تقدم الكلام عن الحوط بضم وفتح عند الكلام عن المناصب واشتراكيتهم الحقيقية .

(٢) بميزان ملاحة وعبادة .

(٣) الصريخ المصطلح عليه هو رفع الصوت بكلمة (عيك) مع مد العين المكسورة .

تشريعات القبائل وتقاليدهم

القبولة (١) في اصطلاح اهل هذا العصر مجموعة صفات مختلطة منها الحسن ومنها القبيح وهو الاغلب فهي مزيج من الاباء وحماية الجـــــار والاخذ بالثار ، واغاثة الملهوف ، وصلابة الرأي ، ومن الظلـم والغشم ، والاعتداء وبطر الحق والقوة والبطش والحمية الجاهلية ، فترتكز هـــذه الصفات في الذهن عندما يقولون فلان (قبيلي) اي قبلي ومن هنا كانت لهم تشريعات خاصة ومصطلح عليها فيما بينهم ينفذونها بقوة السلاح على غيرهم ويسمونها (شرع القبولة) وهي كما يقول عنها العلماء المرشدون من بقايا الجاهلية الرجعية وكان اهلها يعترفون بانها ضد الشرع الاسلامي وقد لفق معظمها من السوابق ومن نتاج الاجتماعات التي تعقد بينهـم برآسة شيوخهم وزعمائهم وبدعوة المناصب وبوساطة السفراء (الدلـــل) وغيرهم ، ولنذكر امثلة ، منها فيما يلي .

من ذلك انهم لا يقتلون القاتل بعينه وانما يكتفون بقتل اي مـــــن قبيلته ويقولون الطارف غريم او الطارف ينقي اي ينظف الوجه ويغســـل لطخات العار عار التأخر عن الاخذ بالثار ، وهذا افحش من عمل الجاهلية فان اولياء القتيل واصحاب الدم منهم يحرصون على الاخذ بالثار مـــن القاتل نفسه مهما امكن (٢) ويستعملون الازر بشكل غير منتظم وبطريقة

---

(١) بميزان فعولة بسكون العين وفتح البقية معناها كون الشخص قبليا او قبيليا كما علقنا عليه في الجزء الاول .

(٢) تكلم المرشد الكبير العلامة عبدالله بن حسين بن طاهر احـــد العبادلة الاتي ذكرهم وشقيق الامام طاهر بن حسين الاتي ذكره عن هذا وامثاله من الاغلاط القبلية في رسالته المسماة ارشاد العاقل من القبائـل وهي مطبوعة ضمن مجموعه الشهير ، وقد شاهدناهم يعملون بما ذكرنـا من عهد غير بعيد فلم يفد فيهم نصح ولا وعظ واعظ .

تبرز بها افخاذهم وربما عوراتهم حتـى ولو كانت الازر غاليـة الثمن او حريرية او واسعـة •

الشائم والشراحة :

وهمامن تشريعاتهم، والشايمهو المقدار الذي ياخذه القبيلي من ملاك النخيل او غيرها كرها ، وغالبا يكون مقدار عشر الحاصل او نصف عشره والشراحة • هي الحراسة والسلطة على المال في المنطقة المختصه بالقبيله ، وينتقي الشارح التمر الممتاز وقد يزيده كما يشاء ، وبالطريقة التـي يريدها ويفرضه على كبار الملاك وصغارهم من الكادحين والفلاحين الذين يسمون النخيل والزروع من عرق جباهم ، وكد اعصابهم ، وكثيرا مـا يطرد المالك من تحت نخلته اليانـع ثمرها وهـو يتضور جوعـا اذا شاء القبيلي ذلك ، واضافوا اليه شيئا اسمه الباطل ، وهم يعترفون بانه حتى على اصطلاحهم باطل ، يضاف اليه باطل الباطل عندهم مما وصل بهم الى هذا الدرك ، وقد يبيع القبيلي على المالك الاعزل • الشايم وحتى الباطل فياخذه المالك طوعا او كرها ولا يلبث الا يسيرا حتى لا يساوي عنـد القبيلي قيمة القصاصة التي كتب عليها فيلغيه بعد ان يقبض ثمنه ويستانف ظلمه مـرة اخـرى (١) •

الدماء المهدرة :

ودماء وحقوق افراد القطاعات الشعبية العزل كلها مهدرة اذا اصيبت من قبيلي وتسمى عندهم (فرث) وليست لبنا خالصا ولا دما غاليا ، وقـد

---

(١) افتى العلماء بحرمة هذا الشايم من اصل وضعه فكيف ببيعـه او بيع ما هو اشد منه وهو الباطل ، وتوجد مئات الوثايق القديمة او القريبة العهد بهذا الصدد الى ان ألغي كما سياتي .

يحدث احيانا ان يقتل قبيلي رعويا لقبيلة اخرى او ينهبه فتقتل رعويا اخر لقبيلة الجاني جزاء وفاقا (١)، والقبيلي يشبه في اصطلاحهم بالحجر الصلب الشديد ، وغيره بالمدرة التي تتفتت بسهولة وتذوب عندما يلامسها الماء لانه اعزل ، ولا شيء يحميه ، وانشد لسان حالهم بيت زهير •

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وهناك ارش معروف وثمن مقرر لكل حيوان لقبيلي يتلفه قبيلي آخر كالكلب مثلا قيمته خمسة ريالات تساوية •

البشعة :

وهي حديدة عليها رموز منقوشة اشبه بالطلاسم تحمى بالنار وتوضع على لسان المتهم فان احرقته ادين والا فلا والغريب انهم يؤكدون بانهالا تخطيء ابدا بينما رجال الشرع والفضل يستبشعونها ولعلها سميت بهذا الاسم لاستبشاع هؤلاء الاخرين لها ــ وعملية البشعة يقوم بها حكم معروف من بعض افخاذ القبائل كـآل عبد الودود الكثيريين يتوارثونها واحداً بعد واحد ، وقد ينقل ــ على حساب طالبها ــ الى المحل الذي وقعت فيه الجناية لمعرفة المتهم بها •

---

(١) كثيرا ما يحدث هذا في تاربة موطن فخائذ قبيلة العوامر ــ والى وقت قريب ، ومن افظع ما حدث ولعله آخر ما حدث ، ان عامريا قتل الصدر السيد ابا بكر (عدني) العيدروس ليلة سبع عشر رمضان سنة ١٣٥٩ هـ وهو بجنب قبلة مسجد الجامع بتاربة بعدما فرغ الناس من الصلاة وهو يذكر الله والمسجد غاص باهله ، وفيهم كثير من العوامر فسدد بندقيته واطلق الرصاص على السيد فأرداه قتيلا وخرج يتخطر من المسجد ولم يتحرك احد من الفخائذ العامرية ضده ولم يعلم اي سبب يدعو لهذا (الحادث الفظيع) .

حرمان النساء من الارث :

ومنهم من يحرمونهن اما مـــن الارث كليـــة او من السلاح والديار بدون تعويض (١) لئلا يتدخل في شؤنهم اجنبي عنهم بواسطتها ــ فيما يقولـــون ــ ٠

اللوم والشوم

وهناك تقاليد مرعية بينهم وفيها شهامـــة وتتلخص فـــي الاحتـــرام المتبادل بينهم فلا يخفر القبيلي ذمة القبيلي ، واذا حضر مجلسا فلا يمكن قبيليا آخر من بسط يده على من دونه لانه لوم وشوم على الحاضر بدون ان يبدو عرق الغضب في جبينه وتفور دماء القبولة في جسده كمـــا ان القبيلي اذا صادف هجوما على قبيلة اجنبية وهو عندها فانه يغيب شمس يومه معها يناضل ويقاتـــل ٠

الصياح والبادى والتعاشير :

وهذه من تقاليدهم التي تقع دواما فالصباح بكسر الصاد عندهـــم ان تصبح القبيلة تحت قصر اي شخصية **سياسية او حربية بارزة فتطلق** بنادقها في الهواء ايذانا بوجودها ثم تفاتحها في اي حق تطلبه حتى ينتهوا الى حسم للموضوع بحرب او سلم ، والبادي هو المقابلة بالبندقيات في ميدان القتال سواء كان وجها لوجه او من وراء جدر او في قرى محصنة، وهو الغالب في الازمنة الاخيرة ، والتعاشير هي اطلاق عشرات البندقيات غالبا ومن عشرات الرجال غالبا ولعلها ماخوذة من هذا في المناسبات مـــن

---

(١) اما تخصيص البنات بالحلي ذهبا وغيره مع سكنى لهن في الدار طول عمرهن ، والدار للذكور فهو معمول بـــه احيانا بين المواطنين مـــع مراعاة التســـاوي بحيث لا يحرم احد من قدر ميراثه .

افراح واتراح كالتهاني على اختلاف انواعها والتعازي •

ولهم تقاليد حول الصلح والهدنة (العرضة) من تعداد القتلى والمقابلة بين عددي القتلى من القبيلتين ومن زادت قتلاها يطلب خصمها منهـــا الصلح ثم يجددونه وقل ان يرضى احد بأخذ دية او مال في قتيله ولو كـــان خطـــأ •

المبنا بالوجه :

ومعناه انه اذا اراد فرد او قبيلة حماية شيء مـــا او شخص ما وادخاله في حماه وامانه فانه يرفع سبابته ويضعها على جبينه ويقول في وجهي او بديت لك بوجهي واذا اخترق احد ذمته فيما بدا به فان وجـــه ابادي ملطخ بالسواد ولا يغسل عاره الا الدم والانتقام والوفاء لغريمه والرباعة مـــن هذا النوع •

العربون :

والعربون هو ان تضع القبيلة او الفرد منها سلاحا او اسلحة لـــدى الحكم او المنصب او اي وسيط بينها وبين خصمها عند طلب المحاكمـــة كضمان لاستعدادها لقبول الحق لها وعليها عند المحاكمة ويتوقف النزاع ولا يعاد العربون لصاحبه الا بعد تنفيذ الحكم ، اما اذا لم يرضو بدفع العربون فمعناه ان الجو لا يزال مكفهرا ولم تعد المياه الى مجاريها بين المتنازعين •

الوثور :

جمع وثر (١) وهو الحجة التي يكتبونها في امورهم الهامة مـــن

---

(١) وهو فصيح ومأخوذ من الوتر وهو قطعة الاديم التي كان يكتب في الاصل عليها او من التوطئة .

تحالف وحماية ورعاية وغيرها وله لغة خاصة (١) .

والكلام يطول حول هذه التقاليد والتشريعات التي يرجع الكثير منها الى القرون السالفة ومنها ما هو من رواسب العصر الجاهلي ومعظمها مسجل في مضامين وفي تأليف بلغني بالتواتر عن ثقات شيوخ القبائل وغيرهم انه يدعى (المنع) ضد حكم الشرع وهو اسم مريسر ولا يعرف . مصنفه بالضبط ولا توجد منه اليوم نسخ في محل معروف ، نعم بلغني وجود نسخة بقسم لدى مقدم قبيلة آل تميم ورثها عن آبائه سابقاولكن لم اتحصل عليها عنده اليوم ويقال ان نسخة ، منه ايضا كانت توجد في مكتبة السيد العلامة الكبير احمد بن حسن العطاس ولكنها فقدت وبلغني انه بيع ايام المجاعة الاخيرة سنة ١٣٦٠ على بعض المستشرقين بثمن مغري وقتها ، وغفل البايع عن نسخه وان ليس كله كما وصفوا بل فيه ايضا تقاليد قبلية حميدة يدلل لها صاحبه من الكتاب والسنة وامجاد العرب (٢)

الحكم والمقدم

وترجع القبائل في نزاعاتها الى الحكم او المقدم ويجمع الاول على حكام ويسمونهم حكمان والثاني على مقادمة وهؤلاء معروفون بينهم بفض النزاعات وبالحكم في الدعاوى على اساس تلك التشريعات

---

(١) غالبا تكون بهذا الاسلوب ، الحمدلله بتاريخ . . . . شلوا وتحملوا وبدو بوجوههم مبدا قبولة هم واولادهم ابدا ما تناسلوا حتى يشيب الغراب ويفني التراب على ان يقوموا بـ . . . . الخ .

(٢) بهذا اخبرني الشيخ فضل بن محمد بافضل كشاهد عيسان لما سقته الا انه لم يتذكر اسم المصنف واما المشتري فهو ريبي سرجنت واما الثمن فمائة روبية هندية وهذا قليل من كثير يأخذه المستشرقون من تراثنا في فرص كهذه ويمكن الجمع بين هذا وبين ما هو متواتر مما اشرت اليه بأن المنع اسم لكتب عدة او بانه اجزاء لان مجال القول ذو سعة .

والمصطلحات او السنن والسوارح كما يسمونها هم ومن ابرزهم الحكمان النهديون بقعوضة والحكومة (١) فيهم قديمة ترجع الى ما قبل القرن ، الحادي عشر الهجري ، والى مقدم آل تميم ابن يماني بقسم الذي اسلفنا ذكر آبائه السلاطين آل يماني والى ابن قطامي مـن قبيلة ال باجرى (٢) ببور والى آخرين من عراف وشيوخ القبايل البدوية والحضرمية الاخرى التي تختلف احيانا تفصيلات تشريعاتها وانظمتها القبليـة شأن القبائـل العربية في الوطن العربي الكبير ، وقد المحت في الجزء الاول عند الكلام عن الازياء في العهـد الراشدي الى ان للقبائل اوضاعهم الخاصة فـي كيفية تقلد البندقيات والجنابي والخناجر والرماح فـي غيـر وقـت الاستعداد للحرب وهي من ضمن تقاليدهم القبيلية المعروفة الى ما هنالك من كلام عن تلك الاسلحة وما اتصل بها والبدو مولعون باستعمال الشيلة في مقابض اسلحتهم وفي ثيابهم اكثر ، ومـن نساء القبائل مـن تشارك مشاركة فعلية في جميع ما مر بل فيهن من فاقت كثيرا من الرجال فـي الشجاعة والسياسة والحكم والحصافة من عموديات (٣) ويافعيات ومن ابرزهن عزيزة صلاحة زوجة عبدالله عوض غرامة امابنه عبد القوي تلك التي قامت بدور كبير في الدفاع عن تريم وباشرت الحرب فيما بعد ضد آل كثير ولها مواقف بطولية غريبة ، ومن قبليات اخر لم نطل بذكرهن .

ومع ما سقناه عن الحياة القبلية المتعبة فان فـي رجال القبائـل شخصيات ساخطة على هذه الاوضاع والتقاليد الرعناء وتود لو تقضـي

---

(١) الحكومة بمعنى الحكـم والمحاكم وعبرنـا بهـا لان العـرب القدماء يخصونها في هذا الشأن .

(٢) بكسر الجيم وفتح الراء ولعله في الاصل بضم الجيم تصغير جرو بتثليثها ولد الكلب والاسد ، والعرب تسمي كلبا وكلابا ومن الحضارم من يطلقون جرو وامثاله على الطفل ثم يستمر علما عليه .

(٣) تكلم في الشامل عرضا على البعض منهن كما تكلم هو وغيره عن غيرهن .

عليها ولكن لا يطاع لقصير امر (١) كما ان فيهم ــ وان كان نادرا ــ من عرف بالاستقامة والعلم والخير والانصياع لتعاليم المرشدين والوعاظ والعلماء من العلويين وغيرهم من مشايخ العلم وربما جاروا اخوانهم في تقلد السلاح للدفاع عن النفس وهناك نوع من القبائل افنتهم الحرب فاضطرتهم الظروف الخانقة وقلة العدد الى الالتحاق بالعزل والى التمشيخ ، فألقوا السلاح وغضوا الطرف عما يرى في ذلك الالتحاق عليهم من غضاضة حتى اصبحوا نسيا منسيا (٢)

القنص او القنيص :

والقنص او القنيص من اهم ما شغل به القبائل وابناء الحارات اوقاتهم وافكارهم وهو في نفس الوقت الرياضة الكبرى بحضرموت وله انظمة وقوانين غريبة ومقدسة عند اربابه هي على شاكلة النظم القبلية او متفرعة عنها وبلغ من تقديسهم للقنص ان الفرد من العامة (الموقاء) يحلف بالله ولا يبالي بيمينه ولكن يأبى ان يحلف بالقنيص ، واذا اضطر الى الحلف به فانه يفي بيمينه ولا يحنث لانه يعتقد ان حلفه ينتج تخلف الاصطياد في القنص •

والحضارم منذ العهد الحميري يكبرون الوعل وقد وجد بعض السواح الاجانب احجارا (٣) في شرق حضرموت وربما كانت قرب

---

(١) مثل يضرب لمن لا تسمع نصيحته وهو من امثال قصة الزباء مع عمرو ابن هند ، الشهيرة .

(٢) وقد المحنا الى ذلك في الجزء الاول .

(٣) ربما اخذها ذلك البعض كما اخذ هو وغيره كنوزا اثرية ببلدنا حيث لا حسيب ولا رقيب وبلغني من الثقات ان بعض الاغنياء الاغبياء تودد الى الاجانب والمستشرقين بما حصل عليه من قطع اثرية واخيرا اسست الحكومتان المحليتان قانونا لحماية الاثار ولكن اين التطبيق ؟. والبعض يبيعها بالثمن البخس وعلى من لا يستحقها .

شعب هود عليها كتابة بالمسند تدل على تقديسه وعلى انها من آثار ذلك العهد ، واستمر عبر التاريخ تعظيم الوعل والاحتفال باصطياده الى اليوم الا انه في هذا الدور الذي تتكلم عنه قد حظي بالنصيب الاوفر من الاهتمام والاستحواذ على العقول حيث يعلن عن اوقات الصيد ومحاله وحدوده والفرقة التي تقوم به ويقيمون عشرات الايام في الجبال والثنايا التي ترعى فيها الوعول ويرسلون البشير عند عودتهم ، ويحملون رؤس الأوعال ويدخلون المدن والقرى في زجل واناشيد (زوامل) (١) ويطلقون الرصاص وتزغرد النساء وتبارى الشعراء باشعارهم الدارجة الشعبية التي تتضمن الوصف الدقيق لسمات الوعل وعدد عجر قرنيه وكلما زادت في العدد كلما كان اعجب للنفوس عندهم ويذكرون ميزان ظلفه وربما تغزلوا فيه من شدة حبهم له ويخلعون عليه القابا خاصة مثل المحجر والغصيني (٢) وليجان ويمدحون الرماة الصيادين وحملة الشباك ورؤساء القنص ويسمرون ليلة وصولهم من القنص ويبيتون طول الليل فيما ذكرناه ويقوم الحاضرون متناوبين مثنى مثنى او اكثر وكل يحمل في يده خنجرا او جنبية او شفرة ويدور بها بين الحاضرين تبعا لايقاع المغني الذي يغنيهم بقصائد القنص المتنوعة وتفتح غالبا بكلمة بني مغراه (٣) ويختص بموضوع القنص نحو ثلث الشعر الدارج الشعبي كما تفتح بقية ضروبه المتعددة غالبا بذكر سور القرآن ، او بوصف الطرق التي

---

(١) جمع زامل وهو تصويت القبائل ، بالشعر حين يحفسون او يتوجهون اثناء سيرهم القبلي في افراحهم حتى يصلوا مقصدهم ، وتتخلله الطلقات النارية وقد تقع فيه مباراة شعرية ارتجالية وهو نوع من انواع الشعر الدارج الحضرمي .

(٢) المحجر اسم مفعول بتشديد الجيم ، والغصيني مصغر .

(٣) مغراه اسم للكلب او للكلبة التي تغري على الاصطياد كما يقول بعض الشيوخ ، وكلاب الصيد يعتنى بها وتدرب وتغذى بغذاء جيد لتتمكن من الجري وامساك الصيد .

يسلكها رسول الشاعر الى من قيلت فيه القصيدة ، او يتغزل (١) والقنص بالصورة التي اشرنا اليها محل نقد رجال الاصلاح والعلماء والمرشدين لما فيه من مضيعة للوقت في لهو وترك للصلوات وانتهاك للحرمات ، ولاضرار اقتصادية ، واجتماعية اخرى ، ولكنهم لم يستطيعوا ابطاله او تخفيفه وتهذيبه الا بعد تأسيس ، السلطنة الكثيرية الاخيرة سلطنة آل عبدالله (٢) الاتي ذكرها فقد اشار اليهم العلامة الكبير الحسن بن صالح الحبر وغيره من كبار المصلحين بالغائه فاثار هذا سخط المولعين بالقنص وارباته ممن ينطبق عليهم قول العلامة الكبير عبد الرحمن بن عبدالله بلفقيه المتوفي سنة ١١٦٣ هـ في رائيته بقوله

فواعجبا من كون كل قبيلة تشدد حكم الجاهلية والكفر
ومن كون أرباب القنيص وزمرة الـ ـعبيد لهم حكم يمشي بلا نكر

احصاء مختص بالقبائل :

لا يوجد فيما مضى احصاء مضبوط باسماء العشائر والقبائل والفخائذ وافرادهم ومقادمتهم واماكنهم (مشاويهم) واموالهم ، وانما قام

---

(١) انك حين تطالع دواوين الشعراء الشعبيين الكثيرة من لدن الشيخ عمر بن عبدالله بامخرمة الصوفي الكبير الى عصرنا هذا ، ومنها المطبوع كديوان (خوعلوى) الشاعر المتغزل زين ابن العلامة الكبير عبدالله ابن علوي الحداد ، وكديوان الشاعر عبد الحق المتعاطف مع قبيلة آل سلمة التميميين ، ومنها المخطوط وهي المعظم كديوان الشاعر المطبوع عبد القادر بن شيبان التميمي الملقب الشعيرة ، ولعله ابلغ شاعر شعبي في المتاخرين انك حين تطالع تلك تجد في طياتها كل ما تجده في الشعر الفصيح وزيادة على ذلك فهي تعبر عن احاسيس الشعب الحقيقية ونفسيته كما سنعلق على ذلك في المناسبات .

(٢) بفتح الدال وقصر اللام كما ينطق بذلك بعض من يسميها بهذا وسياتي الكلام عنها .

بعض المختصين الحكوميين بشؤون البادية بالكلا قبل عشرين عاما قام باحصاه فيما ذكرته ــ وهو تقريبي ــ ولكنه مفيد ومبني على معلومات قيمة ، وقد رايت ان اثبت معظمه هنا كما ياتي ، وذلك لارتباطه بهــــذا الدور القبلي مع العلم بان هؤلاء القبائل المسلحين فيه مختلفون اختلافا كبيرا عن آبائهم الذين تكلمت عن تاريخ حياتهم الاجتماعية فــي هــذا الدور القبلي وعما كانوا يحترفونه فيه وذلك ، بفضل استتباب الامن ، ونتيجة للتطور الذي طرأ على هذا العصر ، كما وان عددهم قد زاد فــي الأكثر ونقص في الأقل . وقد علقت عليه بما لزم كعادتي في تعليقاتي بمؤلفي هذا .

الفصل الأول

بني ظنة ـ الدولة القعيطية

١) عصبة بني ظنة من العصب القديمة الموجودة بحضرموت ، ومن المعتقد انها اصلا نزحت من منطقة مسقط وظفار ، ان اقدم قبيلة نشأت من هذه العصبة آل تميم وهذه سكنت في وادي المسيلة (اسفل حضرموت) بين باعلال ودمون وسناء ورئاسة القبيلة بالوراثة لابن يماني الذي يقطن في قسم ، وله الزعامة على بني ظنة ــ يلي ادناه اقسام العصبة .

٢) آل تميم . وتفرع منهم ــ المعارة ــ روح

٣) السيفان . وتفرع منهم المناهيل ، السماحيين ، البواقي ، نعين

٤) آل تميم . استقرت الان قبيلة آل تميم استقرارا تاما واخذ افرادها يهاجرون بكثرة الى ممباسا ويسكن عدد كبير منهم في الساحل بمدينة الديس الحامي حيث نزحوا اليها ايام الحرب التي استمرت أو ارها بينهم والمناهيل في عام ١٩٢٠ م .

٥) وتتألف القبيلة من الاقسام التالية .

ال بن يماني　ال بن قفلة　ال عثمان　ال عيد الشيخ　ال سعيد
ال جعفر　ال سلمة　ال شملان　ال سعد　ال مرساف

ال القرامصة ال هنـدى ال شيبان ال محمـد ال كـذب
ال قصير ال عودة

٦) يبلغ عدد افراد هذه القبيلة بين الستمائة والثمانمائة شخص (١)

٧) المارة . كان المعاريون في الاصل يعيشون بين القبيلة التـي انحدروا منها وهي قبيلة ال تميم بوادي المسيلة الان فيها مسجد يعرف بمسجد المعارة ، منذ سنين ، رحل المعاريون الى النجد الـذي استقروا فيه حيث اطلق عليه اسم ريدة المعارة ، وهي واقعة بين ريدة الجوهيين (سيبان) والحموم ويملك الكثير منهم نخلا في غيل بن يمين ، والمعـارة وهم الان اكثر احتكاكا بالقبائل التي اشرنا اليها من العصبة التـي انحدروا منها .

أدناه الاقسام الرئيسية فيها :

بيت شميم	آل بـن بسوط	آل باحسين
من نهـد	آل بن واهـب	آل باعقبان
من سيبان	آل بن حتيش	آل بن جراح
آل بلحيق	آل بن لحول	

آل بن ثابت ، وهؤلاء أصلا نزحوا
آل بن يعمر ، وهؤلاء أيضا نزحوا
آل بـن تريس
آل الفـرخ

٩) وعلى العموم فان المعاريون لم يعرفوا الهجرة كثيرا وقد كانوا في الغالب جمالين يختلفون بين حضرموت الداخل والمكلا والشحر ، ويبلغ عددهم على وجه التقريب ستمائة شخص .

١٠) روح ـ تسكن قبيلة روح في النصف الاسفل من وادي رخية قرب قعوضة بن آل بلعبيد ونهد فبعدوا بذلك عن العصبة التي انحدروا منها / وذلك قبل ان يرحل المعاريون الى حيث هم الان وهم في الواقع

(١) لعله نقصد المسلحين منهم ، وهكذا فيمن سيأتي .

قبيلة استقر افرادها مع قليل من القبائل الشبه الرحل التي تعيش في الصحراء .

١١) واقسامها كما يلي . (١) ــ ال بن حيدرة . ويتفرع منهم (٢) ــ الشحابلة ، ويتفرع منهم ال غانم ، ال قصير ، ال مظفر ، ال خرشان

١٢) وقد هاجر منهم الى جاوة ومنبا ساء والتحق عدد لا يستهان به في الجيش الغير نظامي بحيدر اباد سابقا وتقدر قوتهم في المنطقة ما بين الخمسين والسبعين على الارجح .

١٣) المناهل ، قبيلة المناهيل هي احدى القبائل الاكثر انتشارا وتقطن منطقة تمتد ما بين الصحراء الشمالية (منطقة ثمود) والساحل (المنطقة الشرقية بين المصنعة وريدة بن عبد الودود) .

١٤) ويتالف منهم الشبه الرحل وهؤلاء في الجبال والرحل وهم بالصحراء وتشمل البعض منهم كلتا الحالتين ، وهذه القبائل التي تعيش في الصحراء هي من بقايا البدو والرحل التي لا تزال تعيش في المحمية الشرقية ولم تتخذ لها مقرا او نخيلا او اراضي .

١٥) وتتالف من الاقسام التالية

بيت كريم وتفرع منهم بيت المشني وتفرع منهم
بيت غانم بيت الحمادي بيت البواقي بيت قرير
بيت بركات بيت البطين بيت تمام بيت بتين
بيت لشدق بيت حميد بيت عشاني بيت القرانصة
بيت جماله بيت حشحوش بيت سالمين
بيت البقية بيت الرهوة
بيت مسلم بيت عويضان

١٦) وهي في الغالب قبيلة مشهورة بتربية الجمال الجيدة والاغنام

ما عدى اولئك الذين في الساحل المسمون بصيادي السمك ، وعدد منهم انضم الى القوات المسلحة •

١٧) ورحل معظم هذه الاقسام بالقرب من الكويت واعترفت بتبعيتها للسعوديين ، وتقدر قوتهم على وجه التقريب ما بين الثمانمائة والالف شخص •

١٨) السماحيين ـ هؤلاء اقرب الى المناهيل من حيث السلالة وذلك بحكم معيشتهم في وادي شرخاوي في وسط المناهيل من الناحية الجنوبية والحموم ، وهذا الوادي ينتهي طرفه الى البحر بالقرب من المصينعة •

١٩) واقسامهم كما يلي • ـ بيت الرقاع ، بيت الرميدي ، بيت الخضيرة •

٢٠) ويبلغ عددهم المائتي شخص تقريبا •

٢١) البواقي ـ قسم صغير يتراوح عددهم مابين العشرين والثلاثين يقطنون بالقرب من سنا ، شرق قبر نبي الله هود ، وهم اكثر اتصالا بالمناهيل ،

٢٢) ثمين ـ منهم المستقرون ومنهم الرحل يعيشون بين المناهيل والحموم في المصينعة من الجهة الجنوبية التي تمتد الى الساحل • فيما يلي اقسامهم ـ

ال جرير ، ال عدلي ، بيت قديم ، بيت نمور
بيت حمدان ، بيت البسيري ، بيت عسانة ، بيت تراد
بيت غتنين ، بيت العمق ، بيت النحتين ،

الفصل الثاني

الحموم - الدولة القعيطية

هذه العصبة من العصب الكبيرة بمحمية عدن الشرقية ، وهي تتكون من قبايل مستقرة وبادية ، واكثرهم يعيش في الجبال في المنطقة الواقعة جنوب وادي المسيلة الى جهة البحر ، يحدهم شرقا المهرة وغربا الطريق الشرقية . الاسواق التي يردونها ، الشحر وسائر المدن الساحلية الشرقيـــة .

يعتمدون في معيشتهم على النقل على الجمال وامتلاك النخيل واعمال البحر وقطعان الاغنام والالتحاق بالقوات المسلحة ، وبالنسبة لمحسن التامبول فهؤلاء عنوا بزراعة التامبول ، وهم المصدرون الوحيدون للتامبول في المحمية ، يهاجر البعض منهم غالبا الى عدن والصومال والحجاز . اكثر قسم في القبيلة هم . بيت عجيل وهو يكون الثلث ويأتي بعده قسم بيت عبيد وبيت القرزات يبلغ مجموع الحموم حوالي ٩٠٠٠ شخص وفيما يلي اقسامهم ـــ

بيت علي . ـــ يسكنون الواسط بلواء الشحر ومرتفعات غيل بن يمين

بيت قحطان ،   الدولة العربية ،   بني احمد
بيت ثنين يسكنون منطقة الديس بلواء الشحر بيت ظبية ،
بيت ناحمد   بيت البصارة
بيت يمين يسكنون مرتفعات غيل بن يمين الشرقية والساحل
بيت بن سالمين ـ يسكنون منطقة قصيعر بلواء الشحر
بيت عوامر ، بيت محمود ،
بيت غراب ، يسكنون الديس بلواء الشحر بيت بلقري ، بيت غصيم ، بيت تيس
بيت القرزات ـ يسكنون منطقة غيل بن يمين • بيت الشراخيم ، بيت شظيان ، بيت قويدر ،
آل باحسين • يسكنون المعدي والحلي ، الباحسن التامبول البازميري •
بيت بارطاس ، آل بن شيخة ، بيت قرزي • بيت باشبية بيت عبيد • ـ يسكنون الواسط بلواء الشحر •
بيت النعوم ، آل علي ، بيت طرموم ، بيت خروش ،
المساميت ، بيت ذيب ، بيت عيسى ، بيت عمرين ،
بيت سوني ، بيت سلاطة ، بيت الحميقي ، بيت عنجيل ،
بيت الغدرة ، بيت العصابة •
الجامعة ـ يسكنون منطقة قصيعر بلواء الشحر ، بيت قتيب •
بيت سعيد ـ يسكنون الواسط بلواء الشحر ، بيت زين ،
بيت السماسيع •

الفصل الثالث

سيبان - الدولة القعيطية

١) تعتبر سيبان من العصب الكبيرة وتتالف من اجزاء ، كل مستقل عن الاخر .

٢) يعتمد افرادها في معيشتهم على النقل على الجمال والزراعة والتجارة ويهاجر البعض منهم الى الخارج كما يلتحق البعض منهم بالقوات المسلحة .

٣) تتكون العصبة من حضر وبادية ، مستقرة وشبه مستقرة ورحل

٤) تقطن اقسامها في لواء دوعن ، ولواء المكلا ، ولواء حجر ولواء الشحر يبلغ عدد افرادها نحو اثني عشر الف شخص وفيما يلي اقسامها .

المراشدة . بين الجبال الى نجد

ال باضروس ، البا كردس ، ال باصريح ، البابيتر ،

بني حسن — من بين الجبال الى الساحل ، نواحي بروم .
آل با خميس ، آل باحنحن ، البا ضلاع ، البا عبد الرحيم (با حاج) ، البارعيدة

السلاطين — وادي حمم ،
آل باعوض ، آل بابحيت ، الشماسة ، ال البابهيش ، بامهدي

الخامة ، كورسيبان من بين الجبال

الباصرة ، الباقديم ، الباسلوم ، البارشيد ، الباصقم ، القشم ، البامفرومة ، البامقدم ، البني علي بن مسلم

المحمدين ـ يسكنون بين قوة وبروم

الجوهين • ـ ريدة الجوهين ، البارميدي ، آل عوض ، آل بسن صائب ، آل سدف ، آلبا كميش

المصارقة • ـ من الريدة ، وغيل باوزير

المالكة • ـ وادي ليسر آل بلحمر • ـ ال بافخر، ال بلغيث • ـ ال بلسمدة ، الخنابشة (دوعن) ال باجبير ، آل الحيق ، (الحيق) آل بقشان .

السوح

الغويثي ، جهضمي ، ال باوسيم ، البا جبل ، ال بن عكش الشاملة: غيل باوزير ، بابطين ، ليشولي ، غيل باوزير ، بامنصور ، ال الحيق

ملحوظة:

١) ـ الباحاج اصلا نزحوا من بلاد الواحدي مشايخ حبان

٢) ال سدف اصلا من كندة ، الحامدين (حيومه) ، القثم (السوط)

الفَصْل الرّابع

الصّيعَر ـ الدّولة القعيْطيّة

تنحدر هذه القبيلة من كندة وتتكون مجموعها من قبائل مستقرة وقبائل رحل تسكن في المنطقة المساة بريدة الصيعر ووادي سر والمرتفعات الشمالية، والصحارى ما بين الريان (غربي العبر) ووادي حزر .

٢) يعتمد أفرادها في معيشتهم على الزراعة المطرية وتربية الجمال والماشية ، يهاجر البعض منهم الى الخارج ويلتحق البعض منهم بالقوات المسلحة . سوقهم التقليدية شبام .

٣) تنقسم القبيلة الى قسمين رئيسيين . هما ال محمد بليث وال علي بليث مع الاقسام القاطنة في اسفل وادي دوعن ، وهم ال قصير ، وال محفوظ .

٤) تقع منطقة ال محمد بليث في مخرج ريدة الصيعر ، واما ال علي بليث فهم في المنطقة الواقعة شرق ريدة الصيعر ، يفصلهم الخط المسمى بالحومرة . يبلغ عدد افراد القبيلة حوالي ثلاثة الاف شخص . وفيما يلي أقسامهم :

آل محمد بليث ، آل حاتم ريدة الصيعر

ال جربوع ، ال عمرو ، ال دحيان ، ال الدلـيخ ، الدعالجة ، ال خويلان (رحـــل)

ال خشيشة

ال عبدالله بن عون اكثرهم رحل
العــاكرة ، العبيدون ، ال فرج ، سكان ريدة الصيعر

ال عــون

آل ملهي ، آل معروف يسكنون الريغدة ال ثويت ، ال علي (رحل بين زمخ ومنوخ) والشرورة وحـــزر والعبر

ال شمـــلان

ال عون بن كندش ،
ال حتيش ، سيلي (يسكن البعض ريدة الصيعر وبادية رحل)
ال قروان ، يسكنون اسفل قاع الفضول ريدة الصيعر
ال رميدان ، المواشحة ، العداثة ، ال هذال ، ال الورد ،

ال صفيح يسكنون في بطن ريدة الصيعر

ال دومان ، ال عظاب ، ال قروان بن علي ، ال الشرهان

الكساليـــن

بن لفخ ، بن الصالب ، المزاريع ، ال مكـــرم ، ال محمد بن علي ، المشاميش يسكنون ريدة الصيعر ، ال عوض بن كسلان ــ بادية رحـــل حوالي حزر •

ال خشيـــدل

توابع ال حاتم ، ال عمرو ، البحالين ، يسكنون المحارقة ، اللاقيط

الريـــدة ووادي سر

المسادسة ال با الحارثي ، آل دهر ، ال قايد ، ال سعيدان (يسكنون الصحراء ، ال سويد ، ال هذيب ـ يسكنون بطن ريدة الصيعر ال هيترة ال جيهان ، ال عوض ، ال شامخة ، ال زايد ، ال الباقي

آل عذرب ، يسكنون في الريدة بادية رحل ، ال دويس ، المسارعة ال باقي مسلم ، الباروح

آل علي يسكنون ريدة الصيعر

العوران ، المشامد ، ال ريش ، ال كسلان

الفصل الخامس

(نهـد) - الدولة القعيطية

تعتبر هذه القبيلة من اقدم القبائل التي نزحت الى حضرموت بعـد غزوات ال كثير (١) ويقال انها نزحت من اليمن بمنازة المحمية الغربيـة وبـلاد الواحدي •

وتتألف من قبائل مستقرة وقليل منهم بادية رحل تعيش في الصحراء وتقطن المستقرة المنطقة التي تبدأ من غربي القطن وتنتهي باسفـل وادي دوعن وهينن ؛ ويسكن افراد منهم في منطقة عياد بالدولة الواحديـة (المرادعـة) •

٣) يعتمد الافراد في معيشتهم على التجارة ، والزراعة ، والهجـرة الى الخارج يوجد بالقبيلة زعيمان بالوراثة هماء بن عجاج، وبن ثابت(٢) وقد كانت وما زالت معالجة بعض القضايا بين القبائـل بالاختيـار تعالج لدى الحكمان ؛ بموجب عادات وسوالف القبائل •

---

(١) وقبلها .

(٢) وبن نهيد ايضـا - وبذياب كذلك كما في القسم المختص بالمقادمة من هذا التقرير .

٤) يبلغ عدد افراد القبيلة حوالي ألف وخمسمائة شخص •

فيما يلي اقسام القبيلة :

روضان الظلفان يريد اليمنة ال رباع ال بدر
المقاريم ال جبل ال سلطان ال ثامر ال سيف ال شبيب
ال خيقان ال عجاج المرادعة الحمظان ال مهنا ال بشر
الرويمي
بن كرثان ال الزروع الشراشرة ال منيف ال البقري ال العبدالله
ال حويلان ال معيزع ال نهيد ال فارس الشرفان
بذياب ال بهيان القازين

الفصل السادس

الدين ـ الدولة القعيطية

ان هذه العصبة تتألف من ثلاثة اصول له كندة ، وحمير ، واجاردة، ومن وقت ما كانت تربطهم أواصر قربى بالمصاهرة •

٢) يقطنون في المنطقة المسماة ريدة الدين من المرتفعات بين وادي عمد ووادي دوعن •

٣) يعتمدون في معيشتهم على النخيل الذين يمتلكونه فـي وادي حجر ، والزراعة المطرية ، ويلتحق بعضهم بالقوات المسلحة ، وقبل سقوط حيدراباد كان يوجد منهم عدد في جندية حيدراباد •

٤) الزعامة بالوراثة لبا مسدوس ، والحكم الجزئي وراثيا لباحنحن، وهـو المشروع والمرجـع فيمـا يتعلق بالقضايا الزراعية فـي المنطقة اختياريا ، ويعرف بحاكم الشروج •

٥) ويبلغ عدد افراد القبيلة حوالي الف وخمسمائة شخص وفيمـا يلـي اقسامهم :

الجريدي	كنـدة	الحميري
البامسدوس	الياس	ال سويدان
ال باحنحن	البايوميـن	الابارقة
البلقاري		البامعين
الباسلـم		

الفصل السابع

(آل ذييب) - الدولة القعيطية

يتألف القسم الخاص بذييب سعد للدولة القعيطية من قسم من النعمان وبلعبيد ، وتسكن هذه الاقسام في مرتفعات وادي رخية وعرما ودهر والعبر وشبوة ، وتتألف من قبائل مستقرة وبادية تعيش في رملة السبعتين بين عساكر وشبوة ويعتمدون على الزراعة المطرية والبقول وتربية الجمال والاغنام مع قلة تتاجر بالملح ، ويلتحق البعض بالقوات المسلحة ، فيما يلي القبائل والفروع :

نعمان ،

آل علي ،

آل صميدع يسكنون في رخية ويبلغ عددهم حوالي ١٥٠٠ شخص.

آلبا تيس ،

بلعبيد ،

آل سلم يسكنون رخيه ،

آل هميم يسكنون صوت بلعبيد ،

آل باهيصمي يسكنون صوت بلعبيد ،

آل باصفر يسكنون صوت بلعبيد ،

آلبا جميم يسكنون صوت بلعبيد ،

آلبا سلوم (أصلا من سيبان) يسكنون صوت بالعبيد

بن مكسر يسكنون صوت بالعبيد
آل بادعام يسكنون صوت بالعبيد
البا جحباو يسكنون صوت بالعبيد
آل عبدالله يسكنون صوت بالعبيد
البا حميد يسكنون في اعالي وديان عرما
آل بادخن يسكنون في حنكة بادخن
آل باكرش يسكنون صوت بلعبيد
البا دهري يسكنون صوت بلعبيد
البا يوسف يسكنون صوت بلعبيد
البا حف يسكنون صوت بلعبيد
الباومال يسكنون صوت بلعبيد

آل باجيان

آل حيدرة يسكنون في دهر ،
الكرب يسكنون عرما شبوة عساكر . الرملة ،
الشايعة يسكنون عرما شبوة عساكر ، الرملة ،
آل عمرو يسكنون عرما ،
آل بن عمرو يسكنون عرما ،

الكـــرب

آل حسن
آل فرج
آل الشكل
آل جبران
آل القطعة
آل سفر
آل عويسرة
آل قطيان

المسمان

آل الصقع

آل زيــــد
آل جعـــم يسكنون صوت بلعبيد
آل باعــاني يسكنون صوت بلعبيد
البا شجير يسكنون صوت بلعبيد
البا عقـل يسكنون صوت بلعبيد
البا مزعب يسكنون صوت بلعبيد
البا شية يسكنون صوت بلعبيد
آل بلعبيــد
آل ماخش
البا عنس
البا فاضل

الفصل الثامن

نــوّح ـ الدّولة القعيْطيّة

١) سوف يتناول الحديث نوّح حسب الوضع الحالي ولن يتعرض البحث للحوادث التاريخية عبر السنين الماضية ــ وفيما يلي اقســام القبيلــة :

٢) آل بار شيد وتشتمل :
باشيبة القبيلة ــ ويسكنون في لبنة وحيســة ؛

نوح الحتكة ويشمل
باحكيم ، باسويد ، باصم ، باعفيف ، بصفر ، باحميش ، با بطين باجندوح الحميرى ، يسكنون في وادي دوعن

الصباحي (يسكنون في الوقت الحاضر في المشقاص)

باصبارة يسكنون في لواء حجر
بافقاس ، كنينة
باقروان ، حصن باقروان
بارجاش ، كنينة
باديــان ، محمــدة

باديبس . يسون
باماطر . محمـدة

المكابـرة

الشحيتين ، آل سليمان ، آل سعيـد ، آل مقبـل ، ال باراجـح يسكنون النويمة ونواحيها

٣) آل بارشيد ــ ان هذه القبيلة اصلا من ال كثير يبلغ مجموعها حوالي ألف شخص يسكنون ليته وحيسة ، ولسمح ومرتفعات حجر ؛ وينزلون وادي حجر أيام الخريف حيث يملكون فيها اموالا ونخيلا ؛ يهاجرون الى منباسا وجدة ، ويعمل بعضهم بالقوات المسلحة .

٤) الحنكـة ــ يقطنون في وادي دوعـن ومرتفعاته ويزاولـون التجارة بنجاح في عدن والمكلا يبلغ عددهم اربعمائة شخص تقريبا .

٥) الباصارة ــ يسكنون في وادي حجر والتلال المجاورة لـه ؛ ويقال انهم اصلا ينحدرون من كندة الا ان هذا الزعم حظه من الصحة ضئيل ويبلغ عددهم حوالي ألف شخص .

٦) المكابرة ــ يسكنون في منحدرات الجبال الجنوبية التي تقـع على الطريق ؛ القبيلة بلواء دوعن يقدر عددهم بحوالي خمسمائةشخص يعملون مزارعين وجمالة ومنهم عدد بالقوات المسلحة .

الفصل التاسع

العوابثة - الدولة القعيطية

هذه القبيلة يوجد بين أفرادها البادية والمستقرون ، وهم يعيشون في وادي العين وشحير وهاجر قسم مستقل بنفسه بالقرب من الغيضة في بلاد المهرة آل عويثان ، والعوابثة قبيلة قديمة ورد ذكرها في تاريخ حضرموت منذ مئات السنين مستقرة في وادي العين ، وذلك حين ما أحاطت بهم قبائل نهد وسيبان وتتألف من قسمين : آل بازار وآل باعنس يبلغ عدد أفراد القبيلة حوالي خمسمائة شخص يسافر البعض منهم الى شرق افريقيا ، يملكون نخيلا في ساه وغيل عمر في وادي عدم ويعمل البعض منهم جمالة وقد تفرغ آل بازار فخيذة آل مجشر ، ومن آل باعنس فخيذة آل باذياب .

الفصل العاشر

بني مُرّة ـ الدولة القعيطيّة

هناك قبيلتان يرجع اصلهما الى بني مرة من قبائل الشعودية . ال باجبيع ، وال حريز ، قطنت الاولى في وادي عمد ، والثانية في وادي سر بالقرب من شبام ، وقبل سقوط حيدر أباد هاجر منهم عدد كبير الى هناك بغية الالتحاق بالجيش النظامي فيما يلي أقسام قبيلة ال باجبيع :

الجعدة	ال محمد بن احمد
ال عبدالله بن أحمد ، ال سليمان بن احمد	ال شملان ، ال لحدر
ال بني عامر ، ال سالمة	ال الشعبة ، ال سقرة
ال هلابي ، ال حميد	ال عبدالله بن عمر ، ال ابن احمد
	ال كشميم ، ال عمر بن محمد

يزعم آل حميد انهم ينتمون الى سكان المنطقة الاصليين واندمجوا بالجعدة يبلغ عدد افراد القبيلة خمسمائة شخص ، واما آل حريز فيبلغ عددهم حوالي ثلاثين شخصا .

الفصل الحادي عشر

آل بني هلال ـ الدولة القعيطية

كانت هذه العصبة في وقت ما اكثر العصب الموجودة في منطقة بني غازي التي تقع في شمال افريقيا ـ ينقسم بنو هلال الموجودون حاليا في جنوب الجزيرة العربية (١) الى أربعة أقسام رئيسية وتوزعت هذه الاقسام بين المحميتين الشرقية والغربية فالقسمان الموجودان بالمحمية هما آل خليفة ويسكنون في حاضنة آل خليفة ، والنبيون يسكنون وادي مرخا ، وأما القسمان اللذان يقطنان في المحمية الشرقية هما ـ النمارة ويسكنون في وادي جردان ، وال ماضي بوادي عمد وهم اصلا من جردان ، ال ماضي ينقسمون الى فروع هي :

ال بسن سويدان ، ال لميق ، ال مرعي ، ال يسلم (ويبلغ عددهم نحو مائتي شخص) .

---

(١) قد مر الكلام في ج ـ ١ ـ عن بني هلال وانهم ليسوا من حضرموت ولعل هؤلاء انتقلوا اليها فيما بعد أو لعلهم بنو هلال آخرون .

الفصل الثاني عشر

يافع - الدولة القعيطية

يوجد بالمحمية الشرقية عدد كبير من يافع والذين هم أصلا نزحوا من المحمية الغربية وقد استقر البعض منهم كأولئك الذين يسكنون في المكلا والشحر وشبام والقطن وقصيعر والديس وريدة المعرة والقــــزة ووادي دوعن وليــسر وغيل باوزير(١) واصبحوا يشكلون جزءا هاما من سكان حضرموت المحمية الشرقية يعملون في التجارة والزراعة والوظايف الحكومية ، ويلتحق معظم الوافدين منهم حديثا والمستقرين قديما فــي الجندية في القوات المسلحة القعيطية .

وفيما يلي الاقسام الموجودة منهم . ـ يبلغ عددهم حوالي خمســـة الاف شخص .

يافـــــع العليـــــاء		يافـــــع السفلـــــى	
موسطة	القعطة	بني قاصد	سعدي
الشيخ علي	بني ارض	يزيدي	ناخبي
اللفيس	الحضرمي	كلدي	تفرغ الناخبي
النقيب	آل علي جابر	كهالي	الى ابن
آل علي الحاج	الحدادي	كسادي	ناجي
آل علي احمد	آل المصلي	بطاطي	ويريكي
آل خلاقي	البكري		
آل فردي	المرفدي	ظبي	

---

(١) هكذا يقول هذا التقرير والواقع ان استيطانهم بداخلها قبـــل بدر بكثير كما سبق في هذا الكتاب .

الفصل الثالث عشر

قبائل أخرى – الدولة القعيطية

تحاول بقدر الامكان وضع القبائل القليلة العدد في المحمية حسب استقرارها وتبعيتها لكل دولة من دول المحمية •

١) آل بليث ــ يرجع اصلهم الى همام من سلطنة السوالق العليا (مهجري) يعيشون في وادي رخية وهم في الغالب جمالون يعتمدون على ري السيول في زراعتهم يبلغ عددهم حوالي (١٥٠) شخصا •

٢) آل بن دغار ــ ينحدرون اصلا من كندة يعيشون بوادي حجر ومعظم الاراضي التي يمتلكها القبائل الاخرى كانت مشتراة من آل بن دغار • يتوارثون حل النزاعات بالاختيار عن آبائهم في وادي حجر ، ولديهم سجلات بالعادة دونت ، خصيصا لحل القضايا يبلغ عددهم حوالي (ثلاثين شخصا) •

٣) آل باصليب ــ اصلهم من المشاجرة بوادي يبعث يقطنون في الوقت الحاضر اعالي وادي عمد ولهم اقسام هي : ــ باعران، باموكرة، بامسدوس ، النقيب •

٤) الاشاولة ــ يسكنون في نواحي شحير وغيل باوزير يعيشون بين الحموم يبلغ عددهم (١٥٠) شخصا •

الفصل الرابع عشر

[illegible]

يسود الاعتقاد ان هذه القبيلة انحدرت اصلا من بني ظنة
السائد انها اتت من ظفار (منطقة صلالة) وهي لا تزال على اتصا
بقبائل تلك المنطقة واما آل علي بن كثير والرواشد فهؤلاء يقط
الشمال الشرقي من حضرموت .

وتربطهم بالرعايا العمانيين روابط عشايرية ، ومدينة سلا
بالكثيرين منهم .

٢) اما استيطان آل كثير لحضرموت فقد جاء نتيجة للغزوا
كان يشنها آل كثير على حضرموت بقيادة بدر أبي طويرق (١)

٣) يقطن الشنافرة في المنطقة الواقعة بين شبام ، سيؤ
بن علي، بور، تاربة، رسب، وادي عدم، وتجد العوامر و
كقبائل مستقرة وجزء بادية رحل في المرتفعات الشمالية من حض
التي تمتد الى الطرف الجنوبي من رملة الصيعر وما بين بئر تيس
حريضة .

٤) وقد رحل قديما عدد من العوامر واعلنوا تبعيتهم للسم
فعلت بعض القبائل الاخرى .

---

(١) هكذا يقول هذا التقرير والواقع أن استيطانهم بداخلها قبل بدر بكث
في هذا الكتاب .

٥) ومن مدن العجلانية بالقرب من (حورة) وجاحز (بوادي عمد) التابعتين للدولة القعيطية يوجد قسم من السلاطين آل عبدالله يعرفون بآل عمر بن جعفر وهم من سلالة عيسى بن بدر بوطويرق سكنوا تلك المناطق وذلك ابان تقلص نفوذ آل كثير كما يوجد قسم بوادي سر قرب شبام يعرف بآل مهري، كما يوجد قسمان يدعي افرادهما بآل عابث وآل عبد الودود تفرعوا من العصبة يسكنون بين المناهيل ، والحموم في المنطقة الساحلية من الدولة القعيطية في المصينعه وريدة آل عبد الودود هؤلاء رحلوا للمنطقة ابان تقلص نفوذ آل كثير، كما هو معروف ف آل عبد الودود عرفوا بمشائخ البشمة (١) ، وهي الوسيلة التي تستعم للتحقيق مع المشبوه في أمرهم في الوادي .

٦) ويوجد قسم من العصبة يدعى افراده بالشرجه يبلغ عددهم حوالي خمسين شخصا يسكنون ما بين آل جابر والحموم بين غيل بـ يمين ورسب .

٧) اما آل باجرى فهؤلاء انضموا الى عصبة الشنافرة بالاختيـ حيث هناك زعم بانهم من سكان البلاد الاصليين قبل غزوات آل كثيـ على حضرموت يبلغ عددهم حوالي ماية وخمسين شخصا الى ماءتين .

وفيما يلي اقسام الشنافر وفروعها ، ويبلغ عدد الشنافر جميعـ حوالي خمسة آلاف شخصا .

آل كثير	آل جابر	العوامر
آل عمر	آل يماني (رسب)	
آل عامر	آل يماني (عدم)	
آل عوض	آل حسن (وادي بن علي)	

وفيما يلي الفروع :-

---

(١) تقدم الكلام عن البشمة قريباً في هذا الدور .

بن طالب ،
بن طالب ،
ن
ـسـر
ارى
بـن بـدر
ـ
د

م
الردود
الردود
الردود
ن قفمان
حاج ، من غيل عمر
ساه
عـدم
غيل عمر

آل كثيـــر
آل عمـــر ،
آل فلبــه ،
آل كـــدة

آل جابـــر
آل عامر رسب ، يسكنون رس
بيت الهوطلي يسكنون رسب
بيت حميدان يسكنون رسب
بيت جريدم يسكنون رسب
بيت يسن قطيان يسكنون رسب
بيت آل حويل هؤلاء اصلا من نهد
بيت الكـرد آل نهـد

آل حسين بـن علي
آل بدر بـن علـي
آل سعيد بن عامـر
آل مرعي بن عامر
آل جابر بن عامـر
العقيان
آل ثابـت
آل عبودان
آل منيف (١)

العـــوامـــر
سكنون تاربة ونجد العوامر
سكنون تاربة ونجد العوامر
يسكنون تاربة ونجد العوامر
يسكنون بوادي الذهب غرب تريم
يسكنون بوادي الذهب غرب تريم
باقي ، يسكنون في تاربه ونجد العوامر
يسكنون تاربة ونجد العوامر
يسكنون ما بين تحيس وحرضة
يسكنون ما بين تحيس وحرضة

آل عامـــر
آل عبـــدات
آل عبـــد العزيـــز

يتقسم المهرة ا
وتفرع من الاخر بي
وهم سكان الساحل
وقد ادخل اخيرا نظ
ويقدر عدد المهرة ب

الشـــراوح

بيت كلشات ،
بيت عامر جيد
بيت توعار ي

---

(١) عدلنا عن
عشر والثامن عشر
اسماء جميع القادم
من لهم مماشات حك
التقرير من مظانه ا

الفصل التاسع عشر [1]

المهـــرة

ن قسمين رئيسيين وهمــا • الشراوح ، وصار ،
محشحي ـ يعتمد المهرة في معيشتهم على البحـــر
واما سكان البادية فيعتمدون على الزراعة المطرية،
الزراعة الآلية في الاماكن التي توجد بها آبـــار ،
لي عشرين الف شخص فيما يلي الاقسام والفروع

سكنون حصويل وصقر والغيضة
سكنون حويصل
تون في الصحراء والبعض ظفار

صول الخامس عشر والسادس عشر والسابـــع
متعلقة بقبائل غير متوغلة في القطر كما حذفنـــا
لذين اعتاد التقرير ذكر اسمائهم ومقادير معاشات
ة ، وهم كثير ، عقب كل قبيلة ويمكن الرجوع الى
حب الاطلاع على ذلك .

آل جمـ
آل مر
آل هـ
آل الص
آل منـ
آل جعـ
آل شـ
آل سـ

آل عـ
آل ضو
بن سلـ
آل سو
بن سـ
آل محمد
آل مسـ
آل عبو
آل حي

آل كليا
آل تبيـ
الكسابيـ
آل هاد
آل برا
آل عبد
الحطاط
آل وعيـ
آل جمـ

بيت قحيصيت يسكنون في سيحوت ووادي المسيلة والاغلبية في الصحراء

بيــت صالح

بيت رعفيت ، يسكنون ظبوت وجاوب
بيت محومد يسكنون ظبوت وجاوب
بيت السلبـي
بيت كدة يسكنون راس فرتك
بيت بن علي مقدم اصلا من الجمدة
بيت سهول ، يسكنون في الصحراء
بيت جيدح ، يسكنون في قشن ونواحيها
بيت صميمود ، وتفرع منهم بيت زوح وبيت غريب ويسكنون سناء ونواحيها

بيت قمفيق

شحشحـي
بيت زيد يسكنون سيحوت ووادي المسيلة
بيت حريز يسكنون قشن والصحراء
بيت زعبنوت يسكنون حيروت ونواحيها
بيت عقيد يسكنون الصحراء
بيت عرشني يسكنون ضبوت
وهناك قبائل اخرى سكنت بلاد المهرة ، وهم بيت عوبثان ، اصــلا مـــن العوابثــة .
وبيت خوار ، اصلا من آل كثير
وبيت بالحاف ، اصلا من بلاد الواحدي

الفصل العشرون

المشايخ [1]

ليس المقصود ان يتناول البحث موضوع المشايخ بصورة عامة في المحمية في هذا الفصل وانما لنلم بهؤلاء الذين استوطنوا المواطن العشائرية ومناطق حملة السلاح •

٢) آل باعباد • ـ هم من اعرق القبائل حيث يرجع اصلهم الى العصور الاسلامية ، الاولى يعيشون في الغالب بين الحموم ، يعرفون بمشايخ الحموم ، انما اصلهم من الغرفة بالقرب من سيون حيث لا يزال يوجد بعض منهم ، ولا يزال لهم السبق في الحفاظ على ، التقاليد والعادات في زيارة نبي الله هود عليه السلام (٢) .

٣) آل شعيب • ـ قسم صغير يعيش بالقرب من ريدة الجوهيين ، وعبد الجبل (٣)

٤) آل العمودي • ـ وهم قسمان آل باطوق ، وال عبد العزيز ،

---

(١) قد مر ذكر المراد من الشايخ فيما مضى من هذا الكتاب .

(٢) حيث يوجد هناك اوقاف ومسجد لبعض اجدادهم لهم الاشراف عليها .

(٣) وهم من آل باعباد كما بلغني من بعض الثقات .

تفرعت القبيلة الى جملة مناصب يرأسهم منصب بضة ودوعن ، ويعيش افراد هذه القبيلة في بضة والخريبة وريدة الدين ، ووادي حجر ، والصحراء الغربية(يقال ان نسب القبيلة يرجع الى سيبان قبيلة المحمديين) (١) الشيخ الأول في هذه القبيلة هو الشيخ سعيد بن عيسى صاحب الزيارة المشهورة بشعب قيدون •

٥) آل بريك • ـ تعتبر اقدم قبيلة كانوا يعيشون في الكسر بحضرموت واخيرا نقلوا الى حريضة مع السادة آل العطاس سكان البلاد ثم رحلوا الى الناحية الغربية ، تفرعوا حاليا الى • ـ

ال غيمسان، بشيوة، ال احمد، بحكة بادخن

ال سنديان، في حصن سنديان بعرما، ال عبدالقادر، في المطارح بوادي دهر ، ال سبيان بالعبر •

٦) ال ربيع • ـ بادية رحل ، تعيش بين اليمن وبيحان والعوالق العليا وحضرموت

٧) ال باراس ـ هؤلاء يرجع نسبهم الى العوالق يسكنون في الوقت الحاضر في وادي حجر كما يوجد عدد منهم في الخريبة دوعن[٢] وحيرة باراس في الطريق القبيلية يعتبرون مشايخ نوح وسيبان ولهم الزيارة المعروفة بباراس •

٨) ال باوزير • ـ من القبائل القديمة بحضرموت عاشت في وادي العين حيث لا تزال اقسام منهم وهي جنيد ، ال سهيل ، ال عبد الرحمن، ال نهيم، ال عبد الصمد، ال عثمان، ال جراس، ال بن شيخ، ال عبد الرحيم، القويرة ،ال الديراني وغيرهم انتشروا في وادي عمد وساه وعدم وغيل باوزير والخريبه بالقرب من فوه ووادي جعيمة بالدولة الكثيرية ، وغالبا ما تسند مسؤلية تصريف المياه في غيل عمر ونبيل باوزير ، والخربة

---

(١) ومنهم من ينسبهم إلى الصديق رضي الله عنه . وهو الصحيح .

(٢) التحقيق ان نسبهم يرجع إلى كنده . أما آل باراس العوالق فهم آذوى .

اليهم ، ويمكن ان يعرف عنهم انهم ذووا مقدرة في تصريف المياه ومـــن اقسامهم المشهورة ايضا ال بامخرمة وهؤلاء يقطنون في غيل باوزيـــر وزودوا الدولة القعيطية بكثير من القضاة (١)

٩) ال اسحاق • ـ من القبائل القديمة بحضرموت تقطن في هينـــن والحجر بريدة الصيعر ،ووادي عمد ويعتبرون المستشارون دائما لقبائل الصيعـــر •

١٠) ال بامعبد • ـ هم فرع من ال بفلح من القبائل القديمة يسكن افرادها في الوقت الحاضر في رضوم ، والجويري ، عين بامعبد وبيحـــث كما انهم مشايخ على جزء من ال ذييب الحميرين (٢)

---

(١) المشهور ان آل بامخرمة ليسوا من آل ابي وزير وقد سبـق الكلام عن نسبهم في ترجمة الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة كما ان آل باوزير لهم مواطن غير التي ذكرها .

(٢) عدد هذا الاحصاء نحوا من خمسة عشر قبيلة من هؤلاء المشايخ لم نثبتها لنفس السبب الذي ذكرناه في التعليقة عند القبايل •

الفصل الحادي والعشرون

الســـادة

ليس المقصود الحديث عن السادة (١) بصورة عامة وانما لنلـــم بهؤلاء الذين استوطنوا المناطق العشائرية ومواطن حمل السلاح .

٢) ال مولى الدويلة . ــ وهم بيت زين ــ وبيت قطبان ــ وبيت حسين ــ هذه القبيلة مرجعها الى آل الحبشي (٢) وهم يسكنون مناطق ال تميم بوادي المسيلة وغيل بن يمين ، كما وانهم سابقا ازالوا العـــداء الذي استحكم بينهم وبين بني ظنة والحموم .

٣) ال الشيخ ابي بكر . ــ هؤلاء يتوارثون سلطاتهم كمناصب على يافع العليا في المحمية الغربية، استوطنوا عينات في وادي المسيلة كما

---

(١) السادة هم الاشراف العلويون كما هو معلوم وعد هنا المندمجين منهم مع القبائل العشايرية حتى حسبوا معهم وهم اقلية قليلة مـــن الســـادة .

(٢) ليس مرجع آل مولى الدويلة الى آل الحبشي كما هو واضح لان الاولين ينتسبون الى محمد مولى الدويلة بن علي بن علوي بن الفقيه المقدم بينما ينتسب الاخرون الى علي بن الفقيه كما هو مشهور فـــي شجرات الانساب .

انه يوجد منهم قسم بادية في الخون ومنطقة وادي عمد وبعث ، والغيضة ومنهم مستقرون في وادي بن علي وساه (١)

٤) بيت حموده • استوطنوا غيل بن يمين ونواحيها وهـم يعرفون بسادة الحموم وقديما كانوا يدخلون في أي حرب او مهادنة تقع بين الحموم وغيرهم ، اليا ، وهم حملة سلاح •

٥) ال العطاس • ـ بينما استقر هؤلاء في حريضة يوجد منهـم قسم بادية في وادي حجر يحملون السلاح كما يوجد قسم فـي رضوم بيلاد الواحدي •

٦) ال بن حيدر • ـ انحدروا من ال الحامد يسكنون وادي جردان

٧) ال السقاف • ـ يسكنون في غيل بن يمين يشتركون في حـل القضايا المحلية مع مقادمة الحموم يتولون الاشراف على الاوقاف •

٨) ال مديحج • ـ يسكنون في غيل بن يمين وريدة المارة يتولون القضاء الشرعي ، وعقود الانكحة واثبات الاهلة وتعليم الصبيان كمـا يتولون المهمة في كتابة الوثايق الشرعية بين البوادي ، وامامة المساجد •

المساعي والجهود لاقامة دولة قوية للقطر

من الواضح ان اعيان هذا القطر وفي مقدمتهم علماء الدين يبذلون مساعي وجهودا جبارة في الادوار السابقة لتصحيح الوضع الداخلـي

---

(١) آل الشيخ ابي بكر منتشرون في اماكن اخرى كحملة سـلاح منها وادي عمد وفيه آل الحامد منهم وفي بلاد المهرة منهم عدد غير قليل حملة سلاح كما ان هذا التقرير اشار الى آل المحضار وآل الحامد وهم يسكنون مقاطعة الواحدي وغيرها كما يسكنها آل الجنيدي وآل البغدادي وآل فدعق واشار اليهم هذا التقرير ولكنه لم يشر الى حملة سلاح آخرين من السـادة في حضرموت كسـادة حجر من آل الشاطري وآل البيتي ، كما انه ايضا غفل عمن ندر من القبائل ولكنه وافي في الجملة .

بحضرموت وقطع دابر الفساد واصلاح هذا الوطن اصلاحا جذريا . وفي هذا الدور اكثر ولهذا كان العمل الجدي لابداله بخير واكبر وذلك باقامة دولة قوية شاملة له كله يكون شأنها كشأن الدول الاخرى على الاقل من امثالهـا في اليمن وفي البلاد العربية وكان للرجال الذين ذكرتهم عند الكلام عن الحياة الاجتماعية في هذا الدور كان لاولئك الرجال الحركات الدائبه المستمرة من مكاتبات واتصالات مع الدولة العلية العثمانية التي لهم في بـــلاط سلاطينها الملقبين بالخلفاء مكانة دينية او نفوذ روحي على حد تعبيـــر البعض ، وكان من نتائج تلك الاتصالات ارسال تجهيزة سنة ١٢٦٤ هـ من ثكناتها بثغر الحديدة لا تتجاوز بضع مئات بقيادة اسحاق بن عقيل بـن يحيى العلوي لفك الحصار الذي ضربته امارتا الكسادى وابن بريك في الساحل على الشعب في الداخل الذي هو تحت سلطنة عدوتها السلطنة الكثيرية ولمساعدة هذه السلطنة الناشئة على اصلاح ما يمكن اصلاحـه بواسطتها وانقاذ ما يمكن انقاذه كذلك ولكن لم يصحبها التوفيق لاسباب طبيعية وعسكرية (١)

ومن جهود اولئك الرجال المشار اليهـم الاخـذ بيـد ابن مقيص

---

(١) انما عين السيد اسحاق بالذات كقائد للحملة لمعرفته بحضرموت كما عين الشريف محمد بن عون قائدا عاما للجيش المتوجه لاخضاع اليمن وقد فرز منه جيش حضرموت وكان إتوجهه من الحجاز بتوجيه واليه حسيب باشا الى الحديده .

وبعد المداولات مع اعيان وامراء داخل حضرموت اتجهت المفرزة بحرا الى بعض السواحل القريبة من بروم ثم الشحر تساندها من البر قوات كثيرية وكانت الامارتان الساحليتان مستعدتين للحرب وكانت الريح تجري بما لا تشتهيه السفن التركية الحجازية بسواحل حضرمـــوت فانهزمت في النهاية وتوجد التفاصيل المحققة من هذه الحملة في امـــالي ودشتات أولئك الشيوخ المشار إليهم وقد أخطأ بعض من تعرض لتاريـــخ حضرموت الحديث في كلامه عنها أ هـ .

الاحمدي اليافعي ليكون على راس دولة حضرمية فخيب آمالهم بضعفه كما اشرنا الى ذلك وتلفتوا الى محمد علي باشا خديو مصر ليمدهم بقوة تساعدهم على مشاريعهم الاصلاحية لاقامة حكومة حضرمية فانشغل عنهم •

ومن نتائج جهودهم وتضحياتهم تشجيع السلطان غالب بن محسن الكثيري على احياء السلطنة او الدولة الكثيرية والاخذ بيده ولكنها كانت دون ما يأملون كما سيأتي الكلام عنها ولما ظهر الحاج عمر بن عوض القعيطي في ميدان الصراع اليافعي الكثيري كان هناك منهم سعي وجهد لاصلاح ذات بينهما واقامة وحدة او اتحاد بينهما تشمل جميع القطر فلم تثمر الجهود الا بالنزر اليسير من الاصلاح المنتظر ، وقبل ذلك بمدة غير قليلة تقدر بثلث قرن تقريبا قامت النهضة الاصلاحية التي يمهدون بها لاقامة دولة اسلامية تحت ظل الشريعه المحمديه في وطنهم الحبيب والتي على رأسها الامام طاهر بن حسين العلوي واعوانه المشار اليهم رحمهم الله ، انهم حين يعيشون معها وقبلها وبعدها هم في شغل شاغل وجهد متواصل مرير لاقامة هذه الدولة الاسلامية كما قلنا وفي تضحيات مادية وادبية مما ذكرناه ومما لم نذكره ادوا بها واجبهم واراحوا ضمائرهم وانشدوا قول الشاعر •

على المرء ان يسعى لما فيه نفعه   وليس عليه ان يساعده الدهر

بهذه النهضة هي خير نموذج لتضحياتهم وحسن نياتهم (١) فاستحقت ان اسوقها للقاريء فيما يلي بما قل ودل •

---

(١) يمكن الاطلاع على تلك الجهود الجبارة المفصلة بقراءة مكاتباتهم المخطوطة وتاريخ ابن حميد وابن هاشم وغيرها وعبرنا بنيات دون نوايا لانها منتقدة لغويا .

(بيعة ناصر الدين الامام طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي)

الامام طاهر بن الحسين بن طاهر العلوي هذا هو شخصية شهيرة مثالية في التقوى والعلم والزعامة الدينية ونصرة المظلوم وقد انتخبه وبايعه إماماً اعيان الشعب بداخل حضرموت سنة ١٢٢٠ هـ وعمره ستة وثلاثون عاما حيث اتخذ المسيلة مقرا له ـ بعد ابيه ـ وهي في الاصل مصيف يبعد عن تريم ستة أميال الى الجنوب وقد قبل البيعة ولقب بناصر الدين ودعي بأمير المؤمنين ونهض بأعباء السلطة الملقاة على عاتقه حين لم يجد لا هو ولا قومه ولا علماء الدين واعيان القطر اي طريقة لاقامة دولة يتصدى لرئاستها كفوء من ابناء السلالات المسلحة ذات العصبية القبلية وبعد ما مرت بهم التجارب المريرة في هذا السبيل وقد علقت عليه وعلى مكانته الروحية وشخصيته القوية الامال وتقلد كثير من العلويين السلاح تحت رئاسته على خلاف تقاليدهم وقالوا ان الواجب الديني والوطني يستلزمان حمل السلاح وانضم اليه معهم كثير من القبائل كما سيأتي وجعلوا هدفهم نصرة الحق وتنفيذ اوامر الشريعة الاسلامية وحماية الضعيف وكان يشبه الى حد كبير الكثير من ابائه الاقدمين الذين قاموا وثاروا ضد ظلم واقطاع الامويين والعباسيين بدافع من تقاهم وديانتهم لاقامة دولة على اساس العدالة الاجتماعيه وفي دايرة الشريعة الاسلامية وهم يقدمون مبادئهم الدينية المثاليه على الوسائل السياسية والمخادعات الدوبلوماسية ولا يدينون بالمثل القائل ـ الغاية تبرر الوسيلة ـ ولا يهمهم ان لا تنجح جهودهم السياسية ما دام فيها هدم للقيم الخلقية وللمبادىء الاسلامية الشريفة ومغالطة للضمير (١)

---

(١) من يتامل تاريخ الامام علي ابن ابي طالب وابنه الحسين والامام زيد بن علي ومحمد النفس الزكية واضرابهم يجد الامثلة الكثيرة على ←

فالامام طاهر اشبه بهذا النوع من الائمة كما قلنا وزيادة على هذا فان تنشئته تنشئة صوفيةفيها التخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل وفيهاالهواية للتبحر والتفرغ للعلوم والعبادة اكثر مـــن السياسة وتحمـــل تبعـــات (مسؤليات) الحكم في قطر كحضرموت في كل شبر منه قبيلة تعـــادي الاخرى وتجزآت مناطقه الى اجزاء صغيرة مهلهلة مبعثرة •

لهذا فالذي يظهر من درس نهضة الامام طاهر انه لا يريد منها هـــو واعوانه سوى القيام بدور انتقالي يمهد السبيل لاشادة دولة قوية عامـــة تشمل جميع القطر وتنقله من حياة الفوضى والاضطراب الى حياة الامن والاستقرار ويفضلون ان يكون على رأسها من فيه الاستعداد مـــــــن القطاع القبلي لها حيث تعطي القوس باريها •

خلاصة حياته ونهضته :

ولد سنة ١١٨٤ هـ وتوفي سنة ١٢٤١ هـ ونشأ في بيئة علم وفضـــل وتقى واصلاح وممن شارك في تربيته عمته ام كلثوم بنت طاهر بـــــن محمد بن هاشم وهي من افضل نساء عصرها وتعد مربية مثالية الــــى جانب اتساعها في العلوم وقالوا قد اجتمعت فيها شروط القضاء الشرعي

ذلك حرصا على المبادىء والقيم الخلقية حتى لا تضيع فقي امكان الامام علي رضي الله عنه ان يبقي معاوية على الشام ويداريه وفي امكان الحسين ان يتوقف عن المضي الى الكوفة حين بلغه مقتل مسلم ابن عقيل كمـــا يروى البعض وفي امكان الامام زيد ان يلاطف غلاة الشيعة ليبقيهم فـــي صفه وفي امكان محمد النفس الزكية ان يؤخر القتال ضد جيش المنصور الى الليل ليفر اليه بعض القواد ولكنهم لم يفعلوا شيئا من هذا مـــع الشبوهين بينما يعد لو فعلوه نوعا من الدهاء الذي يفرضـــه العرف العرف السياسي في نظر الكثير فلماذا ؟ والجواب معروف وهو المثاليـــة المطلوبةللحياة السعيدة الفاضلة التي يحاولون إيجادها بالعمل بين بني البشر ولا يريدون بيع الدين بالدنيا كما يقولون والعاقبة للمتقين •

الا الذكورة ودرس هو وشقيقه عبدالله العلوم الشرعية والعربية والعقلية على ائمة كبار حضارمة ويمانيين وحجازيين واشتهرا بالتفوق فيها وامتاز الامام طاهر بالهيبة مع التفوق العلمي والخلقي على اقرانه واسرته كلها أسرة علم واستقامة وعمل حتى نسائها ومنها عمته الآنفة الذكر وشقيقته خديجه أم العلامة المفتي عبدالله بن عمر بن يحيى احد العبادلة السبعة الاتي ذكرهم وكتب وألف في الشريعة والتصوف والادب والاذكار (١) وكان شاعرا وخطيبا مفوها وله الخطبة البليغة المسماة (فتح الرحيم الرحمن) (٢) قالوا انه ألقاها ارتجالا وهو واقف ويده على المنبر وله ديوان شعر وله اعمال يدوية يباشرها بنفسه فيكتب كل يوم كراسة ويخيط وينسج كوفية حضرمية الى جانب الاذكار والاوراد التي يقوم بها وتعطينا معاهداته وخطاباته مع القبائل صورة حسنة للغة التخاطب التي تكتب بها المعاهدات العسكرية مع بلاغة الاسلوب وقوة العبارة بالنسبة لعصره وانتصب للتدريس والتثقيف والتربية في نفس الوقت الذي يزاول فيه تجميع وتنظيم جنوده ويشرف على تدريباته العسكرية .

ومما يثير الاعجاب انه يجعل لتلاميذه حصة للتدريب على الرماية ثم حصة بعدها للقراءة في الكتب العلمية يقدم في الاخيرة الاسرع فالاسرع في اعداد بندقيته للرماية في الاولى فيكون الرامي الاول في التدريب هو القارىء الاول في التدريس يقومون بهذه المباراة دواما لان البندقيات اذ ذاك من طراز (أبو فتيلة) فيحتاج الى شحن بالبارود ووضع الرصاصة فيه والفتيل عليه قبل الرمي بمدة غير قليلة وكان

(١) التف في الاذكار كتابه المسلك القريب وهو مشتمل على الاذكار النبوية ومنتشر في اكثر البلاد وطبع عدة مرات .

(٢) شرحها الفقيه العلامة عبدالله بن احمد باسودان وهي مطبوعة ضمن مجموع اخيه عبدالله الذي طبع عدة مرات .

بعض تلاميذه يكتب اسمه بالرصاص بدون ان يخطىء ولو في رمية واحدة لمهارتهم في الرمي .

وقد انضمت اليه قبائل آل كثير وآل تميم وال جابر وكتبت بينه وبين هؤلاء معاهدات ومواثيق على تنفيذ أحكام الشريعة الغراء والانضواء تحت لوائه كاخوانه العلويين (١) امضى عليها زعمائهم كما وجه الى كل من الكسادي وابن بريك اميري المكلا والشحر مندوبه وكتبه لاصلاح الحالة ومنع التوتر بينهما فتم له ما أراد ونفذ حكمه في مناطق اتباعه كلها فأمن من القتل ورفع من الظلم ووسع من نشر العلم وانعاش الزراعة .

وقام بحصار مدينة تريم طويلا لان شيوخ يافع الموجودين بها وهم من قبيلة لبعوس وكبيرهم الشيخ عبدالله بن عوض غرامه اصروا على التمادي في الطغيان والظلم فيها ثم آمر جيشه بفك الحصار وذلك ان بعض العجائز خرجن اليه يبكين ويشتكين بان الحصار انما اصاب المساكين الابرياء والبريئات امثالهن اكثر مما أصاب الطغاة المسلحين فاشفق من ذلك وفتح الطريق ويقال ان عبدالله عوض غرامه هو الذي أوعز الى تلك النسوة بتمثيل ذلك الدور .

قالوا وتصدى الامام طاهر بنفسه مرات لاغتيال غرامه ليلا في الغلس حيث يخرج لصلاة الفجر بمسجد السكران قرب قصره فيقع ما ليس في الحسبان من الصدف التي تمنع من ذلك وقالوا ان من إحداها أنه وجد القالوده الكبيرة مكسورا بعض أضراسها (حناذيلها) فحاول فتحها فلم تطعه وكأنها تعلم ان الموت يكمن له في الخارج بالمرصاد وكان

---

(١) هذه العهود والاتفاقيات مجموعة في مكاتباته الخطية كما ان كثيرا منها موجود في تاريخ ابن هاشم ج — ١ .

ذلك سببا في صلاته بقصره وتأخره به حتى الاشراق (١) .

خمود هذه النهضة وأسبابه :

ومما يؤسف له ان هذه النهضة المباركة لم تدم طويلا فكان عمرها أقل من عقد واحد من السنين وخمدت جذوتها ثم انتهت الا ان مبادئها بقيت في صدور رجالها وهي السمل لتأسيس دولة رشيدة لحضرموت ومن أسباب خمودها ما يلي : ـــ

١ ـــ عدم تمكن زعيم هذه الحركة وأخوانه من التفرغ التام لهـــا بحيث لا يشغلهم اي شيء سواها فانهم يرون أنفسهم مضطرين للقيـام بأعمال اخرى لا تقل في نظرهم عنها كنشر العلم والثقافة وتدبير امـــر المعاش والتعبد هذه الاعمال التي أخذت من أشغالهم السياسية الشيء الكثير .

٢ ـــ مثالية زعيم هذه الحركة كما تكلمنا عنه ومثالية كبار اعوانه وكثيرا ما يصاحب الحركات السياسية والعسكرية التي يقوم بها المثاليون قصر العمر لانهم لا يؤمنون بالمثل القائل الغاية تبرر الوسيلة فـــلا يستخدمون الا الوسائل الشريفة النظيفة .

٣ ـــ نقص التمويل المطلوب لها من الداخل والخارج وكل حركة لا تدعم بالمال الكافي ـــ عصب المشاريع ـــ تكون نهايتها الاخفاق وكمـا شاهدنا في هذا القطر نفسه دويلات تموت من الفقر واخرى تحيـــا بالثروة والغنى فقد جاء فيما بعد سلطنة كل من الكثيري والقعيطي وهما تسولان وتمدان من الخارج من حيدر اباد الدكن بالهند باموال مؤسسيها

---

(١) هكذا نقل عن كثير من الشيوخ وفي امالي بعضهم ، والمعروف ان بعض اتباعه قام بهذا العمل .

وانصارها فكان هذا سببا لما حصلنا عليه من استقرار •

٤ ـ تغلغل الظلم والجهل والفوضى القبلية بحيث اصبح ذلك جزءا من طباع افرادها وجماعاتها تعيش وتحيا وتموت عليه فلا يمكن تغييره بوسائل الحسنى والمعاهدات والمظات بسل ولا بالقوة وحدها الا اذا عضدتها وسائل تشغيل اولئك الظلمة العاطلين بما يضمن لهم حياة افضل كما يفعل العقلاء منهم •

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذاعفة فلعلة لا يظلم

هذه وغيرها لم تخف على هذا الزعيم الديني الذي لم يكن غرضه ان يتربع على منصة الحكم او ان يؤسس له شخصيا سلطنة او دولة ولم تستهوه المظاهر وانما كل غرضه نصرة الشرع ومحو الظلم والفساد من وطنه وقد اتخذ حركته هذه وسيلة لهذا الهدف فراى بام عينيه ان الظروف غير صالحة وان هذه التجربة غير مجدية فانسحب من الميدان نظام فالف لجنة من زعماء العلويين وزعماء القبائل التي تناصره للسير في الطريق التي اختطها وكتب لهم تعليمات وتوصيات بذلك ولكنهم لم يستطيعوا في النهاية تحمل هذا العبء الثقيل فحطوه عن كواهلهم •

اما الامام طاهر فبعد ان استعفى من مهمته السياسية كرس ما بقي من وقته في التربية والتعليم والعبادة وغيرها من المنافع العامة حتى توفي رحمه الله ورضي عنه •

الحياة الاجتماعية في الدور القبلي

من الطبيعي ان لا يحدث تطور او تقدم في الحياة العامة بهذا الدور بل سارت الاحوال فيه من سيء الى اسوأ وقد نشطت فيه حركة الهجرة من حضرموت الى مهاجرها بصورة واسعة ومن بقي فيها فانه يضطر الى مفارقة القرى التي تتعرض للهجمات والارهاب الى المدن

التي هي اقرب الى السلامة من ذلك كما هاجر كثير من تجار شبام الـى حوطة احمد بن زين وقد يحدث العكس فيهاجر سكان المدن الى القرى الامنة نوعا ما فرارا من الظلم والفتن كما هاجر كثير من اعيان تريم الى القرى المجاورة وشلت حركة التجارة لان كبار التجار خافوا على انفسهم وعلى اموالهم فكانوامن ضمن المهاجرين او الفارين وفيهم جماعه مـن الهنود (البانيان) الذين انتقلوا من الهند لغرض التجارة او الصياغة (١) بحضرموت ساحلها وداخلها ، وتأثرت الزراعة وغراسة النخيـل بعض التأثر ولولا اضطرار الزراع والعمال الذين قل ان يعرفوا الهجرة الـى الخارج لمزاولة هذه المهمة الحيوية ومخاطرتهم في سبيلها وتشجيع ارباب الاموال لهم عليها لتوقفت • وتقلص ظل العلم لتعطل المحافل العلميـة وتعثر سير كثير من الدروس الثقافية التي كانت تعقد في المساجـد والزوايا والمعاهد الا ان معظم كتاتيب الاطفال استمرت في بعض احيـاء المدن والقرى كما يظهر من درس الحالة وبلغ الحال الى تعطيل صـلاة الجمعة لمدة اشهر او تعددها ومن ذلك ما حدث في مدينة تريم في اوائل القرن الثالث عشر حيث صلى اهلها ثلاث جمع في ثلاث حارات من شدة الخوف فقد صلى فريق منهم في الجامع العام وهم سكان قلـب المدينة (البلاد) التي يسيطر عليها اسرة آل غرامه واتباعها وصلى سكـان حـي النويدره المسيطر عليه ابن عبد القادر واتباعه في مسجد الزاهر وصلـى سكان حي الخليف (بالتصغير) وعيديد ويسيطر عليه ابن همام واتباعـه في مسجد فضل بامقاصير والمسيطرون هم من يافع من قبيلة لبعوس التي تتطاحن وتتآكل بالقتال داخل تريم وترهب سكانها وبقيـت من الثلاث مشيخة غرامه حتى اجلتها السلطنة الكثيرية فاستولت عليها بعد قتـال مرير تتخلله هدنة وصلح ، واختلف العلماء اذ ذاك في جواز اقامة الجمع

---

(١) بالياء المثناة

المتعددة فافتى فريق منهم وعلى رأسهم العلامة الكبير عبدالله بن حسين بلفقيه بالمنع من التعدد وبالعذر عن اقامة اي جمعة في غير الجامع الرسمي وخالفه فريق آخر من العلماء المعاصرين له وعلى راسهم العلامة الكبير عبدالله بن عمر بن يحي بجواز التعدد بل بوجوبه ولكل من الفريقين حججه الفقهية وليس هنا موضع ذكرها وفيها من الابحاث العلمية الممتعه الشيء الكثير وهناك اختلافات كثيرة تقع بين الفريقين او بالاحرى بين العلامتين وبين غيرهما من رجالات الشرع والعلم في وقائع احوال من عبادات ومن معاملات يصدران فيها الافتاءآت والتآليف الزاخره بدقائق الفقه والاته والميقات وغيرها كل يؤيد وجهة نظره ويوضح منطقه وهي موجودة في الكتب المختصة الخطية والمطبعية (١) ولعل هذه البحوث العلميه هي المتعة الوحيدة لرجال العلم والثقافة — على قلتهم — في هذا الدور الذي برز فيه افذاذ قلائل هم فحول الوادي ورجاله ونجومه اللامعة في حين اطبق ظلام الجهل عليه وعم معظم مدنه وقراه نذكر منهم اضافة الى الامام طاهر من ياتي •

العبادلة السبعة وأضرابهم :

والعبادلة السبعة هم • سبعة من علماء هذا الدور جمعوا بين العلم والثقافة والصدارة والتصوف والتدريس والتأليف والاصلاح الاجتماعي ينضم اليهم علماء اخرون من هذا الطراز كالامامين الكبيرين الحسن بن صالح البحر ساكن ذي اصبح والمتوفي بها سنة ١٢٧٣ هـ واحمد بن عمر بن سميط ساكن شبام والمتوفي بها سنة ١٢٥٧ وعلوي بن سقاف الجفرى ساكن تريس والمتوفي بها سنة ١٢٧٢ هـ والمحسن بن علوي السقاف ساكن

(١) انظر فتاوى كل منهما وهما مخطوطتان وبغية المسترشدين وقد طبعت مرارا .

سيون والمتوفي بها سنة ١٢٩٢ هـ واحمد بن علي الجنيد ساكن تريم والمتوفي بها سنة ١٢٧٥ هـ .

اما العبادلة السبعه فهم كما يلي :

الاسم	الموطن	الوفاة
عبدالله بن ابي بكر عيديد	تريم	١٢٥٥ هـ
عبدالله بن سعد بن سمير	خلع راشد	١٢٦٢ هـ
عبدالله بن علي بن شهاب	تريم	١٢٦٤ هـ
عبدالله بن عمر بن يحيى	مسيلة ال شيخ	١٢٦٥ هـ
عبدالله بن حسين بلفقيه	تريم	١٢٦٦ هـ
عبدالله بن احمد باسودان	الخريبه دوعن	١٢٦٦ هـ
عبدالله بن حسين بن طاهر	مسيلة ال شيخ	١٢٧٢ هـ

وقد قام كل من هؤلاء الاعيان المسجلين هنا واخرون غيرهم بدور بارز في مكافحة الظلم ونصر الضعيف واصلاح ذات البين بواسطة الاتصال الشخصي والجماعي بالمناصب وشيوخ القبائل وشاركوا مشاركة فعالة في نهضة الامام طاهر بن الحسين وكيف لا ومنهم اقرباؤه وزملاؤه وتلاميذه وبالتالي شاركوا في الحركات والنشاطات المتوالية لتقويض الفوضى القبلية واقامة دولة للقطر حتى تأسست السلطنات الكثيرية والقعيطية كما سياتي ومنهم من قتل ومنهم من سجن ومنهم من هدد بالقتل الى غير ذلك من صنوف الاذى (١) ولكنهم تحملوا كل هذا بصبر

(١) قتل العلامة سالم بن ابي بكر عيديد شقيق عبدالله بن ابي بكر مماليك غرامه طعنا على مصطبة مسجد قرية الريضة وبقي يذكر الله بعد ان طعن وقال للحاضرين اني سامحت القتلة ثم فاضت روحه وسجن العلامة احمد الجنيد مرتين من عبدالله غرامه وابنه عبد القوي وهدد العلامة عبدالله بن عمر بن يحيى بالقتل ليفتي بغير الحق ولكن امه امرته بان يرفض بينما السفاحون من مماليك غرامه واقفون يهددونه فلم يبال بهم حتى انصرفوا .

وجلد في سبيل الدين والوطن رحمهم الله وهؤلاء الذين سجلت اسمائهم تحت هذا العنوان من عبادلة وغيرهم امتازوا ايضا بالانتاج الفكـــري والادبي وبالزعامة الاجتماعية وبالتقوى والاتساع فـي العلوم والمعارف بحيث يمكن الكتابة عن حياة كل فرد منهم في مجلد ضخم او اكثر وربما كان على غرارهم آخرون فـي عصرهم لـم استحضرهم وانما خصصتهم بالذكر كاحسن النماذج الحيه النادرة لانهم في نظر الباحث المنصف المـع النجوم الهادية في هذا العصر المظلم (١) وهناك زعيم اجتماعي آخر في هذا العصر لا يمكن اغفاله وهو الحسين بن عبد الرحمن بن سهل المتوفي بالشحر سنة ١٢٧٤ هـ ذلك الذي اشترى مدينة تريم من الشيخ عبداللـه عوض غرامه بعشرة الاف ريال نمساوي وكتبت له الوثائق ولكنه ابقـى غرامه على ماهو عليه (٢) وله وقائع عجيبه في الكرم والاحسان والشجاعة والاصلاح ومواساة الفقراء يطول الكلام عنها •

ضرب السكة

وهو الذي ضرب العملة المنسوبة اليه بحضرموت فضية ونحاسية وقد جزء الريال النمساوي الى عشريـن وحدة فضية وعشر وخمس يساوي مجموع كل من هذه الوحدات نصف ريـال نمساوي اي نصف اوقيه تقريبا وزنا ويضاهي الريال قيمة والى مائة وعشرين سنتا يسمـى السنت خمسية وكان الضرب في احدى مـدن اوروبا (٣) سنة ١٢٥٨ هـ

(١) تجد تراجم لغالبيتهم في عقد اليواقيت مطبوع تاليف العلامـة الكبير عيدروس بن عمر الحبشي كشيوخ له .

(٢) انما فعل ذلـك باشارة الداعية الكبيـر عبدالله بن حسين بـن طاهر الذي ارسل له قصيدة من الشعر الشعبي فيها فلسفة ونصيحة بان لا يتقلد سلطنة تريم وهي موجودة بديوانه .

(٣) لم اجد المعلومات المطلوبة عن هـذا الموضوع بالذات رغمـا عـن تكرار السؤال وانماذكروا ان القالب قالب العمله ارسل من اوربـا الى حضرموت وموجود بمدينة الشحر التي توفي بها بن سهل رحمه الله.

وكان التعامل بالريال النمساوي بحضرموت منذ اواخر الدور الماضـــي وهذه (فكة) له وحصل التعامل بنقود الدولة الرسولية وغيرها باليمـــن انتقلت الى حضرموت في اثناء ذلك الدور ولكن عملة السلطان بدر ابي طويرق التي تكلمنا عنها في الجزء الاول كانت اكثر شيوعا حتى تناقصت ووصل الحال ببعض المقاطعات كدوعن الى التعامل بالحب وهو الطعـــام الذرة يجعلونه مقياسا للاثمان في البضائع التافهـــة ومـــع هـــذا فلبعض السموديين عملة متداولة بدوعن تقرب في بعض وحداتها من عملـــة بـــن سهل كما للكسادى عملة بالساحل وقد استمر التعامل بعملة ابن سهـــل حتى تناقصت وقلت فصك السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف الثـــرى الشهير عملته سنة ١٣١٥ هـ على غرار عملة ابن سهل وهو الضامن لها كما يضمن صاحب كل عملة عملته وللسلطان القعيطي عملة معروفة ولمـــا استولى عمر عبيد بن عبدات الكثيري علـــى مدينة الغرفه باســـم اخيه صالح قبل اربعين عاما تقريبا صك له عملة خاصة اجرى التعامل بهـــا في منطقة الغرفه وكل هذه العملات المحلية انتهى امرها لغايـــة سنة ١٣٦٣ هـ بوجود الربيات الهندية ثم الشلنات الافريقية سنة ١٣٧١ هـ ثم عملـــة الجنوب العربي سنة ١٣٨٢ هـ وهي ديناره المربوط بالجنيه الاسترليني بعد تغطيته بما لا يقل عن ٩٠ في المائة ذهبا حسبما هو معروف قريبا •

النقل بين الساحل والداخل :

وقد صورنا حالة اختلال الامن كما هي وكيف تعالج علاجا وقتيـــا من قبل المصلحين في العناوين السابقة وكان مـــن حسن حظ السكان ان تقوم بعض العشائر البدوية بنقـــل الميره والبضائع والمسافرين فيما بين الساحل والداخل على جمالهم وهم خفراءها والمسؤلون عنها كما كـــان سابقا باجرة يتفق معهم عليها بواسطة الدلالين وتختلف باختلاف الفصول ولعل هذا سبب تسميتها بالفصل وهـــذا هـــو الـــذي ضمن استمرارها

وسلامتها من النهب والسرقات في الطريق •

الصناعة والزراعة والطب :

اما الصناعة والزراعة وكذلك العادات والتقاليد فهي لا تختلف اختلافا كبيرا في اساليبها عما قد تكلمنا عنه بالنسبة للدور الماضي •

وعلم الطب يكاد يكون مفقودا الا في تجبير الكسور والرضوخ وعلاج الاصابات والجروح خصوصا الكلوم الحربية واخراج الرصاص من الجسد وقد تقدموا في ذلك بفضل التجارب المستمرة ولهم تجارب طبيه اخرى عامة كما كان لابناء الجزيرة العربيــة وكما كان لابناء الدور الماضي ايضا (١) ولكن لم تصل الى درجة تقضي على الخرافات والاوهام التي انتشرت في بعض اوساطهم كالاغراق في عقيدة تاثير الجن عليهم ويسمى الكفحه وبلغ ببعضهم الامر الى تسمية بعض الاطفال المصابين بالكساح او الشلل بكلمة ــ المبدل ــ بمعنى ان الجن وضعته بديلا عن الطفل الصحيح التي اختطفته ولهم عقائد اخرى لشفاء بعض الامراض اوجدت فيهم دجالين يكذبون على السذج بانواع من الوصفات الخاطئة والحروز الزائفه وغير ذلك مما يحاربه العلماء الموجودون بينهم وهولاء الدجالون يخطون على الافراد المستقيمين الذين يكتبون الايات القرآنية للمرضى خالصه لوجه الله مما لا بأس به شرعا اذا طلب منهم ذلك وكما يحارب اولئك العلماء اعمال الدجالين نجد البعض منهم ينكر الغلو الموجود عند قلة من خاصتهم وكثرة من عامتهم ــ كاهل عصرنا هذا ــ في التمسح بالقبور وما الى ذلك الا انه اقل بكثير مما يوجد في مصر

---

(١) من اطباء الدور الماضي علي زين العابدين الاكبر العيدروس وله فيه وفي غيره بعض التآليف وهو من اكبر زعماء حضرموت المشهورين ومن نقباء العلويين كما اشرنا اليه تحت عنوان اول نقابة منظمة بحضرموت •

والسودان والعراق وغيرها من البلاد الاسلامية ولعل هذا الغلو اليسير هنا هو الذي احدث رد فعل (١) مضاد عند هؤلاء المنكرين واحدث فيهم ميولا وهابية ومنهم العلامة الكبير علوي بن سقاف الجفري السابـــق ذكره والعلامة أبو بكر بن عبدالله الهندوان الذي تأثر به عبدالله عوض غرامه كبير مشايخ يافع تريم وقال بعضهم انه تأثر ببعض الغزاة الوهابية اصحاب بن قمله الذين اشرنا اليهـم فيما مضى ومـن الطرائف التي تحكى عنه انه وقف على بعض ابناء الحارات المتوجهين من تريـــم لزيارة هود كموكب تابع لبعض الشيوخ العلويين وهو العلامه عبداللـه بن حسين بلفقيه احد العبادلة المار ذكرهم فارادوا ان يتوسلوا باحـــد الصالحين في زجلهم فنهاهـم غرامه فانشدهم بلفقيه ليرتجزوا قولـه ــ سبحان من لا يفني ولا يزول ملكه ــ فارتجزوا به فما كان من غرامه الا ان طرب واخترط سيفه وجعل يلعب به ويرتجز معهـم ويقول بعضهم ان فيه اشارة وعظة تومي الى زوال ملك غرامه قريبا وله حوادث حـول المعتقدات لا تكاد تتعدى الجدل مع العلماء رحمهم الله جميعا .

---

(١) كلمة رد فعل مترجمة ومقتبسة في العصر الحديث من لغـة اجنبية .

دَورُ السَلطنَتَين القعيْطيّة وَالكثيريّة الأخيرَة

من سنه ١٢٧١ هـ تقريباً

ولا تزالان موجودتين عند الفراغ من تأليفه سنة ١٣٨٦ هـ

دورُ السلطنتين القعيطيّة والكثيريّة الأخيرة

من سنة ١٢٧٠ هـ تقريباً ولا تزالان موجودتين

عنـــد الفراغ من تأليفـــه سنة ١٣٨٦ هـ

كنا تكلمنا عن الحرب التي نشبت بين السلطانين بدر بن عمر بـن ابي طويرق ، وبين ابن اخيه بـدر بن عبدالله بن عمـر بن ابي طويرق ، واستعانة الاول بالزيدية ، واستعانة الاخير بجيش مجلوب من يافـــع ، وكان من نتائج ذلك ضعف السلطنة الكثيرية وتنصيب سلاطينها رموزا فقط ، والسلطة الحقيقية بيد العسكر المجلوبين من يافع الخ ما هناك ، ومن هنا طاب لهم المقام بحضرموت ، وتناسلوا واصبحوا مواطنين فيها ، ودرجوا على ما درجت عليه قبائلها من عادات وتقاليـد واستمرت الهجرة فيهم من يافع الى حضرموت ، ولم يكد يدب الانحلال والتلاشي فـــي سلطنة ال كثير حتى حل محلهم قبائل يافع كسلطات طوائف ، ومشيخات صغيرة كل استولى على ما يليه من البلاد ، فآل ليعوس في تريـم ، وال الظبي بسيون ، وال البكري بمريمة ، والموسطة بشبام والقمطة بلحروم ، وال كساد بالمكلا ، وفي الشحر ال بريك ، وفي قرى اخرى عشائر يافعية اخرى ، كما ان بقية المناطـق بحضرموت تحكمها سلطات قبلية اخرى ، وللبيوتات المنصبة من سادة ومشائخ شيء من السلطة على حوطهم كما تكلمنا عنها ، وهذا هو الدور القبلي الفوضوي الذي تكلمنا عنه قبـل هذا بالتفصيل ، واعقبه هذا الدور الذي سنتكلم عنه الان .

الابطال الثلاثة طليعة هذا الدور .

ان القبائل التي تكلمنا عنها في الدور الماضي يهاجر الافراد من رجالها الى مهاجر الحضارمة كافريقية، واندونيسيا، والهند، ومنها حيدرا باد الدكن . التي يتجه اليها الكثير منهم لينتظم في سلك الجندية ، عند حكومة النظام ملكها الغني الثري حيث يتألف جيش عربي هناك معظمه من عرب حضرموت وما جاورها ، وقواده منهم ، وقد نبغ بين اولئك الثلاثة الابطال :

عمر بن عوض القعيطي اليافعي

غالب بن محسن الكثيري

عبدالله بن علي العولقي (١)

ويتحلى كل من هؤلاء الثلاثة بالعصامية (٢) والشجاعة

---

(١) اذكر مرة زيارة شاب جامعي من زنوج امريكا لي ، ببيتي بتريم زيارة مستعجلة طلب مني فيها معلومات عن هؤلاء الثلاثة ، ليكتب رسالة عنهم ، ويتقدم بها لنيل شهادة الدكتوراه ، وكان ذلك في وقت ضيق لم يتسع للتفصيلات ولكني مددته بما عندي من اجوبة لاسئلته ، ولا ادري ماذا كان منه بعد .

(٢) ـ نسبة لعصام الذي اكتسب لنفسه المجد والسؤدد وقال فيه الشاعر :

نفس عصام سوددت عصاما . وعلمته الكر والاقداما . وصيرته ملكا هماما

وبعضهم يضيف اليهم شخصية رابعة في مستواهم تهتم بامر حضرموت لانها حضرمية ، ولكن لم تمد يدها للصراع بها ، وهي شخصية ابو الليل ويتال بالليل .

والطموح والتمسك بالعقيدة الدينية وحسن السلوك ، وكلهم ايضا من اصحاب الرتب العسكرية الرفيعة ، وضخامة المرتب ، واتساع الثروة وكل منهم له انصار واتباع وعصبية في حيدر اباد ، ولا يرى مسرحا لتنفيذ رغباته السياسية واشباع طموحه سوى وطنه حضرموت ، حيث يجد بها من يؤيده اكثر ، ومن ينطوي تحت لوائه من قبيلته ، وما عليه الا ان يرسل المبالغ التي تموذ مشاريعه السياسية ويرسم لها الخطوط العريضة والتعليمات اللازمة ٠

وهكذا اصبحت حضرموت ميداناً للصراع والتصادم بين اتباع هؤلاء الثلاثة الذين لكل منهم عشائر لها نفوذها القبلي ، وتاريخها القديم ، وتحول الصراع بين القبائل من اجل الثأر والغارات الى صراع اوسع نطاقا ، واشد ضراوة هدفه السلطة والملك حين وجدت كل منها زعيمها وسلطانها الذي يقودها الى نهاية الطريق ، وحيث توزعت واحتربت تحت زعامة هؤلاء الثلاثة الابطال الذين تحركها اصابعهم ، وتدير دفة السياسة الحضرمية وهم هناك بحيدراباد على يد قوادهم واخوانهم، وبنيهم ومستشاريهم بحضرموت هنا ، وفي وقت تغلبت فيه الانانية وحب السلطة والظهور على المصلحة الوطنية العامة التي تدعو الى حسم النزاع والانضواء تحت لواء حكومة وطنية موحدة مؤتلفة ؛ كما يحب ويختار الشعب ، ولكن اين نحن من هذا ونحن في بداية هذا الدور ، بينما لم يحصل في اواسطه ولا في اواخره والشعب الحضرمي يطالب سلاطينه ، ومسؤليه بالوحدة الحضرمية — كخطوة لوحدة عربية شاملة — باي شكل يرفع من مستواه السياسي والاجتماعي ، وهم واتباعهم — بتأييد بريطانيا في نعراتهم وانانياتهم — يعمهون ؛ والشعب هو الضحية الحقيقية ، كما سياتي الا اننا لا بد وان نقول ان وجود سلطه او سلطتين في القطر خير من وجود السلطات القبلية العديدة التي تكلمنا عن دورها الماضي وويل

واحد اهون من ويلين ، ولنعد الى سياق تاريخ كل من الثلاثة المشار اليهم •

فاما عبدالله بن علي العولقي فلم يطل منه القيام بدور على المسرحين السياسي والعسكري بحضرموت ، فقد استطاع القعيطي وهو منافسه الاول ان يقضي على مطامعه حيث يعترض النجدات المبعوثة من حصنه العظيم المسمى حصن العولقي الواقع شرقي غيل ابي وزير ، وقرب قرية الصداع، وكانت هذه النجدات قد قررت الاشتراك مع خصوم القعيطي من كثيريين وغيرهم في الاستيلاء على الساحل الحضرمي ، وقد توفي بحيدر اباد سنة ١٢٨٤ هـ ونائبه وخليفته بحضرموت ابنه محسن فحاصره في حصنه هو وحامية الحصن الجمعدار عوض بن عمر القعيطي لمدة اشهر حتى سلم وانتهى امره •

واما البطلان الاخران فقد استطاع كل منهما ان يؤسس سلطنته في القطر ، وهما تشبهان الى حد كبير السلطنات التي تعاقبت على الوادي فيما مضى ، من راشدية ويمانية وكثيرية ، ولم تستطع اي منهما ان تبسط نفوذها على القطر كله فتتم الوحدة بين بنيه وتشمل جميع اراضيه ، وسأتكلم عنهما مبتدئا بالسلطنة القعيطية لانها اقوى واغنى واوسع من السلطنة الكثيرية ، وان تأخر تاسيسها عنها بقليل •

السلطنة القعيطية :

آل القعيطي بطن من يافع ، وقد نزحوا من جبل يافع الى حضرموت ضمن بطون القبائل اليافعية التي جلب طلائعها بادىء ذي بدء الى حضرموت السلطان بدر احد احفاد ابي طويرق كما مر انفا ، واستوطن آل القعيطي قرية «لحروم» ــ وادى عمد وبها ولد ونشأ عمر بن عوض القعيطي الاول ثم انتقل منها ــ وهو يتيم فقير ــ الى شبام ثم هاجر الى

الهند وهو يافع حيث انتظم في سلك الجندية ، بناكبور ، ثم حيد اباد ، وبلغ اعلى زينتها بالنسبة الى ابناء جنسه فكان له ثراء واسع وجاه عريض وكاتبه بنو جلدته اليافعيون الحضارمة الذين اصبح وجودهم بها مهددا من قبل الكثيريين اعداءهم التقليديين ، والفتن والحروب ناشبة بين الطرفين لاحياء السلطنة الكثيرية التليدة ، وسحق يافع المترضين طريقها وولاة الحكم على انقاضها حتى صلي بنارها اقارب ومحارم للقعيطي نفسه ، ووفد اليه بعض الوفود اليافعية الى الهند معربين له بانهم يجدون فيه زعيمهم المنقذ حتى لم يجد بدا من الدخول فيما دخل فيه قومه وانشد بلسان حاله ما انشده الحارث بن عباد الشيباني فارس النعامة الشهير لانه في موقف شبيه بموقفه ·

قربا مربط النعامة مني   لقحت حرب وائل بحيالي
لم اكن من جناتها علم الله   واني لحرها اليوم صالي

ولكن كل هذه الاسباب بالنسبة له — وجزى الله الاسباب خيرا — كما يقول المثل — اثارت ما يجيش في صدر هذا الرجل البعيد الهمة ، والقوي الشكيمة من النزوع الى الملك ، واحياء الوطن ونشر العدل والامن فاسس السلطنة القعيطية التي هو أول ولاتها ، ودوره دور تأسيس وتمهيد وقذف الى الميدان بالمال والرجال ، ودبر الخطط معهم وهو بحيدر اباد كما سيأتي وتوفي وقد اقام له سلطنة منسوبة اليه ، ولكنه لم يزرها ، ولم يشهد شيئا منها بأم عينه فقد توفي بالهند بحيدر اباد سنة ١٢٨٢ هـ عن عمر نافء عن الثمانين خريفا امضى معظمه فيها ، ومدة حكمه حوالي ربع قرن ، ثم تولى السلطنة بعده ابنه عوض بن عمر بن عوض القعيطي ، وهو لا يقل عن ابيه في صفاته النبيلة ، واذا كان ابوه هو الرأس المفكر بالهند فانه هو اليد العاملة والرأس المفكر معا في حضرموت ، وكان هو المبرز بين اخوانه ومواليه ، وزعماء قومه

في ادارة وقيادة المعارك الناشبة لتأسيس هـذه السلطنـة ، وامتدادهـا على حضرموت كلها ، وقد كاد يتم له ذلك في وقعة المحايل وقـبـل وغيرهما من المعارك المتفرعة عن الحشد الكبير الذي قام به هذا السلطان ويتألف من جيش يبلغ حوالي الثمانية آلاف مقاتل فيما يرويه كثير من الشيوخ الذين عاصروا معظم هذه الوقائع ، يتألف من يافع ، ومـن هنود ، وموالي ـ مماليك افريقيين ـ ومن قبائل اخرى للقضاء علـى السلطنة الناشئة التي أقامها السلطان غالب بن محسن وأعوانـه بسيون وتريم ، وملحقاتهما ولكن لم يتم له النصر حيث استمات آل كثير فـي الدفاع عن مواطنهم وسلطنتهم وحيث لم ينفذ معظم فرق هذا الجيش التعليمات العسكرية المعطاة له ، فتراجع هو ، وجيشه من حيث أتـوا ، وتعد هذه أعظم وأخطر موقعة بين السلطنتين المتعاصرتين ، كمـا ان الكثيريين من الجهة الاخرى وعلى رأسهم السلطان غالب وعشيرتـه ومستشاروه يحاولون مد سلطانهم على حضرموت دواخلها وسواحلهـا في وقائع تجري سجالا بينهم وبين القعيطي ، فلم يتم لهم ما أرادوا ، ولو تم لاحدى السلطنتين التغلب على الاخرى ، او لو قدر لحضرموت ان تتوحد تحت لواء احدى السلطنتين لكان في صالحها وصالح شعبها الذي حرم منذ قرون عديدة من وحدة الحكومة وبالتالي وحدة النظام في جميع مرافق ومجالات الحياة والى اليوم ، ولكن السلطنة القعيطية استطاعت فيما بعد ان يكون لها نصيب الاسد بحيث اصبحت السلطنـة الكثيرية بمثابة لواء من ألويتها السبعة . وكان من حسن حظها انهـا حظيت بوزير محنك داهية، هو السيد الحسين بن حامد المحضار بـن الشيخ أبي بكر بن سالم العلوي الذي استوزره السلطان عوض بـن عمر هذا وابناه غالب وعمر الاتي ذكرهما . وقد اخلص لهذه السلطنة، وتم لها بفضل دهائه وتخطيطاته الاستيلاء على حجر بن دغار ، وميفع ودوعن وجزء من بالحاف ، وضم ريدة آل عبد الودود الكثيريين الـى

سواحل السلطنة ؛ بحيث لم يبق لسلطنة آل كثير منفذ بحري وكل محتاجاتها تمر عبر أراضي جارتها القعيطية ، والى اليوم ، وقد قضى السلطان عوض على امارة الكسادي بالمكلا بمساعدة حكومة عدن البريطانية المستعمرة في محاكمة بينه وبين اميرها ويلقب بالنقيب ظهر فيها ميل بريطانيا الى السلطان القعيطي حيث اقلعت بالنقيب بارجة حربية من المكلا فعدن ثم زنجبار ومثلت بريطانيا نفس الدور مع ابني اخيه عبدالله — وهما منصر وحسين — لما نازعاه في السلطة بحضرموت بعد وفاة ابيهما فنفتهما على بارجة الى الهند ، كما انتزع الشحر من الكثيريين الذين قضوا على امارة ابن بريك فيها ؛ وفي عهده تمت معاهدة الحماية بينه وبين بريطانيا الاتي ذكرها ليطمئن — في نظره — على بقاء سلطنته بواسطة الحماية البريطانية . وهو اول من دعي من حكام هذه السلطنة بلقب سلطان ، وقد توفي بالهند سنة ١٣٢٥ هـ أو ٢٦ أو ٢٧ ومدةولايته حوالي ثلثقرن من الزمن امضى معظمها بحضرموت في حروب ونزاع مع سلاطين آل عبدالله ومع غيرهم من القبائل والشيوخ . ومع ابني اخيه عبدالله منصر وحسين ، ولكنه انتصر في النهاية على خصومه من الامراء ، ومناوئيه ، وتولى بعده ابنه غالب المتوفي سنة ١٣٤٠ هـ وقد عرف بعطفه الشديد على البؤساء والمساكين وبالكرم والاحسان ، وبتشيعه للعلويين اكثر من آبائه ، وفي عهده أبرمت معاهدة صداقة وتعاون بعدن بينه وبين السلطانين ، منصور ومحسن ابني غالب الكثيريين ، وبين هولاء وبين بريطانيا سنة ١٣٣٦ هـ وبمقتضاها كما سيأتي الكلام عنها ومن تاريخها هدأت الفتن وتوقفت الحروب بين السلطنتين الحضرميتين وحاولتا ان تدخلا بعض الانظمة الادارية والمالية والعسكرية ، والقيام بحفظ الامن ولكن هذه المحاولة لم يكتب لها النجاح المنتظر الذي كان يعلقه عليهما المواطنون والمهاجرون من الحضارمة ؛ وان كان في وجودهما درء

الكثير من الاخطار والاتعاب التي كان يلاقيها الشعب في العهد القبلي، وكان المنتظر ايضا ان يشمل الامن جميع القطر ولكنه اصبح مقصورا على مدنهما وقراهما ، وعلى خطوط الطرق التي بنيت عليها المراكز والثكنات العسكرية ، والطوابي « الاكوات » .

وتولى بعد غالب اخوه عمر المتوفي سنة ١٣٥٤ هـ ثم السلطان العلامة صالح بن غالب المعروف بثقافته واتساعه في كثير من العلوم، وبالتآليف النافعة ، وبحبه للنظام والاصلاح ، وكان يود ان يتم ذلك على يد الوطنيين انفسهم الا ان حكومة بريطانيا تدخلت تدخلا مباشرا وفرضت على السلطنتين استشارة مستشار منها كما سياتي الكلام عن ذلك فيما بعد وقد تم لهذا السلطان بعض ما أراده ولعله لو تولى وهو في شبابه لاستطاع ان يفيد البلاد اكثر فقد تولى وعمره قد ناهز الستين وتوفي سنة ١٣٧٥ هـ وتولى بعده ابنه عوض الذي جعل عليه ابوه مجلس وصاية الى جانب مجلس الدولة ، وهناك مكتب المستشارية البريطانية ومكتب الوزارة ، ولم يكن في عوض الثاني هذا المذكور استعداد للحكم ولكنه فرض فرضا بوصاية من والده وبتاييد من الحكومة البريطانية ، على ان البعض يرى صالحا في وجوده بهذه الصفة حتى لا يتدخل شخصيا في الامور كما يتدخل السلطان الكثيري وغيره من سلاطين الجنوب وتوفي سنة ١٣٨٦ هـ فتولى بعده في هذه الايام القليلة القريبة ابنه الشاب الحدث غالب والسلاطين القعيطيون كلهم او جلهم ولدوا بالهند بحيدر اباد وتوجد في طباعهم وعلى بلاطهم ميول وتقاليد هندية وفي السنتهم شيء — يميزه الملاحظ — من العجمة وهم اقل اتصالا بجماهير شعبهم لانهم يقضون معظم اوقاتهم في قصورهم الا في المناسبات النادرة ولكنهم موصوفون بالطيبة وحسن الاخلاق وعلو الهمة ، والشعور بحشمة وكرامة المركز الذي هم فيه بحيث يترفعون عن كثير من الدنايا بسببه وبهذه الخلال كفروا عما

سجله التاريخ على قومهم الذيــن امسكوا بزمــام السلطة بحضرموت قبلهم واوجدوا تاريخا طريفا غطى على ذلك التاريخ التالد .

السلطنة الكثيرية الحاضرة سلطنة آل عبدالله (١)

اول سلاطينها غالب (٢) بن محسن الكثيري مــن سلالــة ابـــي طويرق ولد سنة ١٢٢٢ هـ بحضرموت الداخل وقد تأثر منذ نشأته بمــا يسمعه عن تاريخ ابائه الذين كانوا سلاطين هذا القطر وله المام كبيــر ببعض العلوم الدينية والادب الشعبي ، وقد اخذ اكثر معلوماته العلمية عن كبار العلويين ، واخــذ معلوماته التاريخية المحلية عــن اعمامه ، وانتظم في سلك الجندية بشبام ، وحاكمها يومئذ عمر بن جعفر ، ثــم اخوه الوصي على ابنه منصور ، ولكن الهدف البعيد الذي شغل بــه فراغ ذهنه دفعه الى الهجرة الى حيدر اباد حيث التقى باعمامه هنالك . وسنة ثلاثة وعشرون عاما ، وكان قد الف حياة الجندية ، والتمرن على القتال بحضرموت مما سهل له الترقي في الرتب العسكرية بجيش نظام حيدر اباد الذي انضم اليه من حين وصوله اليها حتــى اصبح جمعدار وواحدا من الابطال الثلاثة الآتي الذكــر ، وبمــا توسمه فيــه كبــراء العلويين بحضرموت ، وشيوخ قومه من استمداد لاحياء السلطنـــة

---

(١) ينطقون بها آل عبدالله بسكون الباء وفتح الدال وفتح اللام في لفظا لجلالة بدون مد بمقتضى اللغة الحضرمية الدارجة كما سبق .

(٢) هو غالب بن محسن بن احمد بــن محمد بن علي بن بـــدر بن عبدالله بن عمر بن ابي طويرق .

الكثيرية فقد امده الاولون بالاموال والرأي والدعاية والمعدات الحربية (١) كما ساعده الاخرون مباشرة في الميادين العسكرية والسياسية أيضا ، وقد حاول غالب واعوانه الاستيلاء علــى القطر كله ساحله وداخله ، وكادت ان ترجح كفته علــى يافع قبــل نزول القعيطي فــي الميدان ، فرجحت كفة الاخير ، وتوفي السلطان غالب بسيون بحضرموت سنــة ١٢٨٧ هـ ولم يتمتع فيها بملكه سوى خمس سنوات فقط تقريبا ، ويضم ملكه اكبر واوسع مدن الداخل ، وهما سيون وتريم وبعض القـــرى الاخرى ، وتولى بعده ابناه المنصور والمحسن وكانت البيعــة للاول الاسن وهو صغير في بضعة عشر عاما ولم يعين وليا للعهد ، وقـــد تطاول للحكم بعد وفاته حالا عدد من شيوخ عشيرته فحسم الموضوع العلامة المحسن بن علوي السقاف بالمناداة بابنه المشار اليه سلطانـــا وبايعه اهل الحل والعقد ولكن اخاه اشترك معه فيه ، ثــم اتفقا علــى ان يحكم الاكبر سيون ، والقرى التابعة لها ، وان يحكم تريم وما تبعهـــا الاصغر محسن الذي مات قبل اخيه سنة ١٣٤٠ هـ وخلف أربعة بنين أكبرهم غير صالح لشيء وبقيت سلطنة محسن لبنيه الثلاثة كل يحكم بنفسه وبالاشتراك مع اخوته حتى ضمتها الحكومة البريطانية الـــى سلطنة سيون التي يحكمهـــا جعفر بـــن المنصور بعد اخيه علي بـــن

---

(١) كان ممن امده السيد عمر بن علي الجنيد أخ العلامة احمد بن علي الجنيد المذكور فيما مضى بعدة مدافع مكتوب عليها اسم الجنيد ، وبثلاثين مملوكا وبمبلغ كبير من المال والسيد الوجيه اسماعيل العيدروس بسبعة عشر الف ريال نمساوي والعلامة عبدالله بن عمر بن يحيى بمبلغ كبير من المال وكان يدير له السياسة هو والسيد المحسن بن علـــوي السقاف وغيرهما ، والواقع التاريخي يؤيد ان العلويين هم الذيـــن يوجهون ويشتركون في رسم الخطوط العريضة لاقامة سلطنة آل عبدالله ابن عمر بن ابي طويرق مع السلطان غالب وكبار الكثيريين والشنافــر الذين وقفوا جنبه ضد القعيطي فيما بعد ظهوره في الميدان مباشرة .

المنصور (١) والد السلطان الحسين بن علي بن المنصور السلطان الحالي ومعظم سلاطين هذه السلطنة معروفون بالمواظبة على حضور المجامع الخيرية ، وحب الجماعة وقيام الليل ، وبالتواضع ، ولين الجانب ، ومما ينقصهم الغنى الذي يعزف صاحبه عن التشوف الى ما في أيدي الاخرين من ابناء الشعب .

مالية السلطنتين وجندهما :

تتألف مالية السلطنة القعيطية في مبدأ امرها من المبالغ المرسلة من سلاطينها الاول من حيدر اباد حيث يتلقون مرتبات ضخمة من خزينة النظام ، ويتوارثون رتبة الجمعدارية واحدا بعد واحد ، ولما استقرت بعد صارت تعتمد على دخلها من الجمارك الساحلية وعلى بعض الضرائب الجمركية القليلة الاخرى ، ويقال ان السلطان عمر الثاني بن عوض كان يأخذ من الخزينة القعيطية بحضرموت مبلغا من المال الى حيدر اباد حيث ينفقه هناك .

واما السلطنة الكثيرية فكانت تعتمد في مبدأ تأسيسها على ارسالية سلطانها الاول غالب بن محسن ايام وجوده بحيدر اباد ، وعلى المعونات التي تتلقاها من أثرياء العلويين وغيرهم ثم صارت تعتمدعلى ضرائب المعشرات الزراعية وعلى ضرائب مفروضة على التجار والمياسير ليس لها نظام معروف ، وانما تفرضها بواسطة موظفيها على من تتوسم فيهم الغنى وحسن الحال شريطة ان لا يكون قبليا او يحميه قبلي ، فانها لضعفها تتحامى من يسكن مناطقها من هذا النوع فتعفيه عنها ،

---

(١) علي بن منصور هذا اديب ومثقف وشجاع ، وهو ابرزهم بعد جده غالب ، كما ان جعفر يعد من ابرز العباد في آخر عمره .

والغريب ان اكثر دخلها من الضريبة التي تفرضها على من لهم حواصل كبيرة من ملايا أو اندونسيا فتضايقهم بضريبة على مال لم يستفيدوه من بلادها ، وانما أفادوها به ؛ وتسمى هذه الضريبة بـ (الدفعة) بفتح الدال ، ويرونها ضريبة غير مشروعة ، ومن تأخر عن الدفع فان مماليك السلطان يكبسون داره ، ويذبحون أغنامه ؛ ويطبخون طعامه، ويضايقونه ، وربما سجنوه حتى يدفع •

ولما شعر السيد شيخ بن عبد الرحمن الكاف ـ وهو أغنى شخصية في عصره بحضرموت ـ بثقل الضريبة التي يفرضها عليه محسن بن غالب سلطان تريم هرب هو وعائلته في الخفاء الى دمون احدى ضواحي تريم شكلا ، ولكن تحت حكم قبيلة آل سلمه التميميين ، واستجار بآل سلمة وغيرهم من القبائل ، وامدهم بكل ما يحتاجون اليه من مال ورجال لحرب سلطان تريم ؛ ودامت بينهم الحرب اشهرا من سنة١٣١٤هـ حتى تم الاتفاق على مبلغ لا يتجاوز ألفي ريال نمساوي يسلمه سنويا السيد شيخ لسلطان تريم مقابل أي ضريبة من أي نوع تخصه هو أو أحد اسرته دائما ، واصبحت الضرائب تثقل كاهل البقية من المواطنين الذين ليس لهم حول ولا طول ، ولا يفي دخلهم بعشر دخل السيد شيخ الذي ازداد نفوذه ونفوذ اسرته في السلطنة الكثيرية ، ولا يعصي السلاطين لهم أمرا بدافع من الرغبة والرهبة ، واصبح بقية المواطنين كبش الفداء ، واشترك الكاف في السلطة بدون كبير عناء ، ولكن تساوي الناس بعد أن نظمت الضرائب بعض الشيء بقوة الاشراف البريطاني المباشر •

وجند السلطنة القعيطية مؤلف من أفراد القبائل اليافعية ومنهم المرتزقة المجلوبون من جبل يافع ، ولكنهم يقاتلون عن السلطنة بأخلاص ومن المماليك الافريقيين الذين اشتراهم السلطان ، ومن بعض الهنود،

ويلقبون الرويلة والصنفان الأولان هم الاكثر ، ويبلغ عـدد الجنـد القميطي الدائمي حوالي ألف جندي وضابط ، والمماليك من ضمنهم يبلغون بضع مئات •

وجندالكثيري انما يتألف من المماليكالافريقيين وهم لايتجاوزون أربعمائة جندي ، وكانوا عند تأسيس السلطنة يعتمدون على قبائـل الشنافر ؛ وعلى المرتزقة من اشراف الجوف فهل تعجب معي لهـذا الشعب الحضرمي الذي لا يقل عدده عن ثلث مليون حين يسكت عن تهاون المسؤولين في هاتين السلطنتين اللتين لا يحميهما منه سوى هذه القوة الصغيرة ، تهاونهم بواجباتهم في تقديـم البلاد ورفع مستواها ، ولكن هذا هو الجهل ، وهكذا يكون حال كل شعب متخلف ، وقـد نظم الجند في السلطنتين كما نظمت المالية ، وغيرها من المصالـح الحكومية نوعا ما بواسطة الاشراف البريطاني المباشر على حضرموت كما سيأتي الكلام عنه •

الحماية والاستعمار :

بعد ان استولت بريطانيا على عدن منذ قرن وربع تقريبا تلفتت فيما بعد الى ربط جميع أمراء ومشائخ وسلاطين الجنوب باتفاقيـات معها متقاربة في الشكل ، ومتفقة في الهدف كل على حدة ، ومنهـم سلاطين حضرموت وغرض بريطانيا معروف مـن هذه الاتفاقيـات او المعاهدات التي ينقصها التكافؤ بين الطرفين المتعاقدين ، والتي تهدف بالنسبة لبريطانيا الى تأمين احتلالها واستعمارها لعدن وبالتالي لتأمين ما تؤديه لها عدن من ربط التموينات والمواصلات ، والقواعـد في امبراطوريتها الواسعة ، الارجاء وقتئذ فلا تسبقها اليهم دولة أخرى ، وتركت لهم الحبل على الغارب داخل اراضيهم التي تسمى بالمحميات ،

وحكام الجنوب ــ بدورهم ــ يهدفون الى الاطمئنان على مـا تحت أيديهم من ملك فلا يطردهم منه أحد ، لا من الابعدين ، ولا مـن الاقربين ، وقبض ما تنفحهم به من معاشات بسيطة او معونات خفيفة، وبذلك بقيت هذه المنطقة مبعثرة ، مقطعة الاوصال ، ينخر فيها سوس التخلف والانحطاط ، وحضرموت اوسع وابرز اماراتها ، وقـد ابرمت بريطانيا اول معاهدة حماية مع اكبر حكامها السلطان عوض بن عمـر القعيطي بواسطة حاكم عدن الجنرال «هوج» بتاريخ ٢١ جمادي الثانية سنة ١٣٠٥ هـ الموافق ١٣ فبراير سنة ١٨٨٨ لا تخرج عن نطاق معاهدات الحماية التي أبرمت مع من سبقه من حكام الجنوب .

ثم أعقبتها معاهدة ثانية بين السلطان غالب بن عوض القعيطـي وبين السلطانين منصور ومحسن ابني غالب الكثيريين كطرفين لاقامة صلح مؤبد بينهما ، وتعاون على الاصلاح ، ولتوسيع نفوذ القعيطي ، وحصر سلطة الكثيري في مدينتين وثلاث قرى ، وفيما شملته حـدود اربع قبائل هم الشنافر (١) وبين هؤلاء الحكام الثلاثة ، وبين بريطانيا كطرف ثاني أكدوا فيها حمايتها ، وأيدوا المعاهدات السابقة فيمـا بينها وبين القعيطي ، وصيغ هذا مع ما ضم اليه في احد عشر بندا ، وذلـك بتاريخ ١٣ شعبان سنة ١٣٣٦ هـ .

ثم تلتها معاهدة ثالثة بين كـل مـن السلطانين منفردا ، وبين بريطانيا يلتزم فيها كل منهما في معاهدة بقبول الاستشارة البريطانية فيما عدا الدين والعادات والتقاليد ، وهي معاهدة الاستشارة ، وامضيت مع القعيطي في اغسطس سنة ١٩٣٧ م ومع الكثيري سنة ١٩٣٩ م (٢)

---

(١) قد مر ذكرهم .

(٢) انظر هذه الاتفاقية في كتب التاريخ الحديثة المختصة بهـذه المقـاطعـة .

وهذه المعاهدات لم تتم الا بعد مواصلات ومراسلات ، وتمنعات ، وأخذ ورد من قبل الحكام والشعوب التي اختلفت آراء المتكلمين فيها ما بين ساخط على وقوع هذه المعاهدات رهبة من العواقب الوخيمة الناتجة عنها ، وما بين راض به رغبة في أمن شامل يقضي على ما مني به هذا القطر من الفتن الهوجاء والحروب القبلية والظلم الفظيع ، طبقا للمثل القائل (أرحْني ولو الى النار) وكأنهم يرون في هذا الامن فرصة لعمل ما يمكنهم ان يقوموا به من تقدم واصلاح •

الحكم الثنائي :

كانت النتيجة الطبيعية لما سقته من الحوادث ان تحكم البلاد حكما ثنائيا مزدوجا بين المستشار البريطاني وبين السلطان المحلي ومهمة الاول منهما في الدرجة الاولى تنفيذ تعليمات حكومته والمحافظة على ان لا تتصادم معها اي مصلحة أخرى ، كما ان مهمة الثاني ان يبقى حاكما رسميا للبلاد وان يراعي الانظمة العامة في سياستها ، وان ينال امتيازاته الشخصية والرسمية ، بدون ان يعترضه الاول فيها •

وبريطانيا ـ فيما يظهر ـ لا تكره ان يتم على يدها شيء من التقدم أو الانقاذ ، او الرفاه في هذه البلاد ما دام في مصلحتها او على الاقل لا يمس بمصلحتها ، وقد تجلى ذلك واضحا فيما قامت به أثناء الحرب العالمية الاخيرة من مكافحة المجاعة التي وقعت فيها البلاد ، فقد منيت بانقطاع الارساليات التي تعتمد عليها من الشرق الاقصى ملايا والدونيسيا ، وبالجفاف في أوديتها ومزارعها وآبارها من جراء انقطاع الامطار عنها لمدة ثلاث سنوات الى قلة وجود المواد الغذائية ، فمات عشرات الآلاف من ابنائها ضحايا هذه الثلاث ، وقامت بريطانيا بتقديم اسعافات منها ومن بعض الدول ، وفتحت مطابخ لاطعام الجائعين

وكانت الطائرات البريطانية ترمي بأكياس الذرة من السماء . ثم تؤخذ لتطبخ غذاء للسكان ، ومما تواتر ان بعض الطائرات نقلت من معركة العلمين الشهيرة لهذا الغرض الى غير ذلك من حسن الصنيع الذي قدمته في سبيل الانقاذ من المجاعة وبدافع انسانية محضة او مزيجة — على الاقل — بمصلحة اخرى — والاستعمار بشتى ألوانه كلها — بلاء لا يعدله بلاء ودور من أدوار حياة الكثير من الامم ، والمهم ان تعرف الشعوب المستعمرة — بفتح الميم — كيف تستفيد وتتخلص منه الى حياة افضل .

والسلطان هنا سواء كان القعيطي ام الكثيري ، لا تعترضه بريطانيا فيما لا تشمله المعاهدة ، ومعنى هذا ان له الحق في ان يخضع المحاكم الشرعية ، لنظام ، أو ضغط يريده ، وربما حصل ذلك في السنين الاخيرة فيما يشاع ان بريطانيا لم تتدخل ، او لا تريد ان تتدخل ، وهل يسرها ان يصبح القضاء الشرعي حرا ؟ وان تكون ميزانيته ضخمة بالنسبة لميزانيات الدوائر الاخرى ؟ وان يتقلد مناصبه قضاة نزهاء اكفاء ؟ كل هذا لم يحصل ، ولن يكون (١) والتطور في هذه المصلحة هو اكثر بطأ من أي تطور بطيء في الدوائر الاخرى مما سأسوقه لك .

التطور البطيء في هذا الدور :

قد سبق لي في الادوار الماضية حين اتكلم عن النواحي الاجتماعية اني أسلسل تاريخ البعض منها ، حتى انتهي الى هذا العصر ، وفيما

(١) لقد لمست بنفسي هذا بعد ما عينت قبل اكثر من خمسةعشر عاما عضوا في المجلس العالي ، بالسلطنة القعيطية ، ثم بعد ما عينت مفتيا شرعيا ، بالسلطنة الكثيرية — وقبلت — حبا للمشاركة في انقاذ ما يمكن انقاذه ، ولكنني اضطررت لتقديم استقالتي منها بعدما عرفت في كبار المسؤولين التساهل فيما يشرف مصلحة القضاء الشرعي ، ويعلي من شأنه بالنزاهة والكفاءة ، وتوسيع الاختصاص .

لم يتم فيه التسلسل هناك سأتكلم عنه تحت هذا العنوان .

والتطور في هذه البلاد امر حتمي بحكم التيار العالمي ، والعربي الشاملين ، الا أنه من المؤسف عندنا ان التطور في بعض المجـــالات الحيوية يمشي من سيء الى اسوأ فنحن بالنسبة له في تأخر فـــي التطور ، كالناحية الاقتصادية التي كانت في الماضي حسنة ، اذ كانت البلاد تعتمد على نفسها اقتصاديا في أقواتها ، وملابسها ، وفرشهـــا ، ولكنها في هذا الدور اصبحت تعتمد على مهاجرها ، كما أشرنا الـــى بعض ذلك فيما مضى ، فكان الحضرمي يجلب من الهند واندونيسيـــا وملايا وشرق افريقيا وغيرها فرشه وأثاثه فيستصحبه معه حين يعـــود من هجرته الى وطنه، واصبح الاعتماد كثيرا على الارز المجلوب مـــن الهند وبورما ، وانتشرت فكرة استثمار العقارات في المهاجر وفـــي مقدمتها اندونيسيا وملايا ، وكـــان الحضرمي يشتري له عددا مـــن العقارات (البيوت) للايجار الذي يرسل لـــه الى وطنه حضرموت ، ويعيش عليه فيها ويعيش أخوانه وابناء وطنه وتأسست شركات معروفة للوكالات لشراء وايجار العقارات والقيام بالارساليات الى حضرمـــوت طريق عدن ومن أشهرها بسنغافورا شركة الجنيد ، شركـــة السقاف ، شركة الكاف ، شركة بـــن يماني الكثيري ، شركة الحداد ، وشركات اخرى في مهاجر اخرى .

العاطلون بالوراثة :

وكان كثير من الحضارمة وبالاخص في مدن الداخل يهمه تأميـــن مستقبله ومستقبل ورثته بالعيش من الثروة العقارية المشار اليها حين يرسلها الوكلاء له الى الوطن الذي تضيق عليه فيه سبل العيش ويخيم فيه الحرمان من الامان الذي لم يستتب الا قريبا كما اشرنا اليه فيمـــا مضى : ومن أجل حب الوطن وتنشئة الاولاد وتعليمهم فيه وتعريفهم

لحياة علمية وتصوفية ، وعيشة رخيـة ، فضلوا طريقـة الاستثمـار العقاري ، وكأنهم يحيلون أنفسهم وورثتهم ـ بهذه الطريقة ـ على المعاش ، فنشأ فيما بعد جيل عاطل بالوراثة غير مستعد لتطبيق ما كان يرمي اليه اجداده ، من التفرغ لحياة الدراسة والعلم الا قليلا منهم .

وقد بلغت الثروة الحضرمية المجلوبة من الخارج ذروتها ـ ومعظمها من النقد ـ في أوائل وأواسط هذا القرن الرابع عشر الهجري والعشرين الميلادي ، فقد قدرت يوما ما بما لا يقل شهريا عن ربع مليون جنيه استرليني اكثرها من اندونيسيا وملايا حيث يوجد بهما مليونيرات حضارمة (١) ثم قل الوارد منهما فيما بعد الحرب العالمية الاخيرة لبروز أنظمة دولية معروفة تحدد وتقيد الصادرات والواردات ، الا ان مركزا الثقل الثرائي المجلوب تحول بعد الى المملكة السعودية والكويت حيث يوجد اليوم بالسعودية مليونيرات منهم كما كان يوجد بتلك من ذي قبل (٢) واذا كان هناك فائدة للمواطنين من أموال اولئك العاطلين بالوراثة فهي في تشغيل العمال ، والقيام بنزر يسير من المشاركة في المدارس الاهلية والمشاريع الخيرية ، وفي هذه السنوات الاخيرة بدأوا يشعرون بضرورة اقامة شركات مساهمة في مختلف المجالات ، ومن الواضح ان هذه البلاد بحاجة ملحة الى أن توجه الاموال فيها للمساهمة في المرافق الحيوية كالماء والكهرباء فلم تعرف حضرموت الكهرباء الا منذ ثلث قرن تقريبا بالمكلا حيث جلب لها السلطان مكينة

---

(١) تكلم محمد لطفي جمعه في كتابه حياة الشرق عن الحضارمه وثراهم في الشرق الاقصى بما فيه مبالغة ، واخطأ في كلامه عن الحضارمة من ناحية طبقية ، وقد ردت عليه بعض مجلاتهم ومنها مجلة النهضة الحضرمية بسنغافورا ونحن نشاركه فيما وصف به اغنياءنا من تقصيرهم في اداء واجبهم نحو مجتمعهم فقط .

(٢) وهؤلاء لم يمدوا وطنهم الا بغيض من فيض مما عندهم .

أنارت جزءا كبيرا منها ، ثم نظمت الانارة فيما بعد بطريقة فنية عصرية، ومع الاسف ان المدن الاخرى تعاني من حرمان الانارة بالكهرباء حتى سنة ١٣٧٥ هـ حين أسس بمدينة سيؤن سالم باحبيشي شركة الكهرباء الحضرمية المحدودة وتغلب على العقبات التي تعترض سبيله ، وتلتها شركة كهرباء الشحر ، فشركة كهرباء تريم وشبام ، وغيرها .

وكانت اول شركة لجلب مياه الشرب بحضرموت هي شركة شبام تأسست سنة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٢ م وتلتها شركة المياه الوطنية المحدودة بتريم (١) (٢) وفي هذه السنوات ، القليلة الماضية بدأت حضرموت

---

(١) شركة المياه الوطنية اخذت منها صورة تجريبية مباشرة عن عقليات ونزعات المستهلكين والمسؤولين الحكوميين ، بحكم كوني احد مؤسسيها ، واول رئيس منتخب لها ، فقد كان الاولون يذرفون الدموع من جراء ما يلقون من قلة مياه الشرب ، ومن تحكم السقائين فيهم فكان ذلك اهم الدوافع ، لتأسيسها ، وما ان تأسست الشركة باسهم عامة للجميع ، وما ان بدا يتمتع الاهالي بمياه شربها العذبة الصحية حتى بدا المستهلكون المشار اليهم يطالبون بتخفيض التسعيرة التي هي اقل باضعاف من اجر السقائين وبالحد الضروري لاستمرار الشركة . وكان فريق منهم يملكون آبارا على سفوح جبال المدينة ، قاموا من قبل بعرقلة لاقامة هذه الشركة ، وغرضهم الاحتذاء يسيون في وضع رفاعات على آبارهم المبعثرة في المدينة ليبيعوا مياهها على جيرانهم بدون ضمان صحي ولا فني ، ولا اقتصادي ، مما يوجد في الشركات العامة ، والى جانب كل المعارضين مسؤولين في الحكومة المحلية يشجعونهم على احداث ضجة، وتقديم عرائض ، واستفتاءات لتحقيق اغراضهم ، ولكن ادارة الشركة صمدت ، واستقرت وتغلبت على هذه العوائق ، لانها مشروع وطني حيوي عادل ، ويوجد في اظابيرها وفي ملفات الحكومة المحلية ما فيه التفصيل ، والشرح الطويل لما ذكرته ، واخيرا اصبح الكل شاكرين بعد ما كانوا شاكين ، مما لا يشتكي منه .

(٢) وقبل عامين قام عبدالله بلاذان بجلب مياه الشرب مجانا على حسابه الخاص الى عدة من بلاد وادي دوعن (الايمن) وهو مشروع كبير بالنسبة لهذه البلاد ، وليس على المواطنين سوى دفع مقابل الصيانة .

تحتذي بالبلاد الاخرى في اقامة الفنادق ، وفي جلب سيارات الكـرى (تيكسي) وفي فتح الدكاكين الكبيرة الفخمة ، وفي بناية مساكن للايجار ، وفي جلب مصانع للثلج ، ومطاحن ، وبناء مخابز ، ومقاهي ، وورشات ومكائن للنجارة والصياغة والطباعة ، ومصانع صغيرة لقطع الغيار وهكذا تدخل حضرموت في العهد الميكانيكي في هذا العقد بينما دخل غيرها فيه قبل عدد من القرون ، وفتح فرعان للبنك الشرقي المحدود احدهما بالمكلا ثم الاخر بسيؤن ، ومركزه بلندن .

المواصلات :

والتطور في المواصلات بدا بشق طريقين للسيارات بين الساحل والداخل احداهما شرقية ، وتسمى طريق الكاف لان القائم الاول فيها السيد ابو بكر بن شيخ الكاف ، ومجمل التكاليف من خيرات ابيه، وتبرعات اسرته ، ومن تبرعات آخرين من أثرياء الداخل (١) وكان مهندسوها من الخبراء المحليين وكبيرهم عبيد عوض باعديل ، ولم يتم فتحها سنة ١٣٥٧ هـ الا بعد عناء ومشقة واتعاب وتغلب على العقبات الحسية والعقبات المعنوية ، وهي تدخل القبائل المسلحة التي تمر الطريق بمثاويها ، والتـي تعيش على أجر النقل ما بين الساحل والداخل وتم الاتفاق معهم في النهاية على ان لا تحمل السيارات سوى الركاب المسافرين والشيء الخفيف وزنا مما لا يهم ارباب الجمال تحميله ، وتدرج التوسع في اختصاص السيارات الناقلة بين الساحل والداخل

---

(١) انظر تبرعاتهم في مجلة الاخاء وقبل سنوات انتشر الخبر بان الحكومة البريطانية اشترت طريق الكاف من السيد ابي بكر بن شيخ الكاف بمبلغ ٢٠٠٠٠ من الشلنات واسمتها طريق الملكه واذا صح هذا فلا ندري من ايهما نعجب وعليه نغضب اكثر امن البائع الذي باع ما لا يملك ام من المشتري الذي اشترى ما لا يصح شراؤه وقد نشرت هذا النبأ جريدة فتاة الجزيرة وغيرها وكما عرفه الكثير .

بعد ضمان تجار الداخل للبادية بما شغل جمالهم ، من حمولة مواد الغذاء والبناء ، وكان لحمول الجمال اثر على اقتصاد الداخل ، وارتفاع وانخفاض الاسعار فيه لان تسعيرة حمولة السيارات اقل ، ولم تزل المشكلة قائمة حول هذا الوضع الى اليوم ، ولم تستطع ان تحلها الحكومات المحلية ولا الحكومة الحامية ، ومثل هذا يجري في الطريق القبلية (الغربية) التي تبتدىء من الداخل بدوعن وتنتهي الى الساحل بالمكلا وبالعكس وقد شقتها السلطنة القعيطية .

ومهد مطار الريان اثناء الحرب العالمية الاخيرة ثم مطار القطن بعدها ثم مطار الغرف بعد نزاع واخذ ورد بين السلطنتين على فتحه ، وشقت طرق بين المدائن والقرى ، واصبح لذلك اثر في تقريب المسافات والتعارف بين أبناء الشعب الواحد والتدرج في محو اختلاف اللهجات والمصطلحات اللغوية الدارجة بينهم ، ومما يؤسف له عدم وجود طريق مسلفت في هذه البلاد .

التربية والتعلم والثقافة العامة :

وقد وصفت لك الوضع في الدور القبلي الماضي ، وهو الذي ادى فيما أدى اليه ، الى اخماد شعلة العلم والتربية والثقافة العامة بهذا القطر ، وكذلك في مستهل هذا الدور ، ولكن بدأت نهضة تعليمية أهلية لا بأس بها بالنسبة لما سلف في طليعة هذا القرن الرابع عشر .

ويمكن تقسيم تاريخ التعليم الاهلي بحضرموت في هذا القرن الرابع عشر الهجري الى دورين .

الدور الاول من ابتداء هذا القرن الى نشوب الحرب العالمية الاخيرة سنة ١٩٣٩ م ، و سنة ١٣٥٨ هـ ، والدور الثاني من بعد الحرب العالمية الاخيرة الى اليوم .

وسنبدأ بالدور الاول حين اشرق هذا القرن بفجر نهضة تعليمية أهلية شملت فيما بعد جميع مدن القطر الحضرمي ، وامتدت الى قراه وكثير من أوديته ، وبواديه ، فكانت كل مدينة وكل قريـة ظاهرة لا تخلو عن معهد للعلم من رباط او مدرسة او كتاب ــ بضم الكاف ــ وقد يوجد في بعضها كل هذه الانواع كتريم وسيؤن ويلاحظ انـه ينقص معاهده النظام الدقيق كما أنه لا يتجاوز المراحل المتوسطة الا في المعاهد الشرعية وهي مختصة بتدريس العلوم الشرعية وآلاتهـا كالاربطة فهي تصل الى مستوى عال لا يقل عن مستوى الازهرالشريف بالقاهرة ، ولا يقل خريجوها عن خريجيه من العلمـاء الشرعيين ، ولا نغالي اذا قلنا ان كثيرا من خريجي المعاهد الشرعية الحضرمية يفوقون علماء الازهر في فقه الشافعي ، والتاريخ الاسلامي ، وفي فني النحو والصرف وهي الفنون التي كثيرا ما يتخصص فيها علماء حضرموت في المهد الاخير بينما كان الاقدمون منهم يتوسعون في العلوم الشرعية ، والعقلية والعربية الى درجة عالية جدا يتساوون فيها مع أخوانهم مـن نوابغ الاقطار العربية والاسلامية الاخرى، الا ان روح الصوفية الفلسفية جعلتهم ينكرون ذواتهم ولا يهتمون بالدعاية ولا بالاعلان عن علومهم ومعارفهم، وتجد كتب التواريخ مشحونة بتراجم العديدين منهم كتاريخ ابي مخرمه ، والمشرع ، والغرر ، والبرد النعيم ، وصلة الاهل وغيرهـا رحمهم الله وبل ثرى اضرحتهم .

وأقدم رباط تأسس في العهد الاخير هو رباط العلامة الداعية علي ابن محمد الحبشي بسيؤن . والرباط هو كلية او مدرسة داخلية يدرس فيها الطالب ليل نهار ، ويتناول غالبا طعامه وشرابه فيها وعلى حسابها .

ويليه في التأسيس رباط تريم الشهير ــ أزهر حضرموت ــ وذلك سنة ١٣٠٤ هـ ، وقد تخرج منه ألوف من العلماء والطلاب بحضرموت واليمن وعدن والولايات الغربية . وهي ما كان يسمى بالمحميات الغربية

وصوماليا ، وزنجبار ، وملايا ، واندونيسيا وغيرها واكثرهم على يد شيخه الكبير العلامة عبدالله عمر الشاطري الذي مكث يدرس فيه ويدير تعليمه نصف قرن من الزمن مجانا ومخلصا لوجه الله الكريم(١) .

ثم انشيء رباط الغيل (غيل باوزير) بفضل الشيخ العلامة الكبير محمد بن عمر بن سلم حوالي سنة ١٣٢١ هـ وقد تخرج منه علماء وفقهاء ووعاظ ، وهكذا تواتر افتتاح الاربطة فظهر رباط قيدون ، فرباط عينات ، وقد قلنا عن هذه الاربطة انها تؤدي رسالة العلوم الشرعية ، والعربية ، الا أنها ضعفت فيما بعد ـ بضعف حركة التعليم الاهلي كله كما يأتي . ـ

المدارس

واما المدارس فمن اقدمها ـ في هذا العهد ـ مدرسة جمعية الحق بتريم وقد تأسست سنة ١٣٣٤ هـ ودرس فيها علماء من أقدر علماء الداخل ومشاهيرهم ، واستقدم الاستاذ المرحوم محمد بن هاشم من الخارج سنة ١٣٤٦ هـ ليتولى نظارة التعليم فيها وتوجيهه فمشى به أشواطا بعيدة ، وزاد بعض مواده وتوقفت بعد ١٧ عاما من تأسيسها لاسباب اكثرها اقتصادية وحلت محلها فيما بعد مدرسة الكاف .

اما مدرسة جمعية الاخوة والمعاونة بتريم فهي اول مدرسة أهلية أسست على الانظمة الحديثة واخذت بها في مرحلتي التعليم الابتدائي للجنسين والمتوسط للبنين بحيث اصبح المتخرج منها يقبل في مدارس

---

(١) من ابرز علماء الاسلام الموجودين اليوم والمتخرجين من رباط تريم على يد شيخه المشار اليه فضيلة الشيخ محمد بن سالم البيحاني. ثم عاود دراسته في الازهر الشريف .

البلاد العربية الاخرى ، وتعتبر شهادتها ايضا بالنسبة للمتوظف وغيره لمن أراد الحصول على عمل من طلبتها العديدين ، ولا تزال مستمرة الى اليوم صامدة في وجه اعاصير الزمن تؤدي رسالتها التعليمية، والثقافية وانضمت اليها مدرسة الكاف قبل سنوات ، ولكن مع الاسف لم تلق التشجيع اللازم من الحكومة ولا من الاهالي (١) .

وبسيؤن مدارس النهضة الشهيرة ولا تزال باقية تقوم بمهمة التعليم وبدات تتطور بتطور الزمن ، الا ان نصيبها لا يقل عن نصيب اختها مدرسة الاخوة من تقصير الاهالي والحكومة عن تشجيعها .

وقد افتتحت في كل من شبام ، وقسم ، والقطن ، وحريضة ،

---

(١) كان الاعلان عن تأسيس هذه الجمعية سنة ١٣٥٢ هـ ولعلها اطول الهيئات الحضرمية الحاضرة عمرا واوسعها خدمة في المجالات الثقافية والتوعية الاسلامية والوطنية الى اعمال اقتصادية عامة ، فقد قام رجالها ومعظمهم من الشباب بفتح المدارس وتاليف المناهج والكتب المدرسية واصدار بعض المجلات والصحف ، وارسال البعثات الطلابية الى الخارج ، وتسيير البعوث الى البوادي لنشر الوعي الاسلامي والوطني بها ، وكتابة رحلات مفيدة عنها بدون ان يتقاضوا على ذلك اجرا ، وبتأسيس فروع لها واندية ادبية ورياضية تحت اشرافها وبارسال وفودها الى بعض البلاد العربية حيث قابلوا رؤساء دولها ــ ومنهم عبد الناصر وسعود بجدهـ وبتأسيس شركة المعاونة وبقرض الزراع وبالاشتراك في الحركات التحررية الوطنية ، وتخرج من مدارسها وبعثاتها كثير من الشباب وفيهم شباب طليعي طموح ، ولاقت عند تأسيسها معارضة من شيوخ واعيان جامدين ومن بعض الحكام ومن المستشارية البريطانية ، ولكنها تغلبت على الصعوبات ومشت قدما ، ثم اصطدمت مرارا بظروف قاسية مادية وادبية ارغمتها على اختصار اعمالها : والاحتفاظ بمدرستها وكاد يكون غيرها مجمدا ، وما ذكرته عن ايام تاريخها قد عشته وشاهدته اذ تشرفت بتأسيسها وبانتخابي لراستها الدائمية التي اعتذرت عنها فيما بعد ، انظر الكتاب الصادر عنها المحرر سنة ١٣٦٨ هـ الى ما جاء عنها في عدد من التواريخ الحضرمية الحديثة مما لا نجده عن غيرها من الهيئات .

وجفل ، وسيون والهجرين ، وعينات ، وحوطة احمد بن زين ، والغرفة وهينن ، والخريبه وصبيخ مدارس واشباه مدارس ، وفي كل من قرى تاربه ، وبور ، والحزم ، والريضه وثبي ، افتتحت ما تسمى بالمدارس العيدروسية يموتها ال العيدروس من اندونيسيا ، ومدارس جمعية الفضائل التي قامت مقامها مدارس الكاف الصغرى بحارات تريم ، ويوجد في غير ما ذكرناه مدارس من هذا القبيل لا يتسع المجال لذكرها كلها وكشاهد على انتشار المدارس نرى وجوب الاشارة الى مدرسة ريدة المعارة التي كان يديرها السيد المرحوم محمد عبدالله المديحج تحت اشراف جمعية الاخوة والمعاونة .

وفي مدن الساحل انشئت في العهد المشار اليه مدارس من ابرزها مدرسة الفلاح بالمكلا التي يديرها السيد الدباغ الذي فر من الحجاز بعد حرب آل سعود والاشراف ، ولعلها تلقى مساعدة من السلطان القعيطي انذاك ، ومدرسة مديحج يرجع الفضل في تأسيسه بالشحر للسيد علوي المشهور ثم علوي المديحج وقد تخرج منها كثير ممن تولى فيما بعد الوظائف الحكومية والاهلية .

ومنها مدرسة السادة ال شيخان بالمكلا ، وهي لا تزال موجودة الى اليوم ، وافتتح معهد صغير بالمكلا منذ اكثر من أربعين عاما لتعليم اللغة الانكليزية ، على يد معلم هندي يقال له المستر ابراهيم وهو اول معهد بحضرموت درست فيه هذه اللغة وربما شجعته الحكومة المحلية ولكن لم يدم طويلا .

الكتاتيب :

والكتاتيب هي كما قلنا جمع كتاب ، وتشبه في كثير من الوجوه الكتاتيب التي كانت موجودة في الضواحي ، والارياف المصرية والتي

وصفها الدكتور طه حسن في روايته الشهيرة ـ الايام ـ وتقتصر مهمتها عندنا بحضرموت على تعليم القراءة ، والكتابة والسبادات وختم القران ، وحفظ بعض السور ، ولا تكاد تخلو عنها رقعة معمورة بحضرموت ومما يستحق الذكر ان بعض تلك الكتاتيب لا تزال مستمرة منذ مئات السنين الى اليوم ككتاب ـ باغريب ـ المسمى علمة ـ باغريب ـ بتريم ، وقد انشىء في القرن التاسع ، وكتاب باحرمي ـ علمة باحرمي ـ الذي انشىء في القرن التاسع ايضا ، ولا يزالان موجودين بتريم يزاول معلموهما مهمتهما مجانا لوجه الله الكريم ، الا انهما بحاجة الى ان ياخذا بالطرق العصرية السهلة ، والى ان تتكون من كل منهما مدرسة ابتدائية منظمة يتناول اساتذتها رواتبهم شهريا ومن الظلم وهضم الحقوق ان يترك هذان الاثران العظيمان في زاوية الاهمال او اللامبالاة (١) .

والى جانب هذه المدارس والكتاتيب الخاصة بالبنين توجد اخوات لها لتعليم الجنس الاخر وهي وان كانت قليلة الا انها تدل على الاهتمام بتعليم البنت ورفع مستوى المرأة واعدادها للقيام بنصيبها في تربية الناشئة ، وخدمة الوطن بعدما كانت في السابق تلقن درسها داخل بيت ابيها الا فيما ندر ، ولعل ارقى مدرسة حضرمية في هذا الدور هي مدرسة جمعية الاخوة والمعاونة بتريم ، فقد فتحتها منذ اكثر من ربع قرن وسنت لها منهجا غايته تخريج بنات يقمن بتنظيم المنزل واعداد ميزانية منظمة له ، وتطريز وخياطة الاثواب ، وتربية الاطفال واسعاد الزوج ، الى جانب المعلومات الاخرى ، وقد آتت هذه المدرسة ثمرتها وتخرج منها كثير من البنات اللواتي اصبحن فيما بعد امهات

---

(١) قد تكلمت عنهما ايضا في مناسبة اخرى في اول دور من هذا الجزء في المتن وفي التعليق .

وربات بيوت في مستوى عالي ، الا أن المدرسة ــ توقفت فيما بعد ــ مع الاسف ــ للاسباب الاتية فيما بعد •

اما الدور الثاني وهو من الحرب العالمية الاخيرة الى اليوم ، فيتجلى فيه ضعف الحركة التعليمية الاهلية وانكماشها فالمدارس وأشباه المدارس التي استعرضناها لا تخلو عن احد امرين • ــ احلاهما مر فاما ان تغلق ابوابها وتصبح في عالم العدم ، او تبقى لا هي حية فترجى ، ولا ميتة فتنعى وتعيش على فتات المساعدات التي تتلقاها من بعض المحسنين ، او من الحكومات المحلية التي تأبى الا ان تكون اعانتها ــ على ضآلتها ــ مشروطة ببعض الشروط التي تشعر أرباب المدارس بثقل وطأتها وانها معرضة للانقطاع عند ادنى مخالفة للشروط التي اضطرتهم ظروفهم لقبولها ، بل ان بعض تلك المدارس الاهلية اصبح في عداد المدارس الحكومية ، بقدر ما تقص من المدارس الاهلية•

ومرجع ضعف الحركة التعليمية الاهلية يعود الى عدة عوامل اكثرها اقتصادية ، فقد تأثر الحضارمة في مهاجرهم بما احدثته الحرب العالمية الاخيرة من تغيير مفاجيء للحياة الاقتصادية في العالم كله ، فقلت الحاصلات الفردية وزادت القيود التجارية ، ويبدو ذلك التأثر في البلاد التي هي عالة على غيرها في اقتصادياتها ــ كحضرموت ــ بشكل واضح على انه لا بد ان نقول من اجل التاريخ والحقيقة وان كانت مرة لا بد ان نقول ان الحضرمي ان انفق شيئا في سبيل التعليم الذي ازدهر في الدور الماضي فانما انفقه حين رأى المال فائضا في يده ، بحيث لا ينقصه ذلك القدر الضئيل الذي انفقه ، ولا يعد شيئا يذكر بالنسبة للمبالغ الضخمة التي ينفقها في سبيل عاداته وملذاته •

ولهذا لما تأسس التعليم الحكومي بحضرموت منذ ربع قرن ، واستقدم الشيخ القدال من السودان استطاع بفضل الامكانيات التي

في يده أن يخطو بالتعليم الحكومي ، ويسبق به التعليم الاهلي، ووجد الميدان مفتوحا امامه فلم يزحمه التعليم الاهلي (١) بل برز التعليم الحكومي في الميدان ، ورصدت له ميزانيته ، وأسست له دائرته ووضعت له برامجه ومخططاته وارسلت بعثاته الى الخارج ، واستقدم مسلمون ، معظمهم من السودان حتى اصبح يساير التيار التعليمي في البلاد الاخرى ، وهو لا يزال تحت الاشراف البريطاني ، الا ان وطأته تخف تدريجيا والتربية والتعليم على عمومهما عندنا ، وعند غيرنا بحاجة الى بذل تضحيات ، وجهود جبارة للرفع من مستواهما خلقيا واجتماعيا ، والناشئة محرومة من التربية الكافية في البيت وفي المدرسة ، وفي المجتمع ، والاهتمام من المسؤولين المخلصين في العالم كله مبذول لتحقيق هذا الغرض ، وربما وفقوا في مهمتهم او في جزء منها على الاقل .

واليك آخر الاحصائيات عنهما في السلطنتين بالنسبة لكم وهو كم قليل يرجى ان يزيد ليفي بحاجة البلاد :

(١) مأخوذ من محاضرة لي تحت عنوان : التعليم الاهلي بحضرموت .

احصاء لعدد التلاميذ والمدرسين بحسب الجنس في كل المراحل التعليمية بالمنطقة الكثيرية

المرحلة	٦١/١٩٦٢				٦٢/١٩٦٣				٦٣/١٩٦٤				٦٤/١٩٦٥				٦٥/١٩٦٦			
	المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ		المدرسون		التلاميذ	
	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ	إ	ذ
الابتدائي الحكومي	٣	١٣	١٣٧	٥١١	٣	١٦	١٥٦	٦٧٢	٥	٢٤	١٦٨	٨٤٦	٥	٢٤	١٦٨	٨٧٨	٨	٣٨	٢٨٩	١٢١١
الابتدائي المعان	—	٥٣	٣٦٢	١٣٥٥	—	٥٣	٣٨٠	١٤١٠	—	٦١	٢٤٩	١٨٤٥	—	٦٥	٢٦٠	٢٠٣٣	٤	٦٠	٣١٧	٢٠٣٥
المجموع	٣	٦٦	٤٩٩	١٨٦٦	٣	٦٩	٥٣٦	٢٠٨٢	٥	٨٥	٥١٧	٢٦٩١	٥	٨٩	٤٢٨	٢٩١١	١٢	٩٨	٦٠٦	٣٢٤٦
المتوسط الحكومي	—	٧	—	١٧٦	—	٦	—	٢١٢	—	١٠	—	٢٣٤	—	١٦	—	٢٣٥	—	٢١	—	٤٣٩
المتوسط المعان	—	—	—	—	—	١	—	٢٧	—	٣	—	٦٤	—	٢	—	٥١	—	٥	—	٩٣
المجموع	—	٧	—	١٧٦	—	٧	—	٢٣٩	—	١٣	—	٢٩٨	—	١٩	—	٢٨٦	—	٢٦	—	٥٣٢
التعليم الثانوي	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	٢	—	٤٠
المجموع العام	٣	٧٣	٤٩٩	٢٠٤٢	٣	٧٦	٥٣٦	٢٣٢١	٥	٩٨	٥١٧	٢٩٨٩	٥	١٠٨	٤٢٨	٣٢٩٧	١٢	١٢٧	٦٠٦	٣٨١٨

هذا الاحصاء مأخوذ من التقرير الذي اصدرته مصلحة معارف سيؤن ، ويصرف على المدارس الوسطى من مال التحسين ، وعلى الثانوية منه ومن اشتراك السلطنتين ،
يستحق الذكر ان تدريس المواد فيها باللغة العربية ما عدا اللغة الانكليزية ، كما هو معلوم .

احصاء عام بعدد الطلبة والطالبات بالمرحلة الابتدائية لعام ٦٥ / ٦٦م المنطقة القعيطية

اللواء	عدد المدارس		عدد الطلبة بكل فصل								المجموع	
			اولى		ثانية		ثالثة		رابعة			
	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات
لواء المكلا	١٨	٦	١٠٤١	٤٥٨	٩٧٢	٣٢٧	٨٧٨	٢٨٥	٦٣٨	٢١٥	٣٥٢٩	١٢٨٥
لواء الشحر	١٦	٢	٦٥٣	٢١٣	٧١٥	١٧٣	٥٢٥	١٢٧	٣٤١	٠٩١	٢٢٤٤	٠٦٠٤
لواء شبام	١٣	١	٥٠٥	——	٢٤٢	٠٣٢	٣٠٥	— —	٢٧٧	٠٢٢	١٤٢٩	٠٠٥٤
لواء دوعن	٢٢	١	٨٦٣	——	٤٣٢	——	٣٥٩	——	١٤٩	٠٢٠	١٨٠٣	٠٠٣٠
اللواء الغربي	١١	——	٣٣٤	——	٢٨٢	——	١٣٥	——	٠٦٠	——	٠٨١١	——
لواء حجر	٠٦	——	١٩٠	——	٩٢	——	١٥٤	——	——	——	٠٤٣٦	——
المدارس الأهلية بكل الألوية	٠٥	٠٢	١٤٩	١٣٢	١٧٧	٠٤٧	٠٢٩	٠٤٦	١٥٢	٠٤٢	٠٥٠٧	٠٢٦٧
المجموع	٩١	١٢	٣٧٢٥	٨٠٣	٣٠١٢	٥٧٩	٢٣٦٥	٤٥٨	١٦١٧	٤٠٠	١٠٧٥٩	٢٢٤٠

احصاء يوضح عدد المدارس المتوسطة بكل لواء وعدد طلبتها وطالباتها للعام ٦٦/٦٥م . بالقطاع القعيطي

اللواء	عدد المدارس		عدد الطلبة بكل فصل								المجموع	
			أولى		ثانية		ثالثة		رابعة			
	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات
لواء المكلا	٤	١	٥٠٠	٩٥	٢٩٣	٣٧	٢٣٤	—	١٤٨	١٨	١١٧٥	١٥٠
لواء الشحر	٣	١	٢٠١	٧٣	١٩٧	—	١٤٤	—	١٠٩	—	٦٥١	٠٧٣
لواء حجر	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—	—
لواء شبام	٤	—	٢٠٥	—	٨٢	—	٨٧	—	٤٨	—	٤٢٢	—
لواء دوعن	٢	—	٨١	—	٤٤	—	٣١	—	٣٢	—	١٨٨	—
اللواء الغربي	٢	—	٦٢	—	٢٧	—	٤٠	—	—	—	١٢٩	—
المجموع	١٥	٢	١٠٤٩	١٦٨	٦٤٣	٣٧	٥٣٦	—	٣٣٧	١٨	٢٥٦٥	٢٢٣

احصاء تفصيلي عن التعليم الثانوي بمدرسة المكلا الثانوية لعام ٦٥/٦٦ م

اسم المدرسة	عدد الطلبة بكل فصل				المجموع	عدد الشعب بكل فصل				المجموع	عدد المعلمين
	اولى	ثانية	ثالثة	رابعة		اولى	ثانية	ثالثة	رابعة		
المدرسة الثانوية بالمكلا	٨٠	٣٥	٦٥	٢٨	٢٠٩	٢	١	٢	١	٦	١٣ (١)

(١) هـذه الجداول الثلاثـة الماضية ماخوذة من الاحصاء التربوي الذي اصدرته مصلحة المعارف القعيطية لسنة ٦٥ / ٦٦ م ، مـع العلم انها توجد معلامات وكتاتيب ومعاهد دينية اهلية لم تسجل هنا تقارب في عدد طلبتها المدارس الحكومية الابتدائية الا انها بحاجة ملحة الى ادخال انظمة وتحسينات جديدة مفيدة عليهـا ، وكل هذه المدارس الحكومية والاهلية لا تقوم الا بالشيء القليل من حاجة المواطنين الى العلم والمعرفة،ولا يفوتني أن اشير الى عدم وجود المدارس الصناعية والهندسية ولكن الحضرمي مفتح الذهن ، ولهذا يوجد فيهم مهندسون ، وصناع بالتجارب والذكاء لا يقلون عن مستوى المتعلمين فكيف لو تعلموا ؟ .

الصحافة :

وعرفت حضرموت الصحافة قبل اكثر من نصف قرن ، ولكنهـا تصدر خطية كحضرموت ، في تريم ، وعكاظ في سيون يصدر الاولى شيخ بن هاشم ، والثانية عبدالله بن احمد بن يحيي العلوي ، والتهذيب يصدرها علي احمد باكثير ، وغيرها ، ثم صدرت قبل ربع قرن جريدة المثير (١) بالمكلا يصدرها يسلم بن عبده ، ومجلة الاخاء ، ويصدرها جمعية الاخوة والمعاونة بتريم وهذه الصحف وكثير غيرها احتجبت او تعطلت الى ان صدرت قريبا بعض الصحف مطبوعة من المكلا العاصمة القعيطية ، ومما يلاحظ انه لا يعرف قانون للصحافة لحفظ اعراض وكرامة المواطنين حتى لا يستغل الصحفي صحيفته في ارضاء عاطفته ، وربما تفث بما في جوفه من ضغينة سما دعافا على ورقته بدون أن يخشى الجزاء والصحف القريبة بالمكلا هي الطليعة ، والرائد ، والراي العام ، والاولى لاحمد باوزير ، والثانية لحسين البار ، والثالثة لعلي بافقيه . والاقبال على الصحف قليل ، لعدة اسباب معروفة . وبدأ تأسيس الاندية الادبية والرياضية منذ خمسين عاما تقريبا .

الحركة الادبية :

ونجد من ابناء حضرموت بالنسبة للحركة الادبية من يزاحم ادباء البلاد العربية ، الاخرى ، واول حامل لواء النهضة الادبية الحديثة في الشعر والادب والتأليف بحضرموت ، ومجدد شبابها ، هو العلامة المرحوم ابو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب المتوفي سنة ١٣٤١ هـ وله

---

(١) بالباء الموحدة . وحضرموت تريم غير حضرموت اندونيسيا وقد أصدرها الاستاذ محمد بن هاشم ثم عيدروس المشهور هنالك .

رحلات واتصالات برجال العلم والادب والسياسة ، والدين في العالمين العربي والاسلامي ، وله العديد من المصنفات في علوم وفنون شتــى . والاشعار الكثيرة البليغة ، ومنها ما جمع في ديوانه المطبوع ، وقد رفع بإنتاجه هذا الادب ، والشعر بحضرموت ، عما كان عليه سابقا الـــى المستوى الذي جارى به النهضة الحديثة ، وطور بها الادب الحضرمي تطويرا عصريا ، وستأتي ترجمته .

وجاء بعده ممن نسج على منواله ، واجاد كثيرون مــن رجــال التأليف ، والصحافة والادب والشعر ، كالاستاذين الكبيرين احمد بــن عبدالله السقاف ، ومحمد بن هاشم ، وكالشيخ العلامة محمد عــوض بافضل ، والعلامة ابن عبيدالله السقاف ، وكل منهم توفي في العقــــد السابق ، ونبغ بعدهم ممن لا يزال على قيد الحياه اخرون ، لهم انتــاج فكري ومؤلفات ادبية ودواوين شعرية كالاستاذ الكبير علي بن احمد باكثير الروائي الشهير الذي تلقى علومه اول ما تلقاها بحضرموت ، ثم هاجرالى مصر حيث استزاد بها من المعلومات الثقافية والفنون الادبية وتجنس بالجنسية المصريةواصبح فيطليعةكتابها، والروائيينبها، وكالاستاذ صالح بن علي الحامد صاحب الدواوين الشعرية الشهيرة ، بالجودة في المعنى والبلاغة ، والسلاسة في الاسلوب الى كتــاب اقوياء اخريــــن ، كالاستاذ محمد عبد القادر بامطرف وغيره .

واذا طالعت كتاب (تاريخ الشعراء الحضرميين) للسيد عبدالله بــن محمد بن حامد السقاف ويقع في ستة اجزاء كلها مطبوعة ، الا الجــزء السادس اذا طالعت هذا الكتاب تجد فيه كبــار شعراء الحضارمة فــي هذه الحقبة وفي ما قبلها ، ومع ما في الكتاب من اخطاء جزئية ووضــع من ليس بشاعر على حساب الشعراء ، واغفال لافراد منهم ــ مع هــذا كله ، فان الكتاب قيم في بابه ، وبه يعرف خصب هذه البلاد بالشعــراء

القديمين والحديثين ، ولا تزال تنتج الادباء والشعراء ، والكتاب شأنها شأن غيرها من البلاد الاخرى •

وكانت تجري مسابقات ادبية واكثرها شعرية بتريم وسيون في العقدين الخامس والسادس من هذا القرن تؤلف لها لجان التحكيم ، وتوزع جوائز على الفائزين في كل بضعة أشهر تتبرع بها حينا ، جمعية الاخوة والمعاونة واحيانا بعض المشجعين من انصار العلم والادب (١) وكانت كل من تريم وسيون مركز الثقل في العلم والادب فيما قبل الحرب العالمية الاخيرة ، ولكن لم تعد لهما كل هذه المركزية فيما بعده •

الزراعة :

والزراعة بواسطة الالات الحديثة (المكائن) عرفتها حضرموت قبل

---

(١) كالسيدين حسن بن عبدالله الكاف وعبد الرحمن بن شيخ الكاف ، ومن اطرف المسابقات التي شهدتها المسابقة المعلن عنها سنة ١٣٥١ هـ وموضوعها (الامن بحضرموت) في قصيدة لا تزيد عن خمسة عشر بيتا ، وعلى نسق قصيدة المتنبي التي مطلعها :

حسم الصلح ما اشتهته الاعادي واذاعته السن الحساد

وزنا وقافية ورويا ، وذلك وقتما نزحت اسرة الكاف الثرية من تريم الى سيون لسوء تفاهم بينها وبين سلاطين تريم ابناء محسن بن غالب الكثيري،او بالاحرى بينها وبين مماليكهم ، ومراعاة لجانب السلاطين احجم شعراء تريم عن المشاركة في المسابقة غيري ، وفزت باحدى الجوائز وقصيدتي موجودة في ديواني صفحة ٥٨ وفاز السيد العلامة الشاعر محمد بن شيخ المساوي (بضم الميم وفتح الواو) بجائزة ، ومما جاء في قصيدته الفائزة قوله :

لم يرعني بعد الخليط ولم يبـ	ـعث شجوني ربع عفته الغوادي
انما اوقد الهموم بقلبي	ما ارى من نوائب في بلادي
وطن بائس يئن من الفو	ضى ، وجبن الحماة والقواد
كلما هب مصلح قام سدا	في سبيل الاصلاح رهط الفساد

خمسين عاما اذ وردت بعض المكائن الزراعية الى الداخل ، وكان اول مورد لها السيد عبدالله خنيمان ، وكانت تلك الماكينة ـ فيما اشتهر عنها ـ تشتغل بواسطة محركات الهواء على الريح ، وقد وضعها في محل معروف بمهب الرياح فيه ، في احدى ضواحي تريم ، وكانت موضع فرحة الجماهير ، وموضوع اغانيهم ، وتلتها افواج من المكائن المتنوعة الصنع تباعا ، واخيرا ، وفي ايام المجاعة ، واثناء الحرب العالمية الاخيرة . وفيما بعدها تأسس مشروع المكائن الضخم الزراعي ، وقد اشرنا الى شيء مما تعلق به في اوائل الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وجرى بحث عن المياه الجوفية ، لم تظهر نتيجته بعد ، واسست ادارة خاصة بالزراعة ، وتجد في الاحصائية التالية ما يعطي صورة عن التطور الزراعي بحضرموت .

وتجد في هذا الجدول البياني احصاء للمكائن الزراعية ولآلات الحرث ، ولمقادير انتاج القمح ، والذرة، ومساحاته في وادي حضرموت الرئيسي المقسم الى ثلاث مناطق وذلك لسنة ٦٥ ـ ١٩٦٦ م ، وهذه حدود المناطق ـ المنطقة الغربية ـ تمتد من اسفل رخيه ، والخشعه الى شبام شرقا ، ومن دوعن وعمد شمالا الى بحران جنوبا ، المنطقة الوسطى

وتمتد من الحزم غربا الى تاربة شرقا ، ومن ساه وغيل باوزير جنوبا الى الغرف شمالا ، المنطقة الشرقية ـ من الغرف الى اسفل الوادي ضبوقم وسيحوت ومما يلاحظ انتقال كثير من الزراع من مهنتهم الى مزاولة العمل في الانشاء والتعمير ، ومن الدوافع لهم الى هذا قلة الفوائد الفردية الناجمة عن الزراعة بالنسبة الى اجور التعمير والبناء

المناطق		الغربية	الوسطى	الشرقية	الاجمالي الكلي
مجموع المكائن		٧٢١	٦٨٥	٥٠٠	١٩٠٦
آلات الحرث		٥٢	١٤	١٠	٧٦
الانتاج بالقهاول قهول ١٢ مصري	بر	٣٤٥٨٤٠	٨٥٩٢٠	٧٤٤٠٠	٥٠٦١٦٠
	ذرة شتوي	٢٦٦٥٠	٢٧٣٥٠	٣١٢٥٠	٨٥٢٥٠
	ذرة صيفي	٨٨١٠٠	١٠٦٥٠	١٣٣٥٠	١١٢٠٠٠
مساحات الذرة الشتوي		٥٣٣	٥٤٧	٦٢٥	١٧٠٥
مساحات القمح بالفدان		٤٣٢٣	١٠٧٤	٩٣٠	٦٣٢٧
مساحات الذرة الصيفي		١٧٦٢	٢١٣	٢٦٥	٢٢٤٠(٦٥/٦٦)م (١)

(١) هذه الاحصائيات والخريطة مستمدة من ادارة الزراعه بسيون مع العلم بوجود مساحات زراعية اخرى في اودية اخرى كوادي حجر ، ومع وجود مكائن وآلات من غير طريق ادارة الزراعة ، ولكن هذا كله لا يعد شيئا يذكر بالنسبة لمتطلبات السكان من التقدم الزراعي ، ويقدر النخيل في القطر كله بمليوني نخلة ، كما يقدر متوسط محصول الفدان الواحد من البر بـ ٨٠ قهاولا ، ومن الذره بـ ٥٠ قهاولا ، والحقيقة انها لا توجد احصاءات بالنسبة لعموم القطر كله في جميع متعلقات الزراعة ، وهذه المعلومات مستقاة من ادارة الزراعة بسيون ومن بعض الخبراء الزراعيين المحليين .

في الغالب (١) كما يلاحظ عدم وجود تسويق لبعض المحاصيل الزراعية، ومن اهمها التمر ، وبالرغم من انه مورد رئيسي ومن تقبل تربة البلاد له، فانه لذلك السبب قل الاهتمام به من قبل الملاك ، والعمال الزراعيين معا ، واصبحت تكاليفه اضعاف اثمانه ، والى اليوم لم يوجد علاج حاسم لهذا وما اشبهه من اسباب التأخر الزراعي ، وربما وجد في المستقبل من قبل المسؤلين عنه والمهتمين به .

المجالس البلدية :

وعرفت هذه البلاد المجالس البلدية منذ اقل من عشرين عاما اذ سن قانون لها ، ولكنه فوق مستوى هذه البلاد ، قامت بترجمته المستشارية البريطانية ، وبعدما قدم للمواطنين عدل من قبل البعض منهم (٢) وحدث في المجالس البلدية تطور شكلي حيث بنيت بعض المباني ، ولكنها لم تتطور روحيا . ويمكن لشخص ما ان يكون مسؤلا في مصلحة ما بدون ان يظهر للعيان خطأه ، وتقصيره الا ان يكون مسؤلا في

---

(١) العمال بحضرموت من احسن قطاعات الشعب حالا وهم يتمتعون بأجور طيبة اكثر من بعض البلاد العربية ولديهم مساكن لائقه، وفيهم كثير ممن استغنى بعمله . وهذا شيء يدل على رفع مستوى العمال كما هو المطلوب ، الا أن من المؤسف أن هذا كله ليس مبنيا على دخل قومي . كما انه لا توجد نقابة منظمة فيما لهم وعليهم . الا بعض الهيئات التي تأسست قريبا بالساحل والداخل وهذه ستكون نواة اثرنا الى عدم وجوده .

(٢) وقد اشتركت في تعديله . ولكنه مع هذا لا نزال بحاجة الى تعديل آخر ، لانه لا يمكن تطبيقه نظرا للظروف الحاضرة ، وقد لمست هذا بنفسي حينما انتخبت اول رئيس لبلدية تريم . ولم اقبل العودة مرة اخرى لاسباب اهمها استعجال الحكومة على سن ضرائب بخصوص هذا المجلس بينما لا يستطيع الاهالي تحملها في تلك الظروف ويجب ان تمتد المجانية بخصوصه الى الوقت المناسب .

احدى المجالس البلدية او القروية فان اخطاءه دائما تكون ماثلة للعيان في الطرقات في الزراعات في الصحة الخ تلك الواجبات •

الطب والقضاء :

ويدأ التطور في الطب منذ نصف قرن حيث استقدم اول طبيب وطني هو السيد عبد الهادي الجيلاني الذي استقدمه السادة الى الكاف على حساب خيرات ابيهم ثم استقدم السلطان القعيطي بعض الاطباء من الهند . ثم اخذت العناية بنشر الوعي الصحي وبناء الصحيات والمستشفيات . وكلها حكومية . ما عدا مستشفى الكاف بتريم . والذي يستحق الذكر هو تخرج اطباء من الشباب الحضرمي من الخارج بدءوا يقومون بدورهم في التوظف في تلك المستشفيات ، والمطالبة من المواطنين مستمرة ، وملحة بجلب العدد الكافي من الاطباء وتحضير اللوازم الطبية لهم ، لتتقدم البلاد صحيا ، ويأخذ كل نصيبه من العناية الطبية ومحاربة الامراض •

اما القضاء فقد حصل فيه تنظيم وتطوير اداري ، وتشبه المحاكم في درجاتها . وتشكيلها الى حد ما المحاكم المعروفة من جزئية ، ومن ابتدائية واستئنافية . ويرجع النقض والابرام الى مجلس الدولة حيث يستشار فيه بعض الاختصاصيين بالقضاء ، ويستمد القضاء احكامه من الشريعة الاسلامية الغراء ، وتفصل جميع المحاكم المتنوعة الاختصاصات احكامها في القضايا بمقتضى مذهب الشافعي او ما يطابق المصلحة العامة من المذاهب الاخرى . وتستثني بعض المحاكم الجزئية ، ومحاكم المجالس البلدية ، فانها تقضي طبق عادات وانظمة ، ولوائح مسنونة لها ، وحيث ان الشريعة الاسلامية فيها الغناء ورحابة الصدر لاستخراج اي نظام نافع يقرره خبراء نزهاء اختصاصيون في علوم الشريعة الاسلامية حيث كانت كذلك . فمن الممكن ان تستمد منها ، وينقص هذه البلاد

دستور مفصل جامع ترجع اليه بدلا عن اللوائح والبيانات ، والقوانين المفرقة التي تصدر عندما تدعو اليها الحاجة ، كما ينقص المحاكم القضاة الاكفاء ، وان كانت لا تخلو منهم (١) والشكايات مطردة مـــن تعثـــر الحكام ، وانتشار الرشوات في السنوات القليلة الماضية ، والى اليوم •

وقد كان الحال بالنسبة للقضاء قبل ما يقرب من عشرين عامـــا مقتصرا على المحاكم الابتدائية الشرعية ، واحكامها غير قابلـة للنقض ، وكان هناك تلاعب من بعض المفتين الشرعيين الذين هم اشبه بمحامين ، ولكن قضي عليه بعد التنظيم والتطوير ، الذي ذكرته ، كما ان للقبائل وللبادية تشريعاتهم التي اشرنا اليها في الدور القبلي ، ولبعض الحكـام العرفيين احكام ارتجالية كانت تنفذ بقوة السلطة •

والتطوير جار في جميع الخدمات الاجتماعية ، والدوائر الحكومية كالبريـد والانشاء والتعمير ، والجمارك ، وغيرها كالجيش والشرطة ، والامن ولكنه يمشي ببطء بينما العالم يمشي بسرعة متناهية ، والعصر كما يقولون عصر السرعة •

واقعنا المرير :

والواقع الحضرمي المرير لا يكاد يختلف اختلافا جذريا عن الواقـع العام المرير في عدد من البلاد العربية الاخرى فهو يشبهه ويتفق معه ــ على الاقل بصورة مصغرة ــ في كثير من مجالات ومتاهات الحياة ، وان افترق عنه في وجوه اخرى تبعا لظروف واسباب مختلفة واليك بعـض النقاط الهامة التي يتجلى منها التشابه والتوافق واضحا •

---

(١) تقدم الكلام عن عدم تشجيع الاكفاء ، وعما شهدتـه بنفسي حول هذا قريبا •

النفوذ الاجنبي :

وكما يوجد في حضرموت نفوذ اجنبي الى الحد الذي عرفته فان عددا من البلاد العربية لا تخلـو عنه سواء كان شرقيا ام غربيـا ، وان تفاوت ذلك النفوذ قوة وضعفا ، وان حاول البعض تغطيته بما يتظاهـر به من تصريحات ، واحتجاجات وجدليات ، بل بلغ التسابق بين الشرق والغرب على النفوذ في البلاد العربية الى درجـة ظاهرة مكشوفة لا تخفى الا على الاغبياء لان الطريقة الوحيدة لمحو ذلك النفوذ هـو الاستغناء عنه بتعميم العلم والصناعة والزراعة ورفع مستواها • وتحقيق الاستقلال الثقافي والاقتصادي والسياسي والعسكري - في كل بلادنا العربيـة •

الحكـام :

وبما ان في هذه البلاد حكاما من النوع المتغلب المفروض علـى الشعب . فان في كثير من البلاد العربية الاخرى حكاما من النـوع نفسه ، ويكفي اننا اذا استعرضنا الدول العربية نجد معظمها مفتقـرا الى الحكم النيابي الصحيح ، والى الحياة الديموقراطية الحقة بـدلا عن الحكم العسكري ، او الحكم الاستبدادي المفروض . ونجد مـا يحظى به الحكام في هذا البلد مـن مجاملة ، وتزلف ومديح ، واستخذاء من أبناء هذا الشعب نجده نفسه في البلاد العربية الاخرى ، غـاية الامر ان بعض البلاد العربية بحكم سبق الـزمن على فتح المدارس والمعاهد العلمية فيها نجد بعض حكامها يحملون شهادات من المفروض ان تكون عالية ، ولا نعرف هل استلموها بطريقة نـزيهة ام لا ؟•

ويكفي دليلا على ان كثيرا من حكام العرب مدانون بحكـم الواقع عدم امكان تحقيق الوحدة العربية التي يحلم بها كل عـربي مخلص ، والى جانب هذا نجـد تشبثا غريبا فـي كثير منـهم بكراسي

الحكم الى درجة التضحية بالمصالح الشعبية في سبيل ذلك الكرسي الذي لا يستحق الجلوس عليه الا الخادم المخلص لسيده الشعب •

قضية فلسطين :

وقضية فلسطين هي شوكة ليس في جنب الامة العربية والاسلامية بل في كبدها فالامة العربية في خطورة على حياتها المعيشية ما دامت لم تتحد ، ولم تأت بدواء حاسم يشفي جسمها ، وينتشل حياتها من كيد الصهاينة في اسرائيل •

فالحضارمة قدموا التبرعات ، وعقدوا الحفلات ، وأرسلوا البرقيات ، وتكلم مسؤولون فيهم بالتصريحات بالعزم مع اخوانهم على سحق اسرائيل ، ومحوها من الوجود ، ولكنه شيء تقليدي يجري كما يجري في بلاد عربية اخرى هي أقدر وأقوى وأكثر عددا وعدة من هذه البلاد ، ويجري باسم العروبة والوطن ، وبدون تركيز على الاسلام الذي هو أكثر فعالية في الشعوب العربية والاسلامية : اذا ضم الى الدعوة باسم العروبة والوطن لتحرير فلسطين ، لو كان لكل البلاد العربية حكام يتشبهون باولئك الحكام الذين فتحوا فلسطين وغير فلسطين ، اولا كعمر بن الخطاب ، وابي عبيدة ، وحرروها ثانيا كصلاح الدين باسم الاسلام والعروبة والوطنية لا باسم الاخيرين فقط. الى غير ذلك من الاسباب التي مكنت للصهاينة البقاء ومنحتهم طول العمر في فلسطين بفعل التخلف الموجود في الشعوب العربية ، وبسبب السياسة التي تنتهجها بعض الحكومات العربية حتى بلغ الامر احيانا الى كره وكيد لبعض شقيقاته العربيات ، اكثر مما يكره ويكيد لعدوته اسرائيل •

الدعايات :

وتوجد وسائل دعائية بواسطة الخطب والبيانات والصحف في

هذه البلاد للتهويل والتفخيم ، وبناء القبة من الحبة ، والكيل جزافا

من الالقاب الضخمة للمسؤولين وغيرهم ، وعلى مستوى حكـومي ، وشعبي . واصبحت كلمة البطل ، والحر ، والقائد ، والزعيم ، والمنقذ والعظيم ، والكبير الخ . تقال لكل من هب ، ودب ، بمناسبة ، وبدون

مناسبة، ولوكان فيمن تكال لهم هذهالالقاب واحد في الالف ممن يستحقها لاصبحنا شعبا محترما حقا ، ولكن الغريب ان الذين تقال فيهم مـن

حكوميين وشعبيين يتقبلونها بأوجـه ضاحكة مستبشرة ، وبأجسـام منتفخة ، كأنها تنطبق عليهم حقا يقابلهم من الناحية الاخرى من يقدمها لهم رخيصة ممجوجة لتضيع بين تصفيق المصفقين وتطبيل المطبلين ،

وكذلك عرض المشاريع الحكومية ، والاهلية ــ على ضآلتها وندرتها ــ يتم بصورة مكبرة تخيل للسامع انها تمت وبالكمال المفروض . مع أنها لا تلبث ان تفشل الا فيما ندر او قل .

وهكذا نشاهد ، ونسمع في كثير من البلاد العربية الاخرى نفس الشيء ، بل اذا تتبع الشخص بعض اذاعاتها يجدها مثلثة ، من التغرير، والتشهير ، والتنوير ، مع ان المفروض ان تقتصر على الاخير ، وبلغ الحال ببعض حكام العرب انه يستأجر بواسطة بعض اتباعه من يصفقون له ، عندما يخطب من الغوغائيين ، وممن هـو أقرب الـى الغوغائيين ، كما ان كثيرا من الحوادث، والوقائع، والاعمال في بعض البلاد العربية اما لا يعرف الشعب عنهـا شيئا أو تعرض بالصورة التـي لا تحكـي الحقيقة . أضف الى ذلك ما يحصل احيانا بين بعض الدول من مهاترات وشتائم يندي لها وجه العروبة ، والاسلام خجلا . وكم قد لاحظت التناقض في الاذاعات الرسمية من مسؤولين في اكثر من حكومة من حكوماتنا العربية : في موضوع واحد . وفي نقطة واحدة . ومن مذيعين

يضحكون على ذقون ابناء شعوبهم المغلوبة على امرها ، استخفافـــا بها ، وهنالك اذاعات منتسبة الى العرب كاذاعة عدن التي لا تـزال ، تحت الاستعمار البريطاني تمضي كثيرا من برامجها في وصف المآدب وتلاوة برقيات التهاني والتعازي ، وفـي مواضيع هزيلة لا تسمن ، ولا تغني من جوع يتلوها مذيعون هم بحاجة الى درس اللغــة العربية ، وقواعدها اولا . حتى لا يكرروا على السامعين اخطاءهم كل ساعــة وحين •

وقد نتج عن هذا كله خطأ في المعلومات ، وخطأ في التفكيرالذي ينبني عليها ، وخطأ في التصور ، وقد شب بعض المراهقين ، واكتهل بعض الشـباب وهم يأخذون ما تلقي لهم به بعض الاذاعات قضية مسلمــة ثم لا يلبثون ان يصدموا بالواقع المرير ، فيا لضياع الامانة الاذاعية ! ولكن يرجع السـبب في هذا الى تخلف الشعوب ، فالشعوب المتقدمة يخافها كل مسؤول فيها ، كما يخاف الموت ، ولهذا فهي تعرف الحقائق الثابتة عن بلادها وعن رجالها ، ولا يجرؤ على تغطيتها عنها مسؤول •

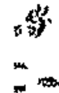
اما ما يوافق الحقيقة واللياقة من النشر والاذاعة فهو شيءمطلوب ولا ينكر وجود كثير منه في كل بلد عربي ، ولكن المنكر ما هو بجانبه مما أشرنا اليه ، والدعاية سلاح ، ولكنه ذو حدين ، يضر بصاحبــه اذا خالف الواقع ، وربما قتله •

الاميــة :

والامية سائدة في هذه البلاد ، وعدد الاميين فيها يقدر بما لا يقل عن ٧٥ ٪ نفس ما يوجد في اكثر البلاد العربية ، الاخرى ، وهنالك جهود مبذولة لمحوها ولكنها لا تسير بالسرعة المطلوبة •

تجميد الثروات :

وفي باطن هذه البلاد ثروات معدنية ، كما تكلمنا عنها في الجزء



(1)

الاول من هـذا الكتاب ، ولكنها لـم تستغـل ، وليس الذنـب ذنـب المستعمر وحده بل يشاركه فيه المسؤولون ، واغنياء الشعب المهاجرون كما ان على ظهرها أراضي زراعية بيضاء لم تستحل خضراء بعد ، وفي بحرها ثروة سمكية لم تستخرج لنفس السبب ، وبلاد العرب كلهـا هي بلاد الثروات ، واذا كان البعض منها قد استغل فان البعض الاخر لا يزال في انتظار الاستغلال السريع ليصرف ويوجه جميعه في المرافق الحيوية ، والمصالح العامة •

الاحزاب والحزبية :

ومن الطبيعي ان يوجد بين ابناء هذه البلاد من ينتمي الى هيئات واحزاب معظمها شبيه بفروع أو هي فروع وتبع لاحزاب في بـلاد عربية اخرى . ففيهم القومي والتحريري . والرابطـي . والبعثي . والاخواني . وفيهم من يتنقل بين الاحزاب عملا بالمبدأ الذي يقـول ـ حيثما دارت الزجاجة درنا ـ وفيهم المستقل الذي لا ينتمي لحزب •

وهكذا بعد ألف وثلثمائة سنة وفي ظروف سياسية مشابهة يمثل الحضارمة نفس الدور الذي مثلوه قبلها فيما وقع بين الاطراف فـي البلاد العربية بما أشرت اليه في الجزء الاول (١) وتوجد هيئـات واندية كثيرة متنوعة ثقافية ودينية ، ورياضية •

واذا كان الاختلاف سائدا في المباديء والوسائل ، او هو طبيعي . فان التضامن والاتفاق التام بين الاحزاب والهيئات المحسوبة لتحقيق الاهداف (٢) والغايات الوطنية البعيدة والاحترام الكامل المتبادل هو المهم . وهذا شيء لم يتحقق بعد ، نفس ما يوجد في بعض البـلاد

---

(١) صفحة ١٩٨ طبعة بيروت .

(٢) واهداف هذه الاحزاب كلها او جلها تلتقي عند الخطوط العريضة من ازالة الوجود الاستعماري ، واقامة حكم وطني . مستقل ، وايجاد مجتمع للكفاية والعدل (مجتمع اشتراكي عادل) .

العربية الاخرى ، وهو شيء يبعث على الاستغراب ، ولعله ناشيء عن قلة الوعي الحزبي ، وعن المواطف المرهفة التي تعمل عملها في التنافر والتفرقة مع ان اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية ، كما قال شوقي عليه الرحمة ، ومن المحقق زوال ذلك التنافر عندما يصبح الشعب في مستوى اعلا مما هو عليه الان .

المتانة الخلقية :

وتنقصنا كما تنقص غيرنا من اخواننا العرب المتانة الخلقيةالمطلوبة فالضعف الخلقي واضح ومتفشي في خلف المواعيد ، وفي الانانية ، وحب الذات وفي اهمال التربية الاسلامية ، التي نجح بواسطتها آباؤنا في سيادة الشعوب الاخرى وقيادتها وهنالك انجراف وراء العواطف . وافتقار الى الحصافة في تقدير المواقف ، ويبرز الغباء والسطحية في كثير من الاسر فاشلين في تربية بنيهم كما فشل كثير من دور التربية والتعليم مع الاسف ، في هذا الدور الذي نحن احوج ما نكون فيه الى خلق جيل متين الخلق ، قوى الارادة ، راسخ العقيدة صعبالمراس يقوم بواجبه ، نحو وطنه وامته .

الافتئات على الشعب :

واصبحت لفظة الشعب مستغلة الاستعمال ، والتحدث باسم الشعب سهلا وميسورا بهذه البلاد يتناوله كل من شاء من المسؤولين، وغير المسؤولين في المواقف الرسمية وغير الرسمية كشيء تقليدي وشكلي ان دل على شيء فانما يدل على الاستخفاف بالشعب وبلغ هذا الاستخفاف الى حد ان اعداداً من الاميين وانصاف الاميين يقرؤون خطبا مكتوبة لهم يكسرون مبناها ، ولا يدركون معناها في بعضالحفلات العامة يزعمون فيها انهم يخطبون باسم الشعب ، وانهم يمثلونه ، او يمثلون قطاعا من قطاعاته ، وهم في نفس الوقت ليسوا اهلا لتمثيل

اسرهم ، ولم يعطوا الثقة حتى منها فكيف من شعب باسره ، او من قطاع من قطاعاته ، كما ان بعض المسؤولين يدعي تمثيل الشعب الحضرمي الذي لا يحرك ساكنا ، ولم يول زمامه طواعية لاحد ممن يدعي التكلم باسمه ، ولم يعرف له زعيم يثبت وجوده ، او زعامة وطنية بالمعنى الصحيح .

وكل يدعي وصلا بليلى   وليلى لا تقر لهم بذاكا

فالشعبية لا يحصل عليها الا من قدم خدمة اجتماعية نزيهة لشعبه (١) والتحدث باسم الشعب في مجال من المجالات ، لا يصح الا

---

(١) واذا جاز لنا ان ننعت اشخاصا بالشعبية في هذا الاقليم فانهم علماء الدين المعتقدون فهؤلاء لهم شعبية طواعية نابعة من عقائد معظم ابناء الشعب الا انهم — مع الاسف — لم يستطيعوا ان يوجهوا جمهور الشعب التوجيهالمطلوب لاقامة النهضات والاصلاحات الثقافية،والصناعية والزراعية ولا التهذيبية والدينية الا قليلا ، ولا توجد عندهم الشجاعة الكافية لمواجهة ، ومجابهة المسؤولين ، والمعارضين لهم ، شانهم شان غيرهم في عدد من البلاد الاخرى، ولعل لضيق افق البعض منهم، وبعدهم عن النهضات المصرية ، والرقي الاجتماعي الحديث لعل لهذا اثرا في عدم استطاعتهم اداء رسالتهم ، وفاقد الشيء لا يعطيه . مع ان الاسلام في ذاته منبع الحضارة ، والتقدم والرقي كما هو معلوم ، ومن اجل ان يؤدي علماء الدين والوعاظ رسالتهم على الوجه المطلوب فقد شهدت تجربة قبل سنوات لاقامة رابطة لعلماء الدين اذ تشرفت بالاشتراك في تاسيسها مع معظم علماء تريم وسيون البارزين ، وحصل اتصال مع علماء الساحل وبما انهم جميعا متباينون في الاذواق ، ومختلفون في الاتجاهات ، ولم يالف الكثير منهم العمل المضني ولقلة التمويل او عدمه بالنسبة للمشاريع التي يفترض ان يقوموا بها الى تخذيل الحكام ، والمسؤولين ، كل هذه الاسباب وغيرها شلت حركتهم حتى توقفت ، وكانت الحصيلة كلها الاتصال ببعض كبار المسؤولين ، واسداء النصح لهم ، ونشر عدد من البيانات تتضمن الارشاد ، والتوجيه ، في مجال الاصلاح الديني ، والخلقي ، والوطني ولكن الاسلام لن يعدم زعماء اكفاء من بنيه ، ان لم يكونوا كلهم من ابناء هذا الجيل ، فمن ابناء الجيل القادم ، كما تحتم هذا طبيعته ، وروحه ، وانا لمنتظرون .

ممن يرضى عنه الشعب بطريق من الطرق المقبولة .

وفي عدد من البلاد العربية يمثل هذا الدور . او ما هو أعظم من هذا الدور ، فتحدث بين المواطنين انفسهم ثورات . وانقلابات ، وتقوم حكومات ، وكلها تقول انها تقوم باسم الشعب ، ومن اجل الشعب ، كما يتكلم ، ويخطب ، ويكتب افراد ، وكل ينتحل النيابة ، والتمثيل عن شعبه ، وقد ينكشف احيانا المتصرف باسم الشعب ، بانه عدو الشعب ، فيقسو ، ويضغط عليه ، ويلعب بمقدراته مثله في هذا مثل الخليفة العباسي الذي تحجبه الاتراك في قصره ، وتحكم باسمه ، وهو ينشد هذين البيتين للتفريج عن نفسه :

أليس من العجائب ان مثلي يرى ما قل ممتنعا عليه
وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا وما من ذاك شيء في يديه

فالحصول على الثقة ، وعلى الشعبية الحقيقية ، بين ابناء اي شعب من شعوب امتنا العربية لم يحصل الا لنماذج من المخلصين الذين هم بعيدون عن حب الفخفخات والمظاهر الفارغة ، ومندمجون في العمل الجدي الصامت ، فهؤلاء ومن نحا نحوهم في التضحية لهم الحق ، ان يتكلموا باسم الشعوب لانهم يعملون من اجله حقيقة . والامة العربية هي التي ستعرف كيف تنتخب ممثليها في المستقبل عندما ترتفع قريبا الى المستوى الاجتماعي اللائق بها .

وهكذا أسوق لك واقعا مريرا من تاريخنا الحاضر في تلك الامثلة الاجتماعية الملموسة التي يجب تغييرها ، وفي تلك الامراض الطارئة المشخصة التي يجب علاجها ، ولولا تشخيص الامراض لما امكن العلاج وان لنا في خصائص الامة العربية ، وفي اسرار وقوى دينها الحنيف ، ما يضمن لنا الشفاء من هذه الادواء وما يزيح عنا كل العقبات التي تعترض سبيل نهضتنا الاصلاحية في جميع الميادين .

من اعلام هذا الدور :

« العلامة الكبير والشاعر الفحل السيد ابو بكر بن شهـــاب العلوي الحضرمي »

هذا هو استاذ المدرسة الشعرية والادبية ، بل والعلمية في اواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الهجريين الموافقين لاواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلاديين ، ليس فيحضرموت وحدها ، ولا في اليمن وحدها كما يصفه ناشر ديوانه بانه « شاعر اليمن ومفخر الزمن » وانما هو شاعر الجزيرة العربية بأسرها كما يتجلىذلك اذا قارنا بين اشعاره واشعار زملائه من فحول الشعراء في الجزيرة، وهو الى ذلك في طليعة زعمائهـــا وعلمائها ومفكريهـــا والمصلحين الاجتماعيين بهـــا •

ميلاده ووفاته ونشاته :

كان ميلاده رحمه الله سنة ١٢٦٢ هـ باحدى قرى تريـــم الغنـــاء المسماة «حصن فلوقه» بفتح الفاء وضم اللام المشددة وفتح القاف •

واما وفاته فكانت سنة ١٣٤١ هـ بحيدر اباد الدكن وقد أمضى صباه وعنفوان شبابه في الطلب والتحصيل وكان يعتمد على ذكـــائه اكثر مما يعتمد على جده واجتهاده وكدليل على هذا تجده وقتما كان يحضر دروس شيخه العلامة علي بن محمد الحبشي بسيؤن في ليلة من الليالي قد غلبه النعاس اثناء درس علم الفرائض فلامه شيخه علـــى فوات الدرس وسنه اذ ذاك اقل من العشرين فما كان منه الا ان جاءه الليلة الثانية يحمل ارجوزة اسماها (ذريعة الناهض في علم الفرائض) جمع فيها الفن كله نظما في اقل من ٢٤ ساعة يقول فيها :

وعذر من لم يبلغ العشرينـــا يقبل عند النـــاس اجمعينـــا

والمنظومة المشار اليها مطبوعة مع شرحها لبعض علماء اليمن (١) ومعظم تحصيله للعلم انما هو في وطنه وعلى يد كبار علماء حضرموت وفي مقدمتهم ابوه وأخوه الاكبر عمر ومفتي حضرموت وفلكيها العلامة عبد الرحمن بن محمد المشهور وغيرهم .

مصنفاته العلمية وآراؤهُ :

ولابن شهاب تصانيف عديدة حوالي الثلاثين مصنفا اكثرها مطبوع ومعظمها في المنطق والتوحيد والفقه والتاريخ والطبيعة وقد صنف فيها مصنفا اسمه « رفع الخبط في مسألة الضغط » فردت عليه امرأة متعلمة من الشام صدرت كتابها بهذا البيت الشهير :

جاء شقيق عارضا رمحه　　　ان بني عمك فيهم رماح

فقال ان الرد لم يهمني وانما الاستشهاد بهذا البيت هو الذي ساءني . واشتغل بالتدريس والافتاء في وطنه حضرموت ثم في حيدر اباد الدكن في الهند وفي مدرستها النظامية .

الضجه والتصانيف حول معاوية بن ابي سفيان :

وقام ابن شهاب بدور فعال بين علماء حضرموت ثم بين علماء

---

(١) الاعتذار بصغر السن موجود عند كثير من المؤلفين والراجزين في كتبهم وقد وقع لي صدفة اني نظمت منظومتي الفلكية التي اسميتها « اليواقيت من فن المواقيت » وانا في العقد الثاني من عمري فأشرت فيها الى كلام ابن شهاب بقولي :

ناظمها يقصر في الآداب　　　لانه في غرة الشباب
فكن له يا ناظرا ذا عذر　　　وانشد مقال ابن الشهاب الفخر
« وعذر من لم يبلغ العشرينا　　　يقبل عند الناس اجمعينا »

وقد شرحها الاستاذ محمد بن هاشم شرحا يحتوي ــ كالمنظومة نفسها ــ على المعلومات الفلكية الحديثة اسماه «الخريت على اليواقيت» وهما على وشك الطبع .

الاسلام في النزاع حول معاوية بن ابي سفيان بل هو في الحقيقة بطل المعركة الجدلية ، فقد ألف صديقه العلامة السيد محمد بن عقيل بن يحيى باشرافه كتابه « النصايح الكافية لمن يتولى معاوية » ونشره وقامت ضجة حوله لانه حكم فيه بمروق معاوية عن مبادىء الاسلام وبأنه ليس من الصحابة وصدر امر من المجلس النيابي للدولة العثمانية التركية بمصادرة نسخ الكتاب ومن أبرز من رد عليه صديق ابن شهاب وأحد أفراد قبيلته السيد العلامة حسن بن علوي بن شهاب بكتاب سماه « الرقية الشافية من سموم النصايح الكافية » حاول فيه اثبات صحبة معاوية وانه من اهل الفضل والعدل وأول كل ما يخالف ذلك من الاحاديث والوقائع التاريخية بتأويلات وتفسيرات تنطبق على مبدئه ولكن العلامة صاحب الترجمة رد على صاحب الرقية بكتاب اسماه «الحمية من مضار الرقية» وكل هذه الكتب مطبوعة وقد قام بالاحتجاج على النصائح الكافية وعلى الحمية لما ظهرتا في طليعة هذا القرن الرابع عشر الهجري معظم فقهاء وصوفية حضرموت واعتبروهما من الكتب الضارة التي تسمم أفكار الجيل وتصبغه بصبغة البدعة والرفض وبالرغم من ان الموضوع لا يعتبر جديدا في حد ذاته الا ان تقادم العهد به والتربية التقليدية على احترام معاوية وتسييده وعده من صحابة رسول الله كل هذه احدثت ثورة ضد ابني عقيل وشهاب المؤلفين لهذين الكتابين وكأنهما يمثلان اذ ذاك نفس الدور الذي يمثله اليوم من يقوم بدور التشكيك في صفاة الله الواجبة او صفات رسله عليهم السلام ولما انتشر الوعي اصبح موضوع معاوية حين عرضه العقاد وطه حسين وغيرهما من علماء التاريخ موضوعا واضحا كما عرضه ابن شهاب تقريبا ولم يسع كل قارىء منصف الا ان يتلقاه بما يستحقه من الاعتبار والقدر خصوصا من ناحية العدالة الاجتماعية وما كان لمعاوية من أثر في الخروج عنها وهي العدالة الاسلامية الى ما له من

دور معروف في تغيير مجرى التاريخ الاسلامي مما هو مفصل في كتب التاريخ القديمة والحديثة وتجد في اشعار ابن شهاب نفس ما تجده في مؤلفاته عن هذا الموضوع وما اتصل به كما سيأتي :

اصلاحاته واعماله السياسية :

قام ابن شهاب باصلاحات كبيرة في وطنه حضرموت وفي الخارج كان يقوم دائما باخماد نار الفتن التي تقع بين القبائل المسلحة بحضرموت ــ كالقبائل التميمية والكثيرية .

ومن اعظم اعماله الاصلاحية قيامه بالصلح بين السلطانين القعيطي والكثيري سنة ١٢٩٤ اذ نشبت الحرب بينهما حوالي سنتين وتضرر منها الشعب الحضرمي فأخمد نارها بحكمته ومهارته السياسية .وكانت الحكومة البريطانية قد ضغطت عليه ومدت له شباك الرغبة والرهبة لما اندلعت الحرب العظمى متوسلة به في ان يجعل من حضرموت قاعدة حربية لها ضد الاتراك والعرب المسلحين المقيمين بعدن ولحج ، ولكنه تخلص منها ورفض كل ما عرضته عليه من مال ونقود وسلطة وقال اني اخاف الله واحترم شرفي وشرف امتي وآبائي واجدادي الذين يرقدون في هذه البقاع الطاهرة .

ولابن شهاب مواقف مع زعماء القبائل والمناصب ومع سلاطين حضرموت اثبت فيها شجاعته وذكاءه حين يقوم باطفاء نار الفتن فيما بينهم واذا قام ضد الجانب المعتدي منهم ناصبه العداء وقام بمؤامرات لاغتياله ولكنه ينجو منها بفضل شجاعته وثباته على الحق والصدق وربما ربط فم مركوبه حتى لا ينهق فيحس به حين يقطع عليه القفار ليلا من اجل الاصلاح المنشود .

وله الى جانب هذا اعمال اقتصادية نافعة في الزراعة والتعمير

بحضرموت ، وفي الناحية العلمية ايضا كان يقوم بدور فعال في التوعية وفهم الاسلام وتعاليمه على وجهها الصحيح فكان يعارض الممجدين للملوك من بني امية وبني العباس المعروفين بالاقطاع والاستغلال والمناهضين للدعاة الى الثورة الاجتماعية الاسلامية الصحيحة من ائمة اهل البيت عليهم السلام فهو مثلا يشجب الاعمال المادية التي يقوم بها معاوية بن ابي سفيان وشركائه من توريث للملك والسلطة ومن تصرفات خاطئة ضد الامام علي بن أبي طالب وحصلت بينه وبين بعض علماء عصره مراجعات ومؤلفات معروفة حول ذلك ونقود وردود ذكرنا اسماء بعضها قبل لم تقتصر على النثر العلمي بل تعددت الى القصائد والاشعار كما يقول رحمه الله موردا الادلة القاطعة والحجج الشافية في شعره :

هل تسومونــا انتقاص علي | فنغيض المهيمن القهــارا
أو على ابنيه نجتري وسخيف | من يعيب الشموس والاقمارا
ام تريدون ان نحب ابن هند | وعن النص مثلكــم نتــوارى
لم نجد مؤمنــا كمــا اخبر اللا | ه محبــا مــن حــارب الجبارا
وحديث النبي اقوى عرى الــ | ايمان في الله بغضنا الاشرارا

ثم قــال :

حارب المرتضى وسم سبط المــ | ـصطفى بئس مــا ارتضاه قرارا
يقتل الصالحين صبرا كحجر | يأكل الفــيء يلعــن الكــرارا
وتمادى يعيث فيهم فــــادا | وعلوا في الارض واستكبارا
خاض لج الضلال عشرين عاما | ثم ولى يــزيده الخمــــارا
وتقولون بــاجتهــاد مثاب | يا لهذا معــرة وشنـــــارا
لو يكون الذي زعمتم صوابا | لارعوى بعــد قتلــه عمــارا

كما انه قام بمقارنات بين من جاء فيما بعد من الملوك والحكــام الامويين وبين الائمة الثوريين من أهل البيت النبوي فارهف قلمــه

في تخطئة الاولين واشاد بمذاهب وعقائد الاخرين ودافع عنهم بقلمه واشعاره منها قوله :

مذهبي مذهب الوصي ابي السـ ـبطين فالحق دائر حيث دارا
أعلم الصحب للمدينة بـاب كم به الله ارغم الكفارا
وتمسكت بالشهيدين انـي سائر في عقيدتي حيث سارا
اشرف العالمين اما وجدا اطيب الناس عنصرا ونجارا
والمثنى وابن الحسين علـي من بـه كل مقتد لن يضارا
وعلى الباقر اعتمادي وزيد في سبيلي فلست اخشى العثارا
حصنوا العلم اذ بنو عبدشمس خبط عشواء يخبطون سكارا
غيروا بدلوا طغوا وتمـادى حاملوا العلم خيفة واضطرارا
ألف شهر تمتعوا ثـم حقت نقمة الله فاستحقوا الدمارا
وبأقوال جعفر حيث صحت عنه نقضي وتتبع الآثـارا (١)

وهنالك علماء جامدون في عصره لهم أثر في تخذيل الامة وخمولها وجمودها على ظواهر النصوص والعبائر وعدم التوسع في المفاهيم والعلوم الكثيرة الاخرى فبقيت رازحة في محلها لا تتقدم .

كما ان هنالك دجالين في الهند وغيرها يتظاهرون بالدين والتقوى ولهم اعمال ضد ذلك يغشون بها السذج والعامة فانبرى ابن شهاب لهؤلاء فاسمع بعض ما يقول فيهم :

نشكو الى الرحمن من هذه الـ ـغوغاء شكوى من رماه الزمان
من ماكر ذي سبحة او مـرا ء قارىء همسا وذي طيلسان
ورامز بالغيب ذي حيلـة يلفظ بالقول الكثير المعان
رواد صيد كلهـم حـاذق في الرمي لا يصطاد الا السمان
شباكهم دعوى الكرامات والـ ـكشف وتزوير المرائي الحسان

(١) راجع ديوانه المطبوع تجد فيه تتمة كل ما اوردته هنا من اشعاره.

هذا يرى المختار في نومه وذاك يستخبره بالعيان
كأنه من بعض اتباعهم يحضر في كل مكان وآن
ومنهم المخبر عن برزخ الـ ـوتى شقي او سعيد فلان

كما انبرى لاولئك ومما قال فيهم :

دعوا قول من قلدتموه تعصبا لهم واجعلوا وحي المهيمن ميزانا
اوحي كلام الهيتمي واحمد ابن تيمة والاشعري وسفيانا
فتقليدهم والحق يتلى عليكم يجر لكم يوم التغابن خسرانا
وان عذر الماضون في بعض ماجرى مداهنة فالعذر لا يوجد الآنا
سرى فيكم داء التعصب والهوى فصرتم به صما عن الحق عميانا

ويرى ابن شهاب وجوب اصلاح العقيدة وتصحيحها بالنسبة لما رسب في الاذهان عن ملوك بني امية في الشرق وفي طليعتهم معاوية الاول — من صحة تصرفاتهم وان ذلك في مقدمة ما يلزم العلماء المصلحين القيام به خدمة للعدالة الاجتماعية في الاسلام وانصافا للخلفاء والائمة العادلين ولكنه اصطدم بمعارضين متعصبين في الجانب الاخر نواصب وغير نواصب رد عليهم في كتبه التي أشرنا اليها وفي مدائحه للامام علي وبنيه •

وبهذا يبرز لونا من ألوان الشعر الشيعي الذي اتصف به كثير من فحول الشعراء الاقدمين ، كالكميت ، ودعبل ، والفرزدق ، ثم الشريف الرضي ، ومهيار والصفي الحلي ومن بعدهم الى اليوم مما قل ان يخلو عنه شعر شاعر فحل (١) •

ولابن شهاب رحلات وجولات في كثير من البلاد المتمدنة عربية وغير عربية للحج ودراسة الاوضاع ولاعمال تجارية وشخصية•

---

(١) انظر النقود والردود لكاشف الغطاء في هذا الباب .

فأول رحلة له الى الحجاز وهو شاب سنة ١٢٨٦ هـ فحج ذلك العام واتصل بعلماء وكبراء الحجاز وغيرها ثم عاد الى تريم ولم تطل اقامته بها اذ رحل عنها سنة ١٢٨٨ الى عدن واليمن ولحج ثم الى الشرق الاقصى اندونسيا وملايا حيث تقيم الجاليات العربية الحضرمية هنالك بهذين المهجرين وتعاطى التجارة هنالك ثم رجع الى حضرموت بعد سنوات واقام بها مستمرا في اصلاحاته وزعامته العلمية ولكنه لقي مضايقات شديدة وضغطا قويا من بعض اقاربه وحساده ومن رجال الثروة والسلطة بتريم اضطر بسببها الى النزوح الى الخارج كما يقول:

هل في القضية ان أقيم ببلدة	يخشى الكرام بها اذى أوغادها
في الارض متسع لحصر نفسه	عصماء يأمن مستحيل كسادها
فلتشكل الشناء حلولي دورها	وعلي فلتلبس ثياب حدادها
فسنام اي الارض اذهب منزلي	ولي الندامي الغر من امجادها
وتريم تعلم والمدائن حولها	اني لدى اللأواء من اجوادها
واذا جرت خيل الكرام الى مدى	فمن المجلي في كرام جيادها؟
ولربما التبست بها سبل المعاني	والبيان فكنت قس ايادها
ولطالما اجهدت نفسي ساعيا	في لم فرقتها ودرء فسادها
كم فتنة فيها اكفهر وبالها	حمد الانام سراي في اخمادها
اني لتنكرمني الاسود بأرضها	لشريف منزلتي وعظم مفادها
وتسومني بكم ثعالب أرضكم	سوءاً ويأبى الله نيل مرادها

وطاف في نزوحه هذا كثيرا من البلاد ومنها شرق افريقيا ومصر والشام ثم تركيا حيث اهدى له سيفا السلطان عبد الحميد وقلده بها الوسام المجيدي المرصع .

وانتهى به المطاف الى حيدر اباد الدكن احد مهاجر قومه الذي توجد به جالية حضرمية كبيرة وحيث نشأت المطامح والمطامع من القادة

الحضارمة الثلاثة وقد اصبحوا فيما بعد وقبيل ان يصل اليها ابن شهاب سلاطين حضرموت ودعموا سلطانهم بالمال الذي اكتسبوه من حيدر اباد المشار اليها وأضافوا اليه المساعدات الاخرى التي جمعت لهم بحضرموت حيث استطاعوا أن ينهضوا بجناحي المال والرجال من عشائرهم ومناصريهم .

وأولئك القواد او الضباط المشار اليهم هم : عوض بن عمر القعيطي وغالب بن محسن الكثيري ، وعبدالله بن علي العولقي الا ان الاخير لم يسعفه الحظ بتولي بعض السلطات بحضرموت كما تقدم ذلك فيما مضى قريبا من هذا الكتاب .

وفي أثناء رحلاته كان موضع الحفاوة والاحترام وتبادل الابحاث العلمية والمساجلات الادبية مع كبار القوم ببلادهم وبمناسبة الادب والشعر اذكر ما بدر لي من نكاته الادبية ونوادره الشعرية منها انه لما التقى ببرغش بن سعيد سلطان زنجبار العربي العماني الشهير قال لابن شهاب ، فيم ، فأجابه بقوله ، أريد ولم يفهم الحاضرون ما يعنيان فسأل بعضهم ابن شهاب فيما بعد عما يرميان اليه فقال انه يخاطبني بقول الطغرائي في لامية العجم :

فيما اقتحامك لج البحر تركبه   وانت تكفيك منه مصة الوشل

فأجبته من القصيدة نفسها :

اريد بسطة كف استعين بها   على قضاء حقوق للعلا قبلي

ومرة اخرى بحث مع بعض الادباء في شعر المتنبي وحياته ونسبه فقال لهم انه حضرمي واصل آبائه من حضرموت ولكلامه ادلة تاريخية فقالوا انه لم يذكر ذلك في شعره فقال نعم انه اشار الى ذلك في قصيدته التي مطلعها :

على قدر اهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكــارم

اشار الى ذلك بقوله :

وخير بلاد حضرموت ومن هنا تسامى على كل الرجال الحضارم

فقالوا صدقت والواقع انه دس البيت في القصيدة ليختبر مدى حفظهم واطلاعهم على اشعار المتنبي ثم اخبرهم فيما بعد انه نظمه على البديهة في الجلسة •

وزار مرة بعض المعاهد الاسلامية التي تدرس اللغة العربيةوالتاريخ الاسلامي وغيرهمابحيدر اباد(١)ومعه بعض اصدقائه فطلب منه العميــد ان يختبر معلومات الطلبة فاملا عليه هذين البيتين :

انما المولى علــي وهــو فــي ملكــه الواسع يبدي ويعيــد
وله الصديق والفاروق والشيخ عثمــــان موالــي وعبيــــد

فقال العميد باللغة الاردية ما معناه ان هذا أعلى درجات الرفض وتوقف الطلبة عن تفسير البيتين ولكن ابن شهاب اوضح لهــم المعنى وقرر لهم ما يشتملان عليه من التورية •

واقام ابن شهاب بحيدر اباد سنين عديدة تافت على العشريــن ألف بها اسرة اخرى الــى اسرته بحضرموت وكان محط آمال الجميــع بها ومطمح انظارهم وزعيمهم العلمي والادبي •

ومع هذا لم يكن سعيدا جدا في غربته بقدر مــا لــم يكن سعيدا كذلك في بلاده التي ضيم بها وهكذا يعيش كثير من الاحرار والعلماء والعظماء الكبار الذين يحاربهم الــزمان أينما حلوا حين ينعم السفلــة والجهال برغد العيش •

ولكنه مع هذا دائما يحن الى وطنه ويستولي عليه القلق لبعده عنه بدافع من وفائه له ونبل عاطفته فاسمعه يقول :

---

(١) أو مدينة أخرى بالهند .

أهكذا ليت شعري كل ذي كرم	يصبيه تذكاره المأوى ويقلقه
يا ايها الراكب الغادي الى بلد	جرعاؤه خصبة المرعى وابرقه
ناشدتك الله والود القديم اذا	ما بان من بان ذاك السفح مورقه
وشاهدت عينك الفناء غادرها	مخضلة بالحيا الوسمي مغدقه
ان تستهل صريخا بالتحية عن	باك من البعد كاد الدمع يغرقه
يثير أشجانه فوح الصبا سحرا	وساجع الورق بالذكرى يؤرقه
له فواد نـزوع لا يفـارقـه	حر الغرام وجفن ليس يطبقه
بالهند ناء اخي وجد يحن الى	اوطانه وسهام البين ترشقـه

ثم عاد اليها سنة ١٣٣٢ فاستقبل استقبالا شعبيا وحكوميا وقوبل من الجميع بالتجلة والاحترام وقد بلغ من الكبر عتيا ، وتهافت عليه الجميع وانتهزوا فرصة وجوده بينهم واستفادوا من علمه وآرائه وعاد بعد نحو عامين الى حيدر اباد لينقل اسرته منها الى حضرموت وحالت ظروف الحرب العالمية العظمى دون ذلك وكف بصره آخر عمره وتوفي بحيدر اباد سنة ١٣٤١ رحمه الله .

ثقافته :

تثقف ابن شهاب ثقافة علمية وادبية رائعة فقد نشأ في بيئة علمية ومدينة علمية وعند شيوخ علماء كبار وتأثر بالتصوف ونشأ عليه ولكنه التصوف المعتدل الذي يتمشى مع الشرع وتعاليمه جنبا الى جنب ثم ان استعداده الفطري أهله لان يعلو بثقافته فوق الوسط الذي نشأ فيه وحدة ذكائه وبعد نظره جعلاه يدرك ما لا يدرك أقرانه من المعرفة والاطلاع والتفنن يضاف الى ذلك ما شاهده وجربه وخبره أثناء رحلاته الطويلة الى كثير من البلاد المتقدمة وجلساته وندواته ومباحثاته مع رجالها كل ذلك اكسبه اطلاعا اكثر وخبرة اطول .

وكان لتربيته الدينية الصوفية اثر كبير في اخلاقه العالية فهـو

متواضع كريم نبيل صبور بشوش رقيق وهكذا تنعكس عليه سمات الفضل الذي نشأ عليه •

وحباه الله صورة جميلة مهيبة وتقاطيع بديعة ولطفا جما ويتجلى ذلك في مجموعة كتبه ومجالسه وعشرته لمن يعرفه ولا يزال كثير وكثير ممن يعرفونه موجودين كما ينطبع كثير من اوصافه في شعره وادبه الذي سنتكلم عنه فهو من الافذاذ القلائل الذين أنجبتهم بلاد العرب وليس حضرموت وحدها •

شعره :

لقد كتبنا المهم من حياة ابن شهاب ويمكنك بواسطته ان تأخذ صورة صحيحة عنه ومن الطبيعي ان يكون شعره شعرا ساميا ممتازا كحياته السامية الممتازة عن حياة كثير من زملائه من شعراء وعلماء وزعماء •

وفي شعر ابن شهاب كما رأيت بعضه هنا عدة ظواهر منها الرقة والبلاغة والطلاوة والفن واكثر شعره جيد وجيد جدا والقليل منه ما ليس كذلك •

وهو كالشعراء الذين قبله في العربية منذ قرون عديدة وكالشعراء الذين في عصره يبدأون مدايحهم بالغزل التقليدي ويعنون بالمديحولكنه لا يتكلفه وهو حين يمدح انما يمدح من اجل الفن ومن اجل تقديم شعره ليذاع ويضم الى اشعار المكتبة الادبية لا ركضا وراء الدينار كما يقول بعض المتسرعين ممن لم يدرسوا حقيقة هذا الشاعر العظيم دراسة وافية ولم يدرسوا غيره من شعراء حضرموت والجنوب وينصفوا اشعارهم التي لا تقل روعة وفنا عن امثالها في عالم الشعر والادب

العربيين (١) فابن شهاب حين يمدح الخديوي توفيق بقصائد طنانة في معارضة الارتقيات لم يقدمها له واذا قدمها له فلاجل ان يضاهي بها شعراء عصره في مصر وغير مصر ويتحداهم ويعرفهم بمكانته ومقدرته الفنية واي شاعر لا يتمنى ان يقول كمثل قوله :

روق الخمرة صرفا وادر ... واسقنيها في الظلام المعتكر
روح الارواح بالراح فما ... ذاق طيب العيش الا من سكر
رقية الحزن يرى شاربها ... نفسه مثل مليك مقتدر
رق مرآها ومرأى جامها ... فهي والجام ضمير مستتر
رائد الأعين عن ادراكها ... قاصر لولا اللهيب المستعر
رقصت في جبهة الكأس لدى ... صبها حور الحباب المنتور
راح أنس اذ بدت في مجلس ... يعبق النادي برياها العطر
رونق الجسم بها منتعش ... ولها في اللب سحر مستمر
ربما أنكرها ذو شرعة ... ما درى قصة موسى والخضر
رده الجهل بها عنها وهل ... يعرف الجوهر غير المختبر
رأيه في العذل عنها فاسد ... انما العاذل كذاب اشر
رب ليل بته معتكفا ... بين كاسات وساق مسبكر

---

(١) ابلغني بعض كبار الادباء انه اطلع على كتاب معد للطبع عن شعراء اليمن المعاصرين من تاليف بعض شباب العراق رمى فيه ابن شهاب بأنه يركض وراء الدينار ويقول انه لم يَذر عن كثير من شعراء اليمن — بما فيهم شعراء حضرموت — وانه لم يحسن العرض لحياة واشعار بعضهم ومن سوء الحظ ان اكون (المصنف) منهم فانه لم يسجل من اشعاري كما يقول ذلك الاديب ما ظفر باعجاب الادباء الكبار مثل القصائد المعنونة بهذه المناوين لسان حال البنت الحضرمية ، ذكرى الوطن وتحية الجالية كيف السبيل الى نهوض صادق الخ وان دل هذا — اذا صح — على شيء فانما يدل على التقصير في الدرس والقصور في التعمق في البحث ومع هذا فان صاحب الكتاب يشكر على اهتمامه بشعراء هذا الجزء من العالم العربي وعلى ما قدمه من حسن الصنيع . وقد علمت فيما بعد أن إسم الكتاب شعراء اليمن المعاصرون هلال ناجي .

رشأ يضبطه غصن الربا ان تثنى والغزال المنذعر
رنة الأوتار تصبيه وعن مثله الصبر كما قالوا صبر
رام اكرامي فعاطاني الطلا وسقانيها لأمر قد قدر
رشفة بعت بها نفسي وما ملكت يدنا فهل من مدكر
ربح البيع ولكن قلت للمشـ ـتري قول المسيء المعتذر
رد روحي انها مملوكة للعزيز ابن العزيز المنتصر

وهذا هو السحر الحلال الذي يأخذ بمجامع القلوب ولو قارنت بين بيته هذا وهو :

رق مرآها ومرأى جامها فهي والجام ضمير مستتر

وبين قول البهاء زهير :

رق الزجاج ورقت الخمر فتشاكلا وتشابه الامر
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

اذا قارنت تجد بيت ابن شهاب متفوقا من عدة اوجه ، ومن بديع شعره قوله :

يقولون خضبت المشيب تصابيا وهذا دليل ان دعوى الصبا افك
فقلت سترت العيب لا الشيب انه من العيب شيب لا يصاحبه نسك

ومن لطيف شعره قوله :

كل بيت بثلاث يزدهي في عيون المكترى والمشترى
الهوا والنور من داخله ومن الخارج حسن المنظر

وتناول ابن شهاب في شعره المرأة وموقفه العام معها موقف عدالة وانصاف فيما لها وعليها بمقتضى النظم التي سنها الاسلام في المجتمع وقد اجمل ذلك في قصيدته الحائية التي تتضمن مساجلة بينه وبين سيده ومطلعها :

أمن الفتوة ان تباح طرف الظريفات الملاح
قالوا نعم ان لم تكن فحشا فليس بذا جناح

الى آخرها وهي مثبتة في ديوانه وله مواقف جزئية ينظر فيهـا الى المرأة نظرة حيطة وحذر وله نصائح وتعليمات خاصة بالمرأة فـي أرجوزته التي طبعت بمفردها وبمعية ديوانه ٠

ونجد خلال ديوانه قصائد ومقاطيع عديدة يعالج بهـا النعرات والامراض الطائفية الاجتماعية يطول المقام بتعدادها ٠

واشعاره كثيرة ومعظمها مثبتة في ديوانه وله اشعار دارجة (١) ايضا قال معظمها في عنفوان شبابه وكما انتشرت كتبه وآراؤه فقـد سجلت قصائد له حكمية ودارجة في مناسبات عديدة يتناقلها رجـال الفن والادب وانصارهما رحمة الله عليه ٠

رجال وحوادث :

وقد اكتفيت بترجمة ابن شهاب ــ من اعلام هذا الدور ــ لانـه الشخصية التي توفرت فيها صفات العلم والادب والاصلاح والسياسة بتفوق الى التمسك بمبادىء المروءة والاسلام الى الزعامة القوية فـي المجتمع الذي يعيش فيه فاستحق بهذا ان يوضع في مصاف الابطـال مع العلم بوجود شخصيات كثيرة عظيمة انجبتها البلاد في هذا الدور ايضا اشرت ايضا الى عدد منها فيما مضى ولكن لم يلمع منها احد فـي كل الصفات التي لمعت فيها شخصية ابن شهاب وانما كان لمانها وتفوقها في بعض دون بعض كما ان هناك وقائع وحوادث لم اتناولها بالتفصيل

---

(١) وكانت تظهر في حيدر اباد بين الحين والحين قصائد شعبيـة بليغة مطبوعة بامضاء ــ الفرزدق ــ تلقى في قهواتها التي يرتادها افراد الجالية الحضرمية يهجو صاحبها فيها بعض الاسرة القعيطية السلطانية واشخاصا آخرين وتشتمل على مواضيع سياسية واجتماعية وغيرهـا وعلى اكتشاف اسرار مكتومة في حينها، وبحث عن قائلها فلم يعرف واشتبه في ثلاثة شعراء احدهم ابن شهاب والاخران صلاح احمد الاحمدي وحسين منصر القميطي وكل الذين يعرفون ابن شهاب يؤكدون بان الشبهة بعيدة عنه لاسباب عديدة ، والاقرب ان عصبة متعاونة تقوم بهذا العمل ٠

لان الغرض الاكبر من تأليف هذا الكتا بانما هو خدمة النواحي الاجتماعية وحياة النماذج الممتازة من الشخصيات التي لها ارتباط وثيق باصلاح المجتمع ورفع مستواه وتقديم المنافع الكبيرة له ليكون فيها أسوة حسنة ومثل عال لعشاق الزعامة والمجد والاصلاح .

كلمة الختام :

وقد انتهيت من كتابة هذه الادوار والبلاد تشعر بأنها ستستقبل اشراقة الفجر الجديد فجر الاستقلال ضمن الجنوب كله في هذه الفترة التي يطالب فيها بنوه بريطانيا بتحقيقه ويبذلون الضحايا رخيصة في سبيل انجازه وقد امكنني في نفس الوقت ان اسجل حقائق هذا التاريخ كما هي مع العلم بأن كثيرا منها لا يسر أرباب السلطة والنفوذ ممن لا يزالون متربعين على الكراسي وهي تهتز من تحتهم فهبطت حدة ضغطهم ورقابتهم وكان هذا مما ساعدني على قول الحق لخدمة الحق، بينما بريطانيا تتأهب للرحيل عن الجنوب كله ليستلم بنوه الحكم بعد شهور قادمة ان شاء الله وليحافظوا عليه ــ اذا تسلموه ــ من رواسب الاستعمار التي لا تزال باقية الى اليوم في كثير من البلاد المستقلة التي كيفها الاستعمار من قبل بعاداته واخلاقه وطبائعه وأفكاره ثم رحل عنها مطمئنا بأنها لن تزال كذلك ولن تتخلص منها الا بتضحيات اعظم وبجهاد اكبر وهو جهاد النفس لان الاستقلال ليس هو الاستقلال السياسي فحسب وانما هو الاستقلال السياسي والفكري والخلقي والاقتصادي والعسكري وفي كل المجالات الحيوية .

فاذا كان الغرض من التاريخ اخذ الدروس والعبر ــ وهو كذلك ــ فان علينا ان نتجنب كل ما يسيء الى استقلالنا بكامله عندما نستلمه وان نقتدي بآبائنا ابطال العروبة والاسلام الذين نقرأ تواريخهم المجيدة وان نتمسك بمباديهم الشريفة النظيفة وننفذها والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وكان الفراغ من تحريره سنة ١٣٨٦ هـ و سنة ١٩٦٦ م .

فهرسُ الأعلام

فهرسُ القبائِل وَالأقوَام

فهرس الأمكِنَة وَالموَاضِع

فهرس الأعلام

- أ -

- س -

- ش -

– ق –

فهرس القبائل والأقوام

فهرس الأمكنة والمواضع

- أ -

- ث -

- ج -

حصن فلوقة: ٤٤٩

حضرموت: ٩ - ١٠ - ١١ - ١٣ - ١٤ -
١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٩ -
٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٦ -
٢٧ - ٢٨ - ٣٤ - ٣٥ -
٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ -
٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ -
٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٨ -
٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ -
٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ -
٥٧ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ -
٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٧ -
٧٠ - ٧١ - ٧٥ - ٧٧ -
٧٩ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ -
٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ -
٩٠ - ٩٣ - ٩٦ - ٩٨ -
٩٩ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ -
١٠٦ - ١٠٧ - ١٠٨ - ١٠٩ -
١١٠ - ١١١ - ١١٢ - ١١٣ -
١١٤ - ١٢٢ - ١٢٤ - ١٢٥ -
١٢٦ - ١٢٧ - ١٢٨ - ١٢٩ -
١٣١ - ١٣٩ - ١٤٠ - ١٤١ -
١٤٣ - ١٤٤ - ١٤٥ - ١٤٦ -
١٤٧ - ١٤٨ - ١٤٩ - ١٥٠ -
١٥١ - ١٥٢ - ١٥٤ - ١٥٥ -

- خ -

- س -

- ش -

- ق -

- و -

- ي -

أهمّ مصادر الكتاب

أولاً : المصادر المطبوعة

اسم الكتاب	المؤلف
تاريخ الأمم والملوك	محمد بن جرير الطبري
الأغاني	أبو الفرج الأصفهاني
العقد الفريد	ابن عبد ربه
الإصابة في أسماء الصحابة	ابن حجر العسقلاني
السيرة النبوية	عبد الملك بن هشام
دائرة معارف البستاني	بطرس البستاني
تاريخ العرب قبل الإسلام	جرجي زيدان
تاريخ الأمة العربية	درويش المقدادي
المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام (عشرة مجلدات)	الدكتور جواد علي
الشامل في تاريخ حضرموت	علوي بن طاهر الحداد
جني الشماريخ في أجوبة على أسئلة من التاريخ	علوي بن طاهر الحداد
خلاصة السيرة الجامعة وهي شرح قصيدة نشوان الحميري	عبيد بن شرنبة
النور السافر عن أخبار القرن العاشر	عبد القادر بن شيخ العيدروس
المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي	محمد بن أبي بكر الشلي

تاريخ الدولة الكثيرية	محمد بن هاشم
تعليقات حاضر العالم الاسلامي (جزآن)	الأمير شكيب أرسلان
إرشاد العاقل من القبائل	عبد الله بن حسين بن طاهر
حياة الشرق	لطفي جمعة
عقود الألماس	علوي بن طاهر الحداد
مجلة العربي الكويتية	الأعداد ٨١ و ٨٧ و ٨٩
تقرير أحصائي لقبائل حضرموت	لبعض المختصين بشئون البادية بامكلا

ثانيًا: المصادر المخطوطة

البرد النعيم في خطباء تريم	محمد الخطيب
قلادة النحر	الطيب بامخرمة
الطراز المعلم (السلسلة العيدروسية)	شيخ بن عبد الله العيدروس
مفتاح السعادة والخير في مناقب آل باقشير	الشيخ باقشير
التاريخ الأقدم	أحمد بن عبد الله شنبل
غاية القصد والمراد في مناقب الحداد	محمد بن زين بن سميط
الفوائد السنية	أحمد بن حسن الحداد
تاريخ حوادث السنين	الطيب بافقيه
يوميات الشاطري [المؤلف]	محمد أحمد الشاطري

محتويات الكتاب

الموضوع | الصفحة